محاورات أفلاطون

المجلد السادس

أفلاطون

المحاورات الكاملة

أفلاطون

المحاورات الكاملة

المجلّد السادس

محاورة النواميس

نقلها إلى العربيّة
شوقي داود تمراز

الأهلية للنشر والتوزيع

إصدار: الأهليّة للنشر والتوزيع
بيروت - الحمراء، بناية الدورادو
ص.ب.: ١١٣٥٤٢٣ - هاتف: ٥٤١٥٧

المحتويات

	صفحة
الكتاب الأول	٥
الكتاب الثاني	٥١
الكتاب الثالث	٨٨
الكتاب الرابع	١٣٢
الكتاب الخامس	١٦٥
الكتاب السادس	١٩٩
الكتاب السابع	٢٥٠
الكتاب الثامن	٣٠٦
الكتاب التاسع	٣٤١
الكتاب العاشر	٣٨٥
الكتاب الحادي عشر	٤٢٩
الكتاب الثاني عشر	٤٦٩

محاورة النواميس

الكتاب الاول

افكار الكتاب الرئيسية

يشترك في محاورة النواميس المهمة هذه أربعة أشخاص: الأثيني الغريب، كريتي، لاقيدايموني، واسبرطي.

يبدأ الأثيني بسؤال كلينياس وميغيلوس إذا كان الذي شرَّع لهما قوانينهما في كريت ولاقيدايمونيا هو إنسان أو إله، ويجيب كلاهما أن الذي شرَّع لهما قوانينهما هو إله بكلّ تأكيد، ويسألهما: لماذا قضى القانون في بلديكما بأن يكون لديكما وجبات طعام وتمارين رياضية مشتركة وأن تتمنطقوا بالسلاح؟ ويجيبان أنّ كلّ الأنظمة التي أوجدتها قوانينهما كانت بقصد الحرب، والحرب تلزمها الشجاعة، التي هي جزء واحد من أجزاء الفضيلة. لكن دعونا نعتبر الآن المبادىء الطبيعية للحقّ والخطأ في القوانين، والمشرِّع الحقّ يجب أن يسنّ القوانين بقصد الأفضل على الدوام، والحرب ليست الشيء الأفضل في الحياة الإنسانية، بل إنّ السلام هو الشيء الأفضل ببعد كبير.

ويسأل الأثيني: أليس من الأفضل أن يتّحد العدل والاعتدال والحكمة مع الشجاعة، وهذا يكون أكمل من أن يتحلّى الإنسان وتتجمّل الدول بالشجاعة فقط؟ أوليس العدل الكامل أعظم فضيلة وأسمى من الشجاعة؟ والمشرِّع الحقّ عندما يسنّ قانوناً ينبغي أن تكون لديه الفضائل كلّها وليس جزءاً واحداً منها، وما المركز الذي تحتلّه الشجاعة سوى المركز الرابع بين الفضائل، وليس كما قضى قانونكما أن يكون لها المركز الأوّل.

إنّ كلّ القوانين يجب أن توجد لسبب، والسبب أنّها تتمّم هدف القوانين، والهدف هو جعل الذين يستخدمونها سعداء، وهي تمنح مستخدميها كلَّ نوع من

أنواع الخيرات. وبعدُ فإنّ الخيرات نوعان اثنان: هناك خيرات إلهيّة وهناك خيرات إنسانية، والخيرات الثانية تتعلّق بالخيرات الأولى التي هي المصدر. وإذا لم يمتلك إنسان الخيرات الأكثر فلن يكون لديه أيٌّ منها. إنّ الحكمة هي القائد وهي الرئيس الأعلى لنوع الخيرات الإلهيّة. ويتبع الاعتدال، وينبثق العدل من اتّحاد هذين الخيرين مع الشجاعة، والشجاعة هي الرابعة في ميزان الفضيلة. ويجب أن ينظّم المشرّع علاقات الجماعة بعضها مع البعض الآخر، وأن يثيبهم إذا ساروا على الطريق المستقيم، ويعاقبهم إذا أخطأوا. وينبغي عليه أن يأخذ بعين الاعتبار الملذّات والآلام التي تنشأ بينهم في كلّ الحالات، وعليه أن يعلّمهم ما هو الخير والشرّ، وأين يوجد العدل والظلم في كلّ الاتفاقات التي يبرمونها في ما بينهم. إنّ اللذّة والألم هما النافورتان اللتان تسمح لهما الطبيعة بالتدفّق، والذي ينهل منهما، في كل زمان ومكان وبقدر ما يجب، يكون سعيداً، والذي ينغمس فيهما ويطلق لهما العنان بجهل وفي الوقت الخطأ يكون عكس الإنسان السعيد. نحن نقول إنّ كلّ لقاءات الجنس البشري، مهما كان نوعها، يجب أن يكون لها قائد، والقائد ينبغي أن يكون إنساناً يفهم المجتمع، لأنّ واجبه يقضي عليه أن يصون مشاعر الصداقة بينهم. ويلزمه أن يكون عاقلاً وغير مدمن على الخمر ليكون سيّداً على الصاخبين والقاصفين، وإذا كان عكس ذلك فإنّه سيدمّر كلّ شيء. وعلينا أن نعتني، يا كلينياس وميغيلوس، بالتعليم لأنّ التعليم يجعل الرجال أخياراً، والرجال الأخيار يعملون بنبل في كلّ مناسبة. ونحن نؤكّد أنّ الموسيقى هي جزء من أجزاء التعليم، والتعليم يجب أن يبدأ من سنّ الطفولة فصاعداً وكلٌّ حسب كفاءته. إنّ الجزء الأهم من أجزاء التعليم الصحيح يبتدىء في بيت الحضانة، ويلزم أن تُهدى روح الطفل في لَعِبِه إلى حبّ ذلك النوع من أنواع الامتياز الذي يجب أن يكون كاملاً. ونحن نؤكّد أنّ الرجال الذين يقدرون أن يحكموا أنفسهم هم رجال أخيار، وأمّا الرجال الأشرار فعكس ذلك. وسنمنع شرب الخمر في دولتنا لأنّ الخمر

يزيد الملذّات والآلام، والشهوات والهوى ويضاعفها، وينقص نفاذ البصيرة والذاكرة، والرأي الصحيح والتعقّل، وهكذا فإنّ المرء لا يستطيع السيطرة على نفسه. دعنا نتذكّر أن هناك شيئين يجب أن يهذّبا ويتعهّدا العناية بالروح، الأول هو الشجاعة الأعظم، والثاني هو الخوف الأعظم. وأخيراً فإنّ ما يجب علينا عمله هو معرفة طبائع وعادات أرواح الرجال، وهذه المعرفة ستكون ذات المنفعة الأعظم في ذلك الفنّ الذي لديه إدارتهم، وهذا الفنّ هو فنّ العلوم السياسية.

نقول ختاماً إنّ الله لم يكن يقصد ما قلتماه، يا كلينياس وميغيلوس، إنّه كان قصده عندما شرّع في دولتيكما وهو توجّهه في تشريعه نحو الشجاعة فقط.

ونود ان نشير الى اننا استعملنا في محاورة النواميس كلمتي النواميس والقوانين على انها تحمل المعنى نفسه مع ميلنا الى استعمال كلمة قوانين. اما وقد استعملت المراجع العربية القديمة والحديثة كلمة نواميس فكان لا بد من استعمالها هنا.

محاورة النواميس

الكتاب الاول

اشخاص المحاورة

غريب أثيني　　كلينياس
ميغيلوس الكريتي　　شخص من لاقيدايمونيا

الغريب الأثيني: أخبروني، أيّها الغرباء هل واضع قوانينكم هو إله أم إنسان؟
كلينياس: إلهٌ، أيّها الغريب، بالحقيقة المطلقة إله. يُقال إنّه قد كان زيوس بيننا نحن الكريتيين، لكن في لاقيدايمونيا، التي أتى منها صديقنا الموجود هنا، أعتقد بأنّهم سيقولون إنّ أبوللو هو مشرّع قوانينهم: ألاَ يقولون ذلك، يا ميغيلوس؟
ميغيلوس: بالتأكيد.
الأثيني: وهل تعتقد، يا كلينياس، كما يخبرنا هوميروس، أنّ مينوس كان يذهب كلّ تسع سنين ليحادث مولاه الأوليمبي، وأنّه أوحى إليه أن يَسُنَّ قوانين مدنكم؟
كلينياس: نعم، إن هذا العُرف هو عرفنا؛ وكان أخوه رادامانثوس، الذي آسمُهُ مألوف بالنسبة إليك، وهو يُعدُّ أنه كان أعدل الرجال جميعاً، ونحن الكريتيين نرى أنّه قد كسب هذه المكانة المرموقة من إدارته الصحيحة للعدل عندما كان حيّاً.
الأثيني: نعم، وإنّها كانت مكانة مرموقة، جديرة بابن زيوس. وبما أنّك وميغيلوس قد تدرّبتما في هذه المؤسسات، أجرؤ على القول بأنّكما لن تكونا غير

مستعدّين للاشتراك في مباحثة عن حكومتيكما وقوانينكما. من ناحيتنا يمكننا أن نمضي الوقت في الحديث عنها بكلّ سرور، وأُخبرت أنّ المسافة من كفوسوس إلى كهف وهيكل زيوس هي مسافة جديرة بالاعتبار، وهناك أماكن ظليلة تحت الأشجار السامقة بدون شكّ، وهي ستحمينا من حرارة هذه الشمس المحرقة. وبما أنّنا لسنا فتياناً، يمكننا أن نتوقّف غالباً للراحة تحتها، ونقطع الرحلة كلّها بدون عناء وصعوبة، ممضين الوقت بالمحادثة.

كلينياس: نعم، أيّها الغريب، وإذا تقدّمنا إلى الأمام فإنّنا سنصل إلى أيكات السرو، التي ارتفاعها وجمالها نادران حقاً، وهناك المروج الخضراء، التي بإمكاننا أن نضطجع عليها ونتحادث.

الاثيني: جيّد جداً.

كلينياس: جيّد جداً، حقاً؛ ويبقى ما هو أفضل عندما نراها. دعنا نستحثّ الخطى نحوها بابتهاج.

الاثيني: إنّني لعلى استعداد. وبادىء ذي بدء، أريد أن أعرف لماذا قضى القانون أنّه سيكون لديكم وجبات طعام وتمارين رياضيّة مشتركة، وأن تتمنطقوا بالسّلاح.

كلينياس: أعتقد، أيّها الغريب، أنّ هدف مؤسّساتنا سهل الفهم لكل شخص. أَمعِن النظر في ميزة بلادنا: إنّ كريت ليست كتساليا، أرضاً منبسطة فسيحة؛ ولهذا السبب فإنّهم يعتمدون على الفوارس في تساليا، ونحن لدينا العدّاؤون ـ إنّ عدم استواء الأرض في بلادنا يجعلنا نتبنّى الحركة على الأقدام بشكل أكثر. لكن، إذا كان لدينا العدّاؤون فيجب أن نمتلك أسلحة خفيفة ـ لا أحد يستطيع حمل أسلحة ثقيلة عند السير السريع، وفي هذه الحالة فإنّ الأقواس والسّهام هي أسلحة مناسب حملها بسبب خفّتها. وبعدُ فإنّ كلّ هذه الأنظمة قد أُوجدت بقصد الحرب، ويبدو لي أنّ المشرّع اهتمّ

بهذا في كلّ ترتيباته التي أقامها - إنّ وجبات الطعام العامّة قد أقامها لسبب مشابه، إذا لم أكن مخطئاً، لأنّه رأى أنّه في حين كان المواطنون في أرض المعركة، فإنّ طبيعة الحالة أجبرتهم على تناول وجبات طعامهم معاً من أجل حمايتهم المشتركة. يبدو لي أنّ المشرّع رأى أنّ العالم غبي لأنّه لم يدرك أنّ الرجال جميعهم هم في حالة حرب بعضهم مع البعض الآخر على الدّوام؛ وإذا كانوا كذلك فلا بدّ من وجود وجبات الطعام المشتركة، وأن يتمّ تعيين أشخاص محدَّدين تحت إرشاد الآخرين بشكل منتظم كي يحموا الجيش، إذا ما استمرّوا في حالة السلام. إنّ ما يصطلح الرجال على تسميته السلام بشكل عامّ سيقول عنه المشرّع إنّه إسم فقط. في الحقيقة إنّ كلّ مدينة تكون في حالة حرب طبيعيّة بعضها مع البعض الآخر، وهذه الحالة لا تُعلن بالرُّسُل أو السفراء، بل إنّها أبديّة مستمرّة. وإذا ما أمعنت النظر عن كثب، ستجد أنّ هذا كان القصد الذي رمى إليه المشرّع الكريتي. إنّ كلّ المؤسّسات، العامّة منها والخاصّة، نظّمها بقصد الحرب؛ وفي هذه النفسية عنانا أن نحفظها وأن نصونها. إنّه كان تحت انطباع أن لا مقتنيات أو مؤسسات تكون ذات قيمة لمن يُهزم في أرض المعركة؛ لأنّ كلّ الأشياء الجيّدة التي تكون في حوزة المقهور ستنتقل إلى أيدي الفاتحين الغزاة.

الأثيني: تبدو لي، أيّها الغريب، أنّك قد تدرّبت بشكل كامل في المؤسّسات الكريتيّة، وأنّك أُخبرت جيّداً بشأنها. هل ستطلعني بشكل أوضح قليلاً ما هو مبدأ وقاعدة الحكومة التي ستخطّط لها وتعلنها؟ يبدو أنّك تتخيّل أنّ الدولة المحكومة جيّداً يجب أن تكون منظّمة على النحو المشار إليه كي تفتتح كلّ الدول الأخرى في الحرب. هل أنا محقّ في افتراض أنّ هذا هو ما عنيت؟

كلينياس: بالتأكيد، وسيوافق معي صديقنا اللاقيذايموني، إذا لم أكن مخطئاً.

ميغيلوس: لماذا، يا صديقي الصالح، كيف يمكن لأيّ لاقيدايموني أن يقول أيّ شيء آخر؟

الأثيني: وهَل الذي تقوله قابل للتطبيق في الدول أو في القرى أيضاً؟

كلينياس: لكليهما بالطريقة عينها.

الأثيني: إنّ الحالة هي الشيء عينه؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: وهل ستوجد الحرب عينها في القرية، عائلة تحارب عائلة، وفردٌ يحارب فرداً؟

كلينياس: الشيء عينه.

الأثيني: وهل سيتصوّر كلّ إنسان أنّه عدوّ نفسه؟ فماذا ستقول؟

كلينياس: أوه أيّها الأثيني الغريب، إنّني لن أدعوك قاطن أتيكا. يبدو أنّك تستحقّ بالأحرى أن تُسمّى على غرار الإلهة نفسها، لأنّك تعود إلى القواعد والمبادىء الأولى ـ إنّك ألقيت ضوءاً على المحاورة، وستكون الآن أقدر على فهم ما قلته لتوّي ـ إنّ الرجال كلّهم هم أعداء بعضهم لبعض بشكل علنّي، وإنّ كلّ إنسانٍ عدوّ نفسه بشكل سرّي.

الأثنيني: ماذا تعني، يا سيّدي الصالح؟

كلينياس: ... علاوة على ذلك، هناك نصر وهناك هزيمة، ـ الانتصارات الأولى والأفضل والهزائم الأحطّ والأسوأ، ـ التي يفوز بها أو يتكبّدها إنسان ليس على يديه بل على أيدي الآخرين؛ وهذا يبيِّن أن هناك حرباً مستعرة الأوار ومستمرّة ضدّ أنفسنا وداخل كلّ شخص منّا.

الأثيني: دعنا الآن نعكس نظام المحاورة آخذين بعين الاعتبار أنّ كلّ فرد يكون إمّا سموّه الخاصّ أو دونه الخاصّ، فهل باستطاعتنا القول إنّ المبدأ عينه موجود في البيت، القرية، والدولة؟

كلينياس: تعني أنّ كلاً منهما يقدِّم مثالاً إمّا لسموٍّ أو لدونيّة نفسه؟

الأثيني: نعم.

كلينياس: إنّك لمحقّ تماماً في سؤالك، لأنّ هناك نزاعاً كهذا بكلّ تأكيد، وفي الدول فوق الجميع. والدولة التي يحرز فيها المواطنون الأفاضل نصراً على الغوغائيين وفوق الطبقات الوضيعة يمكن أن يقال عنها بحقّ إنّها أفضل من نفسها، ويمكن أن يُثنى عليها بعدل، حيثما أُحرز هكذا نصر، أو وقع عليها اللّوم في الحالة المضادّة.

الأثيني: سواء إذا قُهِر الأفضل بالأسوأ أبداً حقّاً. فهذا سؤال يحتاج لبحث أكثر، ولهذا السبب يمكن أن يُترك جانباً في الوقت الحاضر. لكنّني الآن أفهم معناك تماماً عندما تقول إنّ المواطنين الذين يكونون من السلالة عينها ويعيشون في المدن نفسها يمكن أن يتآمروا بظلم، وبما أنّ لديهم التفوّق العدديّ يمكن أن يقهروا ويستعبدوا الأشخاص القلّة العادلين. وعندما يسيطرون، يمكن أن تدعى الدولة دونيتها الخاصة بحقّ ولهذا السبب سيّئة، وعندما يُهزمون تدعى سموّها الخاص، ولهذا السبب دولة صالحة.

كلينياس: إنّ ملاحظتك، أيّها الغريب، هي عبارة موهِمة للتناقض، وبرغم ذلك فنحن لا نستطيع إنكارها بأيّة حال.

الأثيني: توجد هنا حالة أخرى لأخذها بعين الاعتبار، ـ يمكن أن يكون هناك عدّة أخوة في عائلة، أخوة هم ذرية زوج فرد؛ ويمكن أن تكون أكثرية هذه العائلة ظالمة بشكل محتمل جدّاً، ويمكن أن يكون العادلون فيها أقليّة.

كلينياس: ممكن جدّاً.

الأثيني: ويجب علينا أن لا نتابع السؤال بحرفيته سواء إذا كان ليقال عن هذه العائلة والأسرة بحقّ إنّها تُظهر دونيّة نفسها عندما يسود العنصر الأدنى، وإنّها تُبيِّن سموّاً عندما تُقهر. ونحن الآن لا نأخذ بعين الاعتبار ما يمكن أو

لا يمكن أن تكون الطريقة المناسبة أو المألوفة للكلام، لكنّنا نأخذ بعين الاعتبار المبادىء أو القواعد الطبيعيّة للحقّ والخطأ في القوانين.

كلينياس: إنّ ما تقوله، أيّها الغريب، هو القول الأكثر صدقاً.

ميغيلوس: ممتاز تماماً، في رأيي، القدر الذي وصلنا إليه في بحثنا.

الأثيني: مرّة ثانية، ألاَ يمكن أن يكون هناك قاضٍ فوق هؤلاء الأخوة الذين تكلّمنا عنهم؟

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: وبعدُ أيُّ قاضٍ سيكون القاضي الفاضل؟ هل هو الذي يدمِّر الأشرار ويعيِّن الأخيار كي يحكموا أنفسهم، أو الذي، وهو يسمح للأخيار أن يحكموا، يدع الأشرار يعيشون، ويجعلهم يخضعون طوعاً؟ أو الشخص الثالث الذي أفترض أنّه يمكن أن يُوضع قاضياً في ميزان الامتياز، والذي وجد أنّ العائلة مخبّلة، لم يدمّر أيّ شخص منها فقط، بل إنّه وفّقهم بعضهم ببعض في ما بعد إلى الأبد، وأعطاهم القوانين التي راقبوها بشكل مشترك، وكان قادراً على أن يبقيهم أصدقاء؟

كلينياس: إنّ القاضي الأخير سيكون أفضل نوعاً من القاضي والمشرِّع ببعد كبير.

الأثيني: ومع ذلك فإنّ هدف كلّ القوانين التي أعطاها سيكون عكس الحرب.

كلينياس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: وهل الذي ينشىء الدولة وينظِّم حياة الإنسان ستكون الحرب الخارجية هدفاً له، أو ذلك النوع من الحرب الداخلية المسمَّاة حرباً أهليّة، والتي لا أحد يحبّ أن تقع في دولته الخاصّة، إذا ما استطاع منعها، وعند حدوثها، فإنّ كلّ شخص سيرغب بإيقافها في أقرب وقت ممكن.

كلينياس: سيكون لديه الهدف الأخير في فكره بشكل رئيسي.

الأثيني: وهل سيفضِّل وجوب إنهاء هذه الحرب الأهليّة بتدمير أحد الفرقاء،

وبانتصار الفريق الآخر، أو بوجوب إعادة توطيد السلام والصداقة بينهما، وأنَّ كونهما سوَّيا نزاعهما، فيجب عليهما أن يصرفا اهتمامهما للأعداء الخارجيّين؟

كلينياس: سيفضّل كلّ شخص الخيار الأخير في حالة دولته الخاصّة.

الأثيني: أوليست هذه الرغبة رغبة المشرّع أيضاً؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أوَلن يسُنَّ كلّ شخص القوانين بقصد الأفضل على الدوام؟

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: لكنّ الحرب ليست الشيء المفضَّل، سواء إذا كانت حرباً خارجيّة أو حرباً أهليّة، والحاجة لكليهما يجب أن تُستنكر. لكن ينبغي أن يحلَّ السلام بين الناس بعضهم البعض، أن يحلَّ الوداد، لأنّهما أفضل. ولا يُعتبر نصر الدولة على نفسها كأنّه شيء جيّد حقّاً، بل يجب اعتباره كضرورة. يمكن لإنسان أن يقول أيضاً إنَّ الجسم كان في الحالة الأفضل عند المرض وتطهيره بالعقاقير الطبيّة، ناسياً أن هناك حالة للجسم أيضاً لا تحتاج إلى تطهير. وفي أسلوب مماثل لا أحد يستطيع أن يكون رجل دولة حقاً، سواء إذا قصد في تحقيق السعادة للفرد أو للدولة، الذي يتطلّع فقط، أو يتطلّع قبل كلّ شيء، إلى الصراع الخارجيّ. لا ولن يكون مشرّعاً أبداً ذلك الذي ينظّم السلام بقصد الحرب، وليس الحرب قصد السلام.

كلينياس: أفترض أن هناك حقيقة في ملاحظتك تلك، أيّها الغريب؛ ومع ذلك فإنّني سأكون مخطئاً بشكل عظيم إنْ لم تكن الحرب الهدف الكليّ والقصد لمؤسّساتنا الخاصة، وما أقوله عنّا أقوله عن اللاقيدايمونيين.

الأثيني: أجرؤ على القول، لكن ليس هناك سبب من أجله يجب أن يُخاصِم بعضُنا بعضاً بشأن المشرّعين وبشكل فظّ، بدل أن نسألهم بلطف، لنشاهد أنّنا وهم

نكون جادّين في ما نقول بشكل متساوٍ. إتبعني من فضلك ولاحق المحاورة عن كثب: بادىء ذي بدء فإنّني سأقدّم تيرتايوس، المولود أثينياً، لكنّه مواطن اسبرطي أيضاً، والذي كان أكثر الرجال شوقاً للحرب. حسناً، يقول هو، [أنا لا أعتني، أنا لا أهتمّ، بشأن أيّ إنسان]، حتى إذا كان أغنى الرجال، واقتنى كلّ خير تقريباً [وأعطى قائمة كاملة لها، إن لم يكن هو مقاتلاً شجاعاً في كلّ الأوقات]. أتصوّر أنّك سمعت قصائده أيضاً؛ أمّا صديقنا اللاقيدايمونيّ فإنّه سمع منها أكثر من الكفاية بوجه الاحتمال.

ميغيلوس: حقيقيّ تماماً.

كلينياس: تعالَ الآن ودعنا ننضمُّ كلنا طارحين هذا السؤال عن تيرتايوس: أوه يا أيّها الشاعر الأكثر ألوهيّة، سنقول له، إنّ الثناء الممتاز الذي أغدقته على أولئك الذين يتفوّقون في الحرب يدلّ بشكل تامّ على أنك عاقل وصالح، وإنّي وميغيلوس وكلينياس من كنوسوس نتّفق معك بشكل كامل، كما أعتقد. لكن ينبغي علينا أن نتأكّد تماماً من أنّنا نتكلّم عن الرجال أنفسهم. أخبرنا إذن، هل تتّفق معنا في التفكير بأن هناك نوعين من الحروب، أو ماذا ستقول؟ إنّ إنساناً أدنى مقاماً من تيرتايوس لن تكون لديه أيّة صعوبة في الإجابة الصادقة تماماً، وهي أنّ الحروب ذات نوعين: إحداها التي تدعى عالمياً حرباً أهليّة، وهي أسوأ كلّ الحروب، كما قلنا لتوّنا. والحرب الأخرى، كما يلزمنا أن نعترف، والتي تتصارع أثناءَها مع الأمم الأخرى ذات السلالات المختلفة، هذه الحرب ما هي إلاّ شكل ألطف بكثير من الحرب الأهليّة.

كلينياس: بالتأكيد، إنّها ألطف ببعد كبير.

الأثيني: حسناً، وبعدُ، عندما تمدح أو تلوم حرباً بهذا الأسلوب الرفيع، فمن تمدح أنت ومن تلوم، ولأيٍّ نوع من أنواع الحرب تشير؟ أفترض أنّك يجب أن

تعني الحرب الخارجيّة، إذا حكمت أنا من تعابيرك التي تقول فيها إنّك تمقت تلك الحرب بشدَّة. [الذين يرفضون أن يتطلّعوا فوق حقولٍ من الدم، ولن يقتربوا من أعدائهم ويشنّون عليهم هجوماً عسكرياً]. ونحن سنواصل الكلام قائلين له بالطبع - أنت، يا تيرتايوس، تثني على أولئك الذين ميّزوا أنفسهم في الحرب الخارجيّة مع الأغراب، كما يبدو، ويجب عليه أن يعترف بهذا.

كلينياس: بوضوح.

الأثيني: إنّهم لرجال صالحون؛ لكنّنا نقول إنّه لا يزال هناك رجال أصلح تكشَّفت فضيلتهم في أعظم المعارك جميعها. ونحن لدينا شاعر أيضاً سنستدعيه كشاهد، إنه ثيوجينيس، وهو مواطنٌ ميغاري يقطن في صقليّة:

يقول هو: « يا سيرنوس، إنّ مَنْ يكون مؤمناً بالشجار الأهليّ لجدير بالإجلال ويساوي ثقله ذهباً وفضة ».

وهذا مقطع أفضل كثيراً، كما نؤكّد، من المقطع الآخر في نوع من أنواع الحرب الأكثر صعوبة، ويكون كثيراً في الدرجة عينها عندما يتّحد العدل والاعتدال والحكمة مع الشجاعة، وهذه أفضل من الشجاعة فقط. إن الإنسان لا يستطيع أن يكون وفيّاً بالعهد وصالحاً في النزال الأهليّ بدون امتلاكه كلّ الفضائل. لكن في الحرب التي يتكلّم عنها تيرتايوس، فإنّ عديداً من الجنود المرتزقة سيتّخذون موقفه ويكونون على استعداد للموت في موقعهم. ومع ذلك فإنّهم تقريباً وبدون استثناء وقحون وظالمون بشكل عامّ. إنّهم رجال عنيفون لأنهم أكثر بني الإنسان حماقةً. إنّك ستسأل ما هو الاستنتاج، وما الذي أحاول جاهداً أنْ أبرهنه: أؤكّد أنّ المشرّع الإلهيّ لكريت، مثل كلّ مشرّع آخر جدير بالاعتبار، سيكون لديه اعتبار واحترام في تشريع القوانين دائماً وفوق كلّ الأشياء لأعظم فضيلة؛ وهي طبقاً

لثيوجينيس، ولاء ووفاء في ساعة الخطر، ويمكن أن يقال عنها إنّها العدل الكامل. في حين أنَّ الفضيلة التي يثني عليها تيرتايوس بسموٍّ هي فضيلة كافية جدّاً، وقد مدحها الشاعر في الوقت الصحيح، ومع ذلك يمكن القول إنّها تحتلّ المرتبة الرابعة في مكان الكرامة[1].

كلينياس: أيّها الغريب، أعتقد أنّنا نتنزل من قدر مشرّعنا الملهم إلى رتبةٍ دون مركزه السامي بكثير.

الأثيني: لا، أعتقد أنّنا لم نحطّ من قدره بل من أقدار أنفسنا، إذا تصوّرنا أنّ ليغارغوس ومينوس وضعا قوانين في كلٍّ من لاقيدايمون وكريت قصد الحرب بشكل رئيسيّ.

كلينياس: ماذا يجب أن نقول إذن؟

الأثيني: أيّة حقيقة وأيّ عدلٍ يُتطلبان منّا، إذا لم أكن مخطئاً، عندما نتكلّم لأجل الامتياز الإلهيّ؟ ذلك أنّ المشرّع عندما سنّ قوانينه لم يكن لديه في رؤيته جزء واحد فقط، وهذا الجزء هو الجزء الأدنى من الفضيلة، بل كانت لديه الفضيلة كلّها. ورغب في أن يستنبط أنواعاً من القوانين تطابق أنواع الفضيلة، ليس بالطريقة التي يخلق فيها المخترعون العصريون للقوانين أنواعها، لأنّهم هم يحقّقون في القوانين ويقدّمونها كلّما شعروا أنهم يفتقرون لها، ورجل واحد منهم لديه نوع من القوانين بشأن توزيع الحصص والورثة، وآخر بخصوص الاعتداءات، وغيرهم بشأن عشرة آلافٍ من القضايا الأخرى. لكنّنا نؤكّد أنّ الطريقة الصحيحة للتفحّص في القوانين تكون بمباشرة العمل كما فعلنا نحن الآن؛ وإنّني أُعجبت بنفسيّة بيانك التفسيريّ. فأنت كنت محقّاً تماماً عندما بدأت بالفضيلة، وبقولك إنّ هذا القصد كان هدف واضع القانون، لكنّني تصوّرت أنّك إتّبعتَ طريقة خاطئة عندما أضفت أنّ كلّ شرائعه كانت لديها رؤيا لجزءٍ واحد منها فقط، وللجزء الأقلّ من الفضيلة،

وهذا الكلام يستجمع ملاحقاتي اللاّحقة. هل ستسمح لي إذن أن أوضح كيف أحببت أن أَسمعكَ شارحاً القضيَّة؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: كان يجب عليك أن تقول، أيّها الغريب ـ إنّ القوانين الكريتية هي قوانين شهيرة بين الهيلنيين لسبب؛ والسبب أنّها تتمّم هدف القوانين، والهدف هو جعل الذين يستخدمونها سعداء. وهذه القوانين تمنح كلّ نوع من أنواع الخير لمستخدميها. وبعدُ فإنّ الخيرات نوعان: هناك خيرات إنسانية وهناك خيرات إلهيّة، والخيرات الإنسانية تتعلّق بالخيرات الإلهيَّة، والحالة التي تصلها الخيرات الأكثر، تحتاج للخيرات الأقلّ في الوقت عينه، أو، إذا لم تمتلك الخيرات الأكثر، فلن يكون لديك كلا الخيرات. ومن الخيرات الأقلّ تأتي الصحّة أوّلاً، والجمال ثانياً، والقوة الجسديّة ثالثاً، وتتضمّن هذه القوّة الجسديّة السرعة في العدو وخفّة الحركة بشكل عامّ. والثروة هي الخير الرابع، وهذا الإله « بلوتوس » ليس إلهاً أعمى بل هو إله حادُّ النظر، إذا ما كانت لديه الحكمة التي لرفيقه فقط. إن الحكمة هي القائد وهي الرئيس لنوع الخيرات الالهية، ويتبع الاعتدال تالياً؛ وينبثق العدل من اتّحاد هذين الخيرين مع الشجاعة، والشجاعة هي الرابعة في ميزان الفضيلة. إنّ كلّ هذه الخيرات تحتلّ مكان الصدارة بين الخيرات الأخرى، وهذا هو النظام الذي يجب على المشرّع أن يضعها فيه، وبعده سيفرض البقيّة من أوامره على المواطنين بقصد هذه الخيرات. إنّ الإنسانيين يهتمّون بالإلهيّ، ويهتمّ الإلهيون بقائدهم العقل. سيتّصل بعضٌ من أوامر هذا المشرّع بالزواج الذي سيقيمه المواطنون بعضهم مع بعض، وستّتصل بعدئذ بإنجاب الأطفال وتعليمهم، الذكور منهم والإناث على حدّ سواء. إنّ واجب المشرّع سيكون رعاية المواطنين، في شبابهم وفي شيخوختهم، وفي كلّ زمن من أزمنة الحياة. وواجبه أن ينزل بهم العقاب

ويقدّم لهم الجوائز. وفي إشارة إلى علاقاتهم مع بعضهم البعض، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الآلام والملذّات والرغبات، والإتقاد لكل أهوائها، وينبغي أن يبقى يقظاً فوقها، وأن يلومهم ويثني عليهم بحقّ وبواسطة القوانين أنفسها. أيضاً في ما يتعلّق بالغضب والرّعب، وتشوّشات الروح التي تنشأ من البلايا الأخرى، والتّحرر منها الذي يجلب الازدهار، والخيرات والتجارب التي تأتي إلى الرجال في أوقات مرضهم، أو في أوقات الحرب، أو الفقر، أو في الحالات المضادّة لهذه الأشياء. يجب على المشرّع في كلّ هذه الحالات أن يعزم وأن يُعلّم ما هو الخير والشرّ لكلّ حالة من هذه الحالات. وفي المقام الثاني، يلزم أن يكون المشرّع يقظاً لكيفية حصول المواطنين على مالهم وفي أيّة طريقة يتمّ إنفاقه، وعليه أن يراقب بعناية إبرام الاتفاقات المتبادلة وفكّها، سواء إذا كانت اتفاقات اختياريّة أو بالإكراه. ينبغي عليه أن ينظّم كلّ هذا بالأسلوب الذي يراه مناسباً، وأن يعتبر أين يوجد العدل كما الظلم أو أين توجد الحاجة للعدل في تعاملات المواطنين المتعدّدة مع بعضهم البعض. وعليه أن يكرّم ويشرّف أولئك الذين يحترمون القانون، وأن يفرض غرامات محدّدة على أولئك الذين لا يطيعونه، إلى أن يتمّ فحص وتنقيح كلّ مظهرٍ من مظاهر الحياة المدنيّة. ولقد حان وقت اعتبار الطقوس الجنائزيّة وتكريم المتوفّين، وسيعيّن المشرّع عند فحص أعماله حماةً كي يشرفوا على هذه الأشياء ويترأّسوا تحقيقها ـ إنّ بعض هذه الأشياء يجرى بالذكاء، ويجري بعضها الآخرى بالرأي الحقّ فقط، وحينئذ فإنّ العقل سيربط كلّ هذه الأوامر معاً ويبين أنّها في تناسق مع الاعتدال والعدل، وليس مع الغنى أو الطموح. هذه هي النفسيّة، أيّها الغريب،التي رغبت وأرغب منكَ أن تلاحق الموضوع وتتعقّبه بواسطتها. وإنّي لأريد أن أعرف طبيعة كلّ هذه الأشياء، وكيف هي مرّتبة ومنظّمة في قوانين زيوس، كما تسمّى، وفي تلك

القوانين التي تخصّ أبوللو البيثي، اللذين استشهد بهما كلٌّ من مينوس وليغارغوس، وكيف تمَّ اكتشاف نظام أمرها بعينيه، وذلك من لديه الخبرة في القوانين وصياغتها، تلك الخبرة التي تمَّ اكتسابها إمّا بالدرس أو بالعادة، برغم أنّها بعيدة جدّاً عن كونها بيّنة بنفسها لبقيّة الجنس البشريّ كأنفسنا.

كلينياس: كيف سنواصل المسيرة، أيّها الغريب؟

الأثيني: أعتقد بأنّه يجب علينا أن نبدأ مرّة ثانية كما فعلنا سابقاً، وأن نعتبر بادىء ذي بدء التمارين التي تغرس الشجاعة، وبعدئذ سنستمرّ في المسيرة ونبحث شكلاً من فضيلة أخرى ومن فضيلة ثانية حينئذ، إذا ما سرَّك ذلك. دعنا نحاول جعل فحصنا الأوّل يفيد كنموذج للكلّ، ونحن سنمضي وقتنا على الطريق بهذه الأبحاث وما شابهها. وعند انتهائنا من البحث في كلّ الفضائل، فإنّنا سنبيِّن، بنعمة الله، أنّ المؤسسات والقوانين التي تكلّمت عنها تتطلّع إلى الفضيلة.

ميغيلوس: جيّد جدّاً، وأفترض أنّك تنتقد هذا المادح لزيوس وقوانين كريت بادىء ذي بدء.

الأثيني: سأحاول أن أنتقدك وأنتقد نفسي، كما أنتقده، لأنّ المحاورة تكون اهتماماً عامّاً وشاملاً وشأناً قيّماً: قل لي، ألم يتمّ اختراع لعبة السيسيتيا Syssitia أوّلاً، والألعاب الرياضيّة ثانياً، ألم يخترعهما مشرّع قوانينكم لغرض الحرب؟

ميغيلوس: أجل.

الأثيني: وما الذي يأتي ثالثاً، وما الرابع؟ أعتقد أنّ هذا النوع من أنواع العدِّ للأجزاء التي يجب أن يُعمل به في البحث بكلّ فضيلة، أعتقد أن لا فرق سواء إذا سمَّينا الأجزاء أجزاء أو مهما كانت مسمَّاة، شريطة أن يكون المعنى جليّاً.

ميغيلوس: إذن فإنّني سأجيب أنا، أو سيجيب أيّ لاقيدايموني آخر أنَّ الصيد هو الجزء الثالث في النظام.

الأثيني: دعنا نرى إذا استطعنا أن نكتشف ما الذي يأتي رابعاً وخامساً.

ميغيلوس: أعتقد بأنّني أستطيع الوصول إلى بُعدِ الجزء الرابع، الذي هو تحمّل الألم المتكرّر الحدوث، والذي نعْرضه نحن الاسبرطيين في قتال محدَّد: اليد باليد، وأيضاً في السرقة مع أمل الحصول على ضربٍ محقَّق. هناك أيضاً ما يسمَّى Crypteia أو الخدمة السريَّة، التي يُظهر فيها الإنسان صبراً مدهشاً رائعاً. إنّ شعبنا يطوف طول البلاد وعرضها ليل نهار، وحتّى أنّهم يسيرون في الشتاء حفاة الأقدام، وبدون أَسِرَّة ليناموا عليها، وعليهم أن يعتنوا بأنفسهم أثناء ذلك. إنّه لرائعٌ الجَلَد والصبر الذي يبديه مواطنونا في تمارينهم الرياضية وهم عراة، يناضلون ضدّ حرارة الصيف المحرقة القاسية. وهناك عدّة تمارين مشابهة أيضاً، وسيكون الكلام عنها كلّها بالتفصيل شيئاً لا نهاية له.

الأثيني: ممتاز، أوه أيّها اللاقيدايمونيّ الغريب. لكن كيف يجب علينا أن نعرِّف الشجاعة؟ هل ينبغي اعتبارها وكأنّها قتال ضدّ الخوف والآلام فقط، أو أنّها قتال ضدّ الرغبات والملذّات، وضدّ التملّق؟ أيُّها يستخدم هكذا قوّة هائلة، كي يجعل قلوب حتى أكثر المواطنين احتراماً تذوب كالشمع؟

ميغيلوس: عليَّ أن أقول الخيار الأخير.

الأثيني: في ما سبق وتكلّمناه، كما ستتذكّر جيّداً، تحدَّث صديقنا الكنوسي عن إنسانٍ أو مدنيّة أقلّ شأناً من نفسها: ألم تقل ذلك، يا كلينياس؟

كلينياس: لقد فعلت.

الأثيني: وبعد، أي إنسان هو أقلّ شأناً من نفسه في المعنى السيِّىء؟ هل هو الإنسان الذي يُقهر بالألم أو ذلك الذي يُهزمُ باللذّة؟

كلينياس: إنّه المعنى الأخير، في رأيي، من غير ريب، وعندما نتكلّم عن إنسانٍ أقلّ شأناً من نفسه في معنى مخزٍ، أعتقد أنّنا نعني كلّنا الإنسان الذي هُزم باللذّة بدلاً من الإنسان الذي قُهِر بالألم.

الأثيني: لكنّ المشرّعين في كريت ولاقيدايمونيا لم يشرّعوا لشجاعة عرجاء تسير على رِجلٍ واحدة بالتأكيد، قادرةٍ على أن تواجه الهجومات التي تأتيها من الجهة اليسرى، لكنّها واهنة ضدّ التملّقات الماكرة التي تأتيها من الجهة اليمنى؟

كلينياس: عليَّ أن أقول، إنّها يجب أن تكون قادرة كي تواجه الهجومين كليهما.

الأثيني: دعني أسأل مرّة ثانية إذن، أيّة مؤسسات لديكما في كل من دولتيكما، تهب نزوعاً نحو الملذّات، ولا تتفاداها؟ إنّ الآلام، كما وجدنا، لا تتفاداها مؤسّساتكم وقوانينكم، بل إنّها تنصّب شخصاً في وسطها، وتجبره أو تغريه بإمكانيّة الحصول على الجوائز كي تنال الأفضل منها عند تطبيقها. فأين يمكن إيجاد أمرٍ بشأن اللذّة مشابهٍ لذلك الأمر بخصوص الألم في قوانينكم؟ أخبرني ماذا يوجد من هذه الطبيعة بينكم؟ وما الذي يجعل مواطنيكم شجعاناً بواسل بشكلٍ متساوٍ وضدّ اللذّة والألم، وأرفع مقاماً وأسمى من الأعداء الذين يكونون الأكثر خطراً ويكون مسكنهم الأكثر قرباً؟

ميغيلوس: إنّني كنت قادراً على إخبارك، أيّها الغريب، عن العديد من القوانين التي وُجّهت ضد الألم، لكنّني لا أعرف بأنّني أستطيع أن أشير لأيّة مهمّة عظيمة أو جليّة لقوانين مشابهة تهتمّ باللذّة. هناك على كل حال، التدابير الاحتياطيّة التي يمكنني أن أذكرها.

كلينياس: لا ولا أقدر أن أبيّن أيّ شيء من هذا النوع يكون مساوياً له في القوانين الكريتيّة على الإطلاق وبشكل بارز.

الأثيني: لا عجب في ذلك، يا أصدقائي الأعزاء، وإذا أمكن لأحدنا في بحثه واستقصائه عن الحقّ والخير، كما يكون هذا محتملاً جدّاً، إذا أمكنه أن يُلزَمَ كي ينتقد قوانين الآخرين، فعندها يجب علينا أن لا نتضايق ولا نغتاظ، بل أن نتقبّل بكرم وعطف ما يدلي به الآخرون من رأي.

كلينياس: إنّك لمحقٌّ تماماً في ما تقول، أيّها الأثيني الغريب، وسنفعل كما تصرّح.

الأثيني: لا ضرورة لوجود أيّ شعورٍ ساخطٍ غاضب في زمن حياتنا، يا كلينياس.

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: إنني لن أقرّر في الوقت الحاضر سواء إذا كان الذي يدين السياسات الكريتية أو اللاقيدايمونية محقّاً أو مخطئاً في عمله. لكنّي أعتقد أنّ باستطاعتي القول أفضل من كليكما عمّا يقوله العديد بشأنها. ولنفترض أنّ لديكم قوانين جيّدة ومعقولة، فإنّ القانون الأفضل فيها سيكون قانون منع أيّ رجلٍ من الرجال الفتيان كي يتحقّقوا أيّها صحيح وأيّها باطل، لكنّهم يجب أن يوافقوا بفمٍ واحد وصوتٍ واحد جميعاً على أنّ القوانين كلّها جيّدة، لأنّها أتت من الله، وأيّ شخص يقول العكس لن يستمع أحد لما يقوله. لكنّ إنساناً مسنّاً يلاحظ أيّ خللٍ في قوانينكم يمكنه أن يُبلِغ ملاحظته إلى حاكمٍ أو إلى مجايليه عندما لا يكون أيّ شابٌّ فتيٌّ موجوداً.

كلينياس: هكذا بالضبط، أيّها الغريب؛ وتبدو لي مثل الإلهيّ تماماً، برغم أنّك لست هناك في كلّ مرّة، وتظهر لي أيضاً أنّك تصيب المعنى الذي يقصده المشرّع، وأنّك تقول القول الأكثر صدقاً وحقّاً.

الأثيني: وبما أنّه ليس هنا أي شابّ فتيّ حاضر، وبما أنّ المشرّع أعطى الرجال المسنّين إذْناً حرّاً، فليس هناك عدم ملاءمة في بحثنا هذه القضايا بالتحديد الآن ونحن منفردون بأنفسنا.

كلينياس: صدقاً. ولهذا السبب يمكنك أن تكون حرّاً كما تحبّ وكما ترغب في إدانتك قوانيننا، إذ لا عار في معرفة ما هو خطأ، والذي يتلقّى ما قيل بنفسيّة كريمة وصدوقة، سيكون الأفضل لأجلها كلّها.

الأثيني: جيّد جدّاً، على كلّ حال، إنّني ليس في نيّتي أن أقول أيّ شيء بحقّ قوانينكم إلى أن أتفحّصها طبقاً لمقدرتي الأفضل، غير أنّني عازم على إثارة

شكّ بشأنها. إنّكم أنتم الأناس الوحيدون الذين نعرفهم فقط، سواء كانوا يونانيين أو برابرة، والذين أمرهم المشرّع بمحاذرة كلّ الملذّات العظيمة واللّهو وعدم محاذاتها قطّ. في حين أنّه في مسألة الآلام والخوف التي قد بحثناها لتوّنا، اعتقد هو أنّ الذين تجنّبوا الآلام والخوف والإجهاد دائماً ومنذ طفولتهم، فإنّهم عندما أُجبروا على مواجهتها سيهربون من أولئك الذين تصلّدوا بها واخشوشنوا، وسوف يصبحون رعاياهم. وبعدُ فإنّه وجب على المشرّع أن يأخذ بعين الاعتبار أن هذا الشيء كان شيئاً حقيقيّاً عن اللذّة؛ ووجب عليه أن يقول لنفسه إنّه إذا كان مواطنونا منذ شبابهم فصاعداً غير مطّلعين أو غير ملمّين بالملذات الأعظم، وغير معتادين على أن يصبروا ويتحمّلوا إغراءَات اللذة، وإنهم لم يُدفعوا أبداً بعقل ما هو شرّ، فإنّ الشعور الحلو الطعم باللذّة سوف يقهرهم تماماً مثلما أَذلَّ الطبقة السابقة. وهم في حالة أخرى، وحتّى في أسلوب أسوأ، سيكونون عبيداً لأولئك الذين يقدرون أن يتحمّلوا وسط الملذّات، والذين يكون تعليمهم كاملاً في هذا المنحى. فهم، كونهم أسوأ كلّ الجنس البشريّ غالباً، فإن نصف أرواحهم سيكون مستعبداً، والنصف الآخر حرّاً. ولن يكونوا جديرين بأن يُدعَوا في المعنى الحقيقي رجالاً، ولا رجالاً أحراراً. قل لي إذا ما كنت تصادق على كلماتي.

كلينياس: عند سماعي الأوّل لها، يبدو أنّ ما تقوله هو الحقيقة؛ لكن الإستعجال في الوصول إلى نهاية بشأن هكذا قضايا مهمّة هو شيء صبيانيّ وبسيط.

الأثيني: إفترضنا، يا كلينياس وميغيلوس، أنّنا أخذنا بعين الاعتبار الفضيلة التي تتبع تالياً تلك الفضائل التي عزمنا على أن نبحثها « لأنّ الاعتدال يأتي بعد الشجاعة »، فأيّة مؤسّسات سنجدها تتعلّق بالاعتدال، إمّا في كريت أو لاقيدامونيا، الدولتين اللتين تتفوّقان على أيّة دولة اعتياديّة، وهما مثل مؤسّساتكم العسكرية؟

ميغيلوس: إنّ هذا السؤال ليس سؤالاً سهلاً جوابه. يبقى أنّه يجب عليّ أن أقول إنّ الوجبات الغذائيّة المشتركة والتمارين الرياضية قد إستُنبطت بشكل ممتاز لتعزيز الاعتدال والشجاعة كليهما.

الأثيني: يبدو أن هناك صعوبة، أيّها الغريب، في ما يختصّ بالدول، وهي في جعل الكلمات والحقائق تتوافق إلى حدٍّ يُستطاع معها إيجاد ما لا يدور بشأنها من نزاع أو جدال. وكما في الجسم الإنسانيّ، فإنّ الحِمْيَةَ التي تسبّب الخير من ناحية تسبّب الأذى من ناحية أخرى؛ ونحن نستطيع أن نقول بصعوبة إنّ أيّة طريقة للمعالجة تُتّخذ لقانونٍ خاصّ تفعل الفعل عينه. وبعدُ فإنّ التمارين الرياضية ووجبات الطعام المشتركة تسبّب مقداراً كبيراً من الخير، وبرغم ذلك فإنّها تكون مصدر الشرّ في الاضطرابات الأهليّة، كما هو ظاهر في حالة الميليسيين، والبيوتان، والشباب الثيري. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ هذه المؤسّسات القانونيّة يبدو أنّها أظهرت ميلاً للحطّ من قدر العادة الغابرة والطبيعيّة في ما يتعلّق بالمتعة الجنسيّة تحت المستوى، ليس مستوى الإنسان، بل مستوى البهائم أيضاً. إنّ الاتّهام يمكن إحضاره بعدلٍ ضد مدنكم فوق كلّ المدن الأخرى، ويكون هذا شيئاً حقيقيّاً عن أكثر الدول التي ترعى التمارين الرياضيّة بشكل خاصّ. وسواء إذا وجب اعتبار هذه القضايا بشكل مزاح أو بشكل جدّيّ، فإنّني أعتقد أنّ اللذّة يجب أن تُعتبر لذّة طبيعية تنشأ من الاتّصال الجنسيّ بين الرجال والنساء لأجل الإنجاب، لكنّ ذلك الاتّصال الجنسيّ بين الرجال والرجال، وبين النساء والنساء، هو اتصال متعارض مع الطبيعة. وتلك المحاولة الجسورة ناشئة في الأصل عن شهوة غير مكبوحة الجماح. إنّ الكريتيين أُدينوا دائماً بأنّهم اخترعوا قصّة جانديمي وزيوس لأنّهم أرادوا أن يبرّروا أنفسهم في المتعة التي يحصّلونها عن طريق الملذّات غير الطبيعيّة مستندين إلى ممارسة الإله الذي يعتقدون أنّه قد كان مشرّع

قوانينهم. لنترك القصة، ولنراقب أنّ أيَّ تأمّل بشأن القوانين يدور بخصوص اللذة والألم بشكل تامّ. وذلك في الدول والأفراد على حد سواء: هاتان هما النافورتان اللتان تسمح لهما الطبيعة بالتدفّق، والذي ينهل منهما، في أي زمان ومكان، وبقدر ما يجب، يكون سعيداً. ويصحّ هذا عن الرجال والحيوانات، عن الأفراد كما عن الدول؛ والذي ينغمس فيهما ويطلق لهما العنان بجهلٍ وفي الوقت الخطأ، يكون عكس الإنسان السعيد.

ميغيلوس: أَعترف، أيّها الغريب، بأنّ كلماتك قد تمّ عرضها بجودة، ولديّ صعوبة في معرفة ما أقوله جواباً لك، لكنّني لا أزال أعتقد أنّ المشرّع الإسبرطي كان محقّاً تماماً في منع اللذّة، وإنّي سوف أترك الدفاع عن القوانين الكريتيّة لصديقي الكونسيان. غير أنّ قوانين اسبرطة، بقدر ما تتصل باللذة، تبدو لي أنّها القوانين الأفضل في العالم، لأنّ ذلك الذي يقود الجنس البشري بشكل عامّ إلى اللذّة والفسق، ولكلّ نوع من أنواع الحماقة، فإنّ القانون الإسبرطيّ أزاله وتخلّص منه. ولن تجد، لا في الريف ولا في المدن التي تسيطر عليها اسبرطة، لن تجد قصفاً ولا عربدة، ولا الدوافع المحرّضة على اللذّة التي تصاحبها والعديدة من كلّ نوع؛ وأيّ شخص يلقى سكيراً ومتمرّداً، فإنّه سيُنزل به العقاب الأكثر صرامة في الحال، ولن ندعه طليقاً تحت أيّة ذريعة أو إدّعاء، حتّى في وقت احتفال ديونيسياك. ومع ذلك فإنّني لاحظت أنّ هذا ممكن الحدوث عند قيامكم بالمسرحيات « على العربة » كما تُسمَّى. لكن بين ساكني مستعمراتنا التارينتاين فإنّني رأيت المدينة كلّها سكرى في احتفال ديونيسياك، غير أنّه لا شيء من هذا النوع حدث بيننا.

الأثيني: أوه أيّها اللاقيدايموني الغريب، إنّ هذه الأعياد جديرة بالاعتبار والثناء حيث هناك نفس الاحتمال والجلَد، لكنّها أعياد حمقاء ولا معنى لها حقّاً عندما لا يضبطها ضابط ولا يردعها رادع. ولكي أنتقم ممّا قلته، فإنّ أثينياً

عليه أن يشير فقط إلى الفجور والانحراف الخلقيّ الموجودين بين نسائكم. هناك جواب واحد على كلّ تلك الاتهامات، سواء إذا أُحضرت ضدّ التارنتاين، أو ضدّها، أو ضدّكم، إنّه الجواب الذي يُحلّ أو يُبرىء المزاولة في سؤال من عدم مناسبة. حينما يُعبّر غريب عن دهشته في وحدة أو في خصوصيّة ما يرى، فإنّ أيّ مواطن قاطن في المدينة سيجيبه على سؤاله بشكل طبيعيّ قائلاً: لا تنشده، أوه أيّها الغريب؛ إنّ هذه العادة عادتنا، ويمكنك أن تحوز عادة أخرى ما بشكل محتمل جدّاً بخصوص الأشياء عينها. وبعدُ فإنّنا لا نتكلّم، يا أصدقائي بشأن الرجال بشكل عامّ، بل إنّنا نتكلّم بشأن الجدارة أو الميزة والخلل أو الشوائب عند الذين سنُّوا قوانينكم أنفسهم. دعونا نتباحث إذن بتفصيل تامّ أكثر قليلاً عن السّكْرِ أو الثَّمَل، الذي هو موضوع مهم جدّاً، وهذا الموضوع سيرهق حسن التمييز وحصافةِ المشرِّع بشكل جدّي. إنّني لا أتكلّم عن شرب النبيذ أو عدم شربه مطلقاً، بل أتكلّم عن السّكْر عينه. هل نحن لنتبع عادة السكيثيين، والفارسيين، والقرطجنيين، والكلتيين، والأيبيريين، والتراقيين، الذين هم أمم محبّة للحرب، أو أنّنا سنتّبع عادة أهل بلدكم، لأنّهم هم، كما تقولون، امتنعوا عن الشراب نهائياً وبالإجمال؟ لكنّ السكيثيين والتراقيين يشربون النبيذ غير الممزوج، رجالاً ونساءً، وكذلك هم يسكبون النبيذ على ثيابهم، ويعتقدون أنّ هذا المجتمع هو مجتمع سعيد ومجيد وكذلك قوانينه. أمّا الفارسيون فإنهم يندفعون أيضاً إلى مزاولات أخرى أكثر ترفاً وأنتم ترفضونها، غير أنّ لديهم اعتدالاً فيها أكثر ممّا لدى التراقيين والسكيثيين.

ميغيلوس: أوه، يا أفضل الرجال، يجب علينا أن نمتشق السلاح بأيدينا، وأن نجعل كلّ هذه الأمم هاربة منا خوفاً ورعباً.

الأثيني: لا، يا صديقي الصّالح، لا تقل ذلك؛ لقد وُجد كما أنّه سيوجد على

الدوام طيران وملاحقة اللذين لا يمكن إعطاء رقم عنهما، ولهذا السبب فإنّنا لا نقدر أن نقول إنّ النصر أو الهزيمة في المعركة يعطيان أكثر من برهان مشكوكٍ فيه عن الخير أو الشرّ للقوانين أو للمؤسّسات القانونية، إذ عندما تُخضِعُ الدول الأكبر وتستعبد الدول الأصغر منها، مثلما فعل السيراقيون باللوقرانيين، فَمَنِ الشعب الذي يظهر أنّه الشعب المحكوم جيّداً في ذلك الجزء من العالم. أو كما فعل الأثينيون بالسينيين « وهناك عشرة آلاف دليل آخر عن نوع الشيء عينه »، إنّ كلّ ما قلته لا يدخل في صميم الموضوع. دعنا نجهد على الأصحّ لصياغة خاتمة بشأن كلّ قانون بعينه، وأن لا نقول شيئاً عن الانتصارات والهزائم في الوقت الحاضر. دعنا نقول فقط إنّ هكذا عادة هي عادة شريفة، وأن الأخرى ليست كذلك. واسمح لي باديء ذي بدء أن أخبرك كيف يجب أن يُقيّم الخير والشرّ في ما يتعلّق بهذه القضايا المحدّدة.

ميغيلوس: ماذا تعني؟

الأثيني: يبدو لي أنّ كلّ أولئك الذين يكونون جاهزين في لحظة إنذار لإدنة أو للثناء على أيّة ممارسة تكون قضيّة مطروحة قيد البحث، يبدو لي أنّهم يتقدّمون بالطريقة الخطأ. يمكنك أن تفترض شخصاً مادحاً القمح كأنّه نوع جيّد من أنواع الغذاء، ومن ثمّ يلوم شخص آخر القمح في الحال، حتّى بدون أن يحقق في تأثيره أو استعماله، وفي أيّة طريقة، أو لمن سيُعطى، أو بماذا، أو في أيّة حالة وكيف يجب أن يُعطى القمح. وذلك ما نفعله نحن الآن في هذا البحث تماماً. وعند ذكرنا القريب لكلمة سِكْر، فإنّ واحداً منا يكون جاهزاً بثنائه ومديحه والجانب الآخر بلومه وتقريعه، وهذا العمل مضحك. إنّ الجانبين كليهما يقدّمان شواهدهما والمصادقين على ما يقولون، ويعتقد بعضنا أنّنا نتكلّم بسلطانٍ ومستنَد لأنّ لدينا العديد من الشواهد على

ما نقول. وأمّا الآخرون فلأنّهم يرون أولئك الممتنعين عن الشراب يُهزمون في المعركة، وهذا ما ننقضه مرّة ثانية بعد الجدل الشديد. وبعدُ فإنّني لا أستطيع أن أقول بأنّي سأقتنع إذا تابعنا بحث كلّ القوانين الباقية بالطريقة عينها. وأمّا بشأن هذه النقطة الرئيسيّة عينها تحديداً، أي السّكر، فإنّني سأحبّ أن أتكلّم بطريقة مختلفة، أؤمن أنّها الطريقة الصحيحة، إذ لو كان العدد هو المقياس، أفلا تكون أعداد لا تحصى فوق أعداد لا تحصى من الأمم جاهزة لتجادل بعنف النقطة الرئيسيّة هذه معكما، أنتما المنتميَيْن إلى مدينتين فقط؟

ميغيلوس: إنّني سأرحّب بحبورٍ بأيّة طريقة للتحقيق تكون طريقة صحيحة.

الأثيني: دعني أطرح القضية هكذا: إفترض أنّ شخصاً يمدح العناية بالماعز، ويقول إنّ امتلاك هذه المخلوقات عينها مصدر ربح كبير، وحينئذ فإنّ شخصاً آخر ما رأى الماعز تتغذّى في أماكن محروثة وهي بدون راعٍ، وتسبب الأذى لتلك الحقول، إنّ هذا الشخص أدان الماعز أو أيّ حيوان آخر ليس لديه راعٍ، أو أنّ لديه راعياً سيّئاً، فهل هناك أيّ معنى أو أيّ عدل في هكذا إدانة؟

ميغيلوس: لا بالتأكيد.

الأثيني: وهل يحتاج القبطان لمعرفة بحريّة كي يكون قبطاناً بارعاً وكفوءاً، سواء إذا كان هو عليل بحرٍ أوْ لاَ؟ فماذا تقول؟

ميغيلوس: أقول إنّه لا يكون قبطاناً كفوءاً، إذا كان عرضةً لمرض البحر، برغم أنّه يمتلك براعة بحريّة.

الأثيني: وماذا ستقول عن قائد جيشٍ؟ هل سيكون قائداً قادراً فحسب لأنّ لديه براعة عسكريّة في حين أنه عندما يأتي الخطر، يمرض ويسكر من الخوف إذا كان جباناً؟

ميغيلوس: مستحيل.

الأثيني: وماذا لو كان، بالإضافة إلى جبنه، لا يمتلك براعة؟

ميغيلوس: إنه شخص شقيّ، لا يصلح قائداً عسكرياً للرجال بل يصلح قائداً للنساء المسنَّات.

الأثيني: وماذا ستقول عن الشخص الذي يلوم أو يمدح أيّ نوع من أنواع الاجتماع الذي يُقصد بالطبيعة كي يُكوَّن له قائداً أو حاكماً، ويكون جيّداً بما فيه الكفاية عند تولّيه الرئاسة؟ إنّ الناقد على كلّ حال لم يرَ أبداً المجتمع مجتمعاً معاً فيْ وليمة منظّمة تحت توجيه الرئيس، بل رآه بدون حاكم أو رآه يحاكم سيّىء على الدوام - عندما يثني المراقبون على هذه الطبقة لاجتماعات كهذه أو يلومونها، فهل سنفترض أنّ ما يقولونه ذو قيمة؟

ميغيلوس: لا بالتأكيد، إذا لم يروا أو لم يحضروا في هكذا اجتماع أبداً عندما يُنظَّم بجودة.

الأثيني: تأمّل مليّاً، المآدب والمستمتعين عليها بالطعام والشراب، ألا يمكن أن يقال عنها إنّها تشكّل نوعاً من أنواع اللقاء أو الاجتماع؟

ميغيلوس: طبعاً.

الأثيني: وهل رأى أيّ شخص أبداً أنَّ هذا النوع من أنواع الاجتماع المَرِح نُظِّم بجودة؟ طبعاً ستجيبني بأنّك لم تَرَها أبداً، لأنّها ليس اجتماعات مألوفة أو قانونية في بلدك، لكنّني التقيت صدفة بمن أقامها وحضرتها في أماكن مختلفة. وبالإضافة إلى ذلك فإنّني حقّقت فيها وتساءَلت عنها أنّى ذهبت، كما يمكنني أن أقول، ولم أرَ أبداً أو أسمع بأيٍّ نوعٍ منها أُدير بشكل صحيح أو مناسب. يمكن لهذه الاجتماعات أن تكون كذلك في بعضٍ قليلٍ من خصائصها، لكنّها كانت اجتماعات خاطئة كليّاً بشكل عامّ.

كلينياس: ماذا تعني أيّها الغريب، بهذه الملاحظة؟ أوضح لنا، لأنّنا نحن، كما تقول، ولقلّة خبرتنا في هذه القضايا، يمكن أن لا نعرف عنها بشكل محتمل جدّاً، حتّى إذا قابلناها صدفة أو بغير صدفة، قل لنا ما هو الصحيح والخطأ في مجتمعاتٍ وفي اجتماعات كهذه.

الأثيني: إنّه ملائم بما فيه الكفاية كي أبدأ بذلك، دعني أحاول أن أكون معلّمك: ستعترف أنتَ، ألن تفعل ذلك، ستعترف أنَّ كلّ لقاءات الجنس البشري، مهما كان نوعها، يجب أن يكون لها قائد؟

كلينياس: سأعترف بذلك بدون ريب.

الأثيني: ونحن قلنا لتوّنا الآن، إنّ الرجال عندما يكونون في حربٍ يجب أن يكونوا رجالاً بواسل؟

كلينياس: لقد فعلنا.

الأثيني: إنّ الإنسان الشجاع سيكون أقلّ خشية من الرجل الجبان كي تقلقه هذه المخاوف على الأرجح.

كلينياس: إنّ ذلك حقيقيّ مرّة ثانية.

الأثيني: وإذا وُجدت إمكانيّة امتلاك قائد عسكريّ لجيشٍ ما وهو لا يعرف الخوف بالمطلق وهو قائد رابط الجأش، أفلن نعيّنه قائداً لهذا الجيش مهما كلّف الأمر؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وبعدُ، على كلّ حال، فنحن لا نتكلّم عن قائد جيشٍ سيأمر جيشاً عندما يقابل عدوٌّ عدوّاً في زمن الحرب، بل إنّنا نتكلّم عن القائد الذي سينظّم الاجتماعات التي هي من نوعٍ آخر، وذلك عندما يقابل صديق صديقه زمن السلم.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وإذا رافق ذلك النوع من أنواع الاجتماعات السّكْر والخمور، فإنّه سيكون عرضة لأن يكون اجتماعاً صاخباً.

كلينياس: إنّه عكس الاجتماع الهادىء، بالتأكيد.

الأثيني: في المقام الأوّل، إذن، فإنّ المعربدين كما الجنود سيحتاجون لقائد.

كلينياس: لتكن متأكّداً، إذ لا رجال يحتاجون لشيء أكثر.

الأثيني: ويجب علينا نحن، إذا أمكن، أن نجهّزهم ونقدّم لهم حاكماً هادئاً؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: ويجب أن يكون إنساناً يفهم المجتمع، لأنّ واجبه يقضي عليه أن يصون مشاعر الصداقة الموجودة بين المجموعة في ذلك الوقت، وأن يزيدها باستخدامه لهذه الفرصة مستقبلاً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أفلا ينبغي علينا أن نعيّن إنساناً غير مدمن على الخمر وعاقلاً كي يكون سيّداً على الصاخبين والقاصفين؟ لأنّه إذا كان حاكم المدمنين على الخمر فتىً وسكيراً، ولم يكن عاقلاً زيادة، فإنّه سيُنقَذُ بحظّ خاصٍّ جيّدٍ ما فقط من ارتكابِ شرٍّ عظيم ما.

كلينياس: إنّه سيكون حظّاً جيّداً فريداً ذلك الذي سينقذه.

الأثيني: والآن إفترض أنّ اتّحادات كهذه شُكّلت بأفضل طريقة ممكنة في الدولة، وأنّ شخصاً ما يلوم الحقيقة عينها لوجودها ـ يمكن أن يكون محقّاً في لومه على الأرجح. لكنّه إذا لام الممارسة التي يرى أنّها سيّئة الإدارة بشكل كبير، يظهر في المقام الأوّل أنّه لا يكون عالماً بسوء هذه الإدارة، وأنّه لا يدري أيضاً أنّ كلّ شيء تمّ فعله بهذه الطريقة سيثبت في النهاية أنّه يكون فعلاً خاطئاً، لأنّه إنّما تمّ فعله بدون مناظرة الحاكم العاقل والمتّزن. ألا ترى أنّ القبطان السكّير أو الحاكم السكّير من أيّ نوع سوف يدمّر الباخرة، العربة، الجيش ـ سيدمّر أيّ شيء يقف في طريقه، باختصار؟

كلينياس: إنّ الملاحظة الأخيرة التي أبديتها هي ملاحظة حقيقيّة جدّاً، أيّها الغريب، وإنّني لأرى بوضوح تامّ منفعة الجيش الذي لديه قائد بارع وصالح ـ إنّه سيؤمّن النصر لأتباعه في الحرب، والنصر يكون منفعة كبيرة جدّاً؛ ويكون

هذا في ما يخصّ الأشياء الأخرى كذلك. لكنّني لا أرى أيّة منفعة مشابهة سيكسبها إمّا الأفراد أو الدول من الإدارة البارعة والصالحة لوجبة طعام. وأريد منك أن تخبرني ماذا سيكون الخير العميم الواضح الأثر، مفترضين أنّ هذا الأمر الذي يخصّ الشراب يكون موطّداً كما ينبغي.

الأثيني: إذا قصدت السؤال عن أيّ خير عظيم سينشأ للدولة من التدريب الصحيح لشابّ فرد، أو لمجموعة مفردة من المغنّين، ـ عندما يُطرح السؤال بذلك الشكل، فلا يمكننا أن ننكر أنَّ الخير لا يكون خيراً عظيماً في أيّة دلالة خاصّة، لكنّك إذا سألت ما هو الخير للتعليم بشكل عامّ، فإنّ الجواب يكون جواباً سهلاً ـ وهو أنّ التعليم يجعل الرجال أخياراً، وأنّ الرجال الأخيار يعملون بنبلٍ في كلّ مناسبة، ويقهرون أعداءَهم في المعركة أيضاً. إنّ التعليم يهب النصر بكلّ تأكيد، برغم أنّ النصر يُنتج نسيان التعليم بعض المرّات، إنّ العديد من الدول إستحوذت عليها الغطرسة والعجرفة من الانتصار في الحرب، وهذه الغطرسة ولّدت في أفرادها شروراً لا تُحصى. وكثيراً من الانتصارات قد كانت وستكون انتصارات انتحاريّة للمنتصرين، لكنّ التعليم لا يكون انتحاريّاً أبداً.

كلينياس: يبدو أنّك تدلّ ضمناً، يا صديقي، على أنّ الاجتماعات المرحة، عندما تُنظّم بطريقة صحيحة، فإنّها تكون عنصراً مهمّاً من عناصر التعليم.

الأثيني: إنّني أفعل ذلك بكلّ تأكيد.

كلينياس: وهل تستطيع أن تبيّن أنَّ ما قد قلته هو قول صادق؟

الأثيني: لتكن متأكّداً بشكل قاطع ومطلق بحقيقة القضايا قيد البحث والتي هناك آراء متعدّدة بشأنها، فإنّما هذا شيء يخصّ الآلهة وحدهم وتُنسب إليهم ولا تُعطى لإنسان، أيّها الغريب. لكنّني سأكون سعيداً جدّاً في أن أقول لك ما أعتقد، خاصّة ما دمنا نقترح الآن أن ندخل في مباحثة خاصّة بالقوانين وبالمؤسّسات القانونية.

كلينياس: إنّ رأيك، أيّها الغريب، بشأن الأسئلة التي تُطرح الآن، هو الرأي الذي نريد سماعه بشكل دقيق.

الأثيني: جيّد جداً، سأحاول إيجاد طريقة لتوضيح معناي، وأنت ستحاول أن تكون لديك هبة فهم هذا المعنى، لكن دعني أهيّىء دفاعاً بادىء ذي بدء. إنّ المواطن الأثيني يُعدُّ من بين كلّ الهيلينيين أنّه متكلّم عظيم، في حين أنّ اسبارطة مشهورة بالبسالة، والكريتيون لديهم إدراك وحصافة أكثر ممّا لديهم من كلمات. وبعدُ فإنّني أخشى الظهور كي استنبط محادثة طويلة جدّاً من موادَّ صغيرة جداً. إنّ شرب الخمر يمكن أن يبدو حقّاً مسألة طفيفة لا تُذكر، ومع ذلك فإنّها واحدة من المسائل التي لا يمكن أن تُنظَّم طبقاً للطبيعة بشكل صحيح، وبدون مبادىء وقواعد موسيقيّة صحيحة. وهذه القواعد والمبادىء ضروريّة لأيّة معالجة واضحة المعالم أو مقنعة في هذا الموضوع. ومرّة ثانية فإنّ الموسيقى تمتدّ إلى التعليم بشكل عامّ، وهناك الكثير كي يقال بشأن كلّ هذه المواضيع الهامة. ماذا سنقول إذن لترك هذه المسائل في الوقت الحاضر والانتقال إلى سؤال ما آخر عن القانون؟

ميغيلوس: أوه، أيّها الأثيني الغريب، دعني أقول لك شيئاً لربّما لا تعرفه، وهو أنّ عائلتنا هي البروكسينوس لدولتك، وأشعر بعطف نحو بلدهم الآخر، وهذا الشعور قد كان شعوراً خاصّاً بي بكل تأكيد، أستطيع أن أتذكر جيداً من أيام صباي، كيف، ومتى يمدح أي لاقيدايمونيّ الأثينيين أو يلومهم. هم اعتادوا على أن يقولوا لي: « أُنظر يا ميغيلوس، كيف عاملتك دولتك بسوء أو بجودة »، كما يمكن للحالة أن تكون. وبما أنّني التزمت أن أخوض معارككم ضدّ الذين يحاولون الانتقاص من أقداركم عندما سمعت مهاجميكم يعنفون، فإنّني أصبحت متعلّقاً بكم بحرارة، وإنّي لأحبّ أن أسمع اللّسان الأثيني يصدح، وأنّ القول العامّ لقول صحيح، وهو أنّ الأثيني

الصالح هو أكثر من إنسان صالح عاديّ، لأنّه هو الإنسان الوحيد الذي يكون صالحاً بحريّة وصدق وبواسطة الإلهام الإلهيّ لطبيعته الخاصّة. وهذه الطبيعة ليست طبيعة مصطنعة، لذلك كن متأكّداً من أنّني سأحبّ سماعك تتكلّم بقدر ما يسرّك.

كلينياس: نعم، أيّها الغريب، وعندما تسمعني أتكلّم، قل بجسارة ما يجول في أفكارك، دعني أذكّرك بالرابط الذي يوحّدكم مع جزيرة كريت. لا شكّ أنّك سمعت قصّة النبيّ أيمينايدس، الذي كان نبيّاً من عائلتي، وأتى إلى أثينا قبل وقوع الحرب الفارسيّة بعشر سنين، طبقاً لاستجابة وسيط الوحي، وقدّم تضحيات محدَّدة أمر بها الله. كان الأثينيون ينتابهم الخوف من الغزو الفارسي في ذلك الزمن، وقال هو إنّ الفارسيّين لن يغزوكم قبل عشر سنين، وإنّهم عندما يأتون فسيرتدّون على أعقابهم مرّة ثانية بدون أن يحقّقوا أهدافهم، وسيقاسون مصائب أعظم من تلك التي أنزلوها بكم. في ذلك الزمن شكّل أسلافنا روابط عميقة للضيافة معكم. إنّ الصداقة التي كانت تربط آبائي بكم تعود إلى أزمنة موغلة في القِدَم.

الأثيني: تعني أنّك جاهز تماماً لتسمعني، وأنا جاهز أيضاً لكي أنجز عملاً شاقّاً ومستحيلاً قدر ما أستطيع، والذي سأحاول إكماله برغم ذلك. دعني أعرّف طبيعة وقوّة التعليم في مستهلّ هذه المباحثة، لأنّ هذه الطريقة هي الطريقة التي يجب أن تتحرّك محاورتنا بواسطتها إلى الأمام، إلى الله ديونيسوس.

كلينياس: دعنا نتقدّم، إذا سرّك ذلك.

الأثيني: حسناً، إذن، إذا أخبرتك ما هي أفكاري عن التعليم، هل ستعتبر إذا ما كانت ستقنعك أوْ لا؟

كلينياس: دعنا نسمع.

الأثيني: طبقاً لتصوّري، إنّ الشخص الذي سيكون جيّداً في أيّ شيء يجب أن

يمارس ويطبّق عملياً ذلك الشيء منذ فتوّته فصاعداً، وذلك في الحقلين الجدّي والهزلي كليهما وفي فروعهما المتعدّدة. كمثال، إنّ مَنْ عليه أن يكون بنّاءً جيّداً، يجب أن يبتدىء لاعباً ببناء بيوت الأطفال، وذلك الذي سيكون مزارعاً كفؤاً عليه أن يتسلّى في حقول الحراثة، وأولئك الذين يهتمّون بالتعليم يجب أن يجهّزوهم عند فتوّتهم بالأدوات الصوريّة. إنّهم سيتعلّمون مسبقاً المعرفة التي سيحتاجونها في ما بعدُ لفنّهم. كمثال، يجب على النجّار المستقبليّ أن يتعلّم القياس واستخدام الخطّ في العمل؛ وعلى المقاتل المستقبليّ أن يتعلّم الفروسيّة أو بعض التمارين الأخرى للتسلية. وينبغي على المعلّم أن يكافح كي يوجّه، بمساعدة التسلية، نزعات الأطفال وملذّاتهم، إلى هدفهم النهائيّ في الحياة. إنّ الجزء الأهمّ من أجزاء التعليم هو التدريب الصحيح في بيت الحضانة، ويجب أن تُوجّه روح الطفل في لَعِبه إلى حبّ ذلك النوع من أنواع الامتياز، الذي عندما ينمو فيه إلى سنّ الرجولة، ينبغي أن يكون امتيازاً كاملاً. هل تتّفق معي إلى هذا الحدّ؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: دعنا إذن نترك معنى التعليم غامضاً ومعرّفاً على نحو ناقص. وفي الوقت الحاضر، عندما نتكلّم نحن بلغة الإطراء واللّوم بشأن تربية كلّ شخص، فإنّنا نسمّي إنساناً ما متعلّماً وآخر غير متعلّم، برغم أنّ الإنسان غير المتعلّم يمكن أن يكون متعلّماً جدّاً، بعض المرّات، لمستلزمات تاجر المبيع بالتجزئة، أو لمتطلبات قبطان باخرة، وما شابه ذلك. إنّنا لا نتكلّم عن التعليم في هذا المعنى الأضيق، بل نتكلّم عن ذلك التعليم الآخر في الفضيلة من الفتوّة فصاعداً. التعليم الذي يجعل الإنسان مشتاقاً لتعقّب الكمال المثاليّ للمواطنيّة، ويعلّم المواطن كيف سيحكم بحقّ وكيف سيطيع بصدق. إنّ هذا التعليم فقط هو التعليم الذي يستحقّ اسمه، بناءً على وجهة نظرنا. أمّا

بقية أنواع التدريب التي تهدف إلى اكتساب الثروة أو تهدف إلى إنماء القوّة الجسديّة، أو إلى مجرّد الحذق بمعزلٍ عن الإدراك والعدل، إنّ هذه الأنواع من التدريب هي أنواع سافلة، وأفق تفكيرها ضيّق، وليست جديرة بأن تدعى تعليماً على الإطلاق. لكن اسمح لنا أن لا نتخاصم بشأن الكلمة، شريطة أن يثبت الافتراض الذي اعتُبِرَ افتراضاً جيّداً. وبحسب سلامة العقل والذكاء، فإنّ أولئك الذين يُسمّون متعلّمين يصبحون رجالاً أخياراً بشكل عامّ. ولا يجب أن ننظر باستخفاف إلى التعليم، الذي هو أقلّ شيء وأجمل شيء يمكن للرجال الأفضل أن يمتلكوه قطّ، وهو الذي يقدر على الإصلاح، برغم أنّه عرضة لسلوك طريق خاطئة. وعمل الإصلاح هذا هو الشغل العظيم لكلّ إنسان ما دام حيّاً.

كلينياس: جيّد جداً، ونحن نتّفق معك بشكل كامل.

الأثيني: واتّفقنا نحن قبلاً على أنّ الرجال الذين يقدرون أن يحكموا أنفسهم هم رجال أخيار، وأمّا الرجال الأشرار فلا.

كلينياس: إنّك لمحقّ تماماً.

الأثيني: دعني أتقدّم الآن، إن استطعت، لتفسير هذا الموضوع عينه إلى مدىً أبعد بواسطة مثل توضيحيّ، سأقدّمه لك.

كلينياس: إبدأ بذلك.

الأثيني: ألاَ تعتبرون أنّ كلّ واحد منا هو شخص واحد؟

كلينياس: بلى.

الأثيني: وكلٌّ منا لديه في صدره مستشاران اثنان، كلّ منهما غبيّ ومضادّ للآخر أيضاً ، الأوّل ندعوه لذة، والثاني ألماً.

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: هناك آراء بشأن المستقبل أيضاً، تمتلك الاسم العامّ للتوقّعات؛ واسمها المحدد

هو الخوف، عندما يكون التوقّع ألماً والألم عندما يكون التوقّع لذّة. وأبعد من ذلك هناك تأمّل مليّ بشأن الخير أو الشرّ لهما، وعندما يُجسَّد هذا في الدولة يدعى قانوناً.

كلينياس: إنّني قادر على أن أتبعك بصعوبة. تقدَّم، على كلّ حال، كما لو كنت فاعلاً أنا ذلك.

ميغيلوس: إنّني في حالة مشابهة.

الأثينيّ: دعنا ننظر في القضيّة هكذا: ألاَ يمكن أن نتصوّر أنَّ كلاً منا مخلوق حيٌّ ليكون دمية للآلهة، إمّا أنّه الشيء الذي يلهون به فقط، أو أنّه خُلق لغرض؟ ولأيٍّ من الشيئين وُجد فنحن لا نقدر أن نعرف ذلك بكلّ تأكيد ـ لكنّنا نعرف أنّ هذه التأثيرات أو العوامل فينا تكون مثل الأوتار أو الخيطان التي تسحبنا في اتجاهات مختلفة ومتضادّة، وإلى أعمال متناقضة. وفي هذا يكمن الفرق بين الفضيلة والرذيلة، وطبقاً للمحاورة هناك وترٌ بين هذه الأوتار يجب أن يُمسِك به كلٌّ واحد منّا وأن لا يدعه يفلت منه، بل عليه أن يسحب به عكس كلّ الأوتار الباقية. وهذا الوتر هو الوتر المقدَّس والذهبيّ للعقل، ونحن نسمّيه القانون العام للدولة. إذ بقدر ما يكون العقل جميلاً ولطيفاً، وغير عنيف، فإنّ حكمه يجب أن يحتاج امتلاك وزراء ليساعدوا المبدأ الذهبيّ في هزم المبادىء الأخرى والتغلّب عليها. وهكذا فإنّ افتراض أو مغزى القصّة بشأن كوننا دُمىً لم يكن قد فُقد، ومعنى التعبير « أسمى أو أدنى من إنسانٍ لنفسه » سيصبح معنىً أوضح. والفرد الواصل إلى العقل الصحيح في هذه القضية لسحب خيطان الدمية، سيحيا طبقاً لقواعدها، في حين أنّ المدينة، متلقّية الشيء عينه من إلهٍ أو من شخص يمتلك معرفة بهذه الأشياء، يجب عليها أن تجسّدها في قانون، كي يكون هاديها في تعامُلها مع نفسها ومع الدول الأخرى. بهذه الطريقة سنميّز

الفضيلة والرذيلة بشكل أكثر وضوحاً. وعندما يصبحان واضحين، فإنّ التعليم والمؤسّسات الأخرى ستصبح أكثر جلاءً بشكل مماثل، وبخاصّة ذلك السؤال عن التسلية المولعة بالقصف من شراب وطعام، والتي يمكن أن تبدو، لربّما، أنها قد كانت قضيّة تافهة، والتي قد استنزفت العديد من الكلمات بشكل أكثر ممّا كان ضروريّاً. لكن يمكن أنّها قد انتهت لتكون قضيّة غير جديرة بالاعتبار.

كلينياس: جيّد جدّاً، دعنا نواصل البحث بالتحقيق الذي سيقودنا إلى هدفنا الحالي.

الأثيني: تعالَ الآن، إفترض أنّنا سنعطي هذه الدمية شراباً من شرابنا، فما التأثير الذي سيقع عليها؟

كلينياس: ماذا لديك من تصوّر لتسأل ذلك السؤال؟

الأثيني: لا شيء حتى الآن، لكنّني أسأل بشكل عامّ، عندما تُحضر الدمية إلى الشراب، فأيّ نوع من أنواع النتائج سيتبع على الأرجح، سأحاول إيضاح معناي بشكل أصفى: إن ما أسأله الآن هو هذا: هل شرب النبيذ سيضاعف الملذات والآلام، والشهوات والهوى، ويزيدها؟

كلينياس: كثيراً جدّاً.

الأثيني: وهل يضاعف النبيذ نفاذ البصيرة والذاكرة والرأي والتعقل ويزيدها؟ ألا تهجر هذه النوعيّات الإنسان إذا أصبح مشبعاً بالشراب؟

كلينياس: نعم، إنّها تهجره بالكامل.

الأثيني: ألا يعود إلى الحالة الروحيّة التي كان فيها عندما كان طفلاً؟

كلينياس: إنّه لكذلك.

الأثيني: إذن فإنّه سيكون في ذلك الوقت أقلّ سيطرة على نفسه وأقل ضبطاً لها.

كلينياس: السيطرة الأقلّ.

الأثيني: أولن يكون هو في المأزق الأكثر تعاسةً وبؤساً؟

كلينياس: الأكثر تعاسة.

الأثيني: إذن فإنّ الإنسان المسنّ لا يصبح وحده طفلاً لمرّة ثانية بل السّكّير أيضاً؟

كلينياس: حسناً قيل، أيّها الغريب.

الأثيني: هل هناك أيّة محاورة ستبرهن لنا أنّنا يجب أن نشجّع تذوّق الشراب بدلاً من بذل كلّ ما نستطيع كي نتفاداه؟

كلينياس: أفترض أن هناك محاورة كهذه، إنّك قلت لتوّك الآن، على أيّة حال، بأنّك كنت مستعدّاً لإثبات عقيدة كهذه.

الأثيني: حقّاً، إنّني قلت ذلك، وأنا لا أزال عند قولي وجاهزاً لأفعل ذلك، مشاهداً أنّكما أعلنتما بأنّكما قلقان لسماع قولي.

كلينياس: لتكن متأكّداً أنّنا لكذلك، إذا كان هذا لغرابة العبارة الموهمة للتناقض التي تؤكّد أنّ إنساناً يجب أن يغوص بالانحلال الخلقيّ طوعاً.

الأثيني: هل تتكلّم أنت عن الروح؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: وماذا ستقول عن الجسد، يا صديقي؟ ألن تتعجّب من أيّ شخص عندما يجلب التشوّه، الهزال، البشاعة، والتداعي على نفسه طوعاً؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: ومع ذلك فعندما يذهب إنسان إلى عيادة الطبيب طوعاً، ويتناول الدواء، ألن يدرك تماماً أنّه في وقت قريب، ولعدّة أيّام بعدها، أنّه سيكون في حالة جسديّة سيفضّل الموت على أن يقبلها كحالة دائمة لحياته؟ أوَلا نعرف أنّ أولئك الذين يأتون إلى مبنى الألعاب الرياضية لإجراء التمارين، ألا نعرف أنّهم سيخفّضون إلى حالة من حالات الضعف في البدء؟

كلينياس: نعم، إنّ كلّ هذا معروف جيّداً.

الأثيني: وهم يذهبون طوعاً أيضاً من أجل المنفعة اللاحقة؟

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: ويمكننا أن نتصوّر أنّ هذا شيء حقيقيّ عن التمارين الأخرى بالطريقة عينها؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: ويمكن أخذ الفكرة عينها عن الزمن الماضي لشرب النبيذ، إذا كنّا محقّين في افتراض أنّ تأثير الخير عينه يتبع؟

كلينياس: لتكن متأكداً.

الأثيني: إذا ثبت أنّ نهماً كهذا للطعام وقصفاً للشراب يؤمّن فائدة مساوية في أهميتها لتلك التي تهبها الألعاب الرياضية، فإنّ هذا النّهم والقصف المعربد سيكون مفضّلاً على التمارين الرياضيّة المجرّدة في طبيعته بالذات، بقدر ما يكون غير مصاحب للألم.

كلينياس: صدقاً، لكنّني أعتقد بالكاد أنّنا سنكون قادرين على اكتشاف أيّة منافع كي تُشتمدّ منها.

الأثيني: إنّ هذا هو ما يجب علينا أن نحاول تبيينه. ودعني أسألك سؤالاً: ألا نميّز نحن نوعين اثنين من أنواع الخوف، مختلفين جدّاً؟

كلينياس: وما هما؟

الأثيني: هناك خوف من شرٍّ متوقّع.

كلينياس: أجل.

الأثيني: وهناك الخوف من السمعة السيّئة. إنّنا نخاف أن يُظنّ بنا السوء لأننا نفعل أو نقول شيئاً ما مخزياً، هو الذي نصطلح نحن والرجال كلّهم على تسميته بالعيب.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إنّ هذين الشيئين هما نوعان اثنان من أنواع الخوف، كما أسميتهما؛

أحدهما يكون ضدّ الألم والآخر ضدَّ الخوف، وكذلك الضدَّ اللَّذات الأعظم والأكثر تعداداً أيضاً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أوَلا يُعتبر المشرّع وكلّ شخص يصلح لأيّ شيء، ألاَ يُعتبر أنّه الأكبر إجلالاً وتكريماً؟ وهذا ما يسمّيه المشرّع مُهابة، ويسمي الثقة بالنفس التي تكون عكس ذلك إهانة؛ ويعتبر الأخيرة شرّاً عظيماً للأفراد والدول على حدّ سواء، على الدوام؟

كلينياس: حقاً.

الأثيني: أوَلا يقينا هذا النوع من أنواع الخطأ في طرائق عديدة ومهمّة؟ ما هو الذي يهب لنا النصر والضمانة في الحرب بكلّ تأكيد؟ هناك شيئان اثنان يهبان الانتصار: الثقة بالنفس أمام الأعداء، والخوف من العار أمام الأصدقاء.

كلينياس: إنّهما موجودان.

الأثيني: يجب على كلِّ فردٍ منّا أن يكون خائفاً وجسوراً أيضاً، وأمّا لماذا يجب أن نكون هكذا فلقد تقرّر الآن.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وعندما نريد أن نجعل أيّ شخص عديم الخوف، فإنّنا نحضره وجهاً لوجه مع تخوّفات عدَّة، ونصيِّره هكذا بمساعدة القانون.

كلينياس: بوضوح.

الأثيني: وعندما نريد أن نجعله خائفاً بصدق، ألا يجب علينا أن نقوده إلى ملذّات مخزية، وأنّ ندرّبه على امتشاق السلاح ضدَّها ليهزمها ويتغلّب عليها؟ أو أنّ هذا المبدأ ينطبق على الشجاعة فقط، ويجب على الذي سيكون كاملاً في البسالة أن يحارب أخلاقه الطبيعيّة الخاصّة ويهزمها ـ وبما أنّه يكون غير متدرّبٍ وغير خبير في نزاعاتٍ كهذه، فإنّه لن يكون نصف الرجل الذي

يمكن أنّه قد كان ذلك ـ وهل نحن لنفترض أنّ أخلاقه تكون غيراً ممّا هي مع الاعتدال وبه، وأنّ الذي لم يتحارب مع الخزي والإغراءات الآثمة للملذّاته وشَبَقِه، ولم يهزمها، في الجدّ وفي اللعب، بالكلمة، والمأثرة، والفنّ، هل نحن لنفترض أنّ الذي لم يقم بهذا خير قيام سيبقى معتدلاً بشكل تامّ؟

كلينياس: إنّها لفرضيّة حدوثها هو الأقل إحتمالاً.

الأثيني: إفترض أنّ إلهاً ما أعطى جرعة خوف للرجال، وأنّ الأكثر ما يتناولها إنسان يعتبر نفسه عند كلّ جرعة كأنّه الأكثر سوءَ حظّ من أيّ طفل، وأنّه في خوف من كلّ شيءٍ حادثٍ أو على وشك أن يحدث له. وأخيراً فإنّ الإنسان الأكثر شجاعة فَقَد حضوره العقليّ لوقت ما، ومن ثمّ عاد إلى نفسه مرّة أخرى عندما تخلّص من تأثير الجرعة.

كلينياس: لكن هل عُرِفت هكذا جرعة، أيّها الغريب، بين الرجال؟.

الأثيني: لا، لكن إذا وُجدت، ألا يمكن لجرعة كهذه لو استُعملت أن تنفع المشرّع كتجربةٍ لشجاعته؟ ألاَ يمكننا أن نذهب إليه ونقول له: « أوه أيّها المشرّع، سواء إذا سننْتَ قانوناً للكريتيين، أو لأيّة دولة أخرى، أفلن تحبّ أن يكون لديك وسيلة اختبار للشجاعة والجبن عند مواطنيك؟ ».

كلينياس: « عليّ أن أرغب ذلك »، وسيكون هذا الجواب جواب كلّ شخص.

الأثيني: « وستفضّل بالأحرى أن يكون لديك وسيلة اختبارٍ ومحكٌّ ليس فيها أيّة مخاطرة وأيّ خطر كبيرٍ بل عكس ذلك؟ ».

كلينياس: يمكن أن يوافق أيّ شخص على هذا الافتراض بشكل مضمون.

الأثيني: « ولكي تجد نفعاً في الجرعة » فإنّك سوف تختبر مواطنيك وتقودهم وسط هذه الأهوال المتصوّرة، وتعرف متى يفعل عليهم تأثير الخوف هذا، وتجبرهم أن يكونوا عديمي الخوف، محذّراً لهم وناصحاً، لكنّك تهين أيّ شخص لن يقتنع بما قلته كي يكون كما أمرته في كلّ ناحية. وإذا اجتاز

الاختبار جيّداً أو بشكل رجوليّ، ستدعه يذهب سالماً؛ لكنّه إنْ أخفق فيه، ستنزل العقاب الصّارم به؟ أو أنّك ستمتنع عن استعمال الجرعة بالكليّة، برغم أنّك لا تمتلك أيّ شكوى ضدّه.

كلينياس: إنّه سيكون متأكّداً من استعمال الجرعة، أيّها الغريب.

الأثيني: إنّ هذا الأسلوب سيكون أسلوب اختبارٍ وتدريب وهو أسلوب سهل بشكل مدهش بالمقارنة مع تلك الأساليب قيد الاستعمال، ويمكن استخدامه لشخصٍ مفرد، أو لأشخاصٍ قلائل، أو لأيّ عددٍ من الأشخاص حقّاً. وسيفعل فعلاً جيّداً مع الذي جهّز نفسه بجرعة واحدة فقط، وهذه الجرعة يمكنها أن تنقذه من مشاكل لا نهاية لها، سواء إذا فضّل أن يكون منفرداً بنفسه وفي وحدة، وكافح هناك في خوفه، لأنّه خجل أن يراه إنسان حتّى يتمّ كماله، أو أنّه وثق بقوة طبيعته الخاصّة وعاداته. وأعتقد أنّه قد تأدب وتهذّب بشكلٍ كافٍ، ولم يتردّد عن تدريب نفسه في صحبة أيّ عدد آخر من الشاربين، وأن يعرض قوّته في قهر التغيير الذي لا يُقاوم والذي سببته الجرعةُ - وكون فضيلته هكذا، وهي أنّه لم ينحدر قطّ إلى أيّ موقع غير لائق، بل كان هو نفسه على الدوام، وغادر قبل أن يبلغ الكأس النهائيّ، وذلك خشية أن تقهره الجرعة مثلما قهرت كلّ الرجال الآخرين.

كلينياس: نعم، أيّها الغريب، يمكنه في تلك الحالة الأخيرة أيضاً أن يبيّن ضبطاً للنفس بشكلٍ متساوٍ.

الأثيني: دعنا نعود إلى المشرّع، ونقول له: « حسناً، يا أيّها المشرّع، هناك جرعة خوف كهذه بكلّ تأكيد، تلقّاها الإنسان إمّا من الآلهة، أو أنّه اكتشفها بنفسه، لأنّ السحر ليس له مكان على لوحتنا ولا على لائحتنا. لكن هل هناك أيّة جرعة يمكن أن تخدم كتجربة للبسالة الزائدة الحدّ وللتباهي المفرط الأحمق؟ ».

كلينياس: أفترض أنّه سيقول نعم ـ يعني أنّ النبيذ يكون هكذا جرعة.

الأثيني: ألا يكون تأثير هذا ضدّ التأثير الذي يحدثه الشيء الآخر تماماً؟ عندما يشرب إنسان النبيذ فإنّه يشعر بالسرور مع نفسه على نحوٍ أفضل، وكلّما تناول منه أكثر امتلأ بالآمال الشّجاعة بشكل تامّ، وتغرّه قوّته. وأخيراً فإنّ حبل لسانه يرتخي، ويتوهّم نفسه أنّه إنسان عاقل. إنّه يُتْرَعُ بالتمرّد على القانون، ولا يمتلك خشيةً أو احتراماً أكثر، ويكون جاهزاً ليفعل أو يقول أيّ شيء. أعتقد بأنّ كلّ شخص سيعترف بحقيقة وصفنا له.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وبعدُ، دعنا نتذكّر، كما كنا قائلين، أنّ هناك شيئين اثنين يجب أن يُهذّبا ويتعهّدا العناية بالروح: الأوّل هو الشجاعة الأعظم، والثاني هو الخوف الأعظم ـ

كلينياس: وهما الشيئان اللذان قلت عنهما إنّهما ميزتان للمهابة، إذا لم أكن مخطئاً.

الأثيني: شكراً لك على تذكيرك لي. لكن دعنا نتأمّل مليّاً، بما أنّ عادة الشجاعة واللاخوف يجب التدرّب عليهما وسط المخاوف، دعنا نتأمّل مليّاً إذا لم يكن واجباً أن يتمّ تدريب النوعيّة المضادّة بين المضادّات.

كلينياس: تلك هي الحالة بالاحتمال.

الأثيني: هناك أوقات وأحيان نكون فيها بالطبيعة جسورين وشُجعانَ بشكل عامّ. وبعدُ فإنّه ينبغي علينا أن ندرّب أنفسنا في هذه الفرص كي نتحرّر من الصفاقة وقلّة الحياء قدر الإمكان، ولنكون خائفين من أن نقول أو نقاسي أو نفعل أيّ شيء يكون سافلاً.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: أليست اللحظات التي نميل فيها لنكون جسورين وبلا حياء لحظات كهذه

عندما نكون تحت تأثير الحبّ، الكبرياء، الجهل، الجشع، والجبن؟ أو عندما تجعلنا الثروة، الجمال، القوّة الجسديّة، وكلّ الأعمال الشمِلة للذّة، عندما تجعلنا جميعها مجانين؟ ماذا يكون الشيء المهيّأ والمتكيّف والمكيّف أفضل من استعمال النبيذ احتفالاً، في المقام الأوّل كي يُختبر، وفي المقام الثاني كي يدرّب أخلاق الإنسان، إذا ما وجب أخذ العناية في استعماله؟ ماذا يوجد غيرهُ أقلّ كلفة، أو أكثر براءة؟ لكن اعتبر أيّة مخاطرة تكون الأكبر: هل ستفضّل أن تختبر إنساناً ذا طبيعة نكدة المزاج ومتوحّشة، طبيعة هي المصدر لعشرة آلاف عمل ظالم، هل ستفضّل أن تختبره بعقد صفقات معه مُخاطراً فيها بنفسك، أو بجعله شريكاً لك في احتفال ديونيسوس؟ أو هل ستأتمن على زوجتك، إذا أردت أن تستخدم وسيلة الاختبار، هل ستأتمن عليها رجلاً نزّاعاً في الانغماس الجنسي، أو هل ستأتمنه على أولادك أو بناتك، مخاطراً بأعزّ ما لديك لتكوّن فكرة عن حالة روحه؟ يمكنني أن أذكر لك حالات لا تحصى، ستكون منفعة الحصول على معرفة الأخلاق بائنةً في المزاح، وبدون أن تدفع من أجلها غالياً وأنت تجرّبها. وإنّني لأعتقد إمّا أنّ كريتياً، أو أنّ شخصاً آخر سيشكّك في أن اختباراً كهذا هو اختبار جيّد وعادل، اختبار آمَنُ، أقلُّ كلفةً، وأسرع من أيّ اختبار آخر.

كلينياس: إنّ ذلك لحقيقيّ بكلّ تأكيد.

الأثيني: وستكون هذه المعرفة لطبائع وعادات أرواح الرجال، ستكون ذات المنفعة الأعظم في ذلك الفنّ الذي يمتلك إدارتهم، وذلك الفنّ هو فنّ العلوم السياسية، إذا لم أكن مخطئاً.

كلينياس: هكذا بالضبط.

محاورة النواميس

الكتاب الثاني

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: يجب علينا أن نتبصّر في الطبيعة الإنسانيّة وأن نعرف بأيّة طريقة وكيف يجب أن نكسب من عمل كهذا. ولنتذكّر أنّ مذهبنا للتعليم الصحيح هو التنظيم الواجب الأداء للعلاقات المولعة بالقصف والشراب والطعام مع الأصدقاء، وأنّ اللذّة والألم هما النافورتان اللتان أُحضرت تحتهما الفضيلة والرذيلة أصلاً. أمّا الحكمة والآراء الحقيقيّة الراسخة فإنّ الإنسان الذي ينالهما يكون سعيداً، وإنّ من يقتنيهما ويقتني البركات التي تحتويهما يكون إنساناً كاملاً. وسندخل في تعليمنا الرقص والغناء اللذين سيولّدان التآلف والتناغم والتناسق في الروح والجسم وذلك بغية الخير الكليّ. وسنعتمد في هذا على جمال العدد وجمال الشكل، وما الأعداد والألحان التي تعبّر عن فضيلة الروح والجسم أو عن صور الفضيلة، ما هي كلّها إلاّ جيّدة بدون استثناء، أمّا الأشياء التي تعبّر عن الرذيلة فإنّها أشياء عكس الخير. وينبغي علينا أن نحدّد عمل الشعراء في ما يتعلّق بطريقة الإيقاع أو اللحن أو الكلمات. إنّ امتياز الموسيقى يجب أن يقاس باللذّة التي يجب أن لا تكون لأشخاص تصادميين، وأجمل الموسيقى هي تلك الموسيقى التي تبهج الإنسان الواحد الذي يكون متفوّقاً في العلم والفضيلة. إنّ القضاة يجب أن يكونوا رجالاً ذوي أخلاق، لأنّهم سيحتاجون إلى الحكمة ولا يزالون بحاجة إلى شجاعة أعظم، وهي قولهم للحق في كلّ مكان وكلّ مجال. ولنقل مرّة ثانية إنّ التعليم هو إجبار وإرشاد الشباب

نحو العقل الحقّ الذي يؤكّده القانون، والذي وافق عليه أكبر الرجال سنّاً وأفضلهم على أنّه عقل صحيح حقّاً.

إنّ الخيرات التي تتكلّم عنها الكثرة من الناس، وهي الصحّة، الجمال، الثروة وما شابه ليست خيرات حقّاً. ونحن نقول إنّ الخيرات الحقيقية هي العدل والحكمة والاعتدال والشجاعة، والحياة الأكثر عدلاً هي الحياة الأكثر مَسَرّة، وأمّا الحياة الظالمة فهي الحياة الأكثر سفالة وفساداً وانحطاطاً. إن جوقاتنا الموسيقية كلّها ستغنّي للشباب ولأرواح الأطفال المرهفة، مدرجةً في كلّ ألحانها وأغانيها الأفكار النبيلة، وهي أنّ الحياة التي يعتبرها الآلهة الحياة الأسعد تكون الحياة الأفضل أيضاً. أمّا الآلتان الموسيقيتان اللتان يجب أن نستعملهما فهما القيثارة والناي، وكلّ لحن يكون لحناً صحيحاً عندما يمتلك إيقاعاً ووزناً شعريّاً مناسبين، ويكون لحناً خاطئاً عندما يمتلكهما بشكل غير مناسب.

قلنا إنّ الموسيقى هي صحّة الصوت التي تصل إلى الروح وتعلّمها، وإنّ الرقص هو حركة الجسم عندما يُعتبر كتسلية، لكنّه عندما يُلاحق ويمتدّ بقصد الامتياز للجسم، فيمكن أن يسمّى هذا التمرين العلمي رياضة بدنيّة. أمّا شرب النبيذ فينبغي أن يكون محدّداً بقانون صارم خاصّة للقادة، للقضاة، للحكّام، لرجال الفكر، لرجال السياسة، وللعبيد، وزراعة الكرمة ينبغي أن لا تكون في أرضنا وسنسنّ قانوناً واضحاً بشأن ذلك.

محاورة النواميس

الكتاب الثاني

الغريب الأثيني: وبعدُ فإنّه ينبغي علينا أن نأخذ بعين الاعتبار إذا ما كان التبصّر في الطبيعة الإنسانية هو الفائدة الوحيدة المشتقّة من الجرعات المنظّمة تنظيماً جيّداً، أو إذا ما وجدت منافع أخرى كبيرة وكثيرة كي نرغب امتلاكها. يبدو أنّ المحاورة تدلّ ضمناً على أن هناك منافع كهذه، لكن كيف وبأيّة طريقة يجب كسبها والحصول عليها، فإنّ هذا ينبغي أن يُعتبر بشكلٍ يقظ، أو أنّه يمكننا أن نقع في الخطأ.

كلينياس: تقدّم.

الأثيني: دعني أتذكّر مذهبنا للتعليم الصحيح مرّة ثانية، الذي يعتمد التنظيم الواجب الأداء للعلاقات المولعة بالقصف وبتناول الطعام والشراب مع الأصدقاء.

كلينياس: إنّك تتكلّم بشكل رائع على الأصحّ.

الأثيني: أؤكّد أنّ اللذة والألم هما المدركات الحسيّة الأولى للأطفال، وأقول إنّهما الشكلان اللذان أُحضِرت تحتهما أصلاً الفضيلة والرذيلة لهم. أمّا في ما يخصّ الحكمة والآراء الحقيقيّة الراسخة، فسيكون الإنسان الذي ينالها إنساناً سعيداً، حتّى وإن تقدّمت به السنّ؛ ويمكن أن نقول إنّ من يقتنيها ويقتني البركات التي تحتويها يكون إنساناً كاملاً. وبعدُ فإنّني أعني بالتعليم ذلك التدريب الذي يُعطى للقدرات الطبيعيّة للفضيلة في الأطفال بواسطة العادات المناسبة ـ وعندما تُغرس اللذّة، الصداقة، الألم، والكره في الأرواح بشكل صحيح، الأرواح التي لا تكون قادرة على فهم طبيعتها حتى الآن، والتي

يجدونها بعد أن يبلغوا سنّ الرشد، فإنّهم سيكونون في تآلفٍ وتوافق معها. وهذا التآلف والتوافق للروح، مأخوذاً ككلّ، هو الفضيلة. لكنّ التدريب الخاصّ في ما يتعلّق باللذّة والألم، الذي يقودك دائماً لتكره الذيَ يجب أنْ تكرهه، وأن تحبّ الذي يجب أن تحبّه، من بداية الحياة إلى نهايتها، يمكن أن يتمّ فصله؛ وفي تصوّري، سيدعى هذا تعليماً بحقّ.

كلينياس: أعتقد، أيّها الغريب، أنّك محقّ تماماً في كلّ الذي قلته وتقوله بشأن التعليم.

الأثيني: إنّني مبتهج لسماع تحقيقك معي في ما أقول: إنّ فرع معرفة اللذّة والألم هو مبدأ التعليم حقاً، عندما يُنظَّم بجودة، لكنّه قد تعرّض للوهن والفساد غالباً في الحياة الإنسانيّة. والآلهة، وقد أخذتهم الشفقة على جنسنا من الكدح الذي خُلقِ كي يقاسيه، عيّنوا احتفالات مقدَّسة، بدَّل الرجال أثناءَها الراحة بالعمل الشاقّ. وبما أنّ الآلهة أعطوهم آلهة الشّعر والفنّ والغناء وأبوللو قائد آلهة الشعر والفنّ والغناء، وديونيسوس، فذلك كي يكونوا رفاقاً لهم في قصفهم المَرِحِ الصّاخبِ، ولكي يمكن لهذه الاحتفالات أن تنقذ من الانحلال والتفسُّخ الخلقيّ، ولكي يشارك الرجال في التغذية النفسيّة برفقة الآلهة. بودّي أن أعرف إذا ما كان القول العامّ هو قول حقيقي عن الطبيعة في رأينا أو ليس كذلك. لأنّ الرجال يقولون إنّ الفتيان من كلّ المخلوقات لا يمكنهم أن يكونوا هادئين لا في أجسامهم ولا في أصواتهم؛ إنّهم يريدون أن يتحركوا وأن يصرخوا عالياً على الدوام، يقفز بعضهم مَرِحاً، ويطفح باللهو واللعب والمرح والفرح في شيء ما، ويطلق بعضهم كلّ نوع من أنواع الصراخ. لكن بما أنّ الحيوانات ليس لديها تصوّر للنظام أو الفوضى في حركاتها، يعني، للتناغم أو التآلف والتناسق، كما تُسمَّى، لنا نحن الآلهة، الذين، كما نقول، قد تمَّ تعييننا كي نكون رفاقاً لكم في الرقص، وأعطينا

الإدراك اللّذيذ للتآلف والتناغم والتناسق، وهكذا فإنّهم سيحثّوننا للحياة وفيها، ونحن نتبعهم، شابكين الأيدي معاً في الرقص وفي الغناء. وهم يدعون هذه الأشياء مجموعات المغنّين أو الراقصين، وهذا الاصطلاح هو اصطلاح معبّر عن الابتهاج بشكل طبيعيّ. هل سنبدأ، إذن، بالاعتراف أنّ التعليم أُعطي بواسطة أبوللو بادىء ذي بدء، وبواسطة آلهات الفنّ والشعر والعلوم والغناء؟ فماذا تقول؟

كلينياس: إنّني أصادق على ما تقول.

الأثينيّ: ويكون اللاّمتعلم هو الذي لم يتمّ تدريبه في الجوقة الغنائيّة الراقصة، والمتعلّم هو الذي قد تمّ تدريبه جيّداً؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وتُشكّل الجوقة من جزأين اثنين، الرقص والغناء؟

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: إذن فإنّ المتعلّم جيّداً سيكون قادراً على أن يغني ويرقص جيّداً؟

كلينياس: أفترض أنّه سيفعل.

الأثيني: دعنا نرى، ماذا نقول نحن؟

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: إنّ الذي يرقص جيّداً أو يغني جيّداً، ألا يجب أن نضيف أنّه يغنّي ما يكون خيراً ويرقص ما يكون خيراً؟

كلينياس: دعنا نضيف ذلك.

الأثيني: سنفترض نحن أنّه يعرف الخير ليكون خيّراً، والسّيّىء ليكون سيّئاً، وأنّه يستخدمهما طبقاً لذلك. والآن من يكون أفضل تدريباً في الرقص وفي الموسيقى؟ أهو الذي يقدر على أن يحرّك جسمه ويستعمل صوته في ما يفهمه أنه الأسلوب الصحيح، لكنّه لا يمتلك بهجةً في الخير أو كرهاً للشرّ؟

أو الذي يكون محقّاً بشكل نادر في الإيماء والصوت وفي الفهم، لكنّه يكون محقّاً في إدراكه للّذة والألم ويرحب بالذي يكون خيراً، ويتضايق في ما يكون شرّاً.

كلينياس: هناك فرق كبير، أيّها الغريب، في نوعي التعليم الاثنين.

الأثيني: إذا عرفنا نحن الثلاثة ماذا يكون خيّراً في الغناء والرقص فإننا نعرف عندئذٍ بحق من الذي يكون متعلّماً ومَنْ يكون غير متعلّمٍ. لكنّنا إذا لم نعرف ذلك، فلن نعرف بالتأكيد أين تكمن الوقاية للتعليم وفيه، أو سواء إذا وجدت هذه الوقاية أم لم توجد.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: دعنا نتبع الرائحة كالكلاب، ونستمرّ في تعقّب جمال العدد، واللحن، والغناء، والرقص، وإذا هربت منّا كلها، فلا فائدة ترتجى في التحدّث بشأن التعليم الحقيقيّ، سواء إذا كان هذا التعليم للهيلينيين أو للبربر.

كلينياس: نعم.

الأثيني: والآن ماذا نعني بجمال الشكل، أو باللّحن الجميل؟ فهل عندما تكون الروح الشريفة غارقة في الاضطّرابات والمشاكل، وعندما تكون الروح الجبانة في حالة مشابهة، هل ستستخدمان الأعداد والإيماءَات عينها، أو تعطيان نطقاً للأصوات عينها؟

كلينياس: كيف تستطيعان ذلك، عندما يختلف لون وجهيهما بالتحديد؟

الأثيني: جيّد، يا صديقي، يمكن أن ألاحظ في انتقالي، على كلّ حال، أن هناك في الموسيقى أعداداً بكلّ تأكيد وهناك ألحاناً. وتختصّ الموسيقى بتآلف الأنغام والألحان، وهكذا يمكنك أن تتكلّم عن اللحن أو العدد أنّه يملك « لوناً جيّداً »، كما يفعل أسياد الجوقات الموسيقيّة. ومع أنّه ليس مسموحاً به، فيمكنك أن تتكّلم عن الألحان أو الأعداد للشجاع وللجبان برغم ذلك،

مادحاً أحدهما وذاماً الآخر. ولا تكن مملاً، بل دعنا نقول إنّ الأعداد والألحان التي تعبّر عن الفضيلة للروح والجسم، أو عن صور الفضيلة، دعنا نقول إنّها كلّها أشياء جيّدة بدون استثناء. أمّا تلك الأشياء التي تعبّر عن الرذيلة فإنّها أشياء عكس الخير.

كلينياس: إنّ اقتراحك هو اقتراح ممتاز، ودعنا نجيب أنّ هذه الأشياء تكون هكذا.

الأثيني: مرّة ثانية، هل نبتهج كلّنا بكلّ نوعٍ من أنواع الرقص بشكلٍ متساوٍ؟

كلينياس: إنّنا غير ذلك ببعيد.

الأثيني: ما الذي يضلّلنا إذن؟ أليست الأشياء الجميلة هي الشيء عينه لنا جميعاً، أو هل تكون هي جميلة في أنفسها، لكن ليس في رأينا عنها؟ لا أحد سيعترف أنّ تلك الأشكال من أشكال الرذيلة في الرقص تكون أكثر جمالاً من أشكال الفضيلة، أو أنّ هذا الشخص نفسه يبتهج في أشكال الرذيلة، ويبتهج الآخرون في تأمّل شخصيّةٍ أو صفة أخرى. وبرغم ذلك فإنّ أكثر الأشخاص يقولون إنّ الموسيقى تعطي اللذّة والمسرّة لأرواحنا. لكنّ هذا التعبير يكون تعبيراً تجديفيّاً ولا يُطاق؛ هناك حساب معقول أو مقبول ظاهريّاً عن التضليل على كلّ حال.

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: إنّ تكييف الفنّ يكون بحسب أخلاق الرجال، والحركات الجوقويّة هي تقليدات للأساليب. ويطوف الممثّلون على كلّ الأعمال والمصادفات المتنوّعة للحياة بتصوير خصائصها والتنكّر البيئيّ فيها؛ وهؤلاء الذين تلائمهم الكلمات أو الأغاني، أو الرقصات، إمّا بالطبيعة أو بالعادة أو بكليهما، لا يمكنهم إلاّ أن يشعروا باللذة فيها أو أن يصادقوا عليها، وهم يسمّونها أشياء جميلة. لكنّ أولئك الذين تكون طبائعهم، أو طرائقهم، أو عاداتهم غير ملائمةٍ لها، فلا يستطيعون أن يبتهجوا بها أو يستحسنونها، ويدعونها سافلة.

مرّة ثانية، هناك آخرون طبائعهم طبائع جيّدة وعاداتهم عادات خاطئة، أو آخرون عاداتهم عادات جيّدة وطبائعهم طبائع خاطئة، وهم يثنون على شيء واحد، لكنّهم يلتذّون ويُسرُّون بالآخر. وهُمْ يقولون إنّ كلّ هذه التقليدات هي تقليدات سارّة، لكنّها ليست تقليدات جيّدة وصالحة، ويستحون من الرقص والغناء بالأسلوب الأحطّ، في وجود أولئك الذين يعتقدون بأنّهم عقلاء، وبالطريقة التي ستبيّن أو تعيّن المصادقة المدروسة عليهما. وبرغم ذلك، فإنّ لديهم لذّةً سريّة فيها.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وهل يُسبِّبُ أيُّ أذىً لمحبّي الرقصات الآثمة والشرّيرة أو إلى محبّي الأغاني، أو هل يُفعل أيّ خير للمصادقين على النوع المضادّ من أنواع اللذّة؟

كلينياس: أعتقد أن هناك شيئاً مثل ذلك.

الأثيني: كلمة « أعتقد » ليست الكلمة التي يجب قولها، بل إنّني سأقول على الأصح « إنّني لمتأكّد ». إذ ألا يجب أن يكون لدى تلك الرقصات والأغاني التأثير عينه، تماماً مثلما يصطحب إنسان أو يعاشر أشخاصاً سيّئين، يحبّهم ويصادق على ما يفعلون بدل أن يكرههم. وإذا أدانهم فما ذلك إلا لعبٌ لأنَّ لديه شكّاً في شرّهم. وفي تلك الحالة، فإنّ مَنْ يفتنّ بلذّة هذه الرقصات والأغاني سيصبح بدون شكّ مثل أولئك الذين يأخذ اللذّة منهم، برغم أنّه يستحي أن يثني عليهم، وهذه النتيجة هي نتيجة مؤكّدة تماماً؛ وأيّ خير أعظم أو أيّ شرّ يستطيع أن يتحمّله مخلوق إنسانيّ أكثر من ذلك؟

كلينياس: لا أعرف أيّاً منها.

الأثيني: إذن ففي المدينة التي لديها قوانين جديدة، أو التي ستكون لديها في أزمان مستقبليّة، ونحن، حاملين في الفكر التعليم والتسلية اللذين تعطيهما الموسيقى، هل نستطيع الافتراض أنّ الشعراء يجب السماح لهم أن يعلّموا

في الرقص -أيّ شيء يحبّونه هم أنفسهم، بطريقة الإيقاع، أو اللحن، أو الكلمات؟ هل نستطيع السماح لهم بتعليمها للأطفال الفتيان الذين لآبائهم حالة روحيّة جيّدة؟ وهل ينبغي أن يدرّب الشاعر جوقته كما يسرّه بدون اهتمام بالفضيلة أو الرذيلة؟

كلينياس: إنَّ هذا الشيء غير معقولٍ تماماً، ولا يمكن اعتباره قطعاً.

الأثيني: ويمكنَ أن يفعل الشاعر هذا الشيء في أيّة دولة تقريباً ما عدا الدولة المصريّة.

كلينياس: وما هي القوانين بشأن الموسيقى والرقص في مصر؟

الأثيني: إنّك ستتعجّب عندما أخبرك عنها. يبدو أنّ المصريين أقرّوا المبدأ بالذات منذ زمنٍ بعيدٍ، ذلك المبدأ الذي نتكلّم عنه ـ وهو أنّ مواطنيهم الفتيان يجب أن يعوّدوا على أنماط وضروب الفضيلة. إنّهم حدّدوا هذه الأنماط والضروب، وعرضوا نماذجها في معابدهم، ولم يُسمح لأيّ رسام يدويّ ولا لأيِّ فنّان تمثيليّ أن يجدِّد فيها، أو أن يترك الأشكال التقليديّة ويخترع أشكال جديدة. وإلى هذه الأيّام بالتحديد، لا يُسمح بأيّ تغيير لا في هذه الفنون، ولا في الموسيقى على الإطلاق. وإنّك لتجد أنَّ أعمالهم الفنيّة ترسم باليد أو تُزيَّن بالنحت في الأشكال عينها التي كانتِ لديهم منذ عشرة آلاف سنة ـ إنّ ما أقوله هو قول حقيقيٌّ حرفيّاً ولا مبالغة فيه ـ إنّ رسمهم الذي رسموه باليد قديماً ليس أفضل أو أسوأ بمثقال ذرّة من عمل اليوم، بل إنّه صُنِع بالمهارة عينها.

كلينياس: كم هو غير عاديّ هذا العمل!

الأثيني: عليَّ أن أقول، كم هو شبيه بعمل رجل الدولة، كم هو جدير بالمشرِّع!. إنّني أعرف أنّ أشياء أخرى ليست هكذا جيّدة في مصر. لكن ما أقوله لك بشأن الموسيقى هو قول حقيقي ويستحقّ أخذه بعين الاعتبار، لأنّه يبيِّن أنَّ

المشرِّع يمكنه أن يوجد ألحاناً تمتلك حقيقة وصحّة طبيعيّة بدون أيّ خوف من الإخفاق. ولكي يتمّ عمل ذلك، على كلّ حال، يجب أن يكون هذا العمل عمل الله، أو عمل شخص إلهيّ. ففي مصر لديهم عرف وهو أنّ تراتيلهم وأناشيدهم القديمة التي حُفِظت لأزمان عديدة هي التأليف التي ألّفتها الإلهة إيسيس. ولهذا السبب، وكما قلت، إذا استطاع شخص أن يجد الألحان الطبيعيّة أبداً بأيّة طريقة، فيمكنه أن يجسّدها بكلّ ثقة بالنفس في شكل محدَّد وشرعيّ. إنّ حبّ الشيء الجديد أو غير المألوف الذي ينشأ من اللذّة في الجديد وفي القديم المملّ، لم تكن لديه القوّة الكافية لإفساد الأغنية والرقص المقدَّسين، بحجّة أنّهما أصبحا قديمين. على كلّ حال، فإنّهما بعيدان جدّاً عن كونهما مُفسَدَين في مصر.

كلينياس: يبدو أنّ محاورتك تبرهن على ما ترمي إليه.

الأثيني: ألا يمكننا أن نقول، وكلّنا ثقة بالنفس، إنّ استخدام الموسيقى الحقيقيّ واستخدام المهرجانات الكورسيّة هو كما يلي: إنّنا نفرح عندما نعتقد أنّنا ننجح، وثانية فإنّنا نعتقد أنّنا ننجح عندما نمرح؟

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: وعند حبورنا في حظّنا السعيد، فإنّنا نكون غير قادرين على أن نبقى هادئين؟

كلينياس: حقّاً.

الأثيني: إنّ رجالنا الفتيان يقطعون صمتهم في الرقص وفي الغناء، ونحن الأكبر منهم سنّاً، نعتبر أنّنا نملأ دورنا في الحياة عندما ننظر إليهم. وبما أنّنا فقدنا سرعة خاطرنا، فنحن نبتهج في لعبهم وفي عملهم السارّ، لأنّنا نحبّ أن نفكّر بأنفسنا السابقة وما كنّا عليه. ومن ثمّ نقيم مبارزات لأولئك الذين يقدرون على أنّ يوقظوا فينا تذكار فتوّتنا وشبابنا.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وهل هو شيء بدون معنى كليّةً أن نقول، كما يفعل عامة الناس بشأن الاحتفالات، أن نقول إنّه يجب أن يُعتبر الأعقل في الرجال، والظافر بسَعَف النخل، من يعطينا المقدار الأكبر من اللذّة والطرب؟ إذ في مناسبات كهذه، وعندما يكون الطرب النظام اليوميّ، ألا ينبغي أن يُكرَّم هو التكريم الأكثر، وكما قلت، أن يحمل سَعَف النخل، هذا السَّعَف الذي يهب الطرب الأكثر للعدد الأعظم من الناس؟ وبعدُ هل طريقة الكلام والعمل هذه هي الطريقة الحقيقية؟

كلينياس: من الممكن.

الأثيني: لكن، يا صديقي العزيز، دعنا نميّز بين الحالات المختلفة، ولا نستعجل إصدار الحكم. سيكون هناك طريقة واحدة من طرائق عديدة لأخذ السؤال بعين الاعتبار، وهو أن نتصوّر احتفالاً فيه كلّ نوع من أنواع التسلية، يشمل الألعاب الرياضيّة، الموسيقيّة، والمباريات الفروسيّة، المواطنون أخذوا أماكنهم، الجوائز قدِّمت لمستحقّيها، وأُصدِر البلاغ وهو أنّ أيّ شخص يحبّ أن يُدخل اسمه في القوائم يمكنه فعل ذلك، وأنّ من يعطي اللذّة الأكثر للمتفرجين سيحمل سَعَف النخل. يجب ألاّ يكون هناك ترتيب خاصّ بشأن أسلوب ذلك؛ بل إنّ الأكثر نجاحاً في توفير اللذّة يجب أن ينال لقب البطولة، وأن يُعتبر المرشّح الأفضل مرحاً ومسرّة. فماذا ستكون نتيجة تصريحٍ كهذا على الأرجح؟

كلينياس: بأيّة طريقة؟

الأثيني: ستكون هناك عروضات عديدة ومتنوّعة. سيعرض إنسان، كهوميروس، أثراً أدبيّاً زاخراً بالانفعال العاطفيّ، وسيعرض آخر حفلة موسيقيّة على العود، وسيعرض غيره عملاً مأساويّاً، وآخر عملاً ملهاويّاً. ولن يكون هناك أيّ

شيء مدهش في شخص ما إن استطاع كسب الجائزة بواسطة عرض مسرحيّةٍ للدمى. إفترض أنّ هؤلاء المتنافسين يتقابلون، وليس هؤلاء فقط، بل العديد الآخرون منهم كذلك. هل تستطيع أن تقول لي مَنْ يجب أن يكون المتنصر؟

كلينياس: إنّني لا أستطيع أن أرى كيف يمكن لأيّ شخص أن يجيبك على ذلك، أو أن يتظاهر بأنّه لا يعرف، إلاّ إذا سمع بأذنيه قول المتنافسين العديدين. إنّ السؤال لمضحك.

الأثيني: حسناً، إذن، إن لم يستطع أحد منكما أن يجيب، فهل سأجيب أنا على السؤال الذي تعتبره مضحكاً؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: لو كان مَن يقرّر الإجابة على هذا السؤال أطفالاً صغاراً جدّاً فإنّهم سيقرّرون لصالح مسرحيّة الدمى.

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: وسيدافع الأطفال الأكبر سنّاً عن الملهاة؛ أما النّساء المتعلّمات، الرجال الشباب، والناس بشكل عامّ فسيحبّذون المأساة.

كلينياس: محتمل جدّاً.

الأثيني: وأعتقد بأنّنا نحن الرجال المسنّين ستكون لدينا اللذّة الأعظم في سماع الراوي المحترف للقصائد الملحميّة يسرد الالياذة والأوذيسة جيّداً، أو أن يروي قصيدة واحدة من القصائد الهيسيودية، وستعطى له الغلبة الساحقة. لكن، من سيكون المنتصر حقّاً؟ ذلك هو السؤال.

كلينياس: نعم.

الأثيني: بوضوح يجب أن تعلن أنت وأعلن أنا أنَّ أولئك الذين نحكم، نحن الرجال المسنّين بفوزهم، سيكونون هم المنتصرين، لأنّ طرائقنا أفضل ببعد كبير من تلك الطرائق الموجودة في العالم في الوقت الحاضر.

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: إلى هذا الحدّ ينبغي عليَّ أن أتّفق مع الكثرة، وهو أنّ امتياز الموسيقى يجب أن يُقاس باللذّة، لكنّ اللذّة يجب أن لا تكون لأشخاص تصادفيّن. إنّ أجمل الموسيقى هي تلك الموسيقى التي تبهج الإنسان الواحد المتفوّق في العلم والفضيلة. ولهذا السبب فإنّ القضاة يجب أن يكونوا رجالاً ذوي أخلاق، لأنّهم سيحتاجون إلى الحكمة ولا يزالون بحاجة إلى شجاعة أعظم، ينبغي على القاضي الحقّ أنّ لا يسحب أفكاره الموحاة من مسرح الأحداث، ولا يجب أن يفقد رباطة جأشه بواسطة صخب الكثرة وعجزه الخاصّ. ولا، عندما يعرف الحقيقة، يلزمه أن يلفظ حكماً كاذباً بطيش من خلال الجبن وقلّة الرجولة، وذلك بالشفاه عينها تحديداً التي ناشد الآلهة بها تماماً قبل أن يقاضي. إنّه لا يكون جالساً حيث هو كتابع للمسرح، بل كمعلّم في موقعه الخاصّ، ويجب عليه أن يكون عدوّاً لكلّ سمسرة فحشٍ تؤدّي إلى مسرّة المتفرجين. إنّ العادة القديمة العامّة لهيلاس كانت عكس العادة السائدة الآن في إيطاليا وصقلية، حيث الحكم متروك لجماعة المتفرّجين، الذين يقرّرون مَنْ المنتصر برفع الأيدي. لكن هذه العادة قد أدَّت إلى دمار الشعراء أنفسهم؛ لأنّهم تعوّدوا أن يؤلّفوا أشعارهم كي يشبعوا الميل السّيّىء لقضاتهم، وتكون النتيجة أن المتفرّجين يعلّمون أنفسهم. وقد كانت هذه العادة خراب المسرح أيضاً. كان يجب عليهم أن يكون بحوزتهم أشخاص وُضعوا أمامهم أفضل من ذواتهم، وهكذا يتلقّون لذّة أسمى. لكن بما أنّهم هم القيّمون على ما يفعلون فعكس النتيجة يلي. أيّ استنتاج ينبغي استخلاصه من كلّ هذا؟ هل سأخبرك عنه؟

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: إنّ الاستنتاج الذي توصّلنا إليه للمرّة الثالثة أو الرابعة هو هذا: التعليم هو

إجبار وإرشاد الشباب نحو ذلك العقل الحقّ، الذي يؤكّده القانون، والذي وافق عليه أكبر الرجال سنّاً وأفضلهم، على أنّه عقل صحيح حقّاً. إذن، ولكي لا يمكن لروح الطفل أن تُعَوَّدَ على أن تشعر بالمرح أو بالأسى بأسلوب مختلف عن الذي يقرّه القانون، ومخالفٍ لأولئك الذين يطيعون القانون، بل يمكنهم بالأحرى أن يتبعوه ويبتهجوا ويحزنوا للأشياء عينها كما يفعل الكبار في السنّ ـ لذلك أقول، لكي تحصل على هذا التأثير، يبدو أنّ الترانيم قد تمَّ اختراعها، وهي ترانيم تسحر حقّاً، ولقد صمّمت لتغرس ذلك الإيقاع الذي تكلّمنا عنه. ولأنّ عقل الطفل غير قادر على التدريب الجدّي أو الخطير، فإنّ هذه الترانيم سمّيت ألعاباً وأغاني، وشُكّلت في تمثيليّة، تماماً كما عندما يكون الرجال مرضى ومعتلّي الأجسام، فإنّ الساهرين على صحّتهم يعطونهم حمية نافعة للصحّة بشكل لحوم وشراب سارّ ولذيذ، لكنّهم يقدمون لهم حمية غير نافعة للصحّة من الأشياء السيّئة، وذلك كي يمكنهم أن يتعلّموا ما يجب بشأنها، ولكي يحبّوا أحدها، ويكرهوا الآخر. وبشكل مماثل فإنّ المشرّع الحقيقيّ سيُقنع الآخرين، وإن لم يتيسّر إقناعهم، سيجبر الشاعر على أن يعبّر، وكما يجب، بالكلمات النبيلة والجميلة، أن يعبّر عن الشخصيات في أوزانه الشعريّة، وعن الموسيقى في ألحانِه، الموسيقى التي تخصّ الرجال المعتدلين والأشاوس وفي كل طريقة.

كلينياس: لكن هل تتصوّر بحقّ، أيّها الغريب، أنّ هذه الطريقة هي الطريقة التي يؤلّف الشعراء فيها قصائدهم هذه الأيّام الحاضرة بشكل عامّ؟ بقدر ما أستطيع أن أراقب فليس هناك تنظيمات كتلك التي تتكلّم عنها، ما عدا تنظيماتنا وتنظيمات اللاقيدايمونيين. أمّا في الأماكن الأخرى فإنّهم يدخلون الأشياء غير المألوفة في الرقص وفي الموسيقى على الدّوام، لكنّهم لا يدخلونها تحت أيّة سلطة للقانون بشكل عامّ، بل لإثارة الملذّات التي لا يحكمها

القانون. وهذه الملذّات أبعد ما تكون عن التوازن والخضوع لقواعد ومبادىء، مثلما تكون تلك الملذات التي للمصريّين حسب تقديرك، والتي ليس لديها استقامة وثبات.

الأثيني: إنّ ما تقوله هو القول الأكثر حقيقة، يا كلينياس، وإنّي أجرؤ على القول بأنّني قد أكون عبّرت عمّا يعتلج في نفسي بشكل مبهم. وهكذا قدتك لتتصور بأنّني تكلّمت عن حالة ما للأشياء حقيقيّة وموجودة، في حين انني قلت فقط ما هي التنظيمات التي سأحبّ أن تكون لديَّ بخصوص الموسيقى؛ ومن ثمَّ فقد حصل سوء فهم لِمَا قصدته من جانبك. إنّ الشرور عندما تذهب بعيداً في غيّها وتصبح داءً عضالاً، فإنّ العمل الشاقّ لإدانتها لا يكون عملاً سارّاً على الإطلاق، وبرغم ذلك فإنّه لعمل ضروريّ في بعض الحالات. لكن بما أنّنا لا نختلف في ما نصبو إليه في الحقيقة، فهل ستدعني أسألك إذا كنت تعتبر أنّ مؤسّساتٍ كهذه سائدةٌ أكثر بين الكريتيين واللاقيدايمونيين ممّا هي سائدة بين الهيلينيين الآخرين؟

كلينياس: إنّها لكذلك بكلّ تأكيد.

الأثيني: وإذا كانت هذه المؤسسات القانونية لتمتد إلى الهيلينيين الآخرين، فهل ستحدث تحسّناً على الحالة الحاضرة للأشياء؟

كلينياس: إنّها ستُحدِث تحسّناً كبيراً جدّاً، إذا كانت العادات التي تسود بينهم كتلك العادات التي تسود بيننا وبين اللاقيدايمونيين، والتي يجب لها أن تسود، كما قلت لتوّك الآن.

الأثيني: دعنا نرى إذا ما كان يفهم أحدنا الآخر ـ أليست مبادىء وقواعد التعليم والموسيقى التي تنتشر بينكم هي كالتالي: أنتم تجبرون شعراءَكم ليقولوا إنّ الإنسان الخيِّر هو إنسان محظوظ وسعيد، إذا كان معتدلاً وعادلاً، وهذا يكون شيئاً حقيقياً سواء إذا كان هو كبيراً وقوي الجسم أو صغيره وهزيله،

وسواء إذا كان غنيّاً أو فقيراً. وعلى الجانب الآخر، فإنّه إذا كان لديه غنىً مفرط كالذي لدى سينيراس وميداس، وكان غير عادلٍ، فإنّه لبائسٌ وحقيرٌ ويعيش في تعاسة دائمة؟ وكما يقول الشاعر صادقاً: « أنا لا أغنّي، أنا لا أهتمّ به »، الذي ينجز كلّ ما هو نبيل، إذا لم يكن العدل تاج ما يعمل دع الذي « يقترب ويمدّ كلا يديه ضدّ أعدائه »، دعه يكون إنساناً عادلاً. لكن إذا كان ظالماً، فإنّني لن أسمح له « أن ينظر بهدوء فوق الموت الملطّخ بالدم »، ولا أن يتخطّى بسرعة « البورياس التراقي »[٢]، ولا تدعه يمتلك أيّ شيء صالح. إنّ الخَيرات التي تتكلّم عنها الكثرة من الناس ليست خيرات حقّاً: الأولى في القائمة الصحّة، الثانية الجمال، الثالثة الثروة، وتأتي بعدئذ الأشياء الأخرى التي لا يحويها حصر. كمثال، كي يكون لديك عينان حادّتا البصر، أو أذنان سريعتا السمع، وبشكلٍ عامّ كي تمتلك كلّ الحواسّ كاملة؛ أو ثانية، لتكون طاغية مستبدّاً ولتفعل كما يحلو لك. وما السّعادة واكتمالها النهائيّ إلاّ أن تنال كلّ شيء، وعند كسبك لها تصبح خالداً حالاً. لكن أنت وأنا نقول، إنّه في حين تكون كلّ هذه الأشياء أفضل المقتنيات للعادل والتقيّ، فإنّها تكون كلّها الشرور الأعظم للظالم، بما في ذلك الثروة، إذ، في الحقيقة، ليكون لك بصر، وسمع، واستخدام لكلّ الحواس، أو لكي تحيا بدون العدل والفضيلة على الإطلاق، حتّى وإن كان رجلاً غنيّاً في كل ما يُسمّى بخيرات الحظّ، فما ذلك إلاّ الشرور الأعظم، إذا كانت الحياة أزليّة. لكنّها لن تكون هكذا عظيمة، إذا ما عاش الرجل الشرّير لفترة زمنيّة قصيرة جداً. هذه هي الحقائق التي ستتبعها، إذا لم أكن مخطئاً، أو تُجبر شعراءكم على النطق بها بصحبة الإيقاع والوزن الشعريّ المناسب، وفي هذه الجمالات يجب عليهم أن يدرّبوا شبابكم وفتيانكم. ألستُ محقّاً في ما أقول؟ إنّني أعلن بكلّ وضوح وصراحة أنّ الشرور، كما

تُسمَّى، ما هي إلاّ خيرات للظالم، وما هي سوى شرور للعادل فقط، وتلك الخيرات هي خيرات للخيِّر بحق، لكنها شرور للشرير. دعني أسأل ثانية، هل نتّفق أنت وأنا بشأن هذا القول؟

كلينياس: أعتقد بأنّنا نتّفق بشكل جزئي، ونتعارض بشكل جزئيّ أيضاً.

الأثيني: عندما يكون لدى إنسانٍ صحّةٌ وثروة وحكم استبداديٌّ دائماً، وعندما يكون هو متفوّقاً في القوّة الجسديّة والشجاعة، ولديه هبة الخلود، وليس لديه أيٌّ من الأشياء المسمّاة شروراً والتي توازن هذه الخيرات، بل يمتلك فقط الظلم والغطرسة في طبيعته الخاصّة ـ أشتبه بأنّك لن تكون مستعداً للاعتقاد بأنّ شخصاً كهذا يكون شقيّاً بدلاً من أن يكون سعيداً.

كلينياس: إنّه هذا لحقيقيّ تماماً.

الأثيني: ثانية، إفترض أنّ هذا الإنسان يكون باسلاً قويّ الجسد وجميله وغنيّاً، ويفعل طوال حياته الخاصّة كلّ ما يحب، يبقى، أنّه إذا كان آثماً ومتغطرساً، أفلن يتّفق كلٌّ منكما على أنّه بالضرورة، سيحيا بحقارة؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: ويعيش هو حياة شريرة أيضاً؟

كلينياس: إنّني لا أميل لمنحك ذلك.

الأثيني: ألَنْ يعيش هو بألم وضدّ منفعته الخاصّة؟

كلينياس: كيف يمكنني أن أقول ذلك؟

الأثيني: كيف! إذن هل يمكن للسماء أن تجعلنا بعقلٍ مفكّر واحد، لأنّنا الآن بعقلين اثنين؟ إنّ حقيقة ما أقوله، يا عزيزي كلينياس، واضحة لي وسهلة مثل حقيقة وجود كريت جزيرةً في البحر. وإذا كنت مشرّعاً فإنّني سأجعل الشعراء وكلّ المواطنين يتكلّمون في هذا الأسلوب؛ وسأُنزل أشدّ العقوبات على أيّ شخص في الأرض كلّها سيجرؤ على القول بأنّ هناك رجالاً أشراراً

يحيون حيوات سارّة، أو الذي يقول إنّ النافع والرابح يكون شيئاً، وإنّ العادل يكون شيئاً آخر. وهناك قضايا متعدّدة أخرى يجب عليَّ أن أجعل الكريتيين واللاقيدايمونيين يتكلّمون بشأنها في نمط مختلف في هذا الزمن، ويمكنني أن أقول حقّاً، في هذا العالم بشكل عامّ. وأخبروني، يا أصدقائي الأخيار، أخبروني بزيوس وأبوللو، إذا ما كنت لأسأل هذين الإلهين أنفسهما من كان مشرّعو قوانينكم، ـ أليست الحياة الأكثر عدلاً هي الحياة الأكثر مسرّةً أيضاً؟ أو هل هناك حياتان، إحداهما هي الحياة الأعدل والأخرى هي الحياة الأسرّ؟ ـ وأجاباني بأن هناك حياتين. وعليه فإنّني أواصل السؤال، « وستكون هذه الطريقة الطريقة الصحيحة لمتابعة التحقيق »، أيُّهم يكون الأسعد: أأولئك الذين يعيشون الحياة الأعدل، أم أولئك الذين يحيون الحياة الأسرّ؟ ـ إنّ ذلك الجواب سيكون جواباً غريباً جدّاً، والذي لا أحبّ أن أضعه في فم الآلهة. إنّ الكلمات ستأتي بشكل أكثر تناسباً من شفاه المشرّعين والآباء، ولهذا السبب فإنّني سأكرّر أسئلتي السابقة وأسأل أحدهم، وأفترضه يقول ثانية إنّ الذي يعيش الحياة الأسرّ هو الإنسان الأسعد، وسأردّ على ذلك قائلاً: ـ أوه يا أبي، ألم ترغبني أن أحيا حياة سعيدة قدر الإمكان؟ وبرغم ذلك فإنك لم تنقطع عن القول قطّ إنّه يجب عليَّ أن أحيا بعدل قدر الإمكان. وبعدُ، فإنّ الذي سنَّ القانون هنا، سواء إذا كان مشرّعاً أو أباً، سيكون في مأزق وسيسعى عبثاً كي يكون متساوياً مع نفسه. لكنّه إذا أعلن أنّ الحياة الأعدل هي الحياة الأسعد أيضاً، فإنّ كلّ مَنْ يسمعه سيتساءَل، إن لم أكن مخطئاً، ويقول: ما هو ذلك المبدأ النبيل وذاك الخيْر في الحياة اللذان يوافق القانون عليهما، واللذان يكونان أسمى من اللذة؟ إذ أيّ خير يستطيع الإنسان العادل أن يمتلكه ويكون منفصلاً عن اللذّة؟ هل سنقول إنّه المجد والشهرة، آتييْنِ من الآلهة ومن الرجال، وبرغم أنّهما جيّدين

ونبيلين، فهما غير سارّين برغم ذلك، لكنّهم سارّان بشكل شائن؟ سنجيب، لا بالتأكيد، يا أيّها المشرّع الحلو المذاق. أو هل سنقول إنّ الامتناع عن عمل الخطأ، وكون اضمحلال الفعل الخطأ، يكون شيئاً خيّراً وشريفاً، برغم أنّهما لا لذّة فيهما، وأنّ الفعل الخطأ يكون سارّاً، لكنّه شرٌّ وسفالة؟

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: إنّ الفكرة التي تعتبر أنّ السارّ والعادل والخيّر والنبيل لديها ميلٌ دينيٌّ وأخلاقيّ ممتاز. وأمّا الفكرة المضادّة فهي الفكرة الأكثر خلافاً ومفارقة مع ترتيبات المشرّع، وتكون غير شهيرة في رأيه؛ إذ لا أحد، إذا ما استطاع، سيتمّ إقناعه بفعل ذلك الذي يسبّب له ألماً أكثر ممّا يمنحه لذّة. لكن بما أنّ التوقّعات المتباعدة تكون عرضة لجعلنا مشوّشي الذهن، خاصّة في سنّ الطفولة، فإنّ المشرّع سيحاول إزالة الظلمة وعرض الحقيقة. إنّه سيقنع المواطنين، بطريقة ما أو بأخرى، سيقنعهم بالعادات والثناءات والكلمات بإنّ العادل والظالم هما خادعان وواهمان، مَثَلهما في ذلك مثل التصوير اليدوي. وسيقنعهم أنّ الظلم، الذي يبدو أنّه مضادّ للعادل، عندما يفكّر فيه مليّاً الرجل الظالم والسيّيء يبدو ساراً، ويبدو العادل أكثر مقتاً. لكنّ هذا القول يكون العكس تماماً لمظهريهما من وجهة نظر الإنسان العادل.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وأيّهما يمكن افتراضه أنّه الأصدق حكماً، الرجل الذي يمتلك الروح الأسفل والأدنى، أو الإنسان الذي يمتلك الروح الأفضل؟

كلينياس: بالتأكيد، إنّه الإنسان الذي يمتلك الروح الأفضل.

الأثيني: إذن فإنّ الحياة الظالمة لا ينبغي أن تكون أكثر سفالة وانحطاطاً وفساداً فقط، بل يجب أن تكون في الحقيقة أكثر كراهيّة من الحياة العادلة والتقيّة.

كلينياس: يبدو أنّ ما قلته يدلّ ضمناً على المحاورة الحاضرة.

الأثيني: ولنفترض حتّى أنّ ما قلته كان قولاً مختلفاً، وليس كما برهنت المحاورة. يبقى أنّ المشرِّع الذي يستحقّ أيّ شيء ذي قيمة، إذا جازف أن يقول كذبة للشباب أبداً وذلك من أجل خيرهم، فلا يمكنه أن يخترع كذبة بيضاء أكثر نفعاً من هذه، أو كذبة أخرى سيكون لديها تأثير أفضل في جعلهم يفعلون ما يكون صحيحاً وحقّاً، ليس بالإكراه بل طوعاً واختياراً.

كلينياس: إنّ الحقيقة شيء نبيل وأزليّ، أيّها الغريب، لكنّ درسك الذي أعطيته هو واحد من الدورس التي سيقتنع بها الرجال بصعوبة، « وهو أنّ حياة الظالم هي حياة كريهة ».

الأثيني: ومع ذلك فإنّ قصّة قدموس الصيدوني، التي ليست قصّة بعيدة الاحتمال، قد صدّقها الناس بسرعة، وكذلك صدّقوا القصص العديدة الأخرى.

كلينياس: ما هي القصّة؟

الأثيني: إنّها قصّة الرجال المسلّحين الذين انبثقوا من زرع الأسنان أرضاً، والتي يمكن للمشرِّع أن يأخذها كبرهان على أنّه يستطيع أن يقنع عقول الشباب بأيّ شيء. وهكذا فإنّ المشرِّع عليه أن يتأمّل مليّاً وأن يكتشف فقط أيّ اعتقاد سيكون الاعتقاد الأكبر لمنفعة العموم، وعليه بعدئذ أن يستخدم كلّ عزيمته كي يجعل الجماعة تتلفّظ بالكلمة الواحدة عينها في أغانيها وقصصها ومحادثاتها مهما امتدّت بأفرادها الحياة. لكن إذا كنت لا تتّفق معي في ما أقول؛ فليس هناك أي سبب لنتجادل من أجله مع الجانب الآخر.

كلينياس: إنّني لا أرى أنَّ أيّة محاورة يمكن أن يجريها كلٌّ منا بعكس ما تقوله أنت الآن.

الأثيني: إنّ الاقتراح التالي الذي عليَّ أن أقدمه لك، هو أنَّ جوقاتنا الموسيقية الثلاث كلّها ستغنّي للشباب ولأرواح الأطفال المرهفة، مُسمعةً في كل ألحانها وأغانيها الأفكار النبيلة التي تكلّمنا عنها سابقاً، أو التي على وشك

أن نتكلّم عنها؛ وستكون خلاصتها، أنّ الحياة التي يعتبرها الآلهة الحياة الأسعد هي الحياة الأفضل أيضاً. وهكذا فإنّنا كلينا سنؤكّد ما هو الأكثر حقيقة بدون ريب، وستكون عقول شبابنا الرفاق أكثر احتمالاً في تلقي كلماتنا هذه من تلقّيها أيّة كلمات أخرى يمكن أن نوجهها لهم.

كلينياس: إنّني أصادق على ما تقول.

الأثيني: سندخل في نظامهم الطبيعيّ بادىء ذي بدء، سندخل جوقة المنشدين لآلهات الشعر والفنّ والعلوم والغناء، مؤلّفة من الأطفال الذين سيغنّون التعليم السماوي الموضوع للمدينة كلّها على نحو مفعم بالحيوية. ستلي بعد ذلك جوقة المنشدين المؤلّفة من الرجال الشباب تحت سنّ الثلاثين، الذين سيناشدون الله باين «Paean» كي يشهد على حقيقة كلماتهم. وسيصلّون إليه ليكون رؤوفاً بالشباب وأن يغيّر ما في قلوبهم. ثالثاً، إنّ جوقة الرجال المسنّين، الذين تبدأ أعمارهم من سنّ الثلاثين إلى سنّ الستّين، سيغنّون أيضاً. يبقى أولئك المسنّون الذين ليس بمقدروهم الغناء، لكنّهم سوف يروون القصص، موضحين الفضائل عينها، كما تصدر بصوت وسيط الوحي.

كلينياس: من هم الذين سيؤلفون الجوقة الثالثة، أيّها الغريب؟ لأنّني لا أفهم بشكل واضح ماذا تعني لتقول بشأنهم.

الأثيني: ومع ذلك فإنّ كلّ الذي قد قلته قيل من أجلهم.

كلينياس: هل ستحاول أن تكون أوضح قليلاً؟

الأثيني: إنّني تكلّمت عند ابتداء حديثي، كما ستتذكّر، تكلّمت عن الطبيعة المتّقدة للمخلوقات الشابّة. قلت حينها إنّهم ليسوا بقادرين على أن يبقوا هادئين لا في العضو ولا في الصوت، وإنّهم يصرخون ويقفزون هنا وهناك بأسلوب غير نظاميّ؛ وليس باستطاعة أيّ حيوان آخر الوصول إلى فهم النظام في هذين الشيئين الاثنين، لكنّ الإنسان وحده استطاع فعل ذلك. وبعدُ فإنّ

نظام الحركة يُسمَّى إيقاعاً، ويُدعى النظام الصوتيّ الذي يمتزج فيه الصوت العالي والخفيض كما ينبغي، يدعى تناغماً أو تآلف ألحان، ويدعى كلاهما معاً أغنية كورسيَّة. وقلت إنّ الآلهة كانت لديهم شفقة علينا، وأعطونا أبوللو وآلهات الشعر والعلوم والفنّ والغناء، كي يكونوا رفاقاً لنا في اللّعب وقادة في الرقص، وكان ديونيسوس الثالث، كما أجرؤ على القول، وأنت ستتذكّر ذلك.

كلينياس: إنّني أتذكّر تماماً.

الأثيني: تكلّمت إلى هذا الحدّ عن جوقة أبوللو الموسيقية وعن آلهات الشعر والعلوم والفنون والغناء، وتكلّمت عن الجوقة الموسيقيَّة الثالثة الباقية التي يجب أن تُسمّى باسم ديونيوس.

كلينياس: كيف يكون ذلك؟ هناك شيء غريب ما، عند السماع الأوّل لها على كلّ حال، في كورس ديونيسوس، ذي الرجال المسنّين، إذا عنيت أنّ أولئك الذين يكونون فوق سنّ الثلاثين، ويمكن أن يكونوا في سنّ الخمسين، أو أنّهم في سنّ الخمسين حتّى سنّ الستّين، إذا عنيت أن يرقصوا في حفلة تكريميَّة.

الأثيني: حقيقيّ جدّاً، ولهذا السبب يجب أن نبيِّن أنّ هناك سبباً جوهريّاً للاقتراح.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: هل اتفقنا إلى هذا الحدّ؟

كلينياس: بشأن ماذا؟

الأثيني: إنّ كلّ كبير وصغير، كلّ عبد وحر، من كلا الجنسين، ومن المدينة كلّها، يجب أن لا ينقطعوا عن افتتان أنفسهم بالألحان والأغاني التي تكلّمنا عنها. وينبغي أن يكون كلّ نوع من أنواع التغيير والتنويع لها كي يُزال تأثير الشيء عينه. هكذا كي يمكن للمغنين دائماً أن يتلقّوا اللذّة منَ تراتيلها، ولكي يمكنهم أن لا يسأموا منها أبداً.

كلينياس: سيوافق كلّ شخص على ما تقول.

الأثيني: أين سيكون إذن لدى ذلك الجزء الأفضل من مدينتنا، بسبب كِبَر السنّ والعقل والفهم، أين سيكون لديه التأثير الأعظم، وسينشد ويغني هذه الأغاني والأناشيد الأجمل بهكذا طريقة كتلك الطريقة التي ستؤدّي الخير الأعظم؟ هل سنكون هكذا أغبياء كي نهمل هذا التنظيم الذي يمكنه أن يؤثر تأثيراً حاسماً وقاطعاً في جعل الأغاني الأغاني الأكثر جمالاً ونفعاً؟

كلينياس: لكنّنا لا نقدر أن نهملها، هكذا تقول المحاضرة.

الأثيني: كيف يمكننا إذن أن ننفذ قصدنا بلباقة وحسن ذوق؟ هل ستكون هذه الطريقة هي الطريقة الّتي سننفّذه بواسطتها؟

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: عندما يتقدّم الإنسان في السنّ، فإنّه يخاف ويمانع في أن يغنيّ ـ ولا تكون لديه لذّة في إدانة الشيء الخاص به. وإذا ما استُعمِل الإكراهُ ضدّه، فإنّه سيستحي أكثر وأكثر، وسيزداد أكثر كبراً في السنّ وأكثر حكمةً وعقلاً، أليس هذا صحيحاً؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: حسناً، أولن يستحي هو مع ذلك وبشكل أكثر إذا ما وجب عليه أن يقف ويغنّي على المسرح للمتفرجين من كلا الجنسين؟ وبالإضافة إلى هذا عندما يُطلب منه أن يفعل هذا، مثلما يفعل المنشدون في الجوقات الموسيقيّة الذين يكافحون لنيل الجوائز، والذين قد تمّ تدريبهم على يدي سيّد في الغناء، أقول، عندما يُطلب منه أن يفعل هذا، فإنّه سيصبح عاجزاً وجائعاً. عند هذا، فإنّ شعور الخجل والإزعاج سيسيطر عليه بكلّ تأكيد، والذي سيجعله غير مستعدٌ جدّاً كي يؤدّي هذا العمل.

كلينياس: بدون شكّ.

الأثيني: كيف سنعيد الطمأنينة إليه إذن، ونجعله يغنّي؟ هل سنبدأ بسنّ قانون يقضي بأنّ الأولاد لن يتذوّقوا النبيذ على الإطلاق إلى أن يبلغوا سنّ الثامنة عشرة؟ إنّنا سنخبرهم أنّ النار يجب أن لا تُصبَّ فوق النار، سواء إذا كانت هذه النار في الجسد أو في الروح، وبذلك حتّى يحين ذهابهم إلى العمل ـ هذه هي الحيطة والوقاية التي ينبغي أخذها ضدّ الشباب السريعي الاهتياج. يمكنهم أن يتذوقّوا النبيذ بعد ذلك باعتدال حتّى بلوغهم سنّ الثلاثين. لكن حين يكون الإنسان فتيّاً يجب عليه أن يمتنع كليّاً عن السّكر والثَّمَل وعن شرب النبيذ بإفراط، وعندما يصل إلى سنّ الأربعين أخيراً، وبعد أن يكون قد تناول الغداء في وليمة مشتركة، يمكنه أن لا يطلب حضور الآلهة الأخرى فقط، بل أن يطلب حضور ديونيسوس فوق الكلّ. يمكنه أن يطلب حضورهم إلى الطقس الدينيّ السرّيّ وإلى الاحتفال الذي يقيمه الرجال المتقدّمون في السنّ، مستخدماً حينها النبيذ الذي أُعطي للرجال كي يخفّف عنهم نَكَد كبر السنّ. وهكذا فنحن يمكننا أن نجدّد شبابنا في هذه المرحلة من مراحل عمرنا، وأن ننسى أحزاننا، ولكي يمكن لطبيعة الروح أن تصبح مثل الحديث المذوّب في النار، كي يمكنها أن تصبح ألطف وأن يخفّف عنها كبر السنّ ضغطه، في المقام الأوّل، ألن يكون أيُّ شخصٍ ليِّنِ العريكة ولطيفٍ، ألن يكون أكثرَ استعداداً وأقلَّ خجلاً في أن يغني؟ إنّني لا أقول بأنّه سيغني أمام جمهور ضخم، بل أمام جماعة معتدلة الحضور عدداً. لا وليس بين الأغراب مع ذلك، بل بين عشرائه ورفاقه، وكما قلنا غالباً، ليُرتّل وينشد، ويسحر ويفتن الألباب.

كلينياس: إنّه سيكون أكثر استعداداً كي يقوم بذلك ببعد كبير.

الأثيني: لن تكون هناك أيّة لامناسبة في استخدامنا طريقة كهذه لإقناعهم كي ينضمّوا لنا في الغناء.

كلينياس: لا على الإطلاق.

الأثيني: وأيّة أغنية سيغنون وأيّ لحنٍ سيلحنون. وبأيّة ترتيلة سيسبحون آلهات الشعر والعلوم والفن والغناء؟ إنّ الموسيقى يجب أن تكون ذات نوع جيّد مناسب لهم.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وأيّة أغنية وأيّ لحن يكون ملائماً للأبطال؟ هل سيغنّون هم أغنيّة ويلحّنون لحناً كورسيّاً؟

كلينياس: بحقّ، أيّها الغريب، فنحن الكريتيّون واللاقيدايمونيّون لا نعرف أغنية أخرى ولا لحناً آخر غير ذلك الذي تعلّمناه وآعتدنا على غنائه في جوقتنا الموسيقيّة.

الأثيني: أجرؤ أن أقول، أنتم لم تكتسبوا معرفة نوع الأغنية الأكثر جمالاً في طريقة حياتكم العسكريّة التي صُمّمت على غرار حياة المعسكرات، وليست شبيهة بحياة الذين قطنوا المدن، وأنتم لديكم رجالكم الشبّان يأتلفون ويأكلون معاً كما يفعل الفتيان الأغرار العديمي الخبرة. لا أحد منكم سيأخذ الفتى الغرّ هذا بعيداً عن أترابه ضدّ إرادته، سيسحبه هائجاً ومزبداً، ويهبه فرصة كي يعدّ نفسه ليحضر وحيداً، وأن يسكنه ويسترضيه ويدلّك جسده، ويرى أن لا شيء يفتقر إليه في تعليمه الذي لن يخلق منه جنديّاً صالحاً فقط، بل حاكماً للدولة وللمدن أيضاً. إنّ شخصاً كهذا، كما قلنا في البدء، سيكون مقاتلاً أعظم من المقاتل الذي يغنّي له تيرتايوس؛ وهو سيمجّد الشجاعة في كلّ مكان، لكنّه سيمجّدها كرابعة في مقياس الفضائل، وليس على أساس أنها الجزء الأوّل من أجزائها، إمّا في الأفراد أو في المدن.

كلينياس: يبدو أنّك تنقص من قدر مشرّعي قوانيننا بطريقة أو بأخرى مرّة ثانية، أيّها الغريب.

الأثيني: لا أفعل ذلك عن قصد، إذا ما فعلته على الإطلاق، يا صديقي الصالح. لكن دعنا نتبع إلى هناك، إلى حيث تقودنا المحاورة. إذ لو كان هناك لحنٌ ما لأغنية أكثر جمالاً من ذلك الذي تعدّه الجوقات الموسيقية والمسارح العامّة حقّاً، فإنّي لأحبّ أن أنقله إليك وأُفصح لك عنه، وكذلك لأولئك الذين يخجلون من هذه الألحان التي لديهم، كما قلت قبلاً، والذين يريدون أن يمتلكوا الأفضل منها.

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: عندما تمتلك الأشياء سحراً ملازماً لها، إمّا أن يكون هذا السحر بالتحديد الشيء الأفضل فيها، أو أنّها توجد سلامة أو فائدة ما مقتناة فيها. كمثال، عليّ أن أقول إنّ الأكل والشرب واستخدام الغذاء بشكل عامّ، كلّ هذا يمتلك سحراً ملازماً له نسمّيه لذّة. لكنّ هذه السلامة وهذه المنفعة هي صحّة الأشياء المقدّمة لنا تماماً، والتي هي سلامتها الحقيقية.

كلينياس: هكذا تماماً.

الأثيني: وهكذا، عليّ أن أقول أيضاً إنّ المعلّم لديه سحر ملازم له هو اللذّة، لكنّ السالم والنافع، الصالح والنبيل، هذه الصفات هي النوعيّات التي تعطيها إيّاها الحقيقة.

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: وهكذا في الفنون التقليديّة، إذا نجح العاملون بها في خلق المشابهات، وكانت هذه متلازمة باللذّة، أفلا يمكن أن يقال عن أعمالهم إنّها تمتلك سحراً؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: لكنّ التناسبات التامّة، سواء إذا كانت للنوعيّة أو للكمّية، وليس اللذّة، فإن هذه التناسبات سوف تهب مالكيها الحقيقة أو السلامة، متكلّمين بشكل عامّ.

كلينياس: أجل.

الأثيني: إذن فإنّ تلك الأشياء يمكن الحكم عليها فقط وبحقّ بواسطة مقياس اللذّة، الذي لا يخلق أو يُمدُّ منفعة أو حقيقة أو شَبَهاً. ولا يسبّب أيّة نوعيّة ضارّة على الجانب الآخر، بل هناك كليّة لأجل السحر الملازم له. ويكون الاصطلاح « اللذّة » منطبقاً عليه بالشكل الأكثر مناسبة عندما تكون هذه النوعيّات الأخرى غائبة.

كلينياس: إنّك تتكلّم عن اللذّة التي لا تؤذي، أليس كذلك؟

الأثيني: نعم، وإنّي أدعو هذه اللذّة تسلية، عندما لا تسبب الأذى ولا الخير في أيّة درجة تستحقّ الكلام عنها.

كلينياس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: إذن، إذا كانت هذه هي مبادئنا، فيجب علينا أن نتثبت مِن أنّ التقليد لا يتمّ الحكم عليه بواسطة اللذّة والرأي الزائف، وأنّ هذا يكون شيئاً حقيقياً بشأن المساواة كلّها، لأنّ المتساوي لا يكون متساوياً ولا المتناسق متناسقاً، لأنّ شخصاً ما يفكّر بشيء ما أو يحبّ شيئاً ما، بل سيتمّ الحكم عليها بواسطة مقياس الحقيقة، وليس بأيّ مقياس آخر أيّاً كان.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أولم نعتبر الموسيقى كلّها كأنّها تمثيليّة ومقلّدة؟

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: إذن، عندما يقول أيّ شخص إنّ الموسيقى ينبغي الحكم عليها باللذّة، فإنّ تعليمه لا يمكن السماح له بالبقاء. وإذا وُجدت أيّة موسيقى تكون اللذّة ميزانها، لا ينبغي البحث عن هكذا موسيقى أو اعتبارها مالكة أيّ امتياز حقيقيّ، بل البحث والاعتبار يجب إعطاؤهما لذلك النوع الآخر من الموسيقى التي تكون تقليداً للخير وتحمل شَبَهاً لأصلها.

كلينياس: حقيقيّ جدّاً.

الأثيني: وأولئك الذين يبحثون عن النوع الأفضل من أنواع الأغاني والموسيقى يلزمهم أن لا يبحثوا عن ذلك الذي يكون سارّاً، بل عن ذلك الذي يكون حقيقيّاً. وحقيقة التقليد، كما قلنا، تكمن في إرجاع الشيء المقلّد إلى الكمية والنوعيّة.

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: وسيعترف كلّ شخص أنّ التأليفات الموسيقية كلّها هي تقليد وتمثيل. أفلن يوافق كلّ الشعراء والمتفرجين والممثلين على هذا؟

كلينياس: إنّهم سيوافقون.

الأثيني: بالتأكيد إنّ مَنْ سيحكم بصحّة إذن يجب أن يعرف ما هو كلّ تأليف؛ إذ لو لم يعرف ما هي صفة ومعنى القطعة، وماذا تصوُّر في الحقيقة، فإنّه لن يميِّز أبداً إذا ما كان القصد قصداً صحيحاً أو خاطئاً.

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: والذي لا يعرف ما هو حقيقيّ، هل سيقدر أن يميِّز بين الذي يكون خيِّراً وشرّيراً؟ إنّ تعبيري ليس تعبيراً واضحاً، لكن لربّما ستفهمني بشكل أفضل إذا طرحت القضيّة بطريقة أخرى.

كلينياس: كيف؟

الأثيني: هناك عشرة آلاف نوع من المتشابهات التي ندركها بواسطة البصر؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: حتّى في حالتها، هل يقدر الذي لا يعرف ما هو الهدف الدقيق الذي يُقلَّد، هل يقدر أبداً أن يعرف إذا ما كان الشَبَه منفَّذاً بشكل صادق؟ أعني، كمثال، سواء إذا كان تمثالاً لديه التناسق والتناسب الجسديّ، ولديه الحالة الحقيقيّة للأجزاء، وكيف تتاطبق وتتداخل الأجزاء مع بعضها بعضاً في نظام

واجب الأداء، وتفعل كذلك ألوانها وبنياتها، أو سواء إذا كانت هذه كلّها مشوّشة الإنجاز، هل ترى، أنّ أيّ شخص يقدر أن يعرف بشأن هذا، الشخص الذي لا يعرف ما هو الحيوان الذي تمّ تقليده؟

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: لكن حتى إذا عرفنا أنّ الشيء المصوَّر أو المنحوت هو إنسان تلقّى على يدي الفنان كلّ أجزائه المناسبة وألوانه وأشكاله، هل سنعرف لهذا السبب حالاً، وضرورة، إذا ما كان العمل جميلاً أو مشوّه الجمال في أيّة ناحية من نواحيه؟

كلينياس: إذا كان هذا حقيقيّاً، أيّها الغريب، فما يجب علينا كلّنا تقريباً إلاّ أن نكون قضاة في الجمال.

الأثيني: حقيقيّ تماماً؛ أوّلا يمكننا القول إنّ الذي يجب أن يكون قاضياً كفؤاً في كلّ شيء مقلّد، سواء كان في الرسم، الموسيقى، أو في أيّ فنّ آخر، ألاَ ينبغي أن يقتني أشياء ثلاثة؟ يلزمه أن يعرف ما هو التقليد في المقام الأوّل، يلزمه ثانياً أن يعرف أنّ ذلك يكون تقليداً صادقاً، وثالثاً أنّه قد تمّ تنفيذه جيّداً بالكلمات والألحان والأوزان الشعريّة أو في الإيقاعات؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: لا تدعنا نهون إذن في بحث الصعوبات الخاصّة للموسيقى. إنّ الموسيقى يُحتفل بها أكثر من أيّ نوع آخر من أنواع التقليد. ولهذا السبب فإنّها تحتاج للرعاية والاهتمام الأعظم منها كلّها. لأنّ الإنسان إذا ارتكب غلطة هنا، يمكن أن يُسبِّب الضرر الأكبر لنفسه بالترحيب بالميول السيّئة، ويمكن أن يكون الخطأ صعباً تمييزه هنا جدّاً، لأنّ الشعراء هم فنانون لكنّهم أقلّ شأناً وأدنى رتبة في الشخصيّة والأخلاق ممّا هي عليه آلهات الشّعر والعلوم والفنّ والغناء أنفسهن، اللّواتي لن يقعن في خطأ رهيب إذ يعزون إلى

كلمات الرجال ترنيم النساء وأغنيتهنّ. كلا ولن يُضفْنَ على الأوزان الشعرية للعبيد وللرجال ذوي النوعيّة الأسفل بعد دمج الألحان مع إيماءَات الرّجال الأحرار؛ ولا إذا ابتدأت بالألحان والإيماءَات للرجال الأحرار، سيعزون لها لحناً أو كلمات ذات صفات مضادّة. كلا ولن يمزجنَ الأصوات الإنسانية ضجيج الحيوانات وتلك التي للرجال والآلات، ومع كلّ نوع آخر من أنواع الضوضاء، وكأنّها كانت كلّها واحدة. لكنّ الشعراء الإنسانيين يكونون مغرمين بإدخال هذا النوع من المزيج المتنافر، وهكذا يجعلون أنفسهم سخريّةً في عيون أولئك. وكما يقول أورفيوس، « يكونون ناضجين للذّة الحقيقية ». إنّ الرجال ذوي الخبرة يرون هذا الارتباك كلّه. وبرغم ذلك فإنّ الشعراء يستمرّون ويخلقون دماراً أبعد، وذلك بفصل الوزن الشعريّ وعدد الرقص عن اللحن أو اتّساق الأصوات، ملحّنين الكلمات وفقاً لوزن الألحان، وفاصلين اتّساق الأصوات والإيقاع عن الكلمات أيضاً، مستعملين القيثارة أو الناي وحدهما. إذ عندما لا توجد كلمات، فإنّه يكون شيئاً صعباً تمييز المعنى لاتّساق الأصوات والإيقاع، أو لرؤية أي موضوع له قيمة وهم يقلّدونه. ويجب أن نعترف، أنّ كلّ هذا النوع من أنواع الأشياء، الذي يهدف إلى السرعة والنعومة والضوضاء البهيجة فقط، والذي يستخدمون فيه القيثارة والناي ليس كمجرد قطعتين موسيقيتين مصاحبتين للرقص والغناء، فيجب أن نعترف أنّ كلّ هذا هو شيء رديء وتافه بشكل مفرط. إنّ استعمال القيثارة والناي كليهما، عندما لا يُصاحبان، يقود هذا الاستعمال إلى كلّ نوعٍ من أنواع الشذوذيّة والمخادعة. إنّ كل هذا يكون شيئاً معقولاً ومنطقيّاً بما فيه الكفاية. لكنّنا نعتبر الآن كيف أن منشدينا في الكورس، الذي تترواح أعمارهم بين الثلاثين والخمسين، ويمكن أن تكون منّهم فوق الخمسين، كيف أنّهم لن يستخدموا آلهات الشعر والعلوم والفنون والغناء، بل

يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار كيف يجب عليهم أن يستخدموهم. وأمّا الاعتبار هذا الذي ألححنا عليه فيبدو أنّه يبيّن أنّ هؤلاء المغنين في الكورس البالغة أعمارهم خمسين سنة والذين يجب أن يغنّوا، سيحتاجون إلى تدريب أفضل من التدريب الكورسيّ المجرّد. هُمُ تلزمهم الحاجة كي يكون لديهم إدراك سريع ومعرفة باتّساق الأصوات والإيقاعات؛ وإلاّ، فكيف يمكنهم أن يعرفوا قطّ سواء إذا وجب لاتّساق الصوّت أنْ يُغَنّى بالأسلوب الدوريني، أو بحسب الوزن الشعريّ الذي خصّصه له الشاعر؟

كلينياس: إنّهم لا يقدرون بكلّ جلاء.

الأثيني: إنّ الكثرة من الناس لمضحكة في تخيّل أنّهم يعرفون ماذا في الإيقاع والوزن الشعريّ المناسب، وماذا ليس فيه، عندما يجبرون على الغناء على الناي بواسطة القوّة وحدها، وأن يتدخّلوا في شؤون الوزن الشعريّ الذي ليس من شأنهم. لم يخطر في بالهم أبداً أنّهم جهلة فيما يعملون. وبعدُ فإنّ كلّ لحنٍ يكون لحناً صحيحاً عندما يمتلك إيقاعاً ووزناً شعريّاً مناسباً، ويكون لحناً خاطئاً عندما يمتلكهما بشكل غير مناسب.

كلينياس: إنّ هذا هو الشيء الأكثر تأكيداً.

الأثيني: لكن هل يستطيع إنسان لا يعرف شيئاً، كما قلنا، هل يستطيع أن يعرف أنّ الشيء هو شيء حقيقيّ؟

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: الآن إذن، كما سيبدو، فإنّنا واجدون الاكتشاف وهو أنّ المغنّين في كورسنا المعيّنين جديداً، والذين ندعوهم بموجب هذا القانون، برغم أنّهم أسياد أنفسهم، وهم المجبرون على الغناء، أنّ هؤلاء المغنّين يجب أن يكونوا معلّمين إلى هكذا مدى وذلك كي يقدروا على متابعة درجات الإيقاع والعلامات الموسيقيّة للأغنية، ولكي يمكنهم أن يفحصوا تآلف الألحان

والإيقاعات، وليكونوا قادرين على اختيار ما يناسب الرجال من أعمارهم وأخلاقهم وصفاتهم كي يقوموا بالغناء. ويمكنهم أن يغنُّوا الأغنيات بحضورهم، وأن يمتلكوا اللذّة البريئة من تمثلهم الخاصّ بهم، وأن يُهْدُوا الرجال الشباب كي يتلقّوا الفضائل الأخلاقية مع الترحيب الحارّ الذي يستحقّون. وبما أنّهم تلقّوا تدريباً كهذا، فإنّهم سينالون معرفة أكثر دقّة من المعرفة التي تهبط على الكثرة من الناس العاديّين، أو حتى من الشعراء أنفسهم. إنّ الشارع لا يحتاج إلى النقطة الرئيسية الثانية، أعني سواء إذا كان التقليد صحيحاً أو غير صحيح، وبرغم ذلك فإنّه يستطيع أن يعرف بالكاد قوانين الألحان والإيقاع. لكنّ ناقدينا يجب عليهم أن يَعرفوا هذه الأشياء الثلاثة كلّها، وذلك كي يمكنهم أن يختاروا الأفضل، إذ لو كان هذا غيراً من ذلك فإنّهم لن يتمكّنوا أبداً من سحر أرواح الشباب الفتيان بطريقة الفضيلة. وبعدُ فإنّ التصميم الأصليّ للمحاورة الذي قصد أن يبيِّن أنّنا كنا عقلاء في إعطائنا الدعم لجوقة ديونيسوس الموسيقيّة، إنّ هذا التصميم قد تمّ إنجازه بالقدرة الأفضل التي نمتلك. ودعنا نرى الآن إذا ما كنّا محقّين في ما قلناه. عليّ أن أتخيّل أنّ الاجتماع الخاصّ بالشراب يجب أن يصبح أكثر وأكثر شغباً وصخباً عندما يستمّر الشراب ويتواصل على الأرجح. ستكون الحالة هكذا، كما قلنا في البدء.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إنّ كلّ إنسان لديه أكثر من سموّ طبيعي. فقلبه يكون فَرِحاً في ثناياه، وسيقول أيّ شيء ولن يكبحه أيّ شخص في هكذا وقت. وهو يتوهّم أنّه يقدر على أن يحكم فوق نفسه وفوق الجنس البشريّ برمّته.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ألم نقل إنّ أرواح الشاربين تصبح في مناسبات كهذه مثل الحديد المحمّى

في النار، وتصبح ألين وأفتى، وتُقَوْلَبُ مِن قِبَلِ الذي يعرف كيف يعلّمها ويصيغها بشكل سهل، تماماً مثلما كانت فتيّة، وإن الذي يصوغها هو نفسه الذي وصف لها الوصفات أيّام فتوّتها، أعني، المشّرع الخيِّر. وهذا المشرِّع هو الذي يجب أن يسنَّ قوانين الوليمة، التي عندما يكون إنسان واثقاً من نفسه حينها، ويكون جسوراً، وصفيقاً، وغير مستعدٍّ لانتظار دوره ويمتلك حصّته من الصّمت والكلام، والشارب والموسيقى، أقول، إنّ إنساناً كهذا، سوف يغيِّر شخصيته وأخلاقه عكس ما تكون عند سَنِّ قوانين الوليمة هذه. إنّ قوانين كهذه بما أنّها ستغرس فيه عدلاً وخوفاً نبيلاً، وهما سيمتشقان السلاح ضدّ الغطرسة، كون ذلك الخوف الذي غرس فيه خوفاً إلهيّاً وهو الذي أسميناه مهابة وخجلاً.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وحماة هذه القوانين والأخوة العمّال معهم هُمُ القادة الهادئون المتّزنون للشاربين. وهناك صعوبة كبيرة بدون مساعدتهم في الحرب ضدّ الشراب، أكبر من الصعوبة التي توجد في الحرب ضدّ الأعداء، عندما لا يكون آمر الجيش نفسه هادئاً، والذي لا يبدي استعداداً لإطاعتهم. ولا يطيع آمري الولائم الديونيسيكيّة الذين تزيد أعمارهم عن سنّ الستّين، فإنّه سيقاسي خزياً كما يقاسيه أولئك الذين يتمرّدون على القادة العسكريين، أو حتّى سيقاسي عاراً أعظم من ذلك.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: إذن، إذا نُظِّم الشراب والسلوى بهذه الطريقة، أفلن يتحسّن الرفاق لقاصفينا؟ إنّهم سينصرفون بعدها أصدقاء أفضل ممّا كانوا، وليس كما هم الآن، أعداء. إنّ علاقتهم بعضهم ببعض ستنظَّم بالقانون وبمراقبة هذا القانون، وسوف يكون المتّزنون هم القادة للسكّيرين والثملين.

كلينياس: أعتقد بذلك أيضاً، إذا ما نُظِّم الشراب كما تقترح.

الأثيني: دعنا لا ندين إذن بكلّ بساطة هبة ديونيسوس وكأنّها هبة سيّئة وغير مناسبة كيَ تتلقّاها الدولة. إنّ النبيذ له امتيازات عديدة، إحداها المتفوقة، التي ليس هناك أيّة صعوبة في التكلّم بشأنها للكثرة، خشية عدم إدراكهم وعدم فهمهم لما قيل.

كلينياس: إلامَ تشير.

الأثيني: هناك عُرْفٌ أو قصّة، طافت حول العالم، وهي أنّ ديونيسوس سُرقت منه حصافته وفطنته بواسطة زوجة أبيه هيرا؛ ولأنه يريد ثأراً أثار اللفّات الباخوسيّة والرّقص والجنون في الآخرين. ولهذا السبب فإنّه أعطى الرجال نبيذاً. إنّ أعرافاً كهذه خاصّة بالآلهة أتركها لأولئك الذين يظنّون أنّه يمكن أن يتمّ النطق عنها بشكل مضمون وأكيد. أعرف الآن أن أي حيوان لا يكون مدركاً وناضجاً عند الولادة لا يكون كامل الذكاء والعقل. وأنّه في الفترة المتوسّطة، التي لم يكتسب فيها إدراكه الخاصّ المناسب، يثور ويغضب ويزأر بدون نظام أو منطق. وعندما ينتصب على ساقيه ولو لمرّة واحدة، فإنّه يقفز هنا وهناك بدون نظام أو منطق أيضاً. ولقد قلنا عن هذا الأسلوب، كما ستتذكّر، قلنا عنه إنّه أصل الموسيقى وأصل الألعاب الرياضية.

كلينياس: إنّني أتذكّر، لتكن متأكّداً.

الأثيني: أولم نقل إنّ إدراك الإيقاع والوزن الشعريّ نشأ من هذه البداية بيننا، وإنّ أبوللو وآلهات الشعر والعلوم والفنون والغناء وديونيسوس كأهم الآلهة الذين وجب علينا أن نشكرهم لهذا؟

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: إنّ القصة الأخرى تدلّ ضمناً على أنّ النبيذ أُعطي للإنسان خارج الثأر ومنه، ولكي يجعله مجنوناً. لكنّ تعليمنا الحالي وعقيدتنا عكس ذلك. تقول

إنّ النبيذ أعطي للإنسان كبلسم، ولكي يغرس الاعتدال في الروح والصحّة والقوّة الجسديّة في الجسم.

الأثيني: يمكن الآن إذن اعتبار أنّه قد تمّ بحث نصف الموضوع، فهل سنتقدّم لبحث نصفه الآخر؟

كلينياس: ما هو النصف الآخر، وكيف ستقسّم الموضوع؟

الأثيني: إنّ فنّ الكورس كلّه هو التعليم بمجمله حسب وجهة نظرنا أيضاً؛ وفي هذا الفنّ، فإنّ الأوزان الشعريّة والإيقاعات تشكّل الجزء الذي له علاقة بالصوت.

كلينياس: نعم.

الأثيني: إنّ حركة الجسم لديها إيقاع مع حركة الصوت بشكلٍ مشترك. لكنّ الإيماء يكون مميّزاً لها، في حين أنّ الأغنية تكون حركة الصوت بشكل بسيط.

كلينياس: الأكثر حقيقة.

الأثيني: وجازفنا إذ سمّينا الموسيقى ضجّة الصوت التي تصل إلى الروح وتعلّمها.

كلينياس: وكنّا محقّين في ما قلناه.

الأثيني: وسمّينا الرقص حركة الجسم، عندما يُعتبر كتسلية، لكنّه عندما يُلاحق ويمتدّ بقصد الامتياز للجسم، يمكن أن يسمى هذا التمرين العلمي رياضة بدنيّة.

كلينياس: بوضوح.

الأثيني: إنّ الموسيقى، التي كانت نصف الفنّ الكورسي، يمكن القول إنّه قد تمّ بحثها بشكل كامل، هل سنتقدّم إلى النصف الآخر أمْ لاَ؟ فماذا سترغب؟

كلينياس: يا صديقي الصالح، عندما تتكلّم مع كريتيّ ولاقيدايمونيّ، وبما أنّنا بحثنا في الموسيقى، ولم نبحث في الألعاب الرياضيّة، فأيّ جواب سيوجده كلٌّ منا على بحث كهذا بشكل محتمل؟

الأثيني: إنّه الجواب المحتوى في سؤالكما: إنّني لأفهم وأقبل ما تقولانه ليس كجوابٍ فقط، بل كأمرٍ نتقدّم منه لبحث التمارين الرياضية.

كلينياس: إنّك تفهمني تماماً؛ إفعل كما تقول.

كلينياس: سأفعل ذلك، ولن تكون هناك أيّة صعوبة في التكلّم إليكما بوضوح بشأن الموضوع الذي تطّلعان عليه بشكل جيّد أكثر من اطّلاعكما على الموسيقى.

كلينياس: لا صعوبة في ذلك.

الأثيني: أليس أصل الألعاب الرياضية، كي يتمّ البحث عنه أيضاً، في الميل للحركة السريعة الموجودة في الحيوانات كلّها؟ وبما أنّ الإنسان قد تيسّر له فهم الإيقاع أو الوزن الشعريّ، كما قلنا، فقد أبدع واخترع الرقص واللّحن أو اتّساق الأصوات. بعث وأيقظ الإيقاع أو الوزن الشعري وشكّل اتحادهما الفنّ الكورسيّ.

كلينياس: جيّداً جدّاً.

الأثيني: ولقد تمّ بحث جزء واحد من هذا الموضوع بشكل مسبق، ولا يزال هناك جزء آخر يجب بحثه.

كلينياس: بالضّبط.

الأثيني: إنّ لديّ كلمة نهائيّة أضيفها إلى بحثي بادىء ذي بدء بشأن الشراب، إذا سمحت لي أن أفعل ذلك.

كلينياس: ماذا لديك أكثر ممّا يلزم أن تقوله.

الأثيني: يلزمني أن أقول إنّه إذا عَنَت مدينةٌ بشكل جديّ أن تقرّ مزاولة الشراب تحت أيّ تنظيم وبقصد تنفيذ الاعتدال، وبأسلوب مماثل، وعلى المبدأ عينه، إذا سمحت للملذّات الأخرى، عازمة ومخططة أن تكون الغلبة للاعتدال عليها، يمكن استخدامها لها كلّها بهذه الطريقة. لكن إذا جعلت الدولة

الشراب تسلية فقط، وأنّ كلّ من يحبّ يمكنه أن يشرب متى يحبّ، ومع مَن يحبّ، وأن يضيف إلى هذا أيّ انغماس ذاتيّ آخر، فإنّني لن أوافق قطعاً أو أسمح بوجوب مزاولة الشراب في هذه المدينة ومن قِبَلِ هذا الإنسان. وسأذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، أبعد ممّا ذهب إليه الكريتيون واللاقيدايمونيّون، وإنّني لميّال إلى قانون القرطجنيين على الأصحّ، وهو أنّه لا يجب السماح لأحد أن يتذوّق النبيذ على الإطلاق في حين يدير حملة، إجتماعية كانت أو عسكريّة أو سياسية، أو عندما يشترك فيها. بل ينبغي عليه أن يشرب الماء أثناء ذلك الوقت كلّه. وأنّه لا يجب أن يشرب النبيذ عبدٌ في المدينة، ذكراً كان أو أنثى، ولا يلزم للحكّام ولا للقضاة أن يشربوه خلال مدّة حكمهم، ولا يجب أن يتناوله القباطنة الذين يقودون المراكب، ولا القضاة حين يؤدّون واجباتهم على الإطلاق؛ ولا أحد ممّن يستعدّ لعقد مشاورة أو مؤتمر ذي أهميّة وبشأن قضايا رفيعة المستوى. ولا يجب أن يشربوه أثناء النهار، ما لم يكن استعماله بقصد التدريب أو كدواء، ولا يجب أن يشربوه أثناء الليل ثانية، عندما يرغب أي شخص، رجلاً كان أو امرأة، أن يلد أطفالاً. هناك حالات أخرى لا يحدّها حصر وتوجب على أولئك الذين يمتلكون فهماً وقوانين صالحة أن لا يشربوا النبيذ. وهكذا إذا كان ما أقوله صحيحاً فلا مدينة ستحتاج إلى كروم عنب. إنّ زراعته وطريقة حياتها ستتبع قانوناً ونظاماً محدّداً بشكل عام، وسيكون تعهّدهم لزراعة الكرمة الشيء الأكثر محدوديّة والأقلّ شيوعاً لأعمالهم ووظائفهم، وسيكون هذا، أيّها الغريب، إكليل مباحثتي بشأن النبيذ، إذا وافقت على ما قلته.

كلينياس: إنّنا نوافق عليه، وما تقوله ممتاز، أيّها الغريب.

محاورة النواميس

الكتاب الثالث

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: لنسأل ما هو أصل الحكومة، وكيف تتقدّم الدول وتتحوّل نحو الخير أو نحو الشرّ؟ ولنسأل ما هو سبب تغيير الحكومات وسقوط الدول كذلك؟ عندما حدث الطوفان العظيم فإنّ قلّةً من النّاس والحيوانات قد حُفِظتْ، واختفت إلى حدّ ما أساليب الزراعة والصناعة والفنون والعلوم، ثمّ حصل التقدّم بعد ذلك شيئاً فشيئاً في هذه المجالات. ولم يكن الجنس البشريّ فقيراً جدّاً ولا غنيّاً في تلك الأيّام، والمجتمع الذي لا يعاني عَوَزاً ولا يمتلك غنىً ستكون لديه المبادىء الأنبل على الدوام، وليس فيه غطرسة أو ظلم، ولا أيّة نزاعات ولا حسد، ولهذا السبب فإنّ الناس كانوا أخياراً، ولم تكن لديهم الحصافة كي يفرّقوا بين الزيف والحقّ، ولم يكن لديهم مشرعون كذلك. أمّا من حيث الحكومة فكان يقوم بينهم ما يسمّى حكومة اللورديّة بشكل عامّ، لكن لم يكن لديهم مجالس شورى ولا محاكم عدل ولا أحكام. وابتدأت الحكومة بينهم بسلطة الأب والأمّ. ثمّ بدأوا بعد ذلك بمعرفة الفنون وبناء المدن وإقامة المستعمرات. وكانت مدينة إيليوم ولاقيدايمون واسبرطة وكريت وغيرها من المدن هي التي شنّت الحرب على طروادة. وبعدُ لنرى أي استيطان من هذه الاستيطانات جيّد وأيها سيّىء ودعنا نستشف منها القوانين التي تنقذ المدن، والأخرى التي تدمّرها.

أتى المشرّع ليسن قوانين جديدة ويعلن حقيقة تسير الجماعة بهديها. ثم وقع الخلاف بيننا وبين الامبراطورية الأشورية وكان ما كان. ونحن نقول إن هناك رغبة

واحدة مشتركة لكلّ الجنس البشري، وهي أن تصبح كلّ الأشياء الإنسانية وأن تحدث في تطابق مع روح الإنسان، وهو يصلّي لتحقيقها. وما على المشرّع هنا ورجل الدولة إلاّ أن يصدرا القوانين بقصد الحكمة وليس بقصد الحرب، وما سبب سقوط الدول وزوالها إلاّ جهل حكّامها بالشؤون الإنسانية الأكثر أهميّة، ولتفسّخ سكّانها وحكّامها الخلقي وانحرافهم الجنسيّ. وأقول إنّ الجهل الأعظم يكون عندما يكره إنسان ذلك الذي يعتقد أنّه خير ونبل، وبرغم ذلك يحبّ ويتقبّل بكلّ سرور ذلك الذي يعرف أنّه شرٌّ وإثم.

إنّ هذا التضارب وعدم الوفاق بين مفهوم اللذّة وحكم العقل في الروح هو الجهل الأسوأ والجهل الأعظم لأنّه يؤثّر في الجزء الرئيسيّ من الروح الإنسانية. وعندما تضادّ الروح المعرفة، أو الرأي، أو العقل، وهذه هي أسيادها الطبيعيون، فذلك ما أسمّيه غباء، تماماً مثلما يحدث في الدولة عندما ترفض الكثرة إطاعة حكّامها وإطاعة القوانين، أو مثلما يحدث في الفرد، عندما تستقر التفكيرات الواضحة العادلة في الروح ولا تفعل الخير برغم ذلك، بل تفعل عكس الخير بالأحرى. ويمكننا أن نقول بحقّ إنّ التناسقات والانسجامات الأنبل والأعظم هي الحكمة الأعظم، ولهذا فإنّ من يحيا طبقاً للعقل يكون شريكاً فيها، في حين أنّ الذي يكون خلواً من العقل يدمّر بيته، وهو الضدّ بالتحديد لمن ينقذ الدولة، ويجهل الحكمة السياسيّة بشكل كليّ. والقانون يقول إنّ الحاكم سيكون الأب والأمّ والأجداد، ويجب أن يحكم الأنبلُ الأحقرَ، والأكبرُ سنّاً الأفتى منه، وأن يحكم الأسيادُ العبيدَ، والأقوى الأضعفَ. أمّا أعظم هذه المبادىء كلّها فهو أنّ العاقل يجب أن يقود ويأمر، وأنّ الجاهل يتبع ويطيع. والمبدأ الأخير يقضي بأنّ الذي يقع عليه رأي الأكثرية يكون حاكماً، وينبغي أنِ يطيع الجميعُ القوانينَ. وعلى المشرّع أن يراقب التوسّط والاعتدال في كلّ شيء، وأنّ يوجّه تفكيره نحو الصداقة والحكمة والحرية. هناك نوعان اثنان رئيسيّان من أنواع الحكومات تصدر عنهما كلّ

الحكومات الأخرى، وهما الحكومة الملكيّة والديموقراطية، ويجب مزج هذين النوعين من أنواع الحكومات كي نحصل على حكومة صالحة. ولنأخذ عبرة بما حدث لفارس التي تبنّت الحكومة الملكيّة وتبنّينا نحن الديموقراطية. إنّ الدولة التي ستكون دولة آمنة وسعيدة بقدر ما تسمح به الطبيعة الإنسانية، يجب أن توضع فيها خيرات الروح أوّلاً، وأن تكون هذه الخيرات هي الأعلى في الميزان، وأن يكون الاعتدال حالتها على الدوام، وأن يُنسب المكان الثاني لخيرات الجسد، والثالث للمال والممتلكات. فإذا فعلت الدولة عكس ذلك فإنّها تفعل شيئاً غير مقدّس وغير وطنيّ وستزول. وعلى المشرّع أن يمتلك أشياء ثلاثة في القصد والهدف: أوّلاً، أنّ المدينة التي يشرّع لها يجب أن تكون مدينة حرّة؛ ثانياً، ينبغي أن تكون في وحدة مع نفسها؛ ثالثاً، يلزمها أن يكون لديها فهم وعلم. وعلى هذا الأساس الثابت المتين سنبدأ تشييد بنية الدولة الجديدة.

محاورة النواميس

الكتاب الثالث

الغريب الأثيني: كفاية مّما قيل. وماذا، بعدئذ، كي يتمّ اعتباره كأنّه أصل الحكومة؟ ألن يمكن لإنسانٍ أن يحكم عنه بالشكل الأفضل من وجهة النظر التي يمكنه أن يرى فيها تقدّم الدول وتحوّلاتها إذا كانا إلى الخير أم إلى الشرّ؟

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أنّه يمكنه مراقبتها من وجهة نظر الزمن، وأن يلاحظ التغييرات التي تأخذ مكانها فيها خلال العصور اللامتناهية.

كلينياس: كيف ذلك؟

الأثيني: لماذا، هل تعتقد بأنّك تقدر أن تحسب الزمن الذي انقضى منذ وُجدت الدّول ومنذ كان الرجال فيها مواطنين؟

كلينياس: أقدر بصعوبة.

الأثيني: لكنّك متأكّد أنّه يجب أن يكون زمناً طويلاً ولا يمكن عدُّه.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أوَلم يبرز إلى الوجود آلافٌ وآلافٌ من المدن أثناء هذه الحقبة، كما أنّ مدناً عديدة زالت ودُمِّرت؟ أولم يكن لدى كلّ مدينة منها كلّ شكل من أشكال الحكومات مرّات ومرّات عديدة، تنمو الآن بشكل أكبر، وبعدئذ بشكل أصغر، ومن ثمّ تتحسّن أو تهبط ثانية.

كلينياس: لتكن متأكداً.

الأثيني: دعنا نسعى لتوضيح سبب هذه التغييرات؛ لأنّ هذا سيوضح بشكل محتمل الأصل الأوّل وتطوّر أشكال الحكومات.

كلينياس: جيّد جداً. إنّك ستسعى لنقل أفكارك إلينا، وسنبذل نحن جهداً لفهمك.

الأثيني: هل تعتقد أن هناك أيّة حقيقة في التقاليد الغابرة؟

كلينياس: أيّة تقاليدَ؟

الأثيني: إنّها تقاليد التدمير المتعدّد الذي حاق بالجنس البشريّ والذي سبّبته الطوفانات والأوبئة الطاعونيّة، ووسائل أخرى متعدّدة، وكذلك عن إنقاذ البقيّة الباقية منهم؟

كلينياس: إنّ كلّ شخص ميال لتصديقها.

الأثيني: دعنا نأخذ واحدة منها، تلك التي سبَّبها الطوفان الشهير.

كلينياس: وماذا سنلاحظ بشأنها؟

الأثيني: أعني أنّ أولئك الذين هربوا يومها هم الرّعاة في قمم الجبال. إنّ مقادير قليلة من الجنس الإنساني تمّ حفظها على قمم الجبال تلك.

كلينياس: بوضوح.

الأثيني: هؤلاء الناجون كانوا بالضرورة غير ملمين بالفنون والأدوات المتنوّعة التي تمّ اقتراحها ليستخدمها سكان المدن بواسطة المنفعة أو الطموح، ومع كلّ الأخطاء التي يقومون بها بعضهم ضدّ البعض الآخر.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: دعنا نفترض إذن، أنّ المدن في الأراضي المنبسطة وعلى شاطىء البحر دُمِّرت كليّة في ذلك الزمن.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: ألن تكون كلّ الأدوات قد فُنيت حينئذ، وأختفى كلّ اختراع آخر ممتاز من العلوم السياسيّة أو من أيّ نوع آخر من أنواع الحكمة بشكل كليّ؟ تأمّل مليّاً، يا صديقي، أنّه إذا استمرّت هذه الأشياء على الدوام كما هي منظّمة في الوقت الحاضر، فلن تكون هناك أيّة إمكانيّة لتحقيق أيّ اكتشاف جديد حتّى في الخاصيّة الأقلّ.

كلينياس: يجب علينا أن نفترض بشكل واضح أنّ الفنون كانت غير معروفة خلال عشرة آلاف مرّة لعشرة آلاف سنة. وليس أكثر من ألف أو ألفي سنة انقضت منذ اكتشافات دايدالوس، أورفيوس، وبالاميدس، منذ أن اخترع مارسياس وأوليمبوس الموسيقى، واخترع أمفيون القيثارة، - هذا ولن أتكلّم عن اختراعات أخرى لا يحدّها حصر والتي لم تكن سوى اختراع البارحة.

الأثيني: هل نسيت، يا كلينياس، إسم الصديق الذي هو صديق البارحة حقاً؟

كلينياس: أفترض أنّك تعني ايمينايدس؟

الأثيني: إنّ الاسم، يا صديقي، لن يُغفل أو يقفز فوق رؤوس الجنس البشريّ كلّه بواسطة اختراعاته؛ وهو نفّذ بالممارسة، كما نعلن، ما وعظ به هيسيود الشاعر القديم فقط(٣).

كلينياس: نعم، وذلك طبقاً لعرفنا.

الأثيني: بعد الدمار العظيم، ألاَ يمكننا أن نفترض أنّ حالة الإنسان كانت شيئاً ما من هذا النوع: في بداية الأشياء كانت هناك صحراء مخيفة لامتناهية وأرض شاسعة الامتداد. والناجي الوحيد من عالم الحيوان هو قطيع أو قطيعان من الثيران، ويمكن وجود بضع عنزات، وكلّ هذه الحيوانات كانت غير كافية أبداً كي تبقي على الرعاة الذين يهتمّون بها أيضاً؟

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وأمّا ما يخصّ المدن أو الحكومات أو التشريعات التي نتحدّث عنها الآن، هل تفترض أنّهم استطاعوا أن يتذكّروا ما يتعلّق بها على الإطلاق؟

كلينياس: لا شيء أيّاً كان.

الأثيني: أوَلم ينشأ خارج حالات الأشياء هذه كلّ ذلك الذي نكونه ونمتلكه الآن: المدن والحكومات، الفنون والقوانين، ومقدار عظيم من الرذيلة ومقدار عظيم من الفضيلة؟

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: لماذا، يا صديقي الصالح، كيف يمكننا أن نفترض بشكل محتمل أنّ أولئك لم يعرفوا أيّ شيء عن كلّ الخير وكلّ الشرّ للمدن، كيف يمكننا افتراض أنّهم استطاعوا أن يصلوا إلى تطوّرها الكامل، سواء إذا كان هذا التطوّر نحو الفضيلة أو الرذيلة؟

كلينياس: إنّني أفهم معناك، وإنّك لمحقّ تماماً في ما تقول.

الأثيني: لكن، بما أنّ الزمن تقدّم والجنس تكاثر، فإنّ العالم أصبح ما هو عليه الآن.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وبدون شكّ فإنّ التغيير لم يُوجد كله في لحظة بل حدث شيئاً فشيئاً، خلال حقبة طويلة من الزمن.

كلينياس: إنّه لافتراض محتمل بشكل عال.

الأثيني: في البدء، لم يكن لديهم خوف طبيعي خطر ببالهم وهو الذي منعهم من الهبوط من الأعالي إلى الأرض المنبسطة.

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: إنّ قلّة الناجين في ذلك الوقت كانت ستجعلهم كلّهم أكثر رغبة في رؤية بعضهم بعضاً، لكن وسائط السفر حينئذٍ، سواء بواسطة البحر أو البرّ قد فُقدت بشكل تامّ تقريباً، كما يمكنني أن أقول، وذلك مع فقدان الفنّ. وكانت هناك صعوبة كبيرة في الاتّصال ببعضهم البعض، لأنّ الحديد والبرونز والمعادن الأخرى كلّها كانت مختلطة معاً بغير نظام واختفت في الشواش، ولم تكن هناك إمكانية كي يُستخلص المعدن الخام منها. وكان لديهم بالكاد أيّة وسيلة لقطع الأخشاب، حتى إذا افترضت أنّ بعض الأدوات يمكن أنّها قد حُفِظت في الجبال، وجب أنّها بليت واختفت من الوجود، ولن يوجد الشيء الكثير منها إلى أن تمّ إحياء فنّ علم المعادن مرّة ثانية.

كلينياس: لم يُستطع إيجاد ذلك.

الأثيني: ما عدد الأجيال التي انقضت حتى أمكن الوصول إلى هذا؟

كلينياس: ليس العديد من الأجيال، بوضوح.

الأثيني: أثناء هذه الفترة، ولبعض الزمن في ما بعد، فإنّ كلّ الفنون التي تحتاج إلى الحديد والبرونز وما شابه ستختفي.

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: إنّ الشِّقاقَ والحرب أُخمدا في تلك الأيّام، ولأسباب عديدة.

كلينياس: كيف كان ذلك؟

الأثيني: في المقام الأوّل، إنّ هلاك هؤلاء الرجال البدائيين سيخلق فيهم شعوراً من العاطفة والوداد نحو بعضهم البعض. وثانياً لن تكون لديهم فرصة للنزاع بشأن مورد رزقهم، فهم سيمتلكون مراعي وافرة، إلاّ باديء الأمر، وفي بعض الحالات الخاصّة، وسيحصلون من أرضهم الغنيّة بالمراعي على الجزء الأكبر من غذائهم في العصر البدائيّ، وسيكون لديهم الكثير من الحليب واللحم. بالإضافة إلى ذلك فهم سوف يدبّرون غذاء آخر بواسطة الصيد، ولن يكون غذاء حقيراً لا في الكميّة ولا في النوعية. وسيكون لديهم وفرة من الثياب، الأسرَّة، أماكن السكن، ومن الأوعية القادرة على تحمّل حرارة النار أو عكس ذلك. إنّ فنون اللدائن والحياكة لا تحتاج لاستعمال الحديد؛ ولقد وهب الله هذين الفنّين الاثنين للإنسان كي يمدّه بكلّ هذه الأشياء، وذلك، عندما يُخفَّض ما لديه إلى أقصى درجة، فإنّ الجنس البشريّ يمكنه أن يبقى في ازدياد ونموّ. ومن ثم فإنّ أبناء الجنس البشريّ في هذه الأيّام لم يكونوا فقراء جدّاً؛ لا ولم تكن الفاقة سبب الخلاف بينهم، ولم يستطيعوا أن يكونوا أغنياء، لأنهم لا يمتلكون ذهباً ولا فضّة. هكذا كانت حالتهم في ذلك الزمن. والمجتمع الذي لا يمتلك عَوَزاً ولا غنىً ستكون لديه المبادىء

الأنبل على الدوام. وليس فيه غطرسة أو ظلم، ولا أيّة نزاعات أو حسد. ولهذا السبب كانوا أخياراً ثانية، وأيضاً لأنّهم كانوا في حالة ما يُسمّى بساطة العقل. وعندما أُخبِروا عن الخير والشرّ، اعتقدوا لبساطتهم، أنّ الذي سمعوا عنه أنّه الخير هو الحقيقة تحديداً ولهذا مارسوه. لم يكن لدى أحدهم الحصافة كي يشتبه بشيء آخر للزيف أو الباطل كما يفعل الرجال الآن لكن الّذي سمعوه بشأن الآلهة والرجال اعتقدوه أنّه القول الحقّ، وعاشوا طبقاً لذلك. ولهذا السبب كانوا كما وصفناهم في كلّ جهة من الجهات.

كلينياس: إنّ ما تقوله ينسجم مع أفكاري تماماً، ومع أفكار أصدقائي الموجودين هنا أيضاً.

الأثيني: أفلن تكون أجيال عديدة عائشة في أسلرب بسيط من أساليب الحياة، ولربّما كانت أساليب بدائيّة مع ذلك، وتكون تلك الأجيال أكثر جهلاً بالفنون بشكل عام، وبشكل خاصّ بتلك الفنون التي تخصّ الأرض أو الحرب البحريّة، وبالفنون الأخرى فوق ذلك، والتي تُسمّى في المدن ممارسات قانونيّة وشرعيّة ونزاعات حزبيّة، شاملة كلّ الطرائق الممكن تصوُّرها لأذى الناس بعضهم بعضاً بالكلمة والفعل. وبرغم أنّ هذه الفنون أقلّ قيمة وشأناً لأولئك الذين عاشوا قبل الطوفان، أو لرجال يومنا الحاضر في هذه النواحي، أقول، أليست هذه الفنون فنوناً أكثر بساطة وشرفاً، وأيضاً أكثر اعتدالاً وأكثر عدلاً بشكل كامل؟ إنّ السبب قد تمّ شرحه بشكل مسبق.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أرغب منك أن تفهم أنّ ما تقدّم، وما هو على وشك أن يلي، قد قيل، وسيتمّ قوله بقصد توضيح حاجة الرجال للقوانين في ذلك العصر، ومَنْ كان مشرّع قوانينهم.

كلينياس: وهكذا فإنّ ما قلته إلى هذا الحدّ قد قيل بشكلٍ جيّد جدّاً.

الأثيني: إنّهم لم يستطيعوا ولا أرادوا أن يكون لديهم مشرّعون حتّى الآن؛ لا شيء من ذلك كان موجوداً في أيّامهم على الأرجح. وحتّى الحروف كان يفتقر لمعرفتها أولئك الذين ولدوا في ذلك العصر. إنّهم عاشوا بعادات وتقاليد أسلافهم.

كلينياس: من المحتمل.

الأثيني: لكن كان هناك شكل من أشكال الحكومات سابقاً يدعى حكومة اللورديّة بشكل عامّ، إذا لم أكن مخطئاً. وهذه الحكومة لا تزال قائمة في أماكن عدّة بين الهيلينيين والبربر على حد سواء(٤)، وهي الحكومة التي أعلن هوميروس أنّها سادت بين السيكلوب(٥)، عندما قال: « هم لا يمتلكون مجالس شورى ولا أحكاماً، لكنّهم يقطنون كهوفاً مجوّفة في قمم الجبال العالية، وكلّ شخص منهم يسنّ قانوناً لزوجته وأطفاله، ولا يشغلون أنفسهم بشأن بعضهم بعضاً »(٦).

كلينياس: يبدو أنّ هذا الشاعر، شاعرك فاتن. لقد قرأت له بعض المقاطع الأخرى التي نظمها وهي مقاطع حاذقة، لكنّي لا أعرف الكثير عنه، لأنّ الشعراء الغرباء قليلاً ما تُقرأ أعمالهم بين الكريتيين.

ميغيلوس: لكنّهم موجودون في لاقيدايمونيا، ويظهر أنّه أميرهم جميعاً. على كلّ حال، إنّ أسلوب الحياة الذي يصفه ليس أسلوب حياةٍ إسبرطي، بل إنّه آيوني على الأصحّ. ويبدو أنّه يعزّز ما تذكره، عندما يتتبع الدولة الغابرة للجنس البشريّ وصولاً إلى نظام البربريّة بمساعدة العادة والعرف.

الأثيني: نعم، إنّه يتتبّعها ويثبت ذلك. ويمكننا نحن أن نقبل شهادته على حقيقة أنّ حكومات كهذه تنشأ بعض المرّات.

كلينياس: يمكننا فعل ذلك.

الأثيني: أوَلم تتشكّل دول كهذه من رجال قد انتشروا في مستوطنات وعائلات

مفردة بسبب الفاقة التي صاحبت الدمار؟ أوَلم يحكم الأكبر سنّاً حينها بينهم، لأنّ الحكومة ابتدأت معهم في سلطة الأب والأمّ، وهم تبعوها، مثلما تفعل أسراب الطيور، مشكّلين فرقة واحدة تحت حكم وسيادة آبائهم البطريركيّين، وحكمهم هذا هو الحكم الأكثر عدلاً من كلّ السيادات الأخرى؟

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: بعد هذا الذي حدث أتوا معاً بأعداد كبيرة، وزادوا من حجم مدنهم، وعمدوا إلى إحياء الزراعة، مبتدئين بها على سفوح الجبال قبل كلّ شيء، وصنعوا بل وأقاموا سياجاً من الأسوار غير المترابطة وأعمالاً دفاعية أخرى، كي يبقوا الحيوانات المفترسة بعيدة عنهم، وهكذا أوجدوا مستوطنة مشتركة مفردة كبيرة.

كلينياس: نعم، يمكننا أن نفترض ذلك على الأقلّ.

الأثيني: هناك شيء آخر سيحدث بشكل محتمل.

كلينياس: ما هو؟

الأثيني: عندما ازداد عدد هؤلاء القاطنين أكثر مّما كانوا عليه، فإنّ كلّ مجموعة من مجموعات العدد الأصليّ سوف تبقى حيّة ضمن المجموعات الأكثر عدداً. وستكون كلّ عائلة تحت سلطة الأكبر سنّاً فيها. وبداعي انفصالهم بعضهم عن البعض الآخر، ستتشكّل لديهم عادات غريبة في الأشياء الإلهيّة والإنسانية، تلك العادات التي تلقوها من آبائهم العديدين الذين أشرفوا على تعليمهم. وهذه العادات ستجنح بهم نحو النظام، هذا عندما يكون لدى الآباء عنصر النظام في طبائعهم، وسيميلون نحو الشجاعة أيضاً، عندما يمتلك الآباء عنصر الشجاعة في طبائعهم. وهم سيَسِمُونَ أطفالهم وأطفال أطفالهم بسِمَتهم الخاصّة بهم. وكما قلنا سوف يسلكون الطريق عينها في المجتمعات الأخرى، ممتلكين قوانينهم الخاصّة بهم بشكل مسبق.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وكلّ إنسان يحبّ قوانينه الخاصّة به الحبّ الأفضل بدون ريب، لكنّه لا يحب قوانين الآخرين بالدرجة عينها.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: يبدو إذن أنّنا تعثّرنا وزللنا في بدايات التشريع الآن.

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: ستكون الخطوة القادمة في بحثنا هي أنّ هؤلاء الأشخاص الذين اجتمعوا معاً، سيختارون بعض الحكام، الذين سيتفحّصون القوانين التي تخصّهم جميعاً، وسيحضرون بشكل علنيّ تلك القوانين التي يصادقون عليها، سيحضرونها للرؤساء الذي يقودون القبائل. وهؤلاء الرؤساء هم ملوكهم إلى حدّ ما، تاركين لهم مجال اختيار القوانين التي يعتقدون أنّها القوانين الأفضل. وهؤلاء الأشخاص سيدعون أنفسهم مشرّعين، وهم سيُعِينون الحكام، مشكّلين نوعاً من أنواع الحكم الأرستقراطي، أو لربّما من أنواع الحكم الملكيّ، وذلك من السلالات أو اللوردات الحاكمة. وسيعيشون في هذه الحالة المتبدّلة من حالات الحكومة.

كلينياس: نعم، إنّ هذا النظام سيكون النظام الطبيعيّ للأشياء.

الأثيني: دعنا نتكلّم الآن إذن عن النوع الثالث من أنواع الحكومات الذي تتزامن فيه كلّ أشكال وحالات الدول والمدن.

كلينياس: ما هو ذلك النوع؟

الأثيني؛ في الحقيقة إنّه النوع الذي يعيّنه هوميروس في شعره كأنّه يتبع النظام الثاني، وينشأ هذا النظام الثاني، عندما يقول هوميروس، إنّ داردانوس وجد داردانيا:

« لأنّ ايليوم المقدّسة لم تكن مبنيّة حتى الآن على الأرض المنبسطة لتكون

مدينة الرجال المتكلّمين؛ بل سكنوا على سفح آيدا ذات النافورات المتعدّدة »[٧].

إنّ هوميروسِ ينطق كلمات الله وكلمات الطبيعة في هذه المقاطع الشعريَّة، وفي ما قاله عن الصقالبة حقاً. والشعراء هم سلالة إلهيّة، ويبلغون الحقيقة غالباً في أغانيهم، بمساعدة ومِنَنِ آلهات الشعر والعلوم والفنون والغناء.

كلينياس: أجل.

الأثيني: دعنا نتقدّم في بحثنا الآن لننهي بقيّة قصّتنا، والتي يمكنها أن توضح تصميمنا المقترح في درجة ما. فهل سنفعل ذلك؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: إنّ إيليوم بُنيت عندما نزل الرجال من أعالي الجبال، بنيت في سهل منبسط وفسيح، على نوعٍ من أكمة قليلة الارتفاع، تسقيها أنهار عديدة هبطت من آيدا.

كلينياس: هكذا هو العرف.

الأثيني: ويجب أن نفترض أنّ هذا الحدث أخذ مكانه لعدّة أجيال خلت بعد الطوفان.

كلينياس: نعم، لا شك أن أجيالاً عديدة قد انقضت.

الأثيني: إنّ نسياناً غريباً للدّمار السابق سيبدو حدثاً بالنسبة لهم، عندما وضعوا وبنوا مدينتهم تحت الجداول العديدة بالتحديد، تلك الجداول التي جرت من الأعالي الجبليَّة، لا ولم يثقوا بالقمم الجبليّة العالية كضمانة لسكناهم.

كلينياس: يبدو أنّ فاصلة زمنية طويلة انقضت بين الحدثين بوضوح.

الأثيني: وعندما بدأ عدد السكان بالزيادة، فإنّ مدناً أخرى متعدّدة بدأ سكناها.

كلينياس: بدون شكّ.

الأثيني: إنّ هذه المدن شنَّت حرباً ضدّ طروادة، بالبحر كما بالبرّ، لأنّ الرجال ما عادوا يخافون البحر في ذلك الوقت.

كلينياس: بجلاء.

الأثيني: وبقي الآكاييون يحاربون عشر سنين إلى أن أسقطوا طروادة.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وأثناء السنين العشر التي كان الأكاييون Achaensيحاصرون إيليوم أثناءها، وقعت بيوت المحاصَرين في مأزق حرج. ثار شبابهم؛ وعند رجوع جنودهم إلى مدنهم الخاصّة وإلى عائلاتهم، فإنّهم لم يستقبلوهم بشكل لائق، كما ينبغي أن يفعلوا، وكانت عاقبة ذلك موت العديد منهم، قتلاً، ونفياً، وتشريداً. أمّا النفي فأتى لاحقاً تحت إسم جديد هو: لا آكايين بعد اليوم، وإنما دوريّون. والإسم الأخير مشتقّ من إسم دوريوس، لأنّه كان هو الذي جمعهم معاً ولمّ شملهم. أمّا بقية القصّة فإنّكم أيها اللاقيديمونيون، أنتم الذين أخبرتموها كجزء من تاريخ اسبرطة.

ميغيلوس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: وهكذا، فإنّ المحاورة بعد الاستطراد من المواضيع الأصليّة عن القوانين إلى الموسيقى وفترات الشراب، إنّ هذه المحاورة عادت إلى النقطة عينها بالعناية الإلهيّة، وأحضرت لنا مِقْبضاً آخر للتمسّك بها. ووصلنا إلى مستوطنة لاقيدايمونيا، وهي مستوطنة سليمة ومستقرّة، كما تصفها. وهكذا فإنّها الأخت المؤسّسة في جزيرة كريت. ونحنُ الأفضل للاستطراد كُلاًّ، لأنّنا مررنا بالبحث خلال حكومات ومستوطنات متنوّعة، وكنّا حضوراً عند تأسيس الدّولة الأولى، الثانية، والثالثة، تلك الدول التي أعقب بعضُها بعضاً في زمن لا نهائيّ. وبعدُ فإنّها تبدو في الأفق دولة رابعة أو أَمّة كانت في طور الاستيطان لمرّة والتي لم تزل تواصل استيطانها هذا لهذا الوقت. وإذا قدرنا أن نتبصّر أيّ استيطان هو أفضل أو أسوأ هذه الاستيطانات الأربع، وأن نستشفّ ما هي القوانين الإنقاذيّة والقوانين التدميريّة للمدن، وما

التغييرات التي ستجعل الدولة سعيدة، أوه يا ميغيلوس وكلينياس، إذا قدرنا على ذلك، فما يجب علينا سوى فعل ذلك الآن، إلاّ إذا كان لدينا خطأ ما كي نجد ما نبحث عنه في البحث السابق.

ميغيلوس: إذا وعدنا إله ما، أيّها الغريب، في أنّ تحقيقنا الجديد بشأن التشريع سيكون تحقيقاً صالحاً ومعافىً مثلما هو تشريعنا الحاضر، فإنّني سأسير في طريق بعيدة كي أسمع تشريعاً آخر كهذا، ولسوف أتصوّر أنّ هذا الطريق طريق طويل كطول اليوم الذي نحن فيه ـ ونحن الآن نقترب من أطول أيام السنة ـ أقول، إذا كان هذا الطريق كذلك فكم عليّ على الأصح أن أعتبره قصيراً لبحثٍ كالذي نحن فيه؟

الأثيني: أفترض إذن أنّه يجب عليَّ أن آخذ هذا الموضوع بعين الاعتبار.

ميغيلوس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: دعنا نضع أنفسنا في هذه اللحظة بالتفكير عندما كان اللاقيدايمونيّون والآرغوسيّون والميسينيون وبقيّة البيلوبونيّين، عندما كانوا جميعاً يرزحون تحت عبوديّة كاملة يقودها أسلافكم، يا ميغيلوس. إنّ إنجازاتهم التالية، كما تخبرنا الأسطورة، كانت تقسيم جيشهم إلى فرق ثلاث، والاستيطان في مدن ثلاث أيضاً وهي: آرغوس، ميسينا، ولاقيدايمونيا.

ميغيلوس: صدقاً.

الأثيني: وكان تيمينوس ملك مدينة آرغوس، كريسفونتس ملك مدينة ميسينا، بروكليس ويوريسينتس ملكي لاقيدايمونيا.

ميغيلوس: بدون ريب.

الأثيني: وأقسم رجال ذلك اليوم كلّهم اليمين لهؤلاء الملوك أنّهم سيساعدونهم إذا ما هدّم أيّ شخص ممالكهم.

ميغيلوس: حقّاً.

الأثيني: لكن هل يُستطاع تدمير مملكة، أو هل تمّ تدمير أيّ شكل آخر من أشكال الحكومات قطّ بواسطة أيّ شخص سوى الحاكمين أنفسهم؟ كلاّ حقاً، بزيوس، إنّه لم يتمّ ذلك. وهل نسينا ما قيل مسبقاً ومنذ مدّة ليست بعيد؟

ميغيلوس: لا، لم ننسَه.

الأثيني: أوَلا يمكننا أن نؤكّد أبعد من ذلك الذي ذكرناه حينئذ؟ لأنّنا توصّلنا نحن إلى الحقائق التي أرجعتنا إلى المبدأ الأساسي مرّة ثانية. وهكذا فإنّنا في استئنافنا البحث من جديد، لن نحقّق بشأن فكرة فارغة المحتوى، بل بخصوص أحداث جرت في الحقيقة. إنّ الحالة كانت كما يلي: ثلاثة أبطال ملكيين أقسموا يميناً لمدن ثلاث، مدن كانت حكومتها ملكيّة، وأقسمت المدن الثلاث للملوك الثلاثة، على أنّ الحكام والمحكومين على حدّ سواء سيَحكمون ويُحكمون طبقاً للقوانين المسنونة حينها والتي كانت قوانين عامّة لهم جميعاً. ووعد الحكّام أنّه كلّما تقدّم الوقت والسلالة المحكومة، فإنّهم لن يجعلوا حكمهم حكماً اعتباطيّاً. وقال المحكومون إنّه إذا راقب حاكموهم هذه القواعد والحالات، فلن يدمّروا أو يسمحوا للآخرين بتدمير هذه الممالك. كان على الملوك أن يساعدوا الملوك والشعوب عند تعرّضهم للأذى، وكان على الشعوب أن تساعد الشعوب والملوك بطريقة مماثلة. أليست هذه هي الحقيقة؟

ميغيلوس: نعم.

الأثيني: وأمّا الدول الثلاث التي أعطيت لها هذه القوانين، سواء إذا كان ملوكها هم الذين سنُّوها أو سنَّها ملوك آخرون، فإنّ هذه الدول كان لديها، ولهذا السبب، الضمانة الأعظم للإبقاء على قوانينها ومجتمعاتها وصيانتها.

ميغيلوس: أيّة ضمانة؟

الأثيني: ضمانة أن تأتي الدولتان الاثنتان الأخريان لتسعفها ضدّ تمرّد الدولة الثالثة.

ميغيلوس: حقاً.

الأثيني: قال العديد من الأشخاص إنّ المشرّعين يجب أن يفرضوا قوانين كهذه، كما ستكون جماهير الشعب جاهزة كي تتلقّاها. لكنّ هذا يكون تماماً مثلما لو كان شخص ليأمر أسياد ومدرّبي الألعاب الرياضية أو الأطباء بشفاء طلاّبهم أو مرضاهم بطريقة مماثلة ومقبولة.

ميغيلوس: بالضبط.

الأثيني: هناك فائدة أخرى أيضاً اقتناها الرجال تلك الأيام، وهي التي خفّفت من أعباء العمل الشاقّ لتنفيذ القوانين.

ميغيلوس: أيّة فائدة؟

الأثيني: إنّ مشرّعي تلك الأيّام، عندما ساووا في ملكيّة الأرض، نجوا من الاتّهام الكبير الذي ينشأ في التشريع بشكل عامّ، إذا حاول شخص أن يعيق اقتناء الأرض، أو أن يبطل الدّين، لأنّه يرى أنّه بدون هذا الإصلاح لن توجد أيّة مساواة حقيقيّة قطعاً. وبعدُ، عندما يحاول المشرّع أن يخلق تنظيماً جديداً لهكذا قضايا بشكل عامّ، فإنّ كلّ شخص يقابله بالصراخ، قائلاً: « إنّ عليه أن يُفسد نظام الفوائد المكتسبة »، معلنا باللعنات أنّه يُدخل قوانين تتعلّق بالأراضي وتلغي الديون، حتّى يكون الإنسان عند نهاية حصافته، في حين أن لا أحد يستطيع أن يتخاصم مع الدوريّين لتوزيعهم الأراضي. لم يكن هناك أيّ شيء يعوقهم عن فعل ذلك. وفي ما يخصّ الدّين، لم يكن لديهم أيّ شيء جدير بالاعتبار أو ثابت في القِدَم.

ميغيلوس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: لكن، يا أصدقائي الطيّبين، لماذا أصبح الاستيطان والتشريع في بلادهم هكذا رديئاً إذن؟

ميغيلوس: ماذا تعني، ولماذا تلومهم؟

الأثيني: كانت هناك ثلاث ممالك، إثنتان منها أفسدتا مجتمعيهما الأصليين وقوانينهما، وأمّا المملكة الوحيدة التي بقيت فكانت مملكة اسبرطة فقط.

ميغيلوس: إنّ السؤال الذي تسأله لا يمكن الإجابة عليه بسهولة.

الأثيني: وبرغم ذلك يجب الإجابة عليه عندما نحقّق بشأن القوانين. وكون هذا لعبة التسلية لرجالنا الرّزينين القدماء، التي نُمضي الطريق لهواً وتسلية بواسطتها، كما قلت عندما شرعنا بادىء ذي بدء ونحن نمضي في رحلتنا.

ميغيلوس: بالتأكيد، وينبغي علينا أن نكتشف لماذا كان هذا.

الأثيعي: أيّة قوانين تستحقّ اهتمامنا أكثر من تلك القوانين التي نظّمت مدناً كهذه؟ أو أيّة استيطانات للدّول هي أعظم أو أكثر شهرة؟

ميغيلوس: لا أعرف أيّاً غيرها.

الأثيني: هل نستطيع أنْ نشكّ بأنّ أسلافنا لم يقصدوا من سنّ هذه القوانين حماية بيلوبونيسوس فقط، بل حماية كلّ الهيلينيّين، في حال تعرّضوا لهجوم البربر؟ لأنّ القاطنين في المنطقة الغربية من ايليوم، عندما أثاروا جرب طروادة بغطرستهم، اعتمدوا على قوّة الأشوريّين وامبراطورية نينوى، التي لا تزال قائمة والتي كان لديها هيبة عظيمة. وخاف الشعب في تلك الأيّام وحدة الامبراطورية الأشوريّة كما نخاف نحن الملك العظيم الآن. وكان الاستيلاء الثاني على طروادة تعدّياً خطيراً ضدّهم، لأنّ طروادة كانت قطعة وجزءاً من الأمبراطوريّة الأشوريّة. ولكي نقابل الخطر ونتصدّى له وزّعنا الجيش الواحد بين المدن الثلاث بقيادة الأخوة الملكيّين، أبناء هرقل. إنّ هذه الأداة كانت أداة جيّدة، كما يبدو، وكان التنظيم تنظيماً أفضل ببعد كبير من ذلك الذي أُعِدَّ أثناء الحملة على طروادة. إذ، بادىء ذي بدء، كان لدى الشعب في تلك الأيّام، كما تصوّروا، قادة أفضل في الهرقليين ممّا لدى البلوبونيين، واعتبروا في المقام الثاني، أنّ جيشهم كان جيشاً متفوّقاً في الشجاعة على

الجيش الذي ذهب للحرب ضدّ طروادة. ورغم أنّ الأخير أخضع الطرواديّين، فإنّهم هم أنفسهم قد أخضعهم الهرقليّون ـ تماماً كما أَخضَع الدوريون الآكايين. أفلا يمكننا أن نفترض أنّ هذا القصد هو القصد الذي صاغ رجال تلك الأيّام قوانين دولهم بواسطته؟

ميغيلوس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: أولن يكون الرجال الذين شاركوا في العديد من الأخطار مع بعضهم بعضاً، والذين حكمتهم سلالة مفردة من الأخوة الملكيّين والذين قبلوا نصيحة الكهنة، وبشكل خاصّ نصيحة أبوللو الدلفي، أقول، أولن يعتقد هؤلاء أنّ دولاً كهذه ستؤسّس بشكل ثابت وأزليّ؟

ميغيلوس: طبعاً إنّهم سيعتقدون ذلك.

الأثيني: ومع ذلك فإنّ هذه المجتمعات، التي علّلت الأنفس بتوقّعات هكذا عظيمة منها، يبدو أنّها تلاشت كلّها بسرعة، ما عدا ذلك الجزء الصغير منها والذي لا يزال باقياً في أرضكم، كما قلت سابقاً. وهذا الجزء الثالث لم ينقطع عن الحرب أبداً ضدّ الجزأين الآخرين إلى هذا اليوم؛ في حين أنّه لو تمّ تنفيذ الفكرة الأصليّة، ووافق الكلّ على أن يكونوا واحداً ووحدة، فإنّ قوّتهم سيكون بإمكانها أن تكون قوّة لا تُقهر حرباً.

ميغيلوس: بدون شكّ.

الأثيني: لكن ماذا كان سبب خراب هذا الاتّحاد المجيد؟ هذا هو الموضوع الجدير بالاعتبار جيّداً.

ميغيلوس: بالتأكيد، لا أحد سيجد أبداً أمثلة أكثر لفتاً للنظر من القوانين والحكومات كونها المنقذ أو المدمّر لهذه المنافع الكبيرة والعظيمة. أقول، لا أحد سيجدها أكثر ممّا تكون مقدّمة له هنا.

الأثيني: إذن فإنّنا نبدو أنّنا الآن وصلنا والسعادة تغمرنا إلى السؤال الحقيقيّ والمهمّ.

ميغيلوس: حقيقيّ جدّاً.

الأثيني: هل لاحظت قطّ، يا صديقي الصوفيّ، أنّ كلّ الرجال وأنّنا نحن أنفسنا في هذه اللحظة، هل لاحظت أنّ الكلّ يتوهّمون أنّهم يرون شيئاً ما جميلاً يمكنه أنْ يحدث أعاجيب إذا ما عزف شخص ما كيف سيستخدمه بطريقة صحيحة ما فقط. ومع ذلك فإنّ هذا الأسلوب للبحث في الأشياء يمكن أن يبيّن أنّه أسلوب خاطىء بعد كل هذا البحث، وأنّه لا يطابق الطبيعة، لا في حالتنا الخاصّة ولا في أيّة حالة أخرى؟

ميغيلوس: إلامَ تشير أنت، وماذا تعني؟

الأثيني: إنّني فكّرت بإعجابي الخاصّ بالحملة الهرقليّة المنوّه عنها سابقاً، تلك الحملة التي ليس هناك أنبل منها، والتي يمكن أنّها حقّقت للهيلينيّين هكذا نتائج باهرة، إذا ما استُخدمت بطريقة صحيحة فقط؛ وكنت بذلك ضاحكاً على نفسي تماماً.

ميغيلوس: لكن ألم تكن عاقلاً ومحقّاً في الكلام الذي تفوّهت به، أولم نكن نحن كذلك في المصادقة على ما قلته؟

الأثيني: لربّما، وبرغم ذلك فإنّني لا أستطيع إلاّ أن أراقب أنّ أيّ شخص يرى أيّ شيء عظيم أو قويّ يعتريه الشعور حالاً وهو: « إذا ما عرف مالكه كيف سيستعمل ما يقتنيه بنبل، كم سيكون هو سعيداً، وكم ستكون النتائج التي سينجزها مدهشة! ».

ميغيلوس: أولن يُبرّر في ذلك؟

الأثيني: تأمّل مليّاً، في أيّة وجهة نظر يبدو هذا النوع من الثناء عادلاً: أوّلاً، في الإشارة إلى السؤال قيد البحث: إذا عرف القادة العسكريّون آنئذ كيف سيرتّبون جيشهم بشكل مناسب، كيف كانوا سيصلون إلى النجاح. ألا يجب أن تكون هذه الطريقة هي الطريقة التي إتّبعوا؟ ولو فعلوا لكانوا

أوثقوهم معاً بشكل مماسك وحفظوهم إلى الأبد، ووهبوهم الحرية والسلطة فوق اللذّة، مجتمعتين مع قوة الفعل في العالم أجمع، الهيلينيّ منه والبربريّ، مهما رغبوا هم أو رغب المتحدّرون منهم بذلك. ألا يمكن للرجال أن يثنوا عليهم بسبب هكذا هدف وقصد؟

ميغيلوس: إنّهم سيفعلون حقّاً.

الأثيني: حسناً، وبعدُ، ألا تبيّن المحاورة أنّ هناك رغبة واحدة مشتركة لكلّ الجنس الإنساني؟

ميغيلوس: وما هي؟

الأثيني: إنّها الرغبة التي يمتلكها إنسان، إذا أمكن، من أن تصبح كلّ الأشياء، الأشياء الإنسانيّة، على أيّة حال، وأن تحدث في تطابق مع رغبة روحه؟

ميغيلوس: بالتأكيد.

الأثيني: وبما أنّه يمتلك هذه الرغبة على الدوام، وفي كلّ وقت من أوقات الحياة، في الشباب، في زمن الرجولة، وفي سنّ الشيخوخة، فإنّه لا يستطيع إلاّ أن يصلّي من أجل تحقيقها.

ميغيلوس: بدون شك.

الأثيني: ونحن ننضمّ إلى أصدقائنا في صلواتهم، ونطلب لهم ما يطلبونه لأنفسهم.

ميغيلوس: إنّنا نفعل.

الأثيني: عزيزاً يكون الابن إلى الأب ـ الشابّ إلى المسنّ.

ميغيلوس: طبعاً.

الأثيني: ومع ذلك فغالباً ما يصلّي الابن كي يحصل على الأشياء التي يصلّي الأب كي لا يحصل عليها ابنه.

ميغيلوس: تعني أنّه عندما يكون الإبن فتيّاً أو أحمق؟

الأثيني: نعم، أو عندما يصلّي الأب في خَرَف الشيخوخة أو حرارة الشباب وليس

لديه أيّ فهم للحقّ والعدل، ومع ذلك يصلّي بحماسة تحت تأثير تلك المشاعر المجانسة لمشاعر ثيسيوس عندما لعن هيبوليتوس السّيِّء الحظّ. هل تتصوّر أنّ الإبن الذي لديه فهم للحقّ والعدل، سينضمّ إلى صلوات أبيه؟

ميغيلوس: أفهم أنّك تعني أنّ على الإنسان ألاّ يرغب أو ألاّ يكون في عجلة من أمره لامتلاك كلّ الأشياء طبقاً لرغبته، مع أنّ رغباته تتواصل كي تكون في خلاف مع عقله. لكنّ كلّ دولة وكلّ فرد يجب أن يصلّ ويناضل للحصول على الحكمة.

الأثيني: نعم، وإنّني أتذكّر، وستتذكر أنت ما قلته في البدء، وهو أنّ رجل الدولة والمشرّع يجب أن يُصدرا القوانين بقصد الحكمة؛ في حين أنّك جادلت أنّ المشرّع الصالح ينبغي أن ينظّمها كلّها بقصد الحرب. وأجبتك على هذا بأنّ هناك فضائل أربعاً. لكن بناء على وجهة نظرك فإنّ واحدة منها فقط كانت هدف التشريع. في حين أنّه يلزمك أن تعتبر الفضائل كلّها، خاصّة، تلك الفضائل التي تأتي أوّلاً، وتكون القائدة لكلّ الفضائل الباقية، أعني الحكمة والعقل والرأي، والتي لديها النزوع والرغبة في سلسلتها. وبعدُ فإنّ المحاورة تعود إلى النقطة الرئيسيّة عينها، وأقول مرّة أخرى وفي مزاح إذا أحببت، أو إذا أحببت ففي جدّيّة، أقول، إنّ صلاة الأحمق ملآنة خطراً؛ الأحمق عليه أن يصلّي على الأصحّ ليتمكنّ من الحصول على نقيض ما يصلّي له. وإذا أحببت بالأحرى أن تتلقّى كلماتي في شكل جدّي، فإنّني لعلى استعداد لجعلك تقبل بها. وأشتبه بأنّك ستجد، كما قلت مسبقاً، أنّ الجبن لم يكن سبب دمار الملوك وتخطيطهم بمجمله، لا ولم يكن جهلهم بالقضايا العسكريّة، لا من جانب الحكّام ولا من جانب المحكومين؛ بل إنّ سوء حظّهم كان سببه تفسّخهم الخلقّي وانحرافهم الجنسيّ، وخاصّة لجهلهم بالشؤون الإنسانيّة الأكثر أهميّة. تلك كانت ولا تزال إذن، وستكون الحالة

على الدوام. كما أنّني سأسعى، إذا ما سمحت لي، لأصف لك وأوضح قدر استطاعتي من هم أصدقائي، وذلك أثناء المحاروة.

كلينياس: صلِّ، واصل حديثك، أيّها الغريب. فالمدائح مزعجة، لكنّنا نحن سنبيِّن ونُظهر، ليس بالكلمة بلْ بالمأثرة، كيف أنّنا نقدِّر كلماتك، ونحن سنعطيها انتباهنا الأفضل. وتلك الطريقة هي الطريقة التي يبيِّن فيها الإنسان الحرّ استسحانه الأفضل لها، أو عدم استحسانه.

ميغيلوس: ممتاز، يا كلينياس، دعنا نفعل ما تقول.

كلينياس: مهما كلّف الأمر، إذا شاءَت السماء، واصل، واصل.

الأثيني: حسناً، سأواصل كلامي بأسلوب الأفكار عينه إذن، فأقول إنّ الجهل الأعظم كان خراب القوّة الدوريّة، وأنّه الآن، كما آنئذ، الجهل هو الخراب والدمار. وإذا كان هذا القول صحيحاً وحقيقيّاً، فما على المُشرّع إلاّ أن يسعى لغرس الحكمة في الدول، وطرح الجهل والتخلّص منه بأقصى قوّة يمتلكها.

كلينياس: إنّ ذلك لواضح.

الأثيني: إعتبر الآن إذن ما هو الجهل الأكبر في الحقيقة، سأحبّ أن أعرف إذا ما كنت ستتّفق معي أنت وميغيلوس في الذي أوشك أن أقوله؛ لأنّ رأيي هو...

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: رأيي أنّ الجهل الأعظم يكون عندما يكره إنسان ذلك الذي يعتقد أنّه خير ونبل، وبرغم ذلك فهو يحبّ ويتقبّل بسرور ذلك الذي يعرف أنّه شر وإثم. إنّ هذا التضارب وعدم الوفاق بين مفهوم اللذّة وحكم العقل في الروح هو الجهل الأسوأ، في رأيي؛ وهو الجهل الأعظم أيضاً لأنّه يؤثّر في الجزء الرئيسي من الروح الإنسانيّة. إنّ المبدأ الذي يشعر باللذّة والألم في الفرد

شبيه بالجزء الرئيسيّ أو الجماهيريّ في الدولة، وعندما تضادّ الروح المعرفة، أو الرأي، أو العقل، التي هي أسيادها الطبيعيّة، فذلك ما أسمّيه غباء، تماماً مثلما يحدث في الدولة عندما ترفض الكثرة إطاعة حكامها وإطاعة القوانين. أو ثانية، مثلما يحدث في الفرد، عندما يمتلك التفكيرات الواضحة والعادلة مسكنها في الروح، وبرغم ذلك لا تفعل أيّ خير، بل تفعل عكس الخير على الأصح. إنّني أسمّي كلّ هذه الحالات الجهل الأكبر، سواء أكانت في الأفراد أو في الدول. إنّك ستفهم، أيّها الغريب، أنّي أتكلّم عن شيء ما مختلفٍ عن الجهل لرجال الصناعات اليدوية.

كلينياس: نعم، يا صديقي، إنّنا نفهم ما تعني ونوافق عليه.

الأثيني: دعنا إذن، نعلن ونؤكّد في المقام الأوّل أنّ المواطن الذي لا يعرف هذه الأشياء يجب أن لا يمتلك أبداً أيّ نوع من أنواع السلطة المعهود بها إليه. يجب أن يُوسَم بسمة الجهل والجهلاء، برغم أنه يكون متضلّعاً في الحساب وبارعاً في كلّ نوع من أنواع الإنجازات، ويعمل ببراعة عقلية. ويجب أن يدعى الأضداد عقلاء، رغم أنّهم، وكما يصفهم المثل القائل، لا يعرفون كيف يقرؤون ولا كيف يَسبَحون؛ ولهم يجب أن تودع السلطة، مثلما تودع للرجال ذوي الفهم والإدراك. إذ، أوه يا أصدقائي، كيف يمكن أن يكون الأثر أو الشبح الأقل للحكمة حيث لا يكون الإيقاع والانسجام؟ إنّ الحكمة لا يوجد منها أيّ شيء حيث لا يوجدان. لكن يمكن أن يقال بحقّ إنّ التناسقات والانسجامات الأنبل والأعظم هي الحكمة الأعظم. ولهذا فإنّ مَنْ يحيا طبقاً للعقل يكون شريكاً فيها، في حين أنّ الذي يكون خلواً من العقل يدمّر بيته وهو الضدّ بالتحديد لمن ينقذ الدولة: إنه يجهل الحكمة السياسيّة بشكل كليّ. دعنا نضع هذا كحجر أساسٍ لما نقول، وكما قلت ذلك من قبلُ.

كلينياس: دع هذا الحجر الأساس يتمّ وضعه.

الأثيني: أفترض أنّه يجب أن يكون هناك حكام ومحكومون في الدول؟

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الاثيني: وما هي المبادىء والقواعد التي يجب أن يحكم الرجال على أساسها وأن يطيعوا القوانين في المدن، سواء إذا كانت مدناً كبيرة أو صغيرة؟ وكذلك هي الحال في العائلات بشكل مماثل. فما هي هذه المبادىء، وكم عددها؟ ألاَ يوجد مطلب واحد للسلطة يكون مطلباً عادلاً على الدوام؟ إنّه سلطة الآباء والأمّهات وسلطة الأجداد الأُوَل كي يسودوا ذريّتهم بشكل عامّ.

كلينياس: هناك مطلب كهذا.

الأثيني: يلي تالياً المبدأ الذي يقول إنّ الأنبل يجب أن يحكم الأحقر؛ وثالثاً، يجب أن يحكم الأكبر سنّاً الأفتى والأفتى ينبغي أن يطيع.

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: ورابعاً، ينبغي أن يُحكم العبيد، وأن يَحكم أسيادُهم؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: خامساً، يأتي المبدأ الذي يقول إنّ الأقوى سيَحكم، وإنّ الأضعف سيُحكم، إذا لم أكن مخطئاً؟

كلينياس: يجب أن لا يُعصى هذا المبدأ.

الأثيني: نعم، وإنّه المبدأ الذي يسود بين المخلوقات كلّها بشكل واسع جدّاً، وهو يتطابق مع الطبيعة، كما قال مرّة بيندار شاعر طيبة. وأمّا المبدأ السادس فهو أعظم المبادىء كلّها، وهو أنّ العاقل يجب أن يقود ويأمر، والجاهل ينبغي أن يتبع ويطيع. ومع ذلك، أوه يا أيها البيندار الأكثر عقلاً وحكمة، كما يلزمني أن أجيبه، إنّ هذا القول ليس قولاً معاكساً للطبيعة بكلّ تأكيد، بل إنّه طبقاً للطبيعة، كونه حكم القانون فوق الرعيّة، وليس حكماً بالإكراه.

كلينياس: الأكثر حقيقة

الأثيني: هناك نوع سابع من أنواع الحكم الذي تكافئه الأكثريّة وتعزّه الآلهة وله علامة من علامات الحظّ السعيد، وهو الذي يقع عليه رأي الأكثريّة ليكون حاكماً. وأمّا الذي يخفق في الحصول على هذا الرأي فيبتعد عن الحكم ويتبع، ونؤكّد نحن أنّ هذا الشيء هو شيء عادل تماماً.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: « الآن إذن »، كما سنقول مازحين لأيٍّ من أولئك الذين يتولّون أمر سنّ القوانين باستخفاف، « أنتم ترون، أيّها المشرّعون، قواعد الحكومة ومبادئها، وترون كم هي عديدة ومتنوّعة، وأن بعضها يضادّ بعضها الآخر بشكل طبيعيّ. إنّنا اكتشفنا هناك رأس نافورة للتحريض على الفتنة والعصيان، والتي يجب عليكم أن تولوها أمر عنايتكم باهتمام. وبادىء ذي بدء، فإنّنا سنطلب إليكم أن تتأمّلوا مليّاً معنا، كيف وبأيّة وجهة نظر انتهك ملوك آرغوس وميسين هذه القواعد التي تشكّل مبادىء أساسيّة من مبادئنا، وأهلكوا أنفسهم وحطّموا القوة الهيلينية العظمى الشهيرة في ذلك الزمن القديم أيضاً. أفلم يكن ذلك لأنّهم لم يعرفوا كيف تكلّم هيسيود بحكمة وتعقّل عندما قال إنّ النصف يكون أكثر من الكلّ غالباً؟ بما معناه أنّك عندما تأخذ الكلّ فسيكون ذلك شيئاً خطيراً، أما أخذ النّصف فتلك هي الطريقة الآمنة والمعتدلة. إذن فان الطريقة الاعتدالية والأفضل أفضل من الطريقة المفرطة أو الطريقة الأسوأ ».

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وهل يمكننا أن نفترض أنّ هذه النفس المفرطة تكون أكثر هلاكاً عندما تُوجد بين الملوك أكثر ممّا توجد بين الشعوب؟

كلينياس: الشيء الأكثر احتمالاً هو أنّ الجهل سيكون فوضى خاصّة عندما يسود ويتفشّى بين الملوك، لأنّ الملوك يقودون ويحيون حياة بذخ.

الأثيني: أوليس شيئاً ملموساً أنّ هدف الملوك الأساسي لذلك الزمان كان الحصول على الأفضل من القوانين المشترَعَة، وأنّهم فقدوا التناسق الذي اتّفقوا عليه بالكلمة والقَسَم أن يرسّخوه؟ إنّ هذا الافتقار للتناسق يمكن أنّه كان لديه مظهر الحكمة، لكنّه كان الجهل الأكبر، كما تؤكّد الحقيقة، وقلب الأمبراطورية كلّها رأساً على عقب بشكل مطلق بواسطة التنافر والنزاع القاسي.

كلينياس: محتمل جدّاً.

الأثيني: جيّد؛ وأيّة مقاييسَ يجب أن يتّخذها المشرّع في ذلك الزمان كي يتفادى هذه الكارثة؟ ليس هناك حكمة عظيمة في أن نعرف حقاً، ولا صعوبة عظيمة في أن نخبر ذلك، بعد أن حدث الشرّ المستطير. لكن كي نتنبّأ بالعلاج في ذلك الوقت فإنّ ذلك كان يلزمه رأسٌ تملأه الحكمة أكثر ممّا تملأ رؤوسنا.

ميغيلوس: ماذا تعني؟

الأثيني: إنّ أيّ شخص ينظر في ما حدث معكم أيّها اللاقيدايمونيّون، يا ميغيلوس، يمكنه أن يعرف بكلّ سهولة، ويمكنه أن يقول ما كان يجب أن يُفعل في ذلك الزمان.

ميغيلوس: تكلّم بوضوح وصراحة أكثر.

الأثيني: لا شيء يمكن أن يكون أكثر جلاء من الملاحظة التي أنا على وشك أن أبديها.

ميغيلوس: وما هي الملاحظة؟

الأثيني: الملاحظة هي أنه إذا أعطى أيّ شخص قوّة كبرى لأيٍّ شيء، قوّة واسعة أكثر ممّا ينبغي تجعل القارب يبحر، وأيضاً إذا أعطى غذاءً للجسم أكثر ممّا ينبغي، وسلطة للعقل أكثر ممّا ينبغي، ولن يراقب التوسط والاعتدال، فإنّ كلّ

شيء سيّقلب حينها رأساً على عقب، وينقاد الإنسان في الإفراط العابث المطلَق العِنان، ينقاد في إحدى الحالتين إلى الفوضى الشاملة، وفي الحالة الأخرى إلى الظلم الذي هو وليد الإفراط. أعني يا صديقي العزيز، أنّه ليس هناك إنسان، فتيّ وغير مسؤول، قادر على أن يتحمّل إغراء السلطة الاستبدادية. إذ لا أحد يستطيع إلاّ أن يصبح ممتلئاً بالغباء، تحت حالات كهذه، هذا الغباء الذي يُعتبر المرض الأسوأ. أقول لا أحد إذا كان كذلك سيكرهه أصدقاؤه الأقرب والأعلى، وعندما يحدث هذا فإنّ مملكته تصبح مملكة مقوّضة الدعائم، وستتلاشى كلّ قوّته وتغادره، وستكون المملكة محتاجة إلى مشرّع كبير ليعرف التوسّط والاعتدال، وأن ينتبه للخطر. وبقدر ما نستطيع أن نخمّن الآن ماذا حدث في هكذا مسافة من مسافات الزمن، كانت الأحداث كما يلي...

ميغيلوس: ماذا؟

الأثيني: إنّ إلهاً، حَرَس اسبارطة، وقد استشرف ما في المستقبل، أعطاكم عائلتين من عائلات الملوك بدلاً من عائلة واحدة. وهكذا أحضركم أكثر إلى داخل حدود الاعتدال. في المقام الثاني، فإنّ حكمة إنسانيّة ما ممزوجة بالقوّة الإلهيّة، مراقبة أنّ تكوين حكومتكم كان تكويناً لا يزال شديداً ومُثاراً. إنّ هذه الحكمة الإنسانيّة لطّفت قوّتكم الجسديّة الموروثة وكبرياء مولدكم، مع الاعتدال الذي أتى مع الدهر، جاعلة قوّة شبابكم في سنّ الثامنة والعشرين قوّة متساوية مع تلك القوّة التي لدى الملوك، وذلك في القضايا الأكثر أهميّة. لكن منقذكم الثالث، مدركاً أنّ حكومتكم كانت لا تزال حكومة ممتلئة بالغرور ومزبدة، وبما أنّه رغب في أن يكبح جماحها نصّب القضاة الاسبرطيين الخمسة الذين جعل قوّتهم تعادل قوّة الحكّام المنتخبين بالأكثرية. وبهذا التنظيم للمنصب الملكيّ، كون هذا المنصب مؤلّفاً من العناصر اليمينيّة

والمعتدلة بشكلٍ وافٍ، تمت وقايته وحفظه، وكان وسيلة الإبقاء على كلّ المناصب الباقية. ومنذ ذلك الحين، إذا ما وُجد المشرّعون الأصليون فقط، تيمينوس، كريسفونتيس، ومعاصروهم، وبالقدر الذي يتعلّق بهم فإنّه حتى ولا الجزء من تشريع أريستوديموس قد أمكن الحفاظ عليه، أقول هذا لأن المشرّعين لم تكن لديهم الخبرة في التشريع، أو أنّهم لم يتصوّروا بالتأكيد أنّ الأيامين سوف تلطّف النفسيّة الشابّة الممنوحة سلطة يمكن أن تُحوَّل إلى حكم طغاة مستبدّين. وبعدُ فإنّ الله علّمنا أيَّ نوع من أنواع الحكومة كان أو سيكون أزلياً وباقياً، وليس هناك حكمة في الحكم على الأمور بعد الحدَث، كما قلت سابقاً، ولا صعوبة في التعلّم من المثال الذي وقع بشكل مسبق. لكن إذا استطاع أيّ شخص أن يرى كلّ هذا في ذلك الوقت، وكان قادراً على أن يجعل حكومات الملكيّات الثلاث حكومات معتدلة وأن يوحّدها في حكومة واحدة، لأمكنه أن ينقذ كلّ القوانين الممتازة التي تمّ تصوّرها حينئذ، ولم تكن لتجرؤ حتّى القوّة الفارسيّة المسلّحة ولا غيرها أن تهاجمنا، أو أن تعتبر هيلاس كقوّةٍ يُستخفّ بها.

كلينياس: حقّاً.

الأثيني: وكان لنا فضل صغير، يا كلينياس، في هزمها، ولم يكن العار في أن الفاتحين لم يسجّلوا انتصارات باهرة في البرّ وفي البحر كليهما. بل إنّ الذي جلب العار في رأيي، وقبل كلّ شيء، هو الحالة التي جرت فيها هذه الحرب، حين كانت مدينة واحدة من المدن الثلاث تحارب بالنيابة عن هيلاس كلّها، وكانت المدينتان الباقيتان غير صالحتين لأيّ شيء بشكل مطلق، بل إنّ واحدة منها سعّرت حرباً عارمة وضروساً ضدّ لاقيدايمونيا. وهكذا فإنّها مُنعت من تقديم المساعدات، في حين أنّ مدينة آرغوس، التي كانت لديها الصدارة وقت التوزيع، فإنّ المساعدة طُلبت منها في طرد الغزاة

البربر، لم تستجب للنداء ولم تقدّم المساعدة. أشياء كثيرة يمكن أن تقال عن هيلاس في ما يتعلّق بتلك الحرب التي هي حرب بعيدة كلّ البعد عن أن تكون حرباً مشرّفة. لا، حقّاً، وهل يمكن أن نقول بصدق إنّ هيلاس طردت الغزاة، والحقيقة تشهد أن الأثينيين واللاقيدايمونيين لم يعملوا معاً بانسجام، ولم يتفادوا النير الوشيك الوقوع ليطوّق رقابهم حرباً. إنّ قبائل هيلاس كلّها كانت مندمجة في تشوّشٍ وممزوجة به مع بعضها البعض، فالبربر سيختلطون بالهيلينيين والهيلينيون بالبربر، تماماً كما هي الأمم التي تخضع للقوّة الفارسية الآن بسبب الانفصالات والاندماجات اللاطبيعيّة لها، وتماماً كما تكون مشتّتة ومبعثرة وتعيش حياة شقيّة. إنّ هذه هي التأنيبات، يا كلينياس وميغيلوس، التي يجب علينا أن نوجدها ضدّ رجال دولنا وضدّ المشرّعين الماضين منهم والحاضرين، كما يُسمّون، إذا أردنا أن نحلّل أسباب إخفاقهم، وأن نكتشف ما هي الأشياء الأخرى التي وجب القيام بها من أجل ذلك. لقد قلنا لتوّنا الآن، وكمثال، إنّه ينبغي أن لا توجد سلطات عظيمة وغير ممزوجة، وورد هذا القول تحت فكرة أنّ دولة يجب أن تكون دولة حرّة وحكيمة ومتناسقة، وأن مشرّعنا عليه أن يشرّع قصد الوصول إلى هذه الغاية. لا ولا يوجد أيّ سبب كي ننشده ونفاجأ في افتراضنا المتواصل للأهداف أو الأغراض التي نمد المشرّع بها، والتي تبدو أنها ليست الشيء عينه على الدوام، بل ينبغي علينا أن نعتبر متى نقول إنّ الاعتدال يجب أن يكون القصد من وراء تشريعه، أو أن تكون الحكمة، أو أن تكون الصداقة هي القصد والهدف. إنّ كل هذه الأهداف هي أهداف للشيء عينه في الحقيقة؛ وإن كانت المنوّعات هي هكذا في أساليب التعبير، فلا يجب أن تزعجنا على الإطلاق.

كلينياس: دعنا نبدأ المحاورة من جديد بالنفسية تلك. وبعدُ، ففي ما يتعلّق بالصداقة

والحكمة والحريّة، أخبرنا بماذا كنت تفكّر عندما كنت على وشك أن تقول إنَّ المشرِّع يجب أن يوجّه فكره نحوها؟

الأثيني: إستمع إليّ إذن. هناك شكلان من أشكال أُمَّات الدول، يمكن القول إنَّ الدول الأخرى تصدر عنهما. ويمكن أن يقال إنَّ إحداها ملكيَّة والأخرى ديموقراطيَّة. إنّ الفارسيّين يمتلكون الشكل الأسمى من الملكيَّة، ونمتلك نحن الشكل الآخر، وكل أشكال الدول الأخرى هي تنوّعات لهذه، كما قلت سابقاً. وبعدُ، إذا كنت أنت لتمتلك الحريّة وامتزاج الصداقة مع الحكمة، فيلزمك أن يكون لديك الشكلان كلاهما من أشكال الحكومات هذه بِقَدْرٍ. وتعلن المناظرة بشكل علنيّ وقاطع أنّه لا يمكن لأيّة مدينة أن تُحكم جيّداً إذا لم يتمّ تشكيلها من هذين الشكلين كليهما.

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: ليس أُولاها، بما أنّها أُلصقت على وجه الحصر وإلى حد بعيد بالملكيَّة، ولا الأخرى بما أنها أُلصقت بالحريّة بشكل مماثل، وراقبت الاعتدال. لكنّ دولكما اللاقونية والكريتية، لديها الكثير منها، وكانت الحالة هي عينها مع الأثينيين والفارسيّين في الأزمان الغابرة، لكنّ لديهم الأقلّ منها الآن. هل سأقول لك لماذا؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر، إذا ما كان ذلك سيُعنى بإيضاح موضوعنا.

الأثيني: إسمع إذن: منذ زمن كان لدى الفرس دولة أكثر من الدولة الوسط بين العبودية والحريّة. ففي حكم سيروس كان الفرس رجالاً أحراراً وكانوا سادة الشعوب العديدة أيضاً. أعطى الحكام حصّة من الحريّة لتابعيهم. وكونهم عوملوا كمتساوين مع الحكّام، فإنّ الجنود كانوا على علاقات طيّبة مع قادتهم العسكريّين، وأظهروا أنّهم أكثر استعداداً للتضحية ساعة الخطر. وإذا وُجد أيّ إنسان حكيم بينهم، قادر على أن يبدي مشورة صالحة، فإنّه كان

ينقل حكمته إلى الشعب كافّة لأنّ الملك لم يكن غيوراً، بل منح شعبه حريّة الكلام كاملة، وأعطى تقديره وتكريمه لأولئك الذين يستطيعون أن ينصحوه في أيّة قضيّة. وأصبحت الأمّة الفارسيّة ممتلئة بالاحترام، لأن الحرية والصداقة والمشاركة العقلية وجدت بين المواطنين.

كلينياس: يبدو أنّ هذه هي الحالة التي سادت بكلّ تأكيد.

الأثيني: كيف فُقدت هذه الميزة تحت حكم قمبيز إذن، ومن ثمّ تمت استعادتها في عهد سيروس؟ هل سأحاول أن أتنبأ؟

كلينياس: إنّ التحقيق له صلة بموضوع بحثنا، بدون شكّ.

الأثيني: أتصوّر أنّ سيروس، برغم أنّه كان قائداً عسكريّاً وطنيّاً، لم يعطِ اهتمامه للتعليم قطّ، ولم يُعِرِ اهتماماً لنظام أسرته.

كلينياس: ما الذي جعلك تقول هذا؟

الأثيني: أعتقد أنّه كان جندياً منذ فتوّته فصاعداً، وعهد بتربية أطفاله إلى النساء؛ ولقد ربيّنهم منذ طفولتهم وكأنهم ثروة كبيرة، وكانوا مباركين بشكل مسبق، ولم يحتاجوا لأيّة بركات أكثر. وبما أن النساء ظننَّ أنّهنَّ امتلكن كلّ ما هو ضروريّ للسعادة فإنّهنَّ لم يمنعن أيّ شخص من أن يعارضهنَّ في أيّة طريقة قط، بل أجبروا كلّ شخص على أن يكيل الثناء والمديح لكل الذي قلنه أو فعلنه، هكذا كانت الطريقة التي ربّينهم على أساسها.

كلينياس: إنّه لتعليم باهر ورائع حقّاً.

الأثيني: إنّ تعليماً كهذا هو مثل التعليم الذي كانت تعطيه النساء على الأرجح، خاصّة الأميرات اللواتي أصبحن غنيّاتٍ حديثاً، وفي غياب الرجال أيضاً، أولئك الرجال الذين كانوا منهمكين في الحروب والأخطار، ولم يكن لديهم وقت للاعتناء بهم.

كلينياس: وماذا تتوقّع؟

الأثيني: إنّ آباءَهم امتلكوا مقتنيات من القطعان والأغنام، والكثير من جماهير الرجال وقطعان الحيوانات الأخرى؛ لكنّهم لم يعتبروا أنّ أولئك الذين كانوا على وشك تسليمها لهم، لم يعتبروا أنهم لم يكونوا مدرّبين في طلبه الخاصّ هذا، الذي كان طلباً فارسيّاً. إنّ الفرس شعب رعاة، أبناء أرض وعرة، أرض هي أمّ عابسة، كما أنها أمّ مناسبة لإنتاج سلالة قويّة، سلالة قادرة على أن تعيش في الهواء الطلق، وقادرة على أن تستمرّ بدون نوم وأن تحارب أيضاً، إذا ما احتاجت لذلك[٨]. إنّ الملك الفارسيّ لم يلاحظ أنّ أبناءَه تدرّبوا بشكل مختلف، وبواسطة ما يسمى المباركة لكونهم ملكيّين ولأنّهم تعلموا بالطريقة الميديّة بواسطة النساء والخصاة الذين قادوهم ليصيروا كالناس الذين تربّوا بطريقة غير تأنيبيّة. وهكذا، فإنّ أبناء سيروس تسلّموا حكم المملكة بعد موته، تسلّموها وهي تعج بالبذخ والفسق، وذبح الابنُ الأوّل الآخرَ لأنّه لم يستطع أن يتحمّل منافساً له. وبعد ذلك، فإنّ الذابح نفسه، الذي أفقده النبيذ والغلظة رشده، فقد مملكته بسبب تسلّط الميديين والخصاة عليها، كما سَمَّاه، من استخفّ بغباء قمبيز.

كليناس: هكذا جرت القصّة، وتلك هي الحقائق بشكل ممكن.

الأثيني: نعم؛ ويقول العرف إنّ الأمبراطوريّة عادت إلى الفرس بواسطة داريوس والرؤساء السبعة.

كليناس: صدقاً.

الأثيني: دعنا ندوّن باقي القصّة. لاحظ أنّ داريوس لم يكن ابن ملك، ولم يتلقّ تعليماً باذخاً. وعندما وصل إلى العرش، كونه واحداً من الرؤساء السبعة، قسّم البلاد إلى مقاطعات سبع، ولا تزال هناك آثارٌ باقية، ولو أنّها وهميّة، من خلال هذا الترتيب الذي اختطّه. لقد سنّ قانوناً على أساس المبدأ مدخلاً المساواة العالميّة فيه وفي نظام الدولة، وجسّد في قوانينه توطيد الجزية التي

وعد بها سايروس. وهكذا فإنّه خلق شعوراً من الصداقة والتنظيم ذي المصالح المشتركة بين الفرس جميعاً. ومن ثمّ فإنّه ألصقهم به بل ألصق الشعب الفارسيّ كلّه بهبات المال والهدايا. لذا فإنّ جيوشه اكتسبت له بلداناً بمساحة تلك البلدان التي تركها سايروس خَلْفه، وفعلوا ذلك بكلّ حبور. لكنّ داريوس خَلَفهُ ابنُه أحشوروش، وتربّى هذا الابن في الرّخاء الملكيّ ذي الأسلوب الناعم ثانية. أفلا يمكننا أن نقول لداريوس بالعدل الأكثر: « أوه يا داريوس، كيف توصّلت لإنجاب هذا الابن أحشوروش بالطريقة عينها التي ربّى فيها سايروس قمبيز، ولم ترَ خطأه القاتل ». فأحشوروش، كونه إبداع التعليم عينه، لاقى المصير نفسه الذي لقيه قمبيز، ومن ذلك الوقت إلى وقتنا هذا لم يُوجد قطّ أيّ ملك عظيم بين الفرس، برغم أنّهم كلّهم كانوا ملوكاً عظاماً. ولا يجب أن يُنسب انحلالهم إلى محض الصدفة، كما تمّ إثبات ذلك؛ لكنّ السبب هو الحياة السيّئة على الأصحّ التي يعيشها أبناء الأشخاص ذوي الغنى الفاحش والملكيّين بشكل عامّ. إذ لن يكون هناك صبيّ أو رجل سواء كان فتيّاً أو مسنّاً، متفوّقاً في الفضيلة، ممّن قد تلقّى تعليماً كهذا. لذلك أقول إنّ هذا هو ما يجب على المشرّع أن يأخذه بعين الاعتبار، والذي يجب علينا أن نأخذه بعين الاعتبار في هذه اللحظة أيضاً. يمكن أن نثني عليكم، أوه أيّها اللاقيدايمونيون بعدل، فأنتم في ذلك لا تعطون تكريماً خاصّاً أو تعليماً خاصّاً في الغنى بدلاً من إعطائه في الفقر، أو في الملكيّ بدلاً من المنزلة الاجتماعية، حيث لم يأمر المشرّع الإلهيّ والملهم بإعطائه في الأصل. لا إنسان ينبغي أن يحوز شرف السبق في دولة لأنّه يبزّ الآخرين غنىً، أكثر ممّا يحوزه بسبب أنّه سريع العدو خطىً أو جميلٌ قويُّ الجسم شديدُه، ما لم يمتلك فضيلة ما فيه. لا ولا حتّى إذا امتلك فضيلة، ما لم يمتلك هذه الفضيلة الخاصّة للاعتدال.

ميغيلوس: ماذا تعني، أيّها الغريب؟

الأثيني: أفترض أنّ الشجاعة جزء من الفضيلة؟

ميغيلوس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: إسمع الآن إذن واصدر الحكم بنفسك: هل تحبّ أن يكون لدى رفيق نزيلك أو الجار يقطن بقربك، هل تحبّ أن يكون لديهما إنسان شجاع جدّاً، وليس له سيطرة على نفسه؟

ميغيلوس: لا قدّرت السماء!

الأثيني: أو لفنّانٍ حاذقٍ في مهنته، لكنّه فنّان شرّير وخبيث؟

ميغيلوس: لا بالتأكيد.

الأثيني: والعدل لا ينمو بمعزل عن الاعتدال؟

ميغيلوس: مستحيل.

الأثيني: بأكثر من إنساننا العاقل النموذجيّ الذي عرضناه ممتلكاً لملذّاته وآلامه متماثلة بالعقل الحقيقي ومتطابقةً معه، والتي يمكن أن تكون مفرطة.

ميغيلوس: لا.

الأثيني: هناك اعتبار أبعد متعلّق بالجائزة المستحقّة وغير المستحقّة للتكريمات في الدولة؟

ميغيلوس: وما هو؟

الأثيني: أحبّ أن أعرف إذا كان اعتدال بدون الفضائل الأخرى، يوجد منفرداً في روح إنسانٍ، كي يُمدح أو يُلام بحقّ؟

ميغيلوس: لا أستطيع القول.

الأثيني: إنّ هذا الجواب هو الجواب الصحيح، إذ مهما كان الجواب المنتقى الذي اخترته، أعتقد أنّك كنت ستختاره بطريقة خاطئة.

ميغيلوس: إنّك لمحظوظ.

الأثيني: جيّد جدّاً، إنّها نوعيّة هي مجرّد ملحق للأشياء التي يمكن الثناء عليها أو لومها، ولا تستحقّ أيّ تعبير آخر عن الرأي، بل هي الأفضل عند التغاضي عنها بصمت.

ميغيلوس: إنّك تتكلّم عن الاعتدال.

الأثيني: نعم، لكنّ التكلّم عن الفضائل الأخرى، كتلك التي تمتلك هذه النوعيّة، فهي ذات المنفعة الأكثر أيضاً، وستكون الأكثر استحقاقاً للتكريم، وكذلك الفضائل التالية التي تكون نافعة في الدرجة التالية أيضاً. وهكذا فإنّ كلّ واحدة منها ستُكرّم طبقاً لنظام منتظم حقّاً.

ميغيلوس: حقاً.

الأثيني: أوَلا يجب على المشرّع أن يقرّر هذه الأنواع؟

ميغيلوس: ينبغي أن يفعل ذلك بالتأكيد.

الأثيني: إفترض أنّنا نترك له تنظيم التفاصيل. لكنّ تقسيم القوانين العام طبقاً لأهميتها، تقسيمها إلى نوع أوّلٍ وثانٍ وثالث، فيجب علينا، نحن محبيّ القوانين، أن نجدها ونرتبها.

ميغيلوس: جيّد جدّاً.

الأثيني: نحن نؤكّد إذن، أنّ الدولة التي ستكون دولة آمنة وسعيدة، بقدر ما تسمح به الطبيعة الإنسانية، يجب أن تضع التكريم حيث يجب والإهانة حيث تلزم بالطريقة الصحيحة. والطريقة الصحيحة هي أن توضع خيرات الروح أولاً، وأن تكون الأعلى في الميزان وإنه لأمر مفروغ منه إنّ الاعتدال يلزم أن يكون حالتها على الدوام، وأن يُنسب المكان الثاني لخيرات الجسد. وأمّا المنزلة الثالثة فللمال والممتلكات. وإذا تخلّت أيّة دولة أو مشرّع عن هذه القاعدة بإعطاء المال منزلة الشرف، أو إذا آثرت ذلك الذي لا يدوم في أيّة طريقة حقّاً، أفلا يمكننا أن نقول إنّها، هي أو هو، تفعل شيئاً غير مقدّس وغير وطنيّ؟

ميغيلوس: نعم، دع هذا يُعلن بشكل واضح.

الأثيني: إنّ اعتبار الحكومات الفارسيّة المتعاقبة في محاورتنا قادنا إلى هكذا بُعدٍ كي نُسهب فيها، لقد علّقنا أنّ الفارسيّين ازدادوا بشكل أسوأ وأسوأ. وأكّدنا السبب لهذا عندما قلنا إنّهم قد قلّلوا من حريّة الشعب الفارسيّ، وأدخلوا الكثير من الحكم المطلق، وهكذا فإنّهم دمّروا الصداقة والشعور المشترك الذي يربطُ ما بين المجتمعات. وعندما ينتهي هذان الشيئان، فإنّ الحكام لا يحكمون بالنيابة عن رعاياهم أو بالنيابة عن شعبهم بعد اليوم، بل إنّهم يحكمون عن أنفسهم. وإذا ما تصوّروا أنّهم يستطيعون كسب أيّة فائدة لأنفسهم مهما صغرت، فما يؤدُّون بذلك إلاّ دماراً شاملاً للمدن، ويوقدون ناراً ويسبّبون إقفاراً بين السلالات الصّديقة. وكما يكرهون هم بشكل فظّ ورهيب. هكذا هم مكروهون؛ وعندما يريدون من الشعب أن يحارب لهم ومن أجلهم، لا يجدون شعوراً مشتركاً وإرادة جامعة كي يخاطر الشعب بحياة أبنائه نيابة عنهم. إنّ أعدادهم الضخمة التي لا يحدّها حصر هي عديمة الفائدة على أرض المعركة. وهم يعتقدون أنّ خلاصهم يتوقّف ويعتمد على استخدام الجنود المرتزقة وعلى الغرباء. ولا يمكنهم إلا أن يكونوا أغبياء، ذلك ما داموا يعلنون ويظهرون بأعمالهم أنّ الفوارق العاديّة للصواب والخطأ التي تطبّق في الدولة هي فوارق تافهة، عند مقارنتها بالذّهب والفضة.

ميغيلوس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وبعدُ فإنّ ما قلناه يعتبر كافياً عن الفارسيّين، وعن الإدارة السيّئة لحكومتهم الحاضرة التي سببها التطرّف في العبوديّة وحكم الطّغاة المطلق بينهم.

ميغيلوس: جيّد.

الأثيني: يجب علينا أن ننتقل تالياً إلى معاينة الحكومة الأتيكية بأسلوب مماثل، وأن نبيّن من هذا الفحص الدّقيق أنّ الحريّة أساسيّة، وأنّ غياب كلّ السلطة

السامية ليست بأيٍّ معنى من المعاني جيّدة. كذلك لا تكون الحكومة التي يتمّ اختيارها بواسطة الرسميّين المختارين، سوى حكومة محدودة بشكل مناسب. وتلك الحكومة كانت قائمة وموجودة، بل إنّها كانت أساس بنية مجتمعنا الأثيني الغابر عندما قام الفرس بهجومهم على هيلاس في ذلك الزمان، أو، فلنتكلّم بشكل أكثر صحّة، عندما قاموا بذلك الهجوم على قارّة أوروبا كلّها. لقد كان على أرض هيلاس أربع طبقات منظّمة طبقاً لإحصاء الممتلكات الرسميّ، وكان الوقار والمهابة ملكتنا وسيّدتنا، وجعلانا مريدين ومستعدّين للحياة في طاعة القوانين التي سادت حينئذ. إنّ اتساع وامتداد رقعة القوّات المسلحة الفارسيّة في البحر وعلى البرّ أيضاً سبّب إرهاباً لا عون له، ذلك الإرهاب الذي جعلنا خدماً لحكّامنا ولقوانيننا بشكل أكثر وأكثر طاعة. وبسبب كلّ هذه الأشياء فإنّ الانسجام الاستثنائي ساد بيننا. كان هذا قبل عشر سنين من الالتحام البحريّ الدامي الذي خضناه ضدّ الفرس في معركة سالاميس. أتى داتيس، قائداً ومتقدّماً الحشد الذي أعدُّوه بقيادة داريوس، ذلك الحشد الذي وُجّه ضد الأثينيين والأريثيريين أيضاً وخاصّة وأعطيت الأوامر لجيش الفرس كي يحملوهم أسرى، وكان على داريوس أن ينفّذ هذه الأوامر تحت تهديد ألم الموت. وبعدُ فإنّ داتيس وأعداده الضخمة أصبحوا أسياد أريتيريا بشكل تامّ وفي وقت قصير، وأُرسل تقرير مخيف إلى أثينا بعد ذلك يقول إنّه لم ينجُ أيّ أريتيري من قبضة داريوس؛ لأنّ جنود داتيس شبكوا أيديهم معاً وأحكموا الطوق حول أريتيريا. وكان لهذا التقرير صدىً مرعباً على كلّ الهيلينيين سواء أكان مستنداً على أساس سليم أو غير سليم، لكنّ وقعه كان أشدّ قسوة على الأثينيين. وعلى عجل أرسل الأثينيون رُسلاً في كلّ ناحية، لكنّ أحداً لم يكن مستعدّاً للمجيء لانقاذهم، ما عدا اللاقيدايمونيين. واللاقيدايمونيون وصلوا متأخّرين يوماً واحداً من بدء

معركة ماراثون، إمّا لأنّهم كانوا مشغولين بالحرب الميسينية التي كانت نارها تستعر، أو بسبب شيء ما آخر لم نكن على علم به. وبعد فترة، وصلت الأخبار عن استعدادات ضخمة تجري على قدم وساق، وعن تهديدات لا تُحصى أتت من الملك نفسه. وبعدئذ، حين مرور الزمن، وصلتنا إشاعة بأنّ داريوس قد مات، وأنّ ابنه الذي كان فتيّاً وعجولاً استلم العرش من بعده، وكان مصرّاً على تنفيذ مخطّطه. كان الاثينيون يعيشون تحت انطباع أن الحملة كلها كانت موجهة ضدهم، كنتيجة حتميّة لمعركة ماراثون؛ خاصّة لأنّهم سمعوا عن بناء الجسر فوق هيليسبونت، وحفر القناة في آثوس، وحشد البواخر هناك. لكلّ هذه العوامل مجتمعة اعتبر الأثينيون أن إنقاذهم لن يتيسّر لا بحراً ولا برّاً، إذ لم يكن هناك أحد ليقدم تلك المساعدة. وتذكّروا أنّه في الحملة الأولى، عندما دمّر الفرس أريتيريا، لم يأتِ أحد لمساعدة شعبها، ولم يجازف أحد في إقامة حلف معها بسبب الخطر المتوقّع. لقد تصوّروا أنّ ذلك الذي جرى يحدث ثانية، في البرّ على الأقلّ. ولا حتّى عندما نظروا إلى البحر وما عليه، استطاعوا هم يلمحوا أيّ أمل للإنقاذ؛ لأنّهم هوجموا بأكثر من ألف قارب وسفينة حربيّة، وبقيت فرصة واحدة للأمان، إنّها فرصة طفيفة ويائسة حقاً، لكنّها كانت الفرصة الوحيدة المتبقية. رأوا أنّ الانتصار الذي حقّقوه في مناسبة سابقة كان كسباً لهم لكنّه كان انتصاراً قريباً من الاستحالة. وبما أنّهم انتشوا بهذا الأمل، وجدوا أنّ ملاذهم الوحيد كان في اعتمادهم على أنفسهم وثقتهم بالآلهة. كلّ هذه العوامل مجتمعة خلقت فيهم النفسيّة الصدوقة؛ كان هناك خوف اللحظة المتوقّعة الحدوث، وسيطر عليهم ذات الخوف الأعلى الذي كسبوه بطاعتهم للقوانين الغابرة، والتي سمّيتها مهابة ووقاراً عدّة مرات في مقدّمة هذا البحث، هذه القوانين التي يجب أن يخدمها الإنسان الصالح، التي يعتبر

الرجل الجبان مستقلاً عنها وعديم الخوف منها. وإذا لم يشعر الشعب بهذا الخوف، فإنّهم لم يتّحدوا أبداً كي يدافعوا عن معابدهم، عن أماكنهم المقدّسة، عن أجداث أجدادهم، وعن بلادهم، بل عن كلّ شيء كان قريباً لهم وعزيزاً عليهم، مثلما فعلوا. وكان كلّ منهم قد سلك طريقه الخاصّ به، وكانوا سيبقون مشتّتين ومبعثرين.

ميغيلوس: إنّ كلماتك، أيّها الأثيني، هي كلمات حقيقيّة وجديرة بك وببلادك.

الأثيني: إنّها كلمات حقيقيّة، يا ميغيلوس؛ ويمكنني أن أتكلّم إليك عن أعمال تلك الأيّام، يا مَنْ ورثت الفضائل التي تمسّك بها أسلافك. وأريدك وكلينياس أن تعتبرا إذا ما كانت كلماتي لها الوقع والتأثير على المشرّع؛ وأنا لا أتكلّم وأبحث من أجل لذّة الكلام فقط، بل إنّما أفعل ذلك من أجل المحاورة. دوِّن من فضلك أنّ الخبرة التي كانت لدينا ولدى اللاقيدايمونيّين وكذلك ما يمتلكه الفرس، إنّ هذه الخبرة كانت هي عينها في معنى محدَّد؛ لأنّهما مثلما قادوا شعوبهما إلى عبوديّة مطلقة، هكذا نحن قدنا شعبنا إلى حريّة كاملة. وبعدُ كيف سنتقدّم؟ لاحظ أنّ محاورتنا السابقة كانت مقرّرة جيّداً كي ترينا هذا، في معنىً ما.

ميغيلوس: حقّاً، لكنّي أرغب منك أن تعطيني إيضاحاً كاملاً لِمَا تقول.

الأثيني: إنّني سأفعل. لم تكن الجماهير تحت سلطة القوانين الغابرة، يا أصدقائي، لم تكن السيّدة كما هي الآن، بل كانت الخادمة المطيعة للقوانين.

ميغيلوس: أيّة قوانين تعني؟

الأثيني: دعنا نتكلّم في المقام الأوّل عن القوانين بشأن الموسيقى، موسيقى كتلك التي كانت موجودة حينئذ؛ وذلك كي نتمكّن من تتبّع النموّ والزيادة المفرطة للحريّة منذ البداية. وبعدُ فإنّ الموسيقى كانت مقسّمة بيننا في وقتٍ ممعنٍ في القدم، كانت مقسّمة إلى أنواع وأساليب محدّدة. تضمّن نوع منها صلوات

للآلهة، تلك الصوات التي سمِّيت تراتيل؛ وكان هناك نوع آخر ومضادّ لهذه دعي نحيباً، واصطُلح على تسمية نوع آخر أناشيد الشكر، وأعتقد أنّ آخر سُمّي احتفالاً بميلاد ديونيسوس، ودُعي « شعراً حماسياً ». واستعملوا الكلمة الحقيقة « قانون » أو ناموس، استعملوها لنوع آخر من أنواع الأغنية، وأضافوا إلى هذا النوع الاصطلاح «Cithaeroedic». إنّ كلّ هذه الأنواع وأنواعاً غيرها كانت أنواعاً مميّزة كما ينبغي، ولم يُسمح للممثّلين فيها أن يخلطوا بين نوع من أنواع الموسيقى وبين الأنواع الأخرى. أمّا السلطة التي قرّرت الحكم وأعطته، والتي عاقبت العُصاة، فلم تُعبّر في الهسيس، ولا في الصّراخ الأكثر لا موسيقياً للكثرة، كما يتمّ فعله في أيّامنا هذه، ولا في التصفيق والربت بالأيدي. لكنّ قادة الفرق الموسيقية والتعليم العامّ ألحّوا بإصرار على أنّ المشاهدين يجب أن يستمعوا إلى الأنغام بصمتٍ وإلى النهاية؛ وأُبقي عليهم صامتين وهادئين بواسطة إلماعٍ بالعصا الموسيقيّة. هكذا كان النظام الصالح الذي كانت الجماهير على استعداد لمراقبته وإطاعته؛ ولم يكن أحد منهم ليتجرّأ على أن يعطي حكماً بالصراخ الضاجّ. وبعد أن استمرّ الزمن في الدوران، فإنّ الشعراء أنفسهم أولجوا حكم الابتداع المبتذل والفوضويّ. إنّهم كانوا رجالاً أذكياء، لكن لم يكن لديهم تصوّر عمّا هو عادل وشرعيّ في الموسيقى. وهكذا فإنّهم إتّقدوا بالبدع تماماً مثلما يفعل الباخوسيون المعربدون، وتملكتهم المباهج الجامحة ـ لقد خلطوا النحيب بالتراتيل، ومزجوا أناشيد الشكر والتسابيح بالقصائد المليئة بالعواطف الجيّاشة؛ مقلّدين أصوات الناي والعود، وخالقين بذلك ارتباكاً عامّاً واحداً، ومؤكّدين بشكل جاهل أنّ الموسيقى لا حقيقة فيها. وسواء إذا كانت صالحة أو طالحة يمكن الحكم عليها فقط وبحقّ بلذّة وسرور المستمعين[٩]. وبتأليف هكذا أعمال فاسقة، وإضافة كلمات فاسقة لها شبيهة بها، فإنّهم أثاروا وألهبوا الجماهير بالفوضى والوقاحة،

وجعلوهم يتوهّمون أنهم يستطيعون الحكم بأنفسهم بشأن اللحن والأغنية. وبهذه الطريقة فإنّ المسارح أصبحت ضاجّة بالأصوات بعد أن كانت صامتة، وكأنّه كان للمستعمين فهم للصّالح والطالح في الموسيقى والشعر. وبدلاً من نموّ الأرستقراطيّة فإنّ نوعاً آخر من أنواع الثيوقراطيّة «Theatrocracy» بدأ في النموّ[١٠]. إذ لو كانت قد وُجدت ديموقراطيّة في الموسيقى فقط، مؤلّفة من رجال أحرار، لما تمّ فعل أيّ عمل ضارّ ومؤذ. لكن نشأ في الموسيقى منذ البدء الخداع العامّ بالمعرفة غير المحدودة والفوضى الشاملة، وأتت الحرّية تابعة بعد ذلك، وتوهّم الرجال أنّهم يعرفون ما لا يعرفون. لم يكن لديهم أيّ خوف بعد اليوم، وغياب الخوف يولّد الوقاحة. إذ ما هي هذه الوقاحة التي هي هكذا شيء شرّير وسيّىء، ما هي سوى الرفض المتغطرس لاعتبار الرأي للأفضل بسبب نوع الحرّيّة الذي هو فوق الحرية الجريئة؟

ميغيلوس: حقيقيّ جدّاً.

الأثيني: كنتيجة منطقيّة لهذه الحرية يجب أن تأتي الحرّيّة الأخرى، حرية عصيان الحكّام[١١]، وتأتي بعدئذ محاولة الهروب من توجيه ونصح الأب والأمّ وكبار السنّ. وعند الاقتراب من النهاية، يأتي الهرب من سيطرة القوانين أيضاً. وفي النهاية بالتحديد يوجد الازدراء بالأيمان والتعهّدات، وعدم الاعتبار المطلق للآلهة ـ هنا هم يعرضون ويقلّدون الطبيعة القديمة التي تُدعى بالتيتانيّة، ويلتقون في النقطة عينها مع التيتانيين عندما تمرّدوا وثاروا ضدّ الله وقادوا حياة لا نهاية لسيّئاتها وشرورها. لكن لماذا قلت أنا كلّ هذا الذي قلته؟ إنّني أسأل ذلك، لأنّ المناظرة يجب أن تُجذب جذباً من وقت لآخر، ولا ينبغي السماح لها بالهروب، بل يلزم أن تُوقَفَ وتُكبحَ باللّجام والسوط، وحينئذ فلن نقع على أقفيتنا، كما يقول المثل الشائع الذكر. دعنا إذن أن نسأل السؤال ثانية، إلى أيّة غاية قد تمّ كلّ هذا الذي قيل؟

ميغيلوس: جيّد جداً.

الأثيني: إنّ هذا قيل إذن، قصد...

ميغيلوس: قصد ماذا؟

الأثيني: أكّدنا أنّ مشرّع القوانين يجب أن يمتلك أشياء ثلاثة في القصد والهدف: أوّلاً، إنّ المدينة التي يشرّع لها يجب أن تكون مدينة حرّة؛ وثانياً، ينبغي أن تكون في وحدة مع نفسها؛ وثالثاً، يلزم أن تمتلك فهماً. إنّ هذه المبادىء الثلاثة كانت مبادئنا، ألم تكن كذلك؟

ميغيلوس: إنّها كانت، بدون ريب.

الأثيني: لقد اخترنا نوعين من أنواع الحكومات قصد هذا الهدف، إحداها هي الأكثر طغياناً، والأخرى هي الأكثر حرية. وبعدُ فإنّنا نأخذ الآن بعين الاعتبار أيٌّ منهما هو النوع أو الشكل الصحيح: لقد أخذنا مكان الوسط في كلتا الحالتين، للحالة الاستبداديّة في الأولى، وللحالة الحرّة في الأخرى، ورأينا أنّهما وصلتا إلى الكمال في النوع الوسط. لكنّهما عندما حُملتا إلى التطرّف في كلا الاتجاهين، فإنّ أيّاً من الدولتين لم تكسب أيّ شيء من هذا التطرّف، بل كان الكاسب الأكبر العبوديّة أو الفجور.

ميغيلوس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وكان هذا هو السبب الذي دعانا إلى اعتبار ترسيخ واستيطان الجيش الدوريّ، والمدينة التي بناها دارادانوس على سفح الجبال، ونقل المدن إلى شاطىء البحر، وذكرنا الرجال الأوائل الذين نجوا من الفيضان. إنّ كلّ ذلك تمّ البحث فيه سابقاً بشأن الموسيقى والشراب، وقيل ما سبق قوله قصد رؤية كيف يمكن لدولة أن تدار بالشكل الأفضل، وكيف يمكن للفرد أن ينظّم حياته الخاصّة بالشكل الأفضل أيضاً. وبعدُ، يا ميغيلوس وكلينياس، كيف نستطيع نحن أن نقدّم البرهان على قيمة كلماتنا التي نتفوّه بها؟

كلينياس: أيها الغريب، أعتقد أنّني أرى كيف يمكن الحصول على برهان ذي قيمة لدغمها. إنّ هذا البحث، بحثنا، يبدو لي أنّه قد كان محظوظاً بشكل فريد، وهذا ما أريده له تماماً في هذه اللحظة بالذات. والذي يبشّر بالنجاح الأكثر له أنّكما دخلتما في طريقتي، ولسوف أخبركما ما حدث لي؛ وأعتبر أنّ التزامن هذا هو نوع من أنواع الفأل. إنّ الجزء الأكبر من ساكني جزيرة كريت يُعِدُّون العُدَّة لإقامة مستعمرة جديدة، وهم عهدوا بإدراتها وتسيير شؤونها إلى الكنوسيّين؛ وعهدوا بإدارة الحكومة الكنوسية لي ولتسعة آخرين. ورغبوا منّا أن نعطيهم أيّة قوانين تسرّنا، سواء استُمِدَّتْ هذه القوانين من الكريتيين أو من أيّة بلاد أخرى. وهم لا يعارضون إذا كانت هذه القوانين قوانّين غريبة إنْ كانت قوانين أفضل. إذن إمنحني هذه المنّة التي هي كسبٌ لك أيضاً: دعنا نختار وننتقي ممّا قد قيل، ودعنا نتصوّر بعدئذ دولة سنفترض أنفسنا موجديها الأصليين والأوائل. هكذا سوف نتقدّم في تحقيقنا، ويمكنني في الوقت عينه أن أمتلك استخدام البنية التي تشيّد، البينة التي تكون في مرحلة التأمّل والدراسة.

الأثيني: إنّها أخبار جيّدة، يا كلينياس؛ إذا لم يعترض ميغيلوس على ذلك. يمكنك أن تتأكّد أنّني سأقوم بفعل كلّ شيء يرضيك ويسرّك.

كلينياس: شكراً لك.

ميغيلوس: وهكذا أشكرك أنا، أيّها الغريب.

كلينياس: ممتاز، وبعدُ دعنا نبدأ بتشييد بنية الدولة.

محاورة النواميس

الكتاب الرابع

أفكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: دعنا نسأل أين سيكون موقع المدينة وما اسمها، وهل ستكون على شاطىء البحر أو داخل البلاد. إنّها ستكون مدينة تصدّر وتستورد حاجياتها، وستكون في داخل البلاد، وسيكون لديها اكتفاءٌ ذاتيّ تقريباً. أمّا النواميس فستكون كلّها نواميس جيّدة بقدر ما تقصد وتميل إلى إعلاء شأن الفضيلة. أمّا ناموسكما، يا كلينياس وميغيلوس، فإنّه اهتمّ بجزءٍ واحد منها وهو الشجاعة، كما تتذكّران. لكن نحن سنشرّع للفضيلة كلّها وقصدنا الجمال والكمال. وعلينا أن نهتمّ ببناء أسطول بحريّ عظيم، وببناء جيش قويّ كي نحمي الدولة من أيّ فاتح ونصدّ الغزاة. وسنشرَع في بناء المستعمرات خارج الدولة وذلك لئلاّ يزيد عدد السكان عن العدد الذي نعتبره عدداً مقدّساً وهو ٥٠٤٠ [5040] عائلة، ودعنا نتذكّر أن هناك عنصراً مهماً من عناصر الصداقة المشتركة وذلك في وحدة السّلالة، في اللغة، في القوانين، في المعابد المشتركة، الطقوس الدينية، وشعائر العبادة. ونؤكّد نحن أنّ الله يحكم على كلّ الأشياء، وأنّ الصدفة والفرصة تتعاونان معه في حكومة الشؤون الإنسانيّة، ويجب أن يوجد الفنّ فيها أيضاً. ونثبت أنّ الحاكم الحقّ يجب أن يمتلك حكمة وعدلاً واعتدالاً وشجاعة كي يكون سعيداً ويجعل الدولة على هذا المثال. ونعلن أنّه عندما تتزامن وتتوافق القوة الأسمى في إنسان مع الحكمة والاعتدال الأعظم، حينئذ فإنّ القوانين الأفضل والمجتمعات الأحسن تأتي إلى الوجود، لكنّها لا تأتي بأيّة طريقة أخرى. ودعنا نتضرّع إلى الله عند ترسيخ

بناء دولتنا، بأنّ يسمع تضرّعنا ويصفح عنّا، ويأتي ويضع الدولة والقوانين في نظام. وسيكون نظامنا نظاماً ملكيّاً أرستوقراطياً، وستدوم دولتنا مدى الحياة، وسيحكم فيها أنصاف آلهة، كي يقام العدل على أسس ثابتة ويحلّ السلام. وأرى أنّ الدولة التي يكون القانون فيها فوق الحكّام، ويكون الحكّام فيها أدنى من القانون، أرى أنّ تلك الدولة سيتمّ حفظها وصونها وتحظى بكلّ مباركة من الآلهة. ونؤكّد مرة ثالثة ورابعة أنّ مَنْ سيكون سعيداً فإلى العدل يتوجّه وبه يتمسّك بثبات، وسيتبعه في صحبة مع التواضع والنظام كلّه. لكن الذي سيشمخ تكبّراً أو غطرسة، أو يتيه عجباً بالغنى أو المنزلة الرفيعة، أو بالجمال، وهو الذي يكون فتيّاً وغبيّاً ويمتلك روحاً شهوانيّة ممتلئة عجرفة ويظنّ أنه ليست لديه حاجة لأيّ هادٍ أو حاكم بل إنّه يقدر على أن يهدي ويرشد الآخرين بنفسه، إنّ شخصاً كهذا تخلّى الله عنه وهجره، وهكذا فإنّه سيدمّر نفسه وتدمّر عائلته ومدينته معه. إذن إنّ الحياة التي يقبلها الله، ويصبح الرجال الذين يحيونها من أتباعه هي الحياة الصحيحة والحقيقية. وينبغي أن يكرم الأولاد آباءَهم طالما هم أحياء وحتّى بعد وفاتهم. وعلى الإنسان أن يقيم علاقات صداقة طيّبة مع أقربائه وأصدقائه ورفاقه في الوطن في تناسق تامّ مع الفضيلة.

وكما نرى فإنّ المشرّع يشفينا من الفوضى والاعتلال الجسديّ بالعلاجات الأكثر لطفاً، مثلما يفعل الطبيب الحقيقيّ عندما يشفي المريض. وسيضع المشرّع القوانين التي تتعلّق بالزواج والعلاقات الزوجية. وعلى الرجل أن يتزوّج بين سنّ الثلاثين والخامسة والثلاثين، وإلاّ سيتعرّض لفقد بعض امتيازاته وسيُعاقب. وبما أنّه ينبغي أن يكون لكلّ قانون تصدير واستهلال فنحن يجب علينا أن نضع تصديراً واستهلالاً لقانوننا الذي نرسمه الآن. وسأبد بالكلام عن كلّ ذلك الذي يتعلّق بأرواح وأجسام وممتلكات المواطنين، وفي ما يتعلّق بمهنهم وتسلياتهم كذلك. وهكذا نصل إلى طبيعة التعليم، بالقدر الذي يكمن فينا. وستلي هذه الموضوعات في نظام تامّ.

محاورة النواميس

الكتاب الرابع

الأثيني الغريب: وبعدُ، ماذا ستكون هذه المدينة؟ إنّني لا أعني السؤال عمّا سيكون إسم المكان فيما بعدُ؛ إنّ ذلك يمكن أن يُقرَّر بمصادفة الموضع أو الاستيطان الأصلّي: نهرٌ أو نافورة يمكن أن يعطي أو يصدر مرسوم الإسم للمدينة الجديدة المستحدثة. لكنّي لا أعرف أين يكون الموقع، أيكون مجاوراً للبحر أو في الداخل.

كلينياس: عليَّ أن أتصوّر، أيّها الغريب، أنّ المدينة التي نتكلّم عِنها تبعد عن البحر حوالى الثمانين السّتاديا[١٢].

الأثيني: وهل توجد موانىء على الساحل؟

كلينياس: عليَّ أن أتصوّر وجود موانىء ممتازة، ليس هناك موانىء أحسن منها.

الأثيني: واحسرتاه! أيّ مشهد يكون هذا! وهل تكون البلاد المحيطة بها بلاداً منتجة، أو أنّها بحاجة للاستيراد؟

كلينياس: إنّها بالكاد تحتاج أيّ شيء.

الأثيني: وهل هناك أيّة دولة مجاورة لها؟

كلينياس: ليس هناك أيّة دولة، وهذا هو السبب الذي من أجله اخترنا المكان. كانت هناك هجرة للقاطنين في الأيّام الغابرة، والمنطقة قد أُقفرت منذ زمن سحيق.

الأثيني: وهل يمتلك المكان نسبة جيّدة من التلال، السهول، والأخشاب؟

كلينياس: إنّه كباقي جزيرة كريت في ذلك.

الأثيني: تعني أن هناك صخوراً أكثر ممّا يوجد سهول؟

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: إذن، هناك أمل محتمل في أن يكون مواطنوكم مواطنين أفاضل. وأنتم كنتم تقيمون على شاطىء البحر، وكنتم مجهزين بموانىء جيّدة، وكانت بلادكم بلاداً مصدّرة بدل أن تكون بلاداً مستوردة، لكن كانت الحاجة ماسّة لوجود منقذٍ جبّار، ولوجود مشرّعين هُم أكثر من مشرّعين فانين، إذا ما كنتم لتمتلكوا فرصة للاحتفاظ بدولتكم ووقايتها من الانحلال والتفسّخ ومن التعقيدات المسلكيّة(١٣). لكنّ هناك راحة وفسحة في المسافة الممتدّة ثمانين ستاديا؛ وبرغم أنّ البحر لا يزال قريباً جدّاً من مدينتكم، خاصّة إذا كانت الموانىء صالحة هكذا، كما تقول، يبقى كيف يمكن أن نقنع بذلك. إنّ البحر يكون رفيقاً يوميّاً وسارّاً بما فيه الكفاية، لكنّه حقاً يحوز نوعيّة مذقة ومياهه مالحة قليلاً. وبسببه تمتلىء الشوارع بالتجار وأصحاب الحوانيت، وهو الذي يسبّب طرائق غير مؤكّدةٍ ثقتها وغير مخلصةٍ في أرواح الرجال، وهؤلاء يجعلون الدولة غير صدوقة وغير مؤمّنة لِمَا يخصّها ولِمَا يخصّ مواطنيها، ويخصّ بقيّة الأمم الأخرى أيضاً. هناك مأساة في إنتاج الدولة لكل الأشياء في داخلها لهذا السبب؛ ومع ذلك، وبسبب وعُورَة الأرض، فهي لا تقدّم أيّ شيء بوفرة كبيرة. لكن لو وجدت الوفرة لأمكن أن توجد تجارة وتصدير، وعائدات كبيرة من الذهب والفضة والتي كما يمكننا أن نؤكّد بكلّ ثقة، أنَّ لها النتائج الأكثر تدميراً على الدولة من كلّ الأشياء التي هدفُها نيلُ العدل واكتسابُ العواطف النبيلة. لقد قلنا هذا الكلام في مباحثتنا السابقة، إذا كنت تتذكّر.

كلينياس: إنّني أتذكّر، وأرى أنّنا كنا محقّين في ما قلناه.

الأثيني: حسناً، لكن دعني أسأل، كيف تزوّد البلاد باحتياجاتها لبناء السفن؟

كلينياس: ليس هناك تنُّوبٌ ذو أهمية، ولا صنوبر، ولا كثير من شجر السرو؛

وستجد القليل من حجارة الرّحى التي تنزع قشرة الصنوبر، أو من المسحاج التي يستخدمها بنّاؤو السفن على الدوام ويحتاجونها لبناء جوف السفن.

الأثيني: إنّ هذه الأشياء هي ذات منافع طبيعيّة أيضاً.

كلينياس: لماذا؟

الأثيني: لأنّه يجب على أيّ مدينة ألا تكون قادرة على تقليد أعدائها في ما يكون مؤذياً.

كلينياس: كيف يؤثّر ذلك على أيّة قضيّة من القضايا التي تكلّمنا عنها؟

الأثيني: تذكّر، يا صديقي الصالح، ما قلته في البدء بشأن القوانين الكريتيّة، وإنّها تعتني بشيء واحد فقط، وكان هذا الشيء هو الحرب، كما اتّفقنا على ذلك. وأجبت أنا حينئذ أنّ هكذا قوانين هي قوانين جيدة، بقدر ما تقصد وتميل إلى إعلاء شأن الفضيلة، لكنها في ما تهدف إليه فإنّها اعتبرت واهتمّت بجزء واحد منها فقط، ولم تهتمّ بالفضيلة كلّها، ولهذا السبب فإنّني لم أصادق على هذه القوانين. وبعدُ، فإنّني آمل بأنّك ستتبعني وتراقبني بدورك إذا ما كنت أشرّع لأيّ شيء آخر سوى الفضيلة، أو جزء واحد منها فقط. إنّني أعتبر أنّ المشرّع الحقّ، مثله مثل رامي السهام، يهدف فقط إلى ذلك الذي يلازمه جمال أزليّ وثابت على الدوام، ويسقط كلّ ما عداه بل يسقط كلّ شيء آخر، سواء إذا كان هذا الشيء غنىً أو أيّة فائدة أخرى، عندما تُفصل عن الفضيلة. لقد قلت إنّ تقليد الأعداء هو شيء سيّىء وفكّرت بالحالة التي أَرهِقَ بها الناس الساكنون على شاطىء البحر نتيجة غارات أعدائهم المتكرّرة، مثلما أرهق مينوس الأثينيين « إنّني لا أريد أن أتكلّم رغبة في التذكير بمظالم ماضية »؛ لكنّ مينوس كان حاكماً بحريّاً عملاقاً، كما نعرف، وأجبر سكان أتيكا على دفع جزية سنويّة قاسية له. وفي تلك الأيّام لم يكن لديهم بواخر حربيّة كالتي لديهم الآن، ولهذا

السبب لم يقدروا على بنائها حالاً. ومن ثمّ فإنّهم لم يستطيعوا أن يتعلّموا كيفية تقليد أعدائهم في البحر، وأن يصحبوا هم أنفسهم بحّارة بهذه الطريقة، وأن يطردوا أعداءَهم بشكل مباشر. كان من الأفضل لهم أن يفقدوا أكثر من السبعة الشباب الذين فقدوهم خلال مرار عديدة، من أن يُطرد الجنود المسلّحون بالأسلحة الثقيلة بشكل سهل. وهل كان عليهم أن يصبحوا بحّارة، وأن يتعوّدوا القفز والتمارين العسكرية على الشاطىء، وأن يأتوا عائدين ركضاً إلى بواخرهم، أو كان عليهم أن يتوهّموا أنه لا عار في عدم انتظار هجوم العدو وأن يموتوا ببسالة؟ أو أن يضعوا مقدّماً العديد من الاعتذارات الجاهزة سلفاً لإنسانٍ رمى سلاحه ولجأ بنفسه هارباً، الشيء الذي « لا يكون شيئاً مخزياً »؟ وهم يقولون هذا الذي يقولونه في أوقات محدَّدة. إنّ هذه اللغة هي لغة الحرب البحريّة، وهي أيّ شيء سوى أنّها جديرة بالثناء غير العاديّ، ونحن لا ينبغي علينا أن نعلّم أجيالنا عادات سيّئة، وأقلّ من الجميع إلى الجزء الأفضل من مواطنينا. يمكنك أن تتعلّم الشرّ من تمرين كهذا في أشعار هوميروس، المقدَّم بها أوديسيوس، والذي وبّخ أغاممنون لأنه رغب أن يُنزل البواخر إلى البحر عندما كان الطروادّيون يضغطون بقوّة على الآكايين. وغضب منه، وقال في قصيدته: « أنت يا من أمرتِ بجرّ البواخر المنضّدة جيّداً إلى البحر، في الوقت الذي كانت المعركة في أوج وقعها، ذلك كي يمكن لصلوات الطرواديين أن تتمّم أكثر برغم ذلك، وأن يقع الدمار الشامل علينا لأنّ الآكايين لن يثبتوا في المعركة عندما تُسحب البواخر إلى البحر، بل إنّهم سيتطلّعون إلى الوراء ويتوقّفون عن النضال. وفي ذلك الزمان فإنّ المشورة التي أعطيتها ستبرهن أنّها مشورة مؤذية ومدمّرة ».

أنت ترى أنّ هوميروس عرف السفن القديمة الثلاثية المجاذيف الموجودة على سطح البحر والمجاورة للرجال المتحاربين، ترى أنّه عرفها على أنها شيء

سيّيء؟ يمكن للأُسود أن يتم تدريبها للهرب من قطيع الغزلان بتلك الطريقة. أكثر من ذلك فإنّ القوى البحريّة التي تدين بسلامتها لمناعة الأسطول، لا تعطي تكريماً لذلك النوع من أنواع الحروب التي تكون الأكثر أهليّة لها لأنّ من يدين بسلامته للقبطان والقائد العسكريّ البارز، والمجذّف البارع، وعلى الأصح لكلّ نوع من أنواع الرجال الوضيعين، فإنّه لا يستطيع أن يعطي التكريم للّذي يستحقّ وينبغي أن يُعطى التكريم له بشكل حقيقيّ. لكن كيف يمكن لدولة أن تكون في حالة صحيحة لا يمكنها ولا تقدر على أن تكافيء وتكرّم الشرف بعدل؟

كلينياس: أعترف أنّ ذلك يمكن تحقيقه بصعوبة؛ ومع ذلك أيّها الغريب، فإنّنا نحن الكّريتيين المعتادون على القول إنّ معركة سالاميس كانت معركة إنقاذ هيلاس كلّها.

الأثيني: لماذا، نعم؛ وإنّ هذا الرأي شائع بشكل واسع بين الهيلينيين والبربر، لكنّ ميغيلوس وأنا نقول بالأحرى إنّ معركة ماراثون كانت البداية، وكانت معركة بلاطايا النهاية والإتمام، وكانت معركة التحرير العظيم، وهاتان المعركتان جعلتا الهيلينيين في وضع أفضل على الأرض. في حين أنّ المعركتين البحريتين في سالاميس وارتميزيوم ـ لأنّه يمكنني أن أضعها معاً أيضاً ـ لم تجعلا موقعهم أفضل ممّا كان عليه، وذلك إذا أمكنني أن أقول هكذا بدون اعتداء في ما يخصّ المعركتين اللتين ساعدتا على إنقاذنا. وأقول ذلك كي أقيّم صلاح الدولة. ونحن هنا لنأخذ بعين الاعتبار وضع البلاد ونظام القوانين، معتبرين أيضاً أن مجرد صيانة واستمرارية حياة ليستا الشيء الأكثر شرفاً للرجال، كما تظنّ العامّة، بل إنّها ديمومة وبقاء الحياة الأفضل، ما دمنا أحياء. والملاحظة هذه نبديها مرّة ثانية بعد أن أشرنا إليها سابقاً، إذا لم أكن مخطئاً.

كلينياس: نعم.

الأثيني: يجب علينا أن نسأل إذن، إذا ما كنّا نسلك الطريقة التي اعترفنا أنّها الطريقة الأفضل لترسيخ وتوطيد الدول وسنّ شرائعها.

كلينياس: إنّها الطريقة الأفضل ببعد كبير.

الأثيني: والآن دعني أواصل المحاورة وأسأل سؤالاً آخر: مَنْ سيكون المستعمرون الذين سيبنون المستعمرات؟ هل يمكن أن يأتي شخص من خارج كريت كلّها؟ وهل الفكرة هي أنّ السكان في الدول المتعدّدة يكونون كثراً جدّاً لوسائل البقاء والعيش؟ إنّي أفترض أنّك لست مستعدّاً لترسل دعوة عامة لأيّ هيليني يجب أن يأتي. ومع ذلك فإنّني ألاحظ أنّ مستوطني بلادكم أتوا من آرغوس وآيجينا ومن أجزاء هيلاس الأخرى. قل لي إذن، من أين تلقّيتم مددكم في مغامرتكم الحاضرة؟

كلينياس: إنّ مددنا من الرجال جاء من كريت كلّها. وأمّا عن بقية هيلاس، فسيكون البيلوبونيز هم الأكثر قبولاً، إذ كما تلاحظ حقاً هناك كريتيون ذوي أصلٍ آرغوسي. أمّا الجنس الكريتي فهو الجنس الذي يمتلك الأخلاق والصفة الأعلى في الوقت الحاضر، وهذا الجنس هو جنس الغورتينيان «Gortynian» وهذه السّلالة أتت من غورتين في البيلوبونيسوس.

الأثيني: إنّ المدن تجد التوطين أسهل في بعض الوجوه إذا كان مستعمروها ذوي سلالة واحدة، مثل أسراب النحل التي انطلقت من بلاد مفردة. أمّا عندما يغادر الأصدقاء أصدقاءَهم، بسبب ضغط ما في السكان أو لأيّة ضرورة أخرى مشابهة، أو حينما يُجبر جزء من سكان الدولة على هجرة أماكنهم بسبب الشقاق والنزاعات، عندئذ فإنّ مدناً بكاملها آثرت الهرب حين سقوطها في الحرب بيد قوىً أعظم منها شأناً. إنّ هذا الشيء الذي يعود بالفائدة على المستعمر أو المشرّع في طريقة واحدة، على أيّة حال، يخلق

صعوبة في وجهة نظر أخرى. هناك عنصر من عناصر الصداقة في وحدة السلالة المشتركة، وفي اللغة، وفي القوانين، وفي المعابد المشتركة وفي الطقوس الدينيّة وشعائر العبادة. غير أنّ المستعمرات التي تكون من هذا النوع المتجانس تكون عرضة لإبداء معارضة ضدّ أيّة قوانين، أو ضدّ أيّ شكل من أشكال الدساتير المختلفة عمّا لديها في بلادها. ومع ذلك فإنّ سوء قوانينهم التي تخصّهم لربّما كانت سبب النزاع والشقاق اللذين سادا بينهم. وبرغم هذا فإنّهم من قوّة العادة سيُسرُّون بأن يحتفظوا ويحفظوا التقاليد التي كانت سبب دمارهم تحديداً. وأمّا قائد المستعمرة، الذي شرّع قوانينهم، فيجدهم متمرّدين ومزعجين. على الجانب الآخر، فإنّ احتشاد السكان المتعدّدين يمكنهم أن يكونوا أكثر ميلاً للاستماع إلى قوانين جديدة. لكن حينئذ، فلكي تجعلهم متوحّدين ويعملون بانسجام، كما يقولون عن الأحصنة في هذا المنحى، فإنّ هذا العمل يكون عملاً شاقّاً، ويحتاج إكماله سنوات. ومع ذلك ليس هناك شيء يميل أكثر إلى تحسين الجنس البشريّ من المشرّع والاستيطان بكلّ تأكيد.

كلينياس: لا شكّ في ذلك؛ لكنّني أحبّ أن أعرف لماذا تقول هذا.

الأثيني: يا صديقي الصالح، أخشى أن تقودني طريقة تأمّلاتي لأقول شيئاً ما يُنقص من قدر المشرّعين. لكن إذا كانت الكلمة تخدم الهدف، فلا يمكن أن يوجد أذىً في ما نقول. ومع ذلك، لا لزوم للقلق، وأعتقد أنّ المبدأ عينه ينطبق على كلّ الأشياء الإنسانيّة بشكلٍ متساوٍ؟

كلينياس: إلامَ تشير؟

الأثيني: كنت على وشك أن أقول إنّ الإنسان لا يشرّع أبداً، لكن المصادفات من كل نوع، هي التي تشرّع لنا في كلّ نوعٍ من أنواع الطرائق. إنّ عنف الحرب وحاجة الفاقة صعبان وهما اللذان يقلبان الحكومات ويغيّران القوانين.

ولقد سبّبت قوّة المرض أداة التجديدات في الدولة غالباً، وذلك حيث تفشّى الطاعون، وحيث حلَّ تعاقبٌ للفصول السيّئة المتّصلة خلال عدّة سنين. إنّ أيّ شخص يرى كلّ هذا، يهرع إلى استخلاص النتيجة التي تكلّمت عنها بشكل طبيعيّ، وهي أنّ الفاني لا يشرِّع في أيّ شيء، بل الصدفة هي كلّ شيء تقريباً في الشؤون الإنسانيّة. ويمكن أن يقال هذا عن فنون البحّار، وعن الملاَّح، وعن الطبيب، وعن القائد العسكريّ، ويمكن أن يُرى أنه قيل جيّداً. ومع ذلك هناك شيء آخر يمكن أن يقال عنها جميعاً بحقيقة متساوية.

كلينياس: ما هو ذلك الشيء؟

الأثيني: إنّ الله يحكم كلّ الأشياء، وإنّ الصدفة والفرصة تتعاونان معه في حكومة الشؤون الإنسانية. هناك على كلّ حال، وجهة نظر ثالثة وأقلّ تطرفاً، وهي أنّ الفنّ يجب أن يكون فيها أيضاً. وينبغي عليّ أن أقول إنّ العاصفة إذا هبّت يلزم أن يكون هناك نفع كبير بكلّ تأكيد إذا استطاع فنّ الملاَّح استخدام الفرصة التي يقدّمها في البحر. هل ستوافق على ما أقول؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: أوّلا يصحّ المبدأ المشابه على المشرِّع كما يصحّ على الأشياء الأخرى، حتّى لو افترضنا أنّ كلّ الشروط المحليّة هي شروط مؤاتية يُحتاج لها لسعادة المستعمرة، وبرغم ذلك فإنّ المشرِّع الحقيقيّ يجب أن يظهر على المشهد من وقت لآخر؟

كلينياس: الأكثر حقيقة.

الأثيني: إنّ الفنان سيكون قادراً في كلّ حالة للصلاة لكي يحصل على بعض الشروط، وإذا مُنحت هذه الشروط بالصدفة، فسيكون بحاجة لممارسة فنّه حينئذ؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وكلّ الفنانين الآخرين الذين ذكرناهم لتوّنا آنفاً، إذا ما أُمروا بأن يقدّم كلٌّ منهم صَلاَته الخاصّة، فإنّه سيفعل ذلك؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: وسيفعل المشرّع الشيء المماثل؟

كلينياس: أعتقد بأنّه سيفعل.

الأثيني: سنقول له: « تعالَ، أيّها المشرّع، ما هي الشروط التي تحتاجها في دولة قبل أن تستطيع تنظيمها؟ ».

كلينياس: كيف ينبغي أن يجيب على هذا السؤال؟

الأثيني: هل ترغب منّي أن أعطي جواباً بالنيابة عنه؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: إنّه سيقول: « اعطني دولة يحكمها طاغية ودع الطاغية يكون فتىً ويمتلك ذاكرة جيّدة، دعه يكون سريع التعلّم وذا طبيعة شجاعة ونبيلة. دعه يمتلك تلك النوعيّة، كما قلت سابقاً، التي تكون الرفيقة غير المنفصلة عن كلّ أجزاء الفضيلة الأخرى، إذا كان هناك أيّ خير فيها ».

كلينياس: أفترض، يا ميغيلوس، أنّ هذه الفضيلة الرفيقة التي يتكلّم الغريب عنها، يجب أن تكون الاعتدال.

الأثيني: نعم، يا كلينياس، إنّه الاعتدال في المعنى المبتذل، وليس الاعتدال في اللغة المفروضة والمبالغ فيها لبعض الفلاسفة والتي تطابق التعقّل والحكمة. لكن ذلك الاعتدال الذي يكون الهبة الطبيعيّة للأطفال والحيوانات، الذين يعيش بعضهم بعفّة وبعضهم بدونها، لكنّهم حينما عُزلوا، كما قلنا، كانوا يساوون شيئاً بالكاد تخميناً في قائمة الخيرات. أعتقد بأنّك ينبغي أن تفهم معناي.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إذن فإنّ طاغيتنا يجب أن يمتلك هذه الخيرات كما يمتلك النوعيّات الأخرى، إذا ما كانت الدولة ليتمّ نيلها بالطريقة الأفضل وفي الوقت الأقصر لشكل الحكومة الذي هو الشكل الأكثر إفضاءً إلى السعادة؛ إذا لم يكن ولن يكون هناك طريقة أفضل وأسرع لتأسيس حكومة منها بواسطة الحكم الاستبداديّ.

كلينياس: بأيّة محاورة ممكنة يستطيع أيّ إنسان أن يقنع نفسه بهكذا مبدأ رهيب، أيّها الغريب؟

الأثيني: لا صعوبة، يا كلينياس، في رؤية ما هو متطابق مع نظام الطبيعة؟

كلينياس: هل ستعتبره أمراً مفروغاً منه، كما تقول، وهو أن طاغية فتيّ، معتدلاً، سريعاً عند التعلّم، ممتلكاً ذاكرة جيّدة، شجاعاً، هل ستعتبر أنّه ذو طبيعة نبيلة؟

الأثيني: نعم؛ ويجب أن تضيف الحظّ إلى ما قلته. وينبغي أن يكون حظّه السعيد معاصراً للمشرّع العظيم، وأن تُحضر فرصة ما سعيدة كلّ ما قلناه عنه معاً. وعند إتمام هذا، فإنّ الله فعل كلّ ما لم يفعله لدولة قطّ يرغب أن تكون دولة مزدهرة بشكل متفوّق. وفعل هو الأفضل في المرتبة الثانية لدولة فيها حاكمان اثنان كهذا، وفعل الأفضل في المرتبة الثالثة لدولة فيها ثلاثة حاكمين. وتزداد الصعوبة مع الزيادة هذه، وتضمحلّ مع تلاشي الأرقام الكثيرة.

كلينياس: أفترض أنّك تعني أن الحكومة الأفضل يُحدثها حكم الطغاة، وينشئها مشرّع شديد البراعة وطاغٍ منظّم، وإنّ التغيير من هكذا حكم استبداديّ إلى شكل حكومة كاملة يأخذ مكانه بالشكل الأكثر سهولة، وبالشكل الأقلّ سهولة عندما يأخذ التغيير مكانه من النظام الأوليغاركي. وبالدرجة الثالثة عندما يأخذ التغيير مكانه من النظام الديموقراطيّ. أليس هذا معناك؟

الأثيني: ليس هكذا. إنّني أعني على الأصحّ أنّ التغيير يوجد بالشكل الأفضل من خارج النظام الاستبداديّ، وثانياً، من خارج النظام الملكيّ، وثالثاً، من خارج نوع ما من النظام الديموقراطيّ: ورابعاً، يأتي النظام الأوليغاركي في المقدرة على التحسين، ذلك النظام الذي لديه الصعوبة الأكبر في قبول تغيير كهذا، لأنّ الحكومة تكون في أيدي عدد من الحاكمين. أفترض أن المشرِّع يكون ذا نوع حقيقيّ بالطبيعة، وأنّ قوّته الجسديّة تتّحد مع تلك القوة التي يمتلكها الرجال الرؤساء في الدول. وعندما يكون عنصر الحكم صغيراً عدديّاً، ويكون في الوقت عينه قويّاً جدّاً، مثلما يكون في النظام الاستبدادي، فإنّ التغيير هناك يكون التغيير الأسهل والأكثر سرعة بشكل محتمل.

كلينياس: كيف؟ إنّني لا أفهم.

الأثيني: ومع ذلك فإنّي كرّرت ما أقوله عدّة مرّات، لكنّي أفترض أنّك لم ترَ مدينة يحكمها مستبدّ أبداً؟

كلينياس: لا، ولا أستطيع أن أقول إنّ لديَّ رغبة كبيرة برؤية واحدة منها.

الأثيني: وبرغم ذلك، فإنّها حيث تكون الاستبداديّة، يمكنك أن ترى بالتأكيد ذلك الذي أتكلّم عنه.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أنّه يمكنك أن ترى الطاغي، بدون أيّ حَرَج، وفي وقت ليس بالطويل، يمكنك أن تراه، إذا رغب. إنّه يستطيع أن يغيّر أساليب الدولة، وما يلزمه لفعل ذلك إلاّ أن يذهب باتّجاه الفضيلة أو الرذيلة، أيّاً منها يفضِّل، وهو سيعيِّن بنفسه وبالمَثَل خطوط تصرّفه وسلوكه، مكافئاً بعض الأعمال ومثنياً عليها، ومستنكراً الأعمال الأخرى، ومهيناً أولئك الذين لا يطيعون أوامره.

كلينياس: لكن كيف نستطيع تصوّر أنّ المواطنين بشكل عامّ سوف يتبعون المثال

الموضوع لهم في الحال؛ وكيف يقدر الطاغي على امتلاك قوّة الإقناع هذه وإجبارهم على فعل ما يريد؟

كلينياس: لا تدعوا أحداً يقنعنا، يا أصدقائي. هناك طريقة أسرع وأسهل تستطيع الدولة بواسطتها أن تغيّر قوانينها عندما يقود الحكّام هذا التغيير. إنّ تغييراً كهذا لم ولن يمرّ ويتمّ قطّ بأيّة طريقة أخرى، ويكون تغييراً ناجحاً في مسار الزمن بشكل نادر. لكنّه عندما يصل إلى أوجه، فإنّ عشرة آلاف بركة أو على الأصح كلّ البركات ستتبع.

كلينياس: عمَّ تتكلّم أنت؟

الأثيني: إنّ الصعوبة هي في أن تجد الحبّ الإلهي لقوانين معتدلة وعادلة موجودة في أيّ شكل من أشكال الحكومات القويّة، سواء كان ذلك في الشكل الملكيّ، أو في الغنى الأوليغاركي، أو في الولادة والمنشأ. يمكنك أن تأمل أيضاً في إيجاد شخصية نيستور[١٤] ثانيةً، الذي يقال عنه إنّه فاق كلّ الرجال بالقوّة الكلاميّة، وقيل أكثر عن اعتداله أيضاً، كان هذا في زمان طروادة طبقاً للعرف. أمّا في أيّامنا هذه فلا يوجد أيّ شيء من هذا النوع. لكن إذا ما أتى أو سيأتي أيّ إنسانٍ إلى الوجود، أو أنّه يكون بيننا الآن، فمبارك هو ومباركون هم الذي يسمعون الكلمات العاقلة التي تنساب من شفتيه. ويمكن أن يقال هذا عن القوّة بشكل عامّ. وعندما تتزامن وتتوافق القوّة الأسمى في إنسانٍ مع الحكمة والاعتدال الأعظم، حينئذ فإنّ القوانين الأفضل والمجتمعات الأحسن تأتي إلى الوجود؛ لكنّها لا تأتي بأيّة طريقة أخرى. ودع الذي قلته يُعتبر وكأنّه نوع من أنواع الأساطير أو الوحي الإلهيّ المقدّس، ودع هذا القول يكون برهاننا، وهو أنّه من وجهة نظر واحدة، يمكن أن توجد صعوبة لمدينة في امتلاك قوانين جيدة، لكن هناك وجهة نظر أخرى لا يمكن لشيء أن يتأثّر بها بشكل أسهل أو أقرب، فامنح افتراضنا هذا.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: دعنا نحاول أن نسلّي أنفسنا، نحن الأولاد المسنّين، وأن نصوغ بالكلمات القوانين التي تلائم دولتك.

كلينياس: دعنا إذن أن نتضرّع إلى الله عند ترسيخ بناء دولتنا؛ رجاء أن يسمع تضرّعنا ويصفح عنا، ويأتي ويضع الدولة والقوانين في نظام!

كلينياس: رجاء أن يأتي!

الأثيني: لكن أيّ شكل من أشكال الحكومات نسعى لكي نهب المدينة؟

كلينياس: قل لنا ماذا تعني بشكل أكثر وضوحاً. هل تعني شكلاً ديموقراطيّاً ما، أو شكلاً أوليغاركياً، أو ملكيّاً؟ إنّنا لا نقدر على افتراض أنّك ستشمل الشكل الاستبداديّ؟

الأثيني: أيّ واحد منكما سيخبرني إلى أيّ نوع من أنواع الحكومات هذه يجب أن ننسب شكل حكومته الخاصّة؟

ميغيلوس: هل يجب عليّ أن أجيبك أوّلاً، بما أنّني الأكبر سنّاً؟

كلينياس: لربّما يلزمك ذلك.

ميغيلوس: ومع ذلك، أيّها الغريب، أتصوّر أنّني لا أستطيع أن أقول بدون تفكير أكثر، وماذا سأسمّي الحكومة اللاّقيدايمونية، فهي تبدو لي أنّها تشبه شكل الحكومة الاستبداديّة، ـ إنّ قوّة قضاتنا الخمسة الذين لديهم قوة الملوك، قوتهم هي قوّة استبداديّة بشكل رائع. وتبدو لي بعض المرات أنّها المدينة الأكثر ديموقراطيّة من كلّ المدن الأخرى. ومن يستطع أن ينكر عقليّاً ومنطقياً أنّها تكون شكلاً أرستقراطياً(١٥)؟ ولدينا ملكيّة أيضاً تدوم مدى الحياة، ويقول عنها الجنس البشريّ كلّه لا نحن فقط، يقولون عنها إنّها النظام الملكيّ الأكثر قِدَماً من كلّ الأنظمة الملكيّة. ولهذا السبب، عندما أسأل سؤالاً بشكل مفاجىء، فإنّني لا أستطيع القول بشكل دقيق أيّ شكل من أشكال الحكومات هي اسبرطة.

كلينياس: إنّ لديّ الصعوبة عينها، يا ميغيلوس، لأنّني لا أشعر بالثقة بالنفس في أن تكون حكومةُ كونسوس واجدةً من تلك الحكومات التي نتكلّم عنها.

الأثيني: سبب هذا، يا صديقيَّ الممتازَين، هو أنّكما تملكان حكومتين، لكن الدول التي تكلّمنا عنها الآن هي مجرّد تجمّعات للرجال الساكنين في المدن والذين يكوّنون المرؤوسين والخدم لجزء من دولتهم الخاصّة بهم. وسُمّيت كلّ مدينة من مدنهم علىٰ غرار القوّة المسيطرة. وهذه المدن ليست حكومات على الإطلاق. لكن إذا ما سُمّيت الدول على غرار حكّامها، فإنّ الدولة الحقيقيّة يجب أن تدعى باسم الله الذي يحكم فوق الرجال الحكماء.

كلينياس: ومن هو هذا الله؟

الأثيني: هل يمكنني أن استخدم الخرافة ذات المغزى إلى حدٍّ ما، على أمل أن أكون قادراً على الأجابة على سؤالك؟ هل سأفعل ذلك؟

كلينياس: إفعله، مهما كلّف الأمر.

الأثيني: في العالم البدائي، ولزمنٍ طويل مضى قبل أن توجَد المدن التي وصفنا ترتيبها، قيل إنّه وُجد في عصر كرونوس حكم وحياة مباركين، والدول المتمتعة بنظامها الأحسن هي نسخة عنهما(١٦).

كلينياس: إنّها لضرورةٌ حتميّة أن نسمع ما تقوله بشأن ذلك.

الأثيني: إنّني أتّفق معك؛ ولهذا السبب أدخلت الموضوع هذا في بحثنا.

كلينياس: ذلك هو الأكثر مناسبة. وبما أنّ القصّة تدخل في صميم الموضوع، فإنّك ستقوم بعمل جيد بإعطائنا القصّة كاملة.

الأثيني: سأفعل كما تقترح. هناك عرف عن الحياة السعيدة للجنس البشريّ أيّام كانت كلّ الأشياء وافرة وكثيرة. وقيل عن هذا السبب إنّها كانت كما يلي: عرف كرونوس ما أعلنّاه نحن أنفسنا، وهو أن لا طبيعة إنسانية غَرستها القوّة السامية تقدر على تنظيم الشؤون الإنسانية دون أن تفيض بالغطرسة

والخطأ. وقاده ذلك التأمّل العميق إلى أن لا يعيّن رجالاً في الحكم بل أن ينصّب أنصاف آلهة، سلالتهم أعلى وأكثر إلهيّة. نصّب أنصاف الآلهة ليكونوا الملوك والحكام لمدننا، وفعل هو هذا مثلما نفعل نحن مع قطعان الأغنام والحيوانات الأليفة الأخرى. ونحن لا نعيّن ثيراناً كي يكونوا أسياداً على الثيران، أو ماعزاً على الماعز؛ بل إنّنا نكوّن سلالة سامية، ونحكم فوق أنفسنا. إنّ الله بطريقة مماثلة، وحبّاً منه للجنس البشريّ نصّب علينا أنصاف الآلهة الذين هم ذوو سلالة سامية. وهم بسهولة كبيرة وسرور نفسيّ، وليس بأقلّ من ذلك بهجة لنا، اعتنوا بنا ووهبونا السلام والمهابة والنظام والعدل غير الواهن ولا الشحيح أبداً. وبهذا فإنّهم جعلوا طوائف الرجال سعيدة ومتّحدة. ويعلن هذا التقليد أو العرف، الذي هو عرف حقيقي، يعلن أنّ المدن التي يحكمها إنسان فانٍ ولا يحكمها الله لن تكون بمنأى من الشرور والكدح. يبقى أنّه يجب علينا أن نعمل كلّ الذي نقدر عليه كي نقلّد الحياة التي يقال إنّها كانت أيّام كرونوس. وبقدر ما يقطن مبدأ الخلود فينا، فإليه يجب أن نولي آذاناً صاغية، في الحياتين العامّة والخاصّة، وأن ننظّم مدننا وبيوتنا طبقاً للقانون. ونعني بالاصطلاح المحدَّد « قانون »، تصنيف العقل. لكن إذا كان لشخص، أو لدى نظام أوليغاركي، أو نظام ديموقراطيّ، روح توّاقةٌ للملذات والرغبات وتريد التشبع منها، وبرغم ذلك فإنها لا تستبقي على أيّ منها، وستبتلي بفوضى لا نهاية لها وبشَرَهٍ دائم. وهذه النفس الشرّيرة بما أنها داست القوانين بادىء ذي بدء، وأصبحت السيّدة إمّا للدولة أو للفرد، حينئذ، وكما قلت، فإنّ الإنقاذ يكون شيئاً ميؤوساً منه. وبعدُ، يا كلينياس، يجب علينا أن نعتبر إذا ما كنتم ستقبلون قصتي هذه أم لا.

كلينياس: إنّنا سنقبلها بكلّ تأكيد.

الأثيني: إنّك لعالم، ألست كذلك، إنّك لعالمٌ بالقول الذي يؤكّد أن هناك أشكالاً متعدّدة من القوانين كما هناك حكومات. ونحن قد ذكرنا مسبقاً كل أشكال الحكومات التي تمّ الاعتراف بها بشكل عامّ. وبعدُ فإنّه ينبغي عليك أن تعتبر هذه القضيّة وكأنّها قضيّة في درجة أولى من الأهميّة، لأنّ الذي وُجد ليكون مقياس العدل والظلم هو النقطة الأساسيّة موضوع النقاش ثانيةً. يقول الرجال إنّ القانون ينبغي أن لا يُعتبر أنّه الفضيلة العسكرية، أو أنّه الفضيلة بشكل عامّ، بل ينبغي أن يُعتبر مصالح الشكل الموطّد من أشكال الحكومات، تلك الحكومات التي يمكنها أن تحكم إلى الأبد، والتي لن تُقلب أو تسقط قطّ؛ وهذا ما يتصوّرونه أنّه الطريقة الأفضل للتعبير عن التعريف الطبيعي للعدل.

كلينياس: كيف؟

الأثيني: يقولون إنّ العدل ليس إلاّ فائدة الأقوى(١٧).

كلينياس: تكلّم بشكل أوضح.

الأثيني: سأفعل - يقولون: « إنّ السلطة الحاكمة بالتأكيد تسنّ القوانين التي تمتلك سلطة في أيّة دولة؟ ».

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: سيضيفون قائلين: « حسناً، وهل تفترض أنّ النظام الاستبداديّ أو النظام الديموقراطيّ، أو أيّة قوّة فاتحة أخرى، هل تفترض أنها لا تجعل من ديمومة السلطة التي تقتنيها الهدف الأوّل أو المبدأ الأساسيّ في قوانينها؟ ».

كلينياس: كيف يمكن أن يكون لديها أيّ شيء آخر؟

الأثيني: « وكلّ مَنْ ينتهك هذه القوانين يُعاقب كأنّه فاعلٌ للشرّ، يعاقبه المشرّع أو الدولة التي تسمّي القوانين قوانين عادلة ».

كلينياس: طبيعي.

الأثيني: « إنّ هذا الأسلوب والشكل إذن، هما الأسلوب والشكل اللذين يوجد بهما العدل ».

كلينياس: بالتأكيد، إذا ما كانوا هم محقّين في وجهة نظرهم.

الأثيني: لماذا، نعم، إنّ هذا المبدأ هو واحدٌ من المبادىء الزائفة للحكومة التي نشير إليها.

كلينياس: أيّة حكومة تعني؟

الأثيني: أعني أولئك الذين اختبرناهم عندما تكلّمنا عن الذي يجب أن يحكم الآخر. ألم نصل إلى استنتاج أنّ الآباء ينبغي أن يحكموا أطفالهم، والمسنون الأفتى، والنبلاء محتداً الحقيرين؟ وهناك عدّة مبادىء، إن كنت تتذكّر، ولكنّها ليست مبادىء ثابتة على الدوام. إنّ أحد هذه المبادىء بالتحديد هو مبدأ القوّة، ووجدنا نحن أنّ بيندار، وفي تطابق مع ما قال إنّه كان شيئاً طبيعيّاً، « برّر » العنف.

كلينياس: نعم، إنّني أتذكّر.

الأثيني: تأمّل مليّاً إذن، إلى مَنْ ستُوكِل دولتنا. إن وُجد ذلك الشيء الذي حدث مرات بدون حصر في الدول ـ

كلينياس: أيّ شيء؟

الأثيني: إنّه الشيء الذي حدث عندما كانت هناك منافسة للوصول إلى السلطة. وأولئك الذين كانت لهم اليد العليا والكلمة الفصل احتكروا السلطة الحكوميّة بالكامل، كما أنّهم رفضوا كلّ مشاركة للحزب المنهزم والمتحدّرين منه ـ لقد عاشوا يحترس بعضهم من بعضهم. وأمّا الطبقة الحاكمة، فإنها في خشية مستمرّة من أن شخصاً ما سيتذكّر الأخطاء السالفة وسيثور ضدّهم ويأتي إلى الحكم. وبعدُ، وطبقاً لوجهة نظرنا، فإنّ حكومات كهذه ليست دولاً على الإطلاق، لا وليست قوانين صالحة تلك التي تُقرُّ ما تُقره لصالح

الطبقات المعنيّة وليس لصالح الدولة كلّها وحزبها. إنّ الدول التي تمتلك قوانين أو ناموساً كهذا ليست دولاً على الإطلاق بل إنها أحزاب، وتلك الأحزاب لها أفكارها عن العدل التي هي أفكار بدون معنى بكلّ بساطة. إنّني أقول هذا، لأنّني على استعداد لأؤكّد أنّه ينبغي علينا أن لا نعهد بالحكومة في دولتك لأيّ شخص لأنه غني، أو لأنّه يمتلك أيّة أفضلية أخرى، مثل القوة الجسديّة، أو المنزلة الرفيعة، أو الولادة ثانية. لكنّ الأكثر طاعة لقوانين الدولة هو الذي سيحمل سَعَف النخل، وسيُعطى المركز الأوّل ووزارة الآلهة الرئيسيَّة لمن ينتصر في الدرجة الأولى؛ وسيُعطى المركز الثاني لمن يحمل سَعَف النخل الثاني، وعلى القاعدة عينها ستُخصَّص كلّ المناصب لأولئك الذين يأتون تالياً في نظام. وعندما أسمّي أنا الحكام خدّاماً أو أسمّيهم وزراء الناموس، فإنّني أهبهم هذا الإسم ليس بقصد شيء جديد وغير مألوف، بل لأنّني أعتقد بكلّ تأكيد أنّه، بناءً على هكذا خدمة أو وزارة، يتوقّف ويعتمد صلاح الدولة أو سوؤُها، لأنّ تلك الدولة التي يكون القانون فيها مرؤوساً وتابعاً وليس لديه أيّة سلطة، فإنّني أتصوّر أنّ تلك الدولة تكون على شفا الهدم والخراب. لكنّي أرى أنّ الدولة التي يكون القانون فيها فوق الحكّام، ويكون الحكّام فيها أدنى من القانون، أرى أنّ تلك الدولة سوف يتمّ حفظها وتُصان، وتمتلك كلّ مباركة يقدر الآلهة على تقديمها لها.

كلينياس: حقّاً، أيّها الغريب، إنّك ترى برؤيا العمر الحاذقة.

الأثيني: لماذا نعم، إنّ كلّ إنسان عندما يكون فتيّاً، فإنّه يمتلك تلك الرؤيا في زمنها الأكلّ والأكثر تبلّداً، لكن عندما يتقدّم في العمر ففي زمنها الأحذق والأبرع يراها.

كلينياس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: وبعدُ، فما هي الخطوة المقبلة؟ ألا يمكننا افتراض أنّ المستعمرين وصلوا، وأن نتقدّم لنوجّه كلامنا لهم؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: نقول لهم: « أيّها الأصدقاء، إنّ الله، كما يعلن العرف القديم، ممسكاً بيديه البداية، الوسط، والنهاية لكلّ الذي يكون، فإنّه يسافر طبقاً لطبيعته في خطّ مستقيم نحو إتمام غايته، العدل رافقه على الدوام، وهو الذي يجازي أولئك الذي يقصّرون في تطبيق العدل الإلهيّ. إنّ مَنْ سيكون سعيداً فإلى العدل سيتوجّه وبه يتمسّك سريعاً، وسيتبعه في صحبة مع التواضع والنظام كلّه؛ لكنّ الذي سيشمخ تكبّراً وغطرسة، أو يتيه عجباً بالغنى أو المنزلة الرفيعة، أو بالجمال، وهو الذي يكون فتيّاً وغبياً ويمتلك روحاً شهوانيّة ممتلئةً بالعجرفة، ويظن أنّه لا يحتاج لأيّ هادٍ أو حاكم، بل إنّه يقدر على أن يهدي ويرشد الآخرين بنفسه، أقول عن شخص كهذا، إنّ الله هجره وتخلّى عنه، ولأن الله تخلّى عنه. فإنّه يأخذ له الآخرين الذين هم على شاكلته، ويثب وثباً من الاهتياج والانفعال، رامياً بكلّ شيء في المتاهات والغموض، ويظنّه الكثيرون رجلاً عظيماً، لكنّه يدفع الغرامة قصاصاً في وقت قصير ولا يستطيع العدل إلاّ المصادقة عليها. ومن ثمّ فإنّه يُدمَّر كليّاً، وتُدمَّر عائلته ومدينته معه. وهكذا، مشاهدين أنّ الأشياء الإنسانيّة تهلك بهذا الشكل، فماذا ينبغي على إنسان عاقل أن يفعل ويفكر، أو أن يفكّر ولا يفعل؟ ».

كلينياس: على كلّ إنسان أن يعزم على أن يكون واحداً من أتباع الله، ولا شكّ في ذلك.

الأثيني: « إذن أيّة حياة تكون مقبولة عند الله، ويصبح الرجال الذين يحييونها من أتباعه؟ إنّها حياة واحدة فقط، عُبّر عنها لمرّة وكان هذا التعبير هو القول الفصل، وذلك في القول القديم القائل إنّ « الشبيه يتّفق مع شبيهه، والقياس

مع قياسه ». لكنّ الأشياء التي لا تمتلك مقياساً لا تتّفق لا مع أنفسها ولا مع الأشياء التي لديها. وبعدُ فإنّ الله يجب أن يكون لنا المقياس لكلّ الأشياء، وليس الإنسان.[١٨] وكما يقول الرجال بشكل عامّ « بروتاغوراس »: إنّ الكلمات تكون كلمات أكثر حقيقة عنه، والذي سيكون عزيزاً إلى الله يجب أن يكون مثله وكما يكون متزّراً هنا، بقدر ما يكون ممكناً. ومن أجل ذلك فإنّ الإنسان المعتدل هو صديق لله، لأنّه يكون شبيهاً به. وأمّا الرجل غير المعتدل والظالم فيكون غير شبيه به، وغيراً منه. وينطبق الشيء عينه على الأشياء الأخرى؛ وهذا هو الاستنتاج الذي هو أيضاً أصدق الأقوال وأنبلها. ولكي يقدّم الإنسان الخيِّر التضحية للآلهة ويعقد محادثة معهم بواسطة الصلوات والتقديمات وكلّ نوع من أنواع الخدمة، فإنّ هذا هو أفضل الأشياء وأنبلها، وهو الشيء الأكثر إفضاءً إلى حياة سعيدة أيضاً، ومناسباً وملائماً جداً. لكن مع الرجل السيِّىء والشرير فإن عكس هذا يكون صحيحاً لأنّ الرجل السيِّىء يمتلك روحاً نجسة، في حين أنّ الروح الخيِّرة هي روح نقيّة؛ ومن الشخص الملوّث، لا يستطيع الإنسان الخيِّر أو الله أن يتلقّى الهبات بدون خطأ أو أن يقوم بعمل غير مناسب. لذلك فإنّ الآثمين يضيّعون الكثير من خدماتهم التي يقدّمونها للآلهة تضييعاً، لكنّ هذه الخدمات عندما يقدّمها أي إنسان تقيّ، فإنّ خدمة كهذه هي الخدمة الأكثر قبولاً بهم. إنّ هذه العلامة هي العلامة التي يجب أن نقصد إليها ونسدّد الهدف نحوها، لكن أيّة أسلحة سنستعمل وكيف سنوجّه تلك الأسلحة؟ في المقام الأوّل، نؤكّد أنّ الشرف يجب أن يُعطى تالياً بعد إعطائه للآلهة الأولومبيّة وآلهة الدولة، يجب أن يُعطى للآلهة تحتيّاً. ينبغي أن يتلقّوا كلّ شيء تكريميّ في أعداد مزدوجة، من الخيار الثاني، ومن البشير بالسوء. في حين أنّ الأرقام المفردة، والخيار الأوّل، والأشياء البشيرة بالحظّ، تُعطى للآلهة فوقيّاً، بواسطة الذي

سيصيب علامة التُقى بحقّ. وتالياً بعد هؤلاء الآلهة سيقدّم الإنسان العاقل خدمة إلى أنصاف الآلهة أو الأرواح المقدّسة، وإلى الأبطال بعدئذ، وسيلي بعدهم الآلهة الخاصّة أو السلفيّون الذين يُعبدون كما يصف القانون في الأماكن المخصّصة والمكرّسة لعبادتهم.يأتي بعد ذلك تكريم الآباء الأحياء، والذين ينبغي علينا أن نفيهم الديون الأولى والأعظم والأقدم، كما يكون مناسباً، معتبرين أنّ كلّ الذي يمتلكه إنسان يختصّ بأولئك الذين نَشّؤوه ربّوه، وإنّ عليه أن يعمل كلّ ما يستطيع ليمدّ يد العون لهما، بادىء ذي بدء، بممتلكاته، ثانياً في شخصه، وثالثاً بروحه، وذلك مقابل العناية التي لا نهاية لها والتعب المضني اللذين منحوهما له منذ زمن قديم، أيّام طفولته. وهذا ما يجب عليه أن يعيد دفعها الآن لهما عندما يتقدّمان في السنّ ووقت الحاجة الماسّة التي يتعرّضان لها. وينبغي عليه أن لا يتفوّه بكلمة قطّ طيلة زمن حياته، أو أنّه قد تفوّه بها، كلمة غير لائقة بهما ولهما؛ فالقصاص يكون الأكثر صرامة وقسوة للكلمات الخفيفة والمنطلقة بسرعة من الأفواه. إنّ نيميس، رسول العدل، تمّ تعيينه لمراقبة وحراسة كل هذه القضايا. وعندما يكون الأبوان غاضبين ويريدان التعبير عن شعورهما بالكلمة والعمل، يجب أن يُفسح لهما المجال؛ لأنّ الأب الذي يرى أنّ ولده قد حاف وجار عليه، يمكن أن يكون، ويُتوقّع أن يغضب جدّاً بشكل منطقيّ. وأمّا عند وفاة الأبوين، فإنّ إقامة المأتم المعتدل لهما هو الأفضل، فلا يتجاوز النفقة المعتادة، لا ولا يَقصُرُ مع ذلك عن التكريم المعتاد والذي أدّته الأجيال السالفة لآبائها. ودع الإنسان لا ينسى تقديم الإجلال السنويّ في تكريم المتوفين، مكرّماً إياهم بشكل رئيسيّ بأن لا يغفل عن أيّ شيء يفضي إلى تذكّرهم الثابت والمستمرّ، واهباً جزءاً معقولاً من ثروته للمتوفّين. وعندما نفعل ذلك، ونحيا بهذه الطريقة، فإنّنا سنتلقّى جائزتنا من الآلهة ومن أولئك الذين هم أعلى منا

[كمثال أنصاف الآلهة]. وسنقضي أيّامنا بجزئها الأكبر آملين بالخير. وكيف ينبغي على إنسانٍ أن ينظِّم ما يتعلّق بالمتحدّرين منه وبأقربائه وبأصدقائه وبرفاقه في الوطن، وكذلك ما يتعلّق بطقوس الضيافة التي علَّمتها السماء، وكذلك العلاقات الداخليّة التي تنشأ خارج كلّ هذه الواجبات، وذلك قَصْدَ التزيين والتنظيم المرتَّب لحياته الخاصّة. أقول، إنّنا سننجز كلّ هذه الأشياء وننجز القوانين، كما واصلنا بحثنا بشأنها، سننجزها بالإقناع جزئيّاً، وجزئيّاً عندما لا تذعن الطبائع للإقتناع بالعرف والتقليد فإنّنا سوف نؤدبها بالقوّة والحقّ. وهكذا سنجعل دولتنا سعيدة ومزدهرة، إذا ما تعاون الآلهة معنا لتحقيق ذلك. لكن إذا ما وجب أن يُقال، وما ينبغي قوله بالمشرِّع الذي يفكّر بالطريقة التي فكّر بها، وإذا ما قيل بالشكل القانونيّ، فإنّه سيكون خارج المكان. أعتقد بأنّ المشرّع يمكنه أن يعطي مثالاً عن التعليم والتثقيف عن نفسه وعن أولئك الذين يشرّع لهم؛ وحينئذ عندما ينهي كلّ الخطوات التمهيديّة يمكنه أن يتقدّم إلى العمل التشريعيّ، بقدر ما يتمكّن من ذلك. وبعد، ماذا سيكون شكل استهلالات كهذه؟ يمكن أن توجد صعوبة في إضافتها ووصفها كلّها تحت شكل مفرد، لكنّني أعتقد بأنّنا يمكن أن نحصل على فكرةٍ ما عنها إذا استطعنا أن نضمن شيئاً واحداً.

كلينياس: وما هو ذلك؟

الأثيني: سأرغب أن يكون المواطنون كلّهم مقتنعين بالفضيلة بالشكل الجاهز قدر الإمكان؛ إنّ هذا سيكون هدف المشرّع في كلّ قوانينه التي سيشرّعها بكلّ تأكيد.

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: يبدو لي الاقتراح ذا قيمة ما؛ وأعتقد أن شخصاً سيصغي بلطف أكثر وبإرادة خيِّرة إلى المدارك الحسيّة التي يوجهها إليه المشرّع عندما لا تكون

روحه جاهزة بالكليّة كي تتلقّاها. حتّى أنّ شيئاً قليلاً تمّ فعله بالطريقة التوفيقيّة لكسب ما تسمعه أذناه، والذي هو شيء جدير بالتملّك. وليس هناك ميل كبير أو جاهزيّة من جانب الجنس البشري كي يُجعلوا أخياراً، أو أخياراً بسرعة وقدر الإمكان. والحالة التي يتخبّط فيها العديدون تبرهن حكمة هيسيود، الذي يقول إنّ الطريق إلى الأذى والشرّ تكون طريقاً سهلة جدّاً ويمكن اجتيازها بدون عناء وعَرَق لأنّها طريق قصيرة جدّاً جدّاً:

« لكن أمام الفضيلة وضع الآلهة الخالدون عَرَق العمل الشاقّ،
والطريق إلى هناك منحدرة وطويلة، ووعرة في البدء،
لكنّك عندما تصل إلى القمّة، وبرغم الصعوبة التي واجهتك قبلاً،
فإنّ هذه الطريق تصبح سهلة بعدئذ »[١٩].

كلينياس: نعم، والشاعر يتكلّم جيّداً بكلّ تأكيد.

الأثيني: حقيقيّ جدّاً، وبعدُ دعني أخبرك عن التأثير الذي تركه فيّ الحديث الذي سبق.

كلينياس: واصل، واصل.

الأثيني: إفترض أنّنا نعقد اجتماعاً تباحثيّاً مع المشرّع، ونقول له: « أوه، أيّها المشرّع، تكلّم، إذا عرفت ما يجب علينا قوله أو فعله فأنت تستطيع أن تخبره بكلّ تأكيد ».

كلينياس: إنّه يستطيع بالطبع.

الأثيني: « ألم نسمعك تقول للتوّ[٢٠]، إنّ المشرّع لا ينبغي عليه أن يسمح للشعراء بأن يفعلوا ما يحبّون؟ لذلك فهم لن يعرفوا ما انطوت عليه كلماتهم ضدّ القوانين التي تؤذي الدولة.

كلينياس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

الأثيني: ألاَ يمكننا أن نجيبه بالنيابة عن الشعراء وبشكل عادل؟

كلينياس: أيّ جواب سنعطيه.

الأثيني: سنجيبه أنّ الشاعر، طبقاً للعرف الذي ساد بيننا أبداً، والذي قبل به كلّ الرجال، إنّ هذا الشاعر عندما يجلس على المِنْصَبِ الثلاثي القوائم لآلهات الشعر والفنّ والغناء والعلوم، لا يكون في عقله الصحيح. إنّه مثل النافورة، يسمح لكلّ ما يأتي إلى الداخل أن ينساب خارجاً بحريّة. ولكون فنّ الشاعر فنّاً مقلّداً، فإنّه يُجبر عادة على أن يقدِّم الرجال ذوي النزعات المتضادّة، ويقوده هذا العمل إلى مناقضة، ولا يستطيع هو أن يُخبر إذا ما كانت هناك حقيقة في شيء واحد قاله أكثر مما هي في الشيء الآخر. لكنّ هذه الحالة لا تكون في القانون، فالمشرّع، يجب عليه أن لا يعطي قاعدتين اثنتين بشأن الشيء عينه، بل أن يعطي قاعدة واحدة. خذ مثالاً على ذلك مِن الذي قد قلته لتوّك. هناك نوع أوّل من أنواع المآتم الثلاثة، وهو نوع متطرّف إلى حدّ بعيد، بينما النوع الثاني شحيح جداً، والنّوع الثالث في وسط بين النوعين الاثنين. واخترت أنت النوع الأخير بدون مؤهِّل، وطلبته وصدّقت عليه. لكن إذا كان لديَّ زوجة غنيّة بشكل لا يصدَّق، وأمرتني أن أرثيها، ووصفت كيفيّة رثائي لها في قصيدة، فإنّني سأثني على النوع المتطرّف منها. وأمّا الرجل الفقير البائس الذي ليس لديه الكثير من المال لينفق في هذا المجال، فسيستحسن النوع البخيل منها. والإنسان ذو الوسائط المعتدلة الذي هو نفسه إنسان معتدل، سيثني على مراسم الدفن المعتدلة. والآن فأنت في المقدرة التشريعيّة ينبغي عليك أن لا تقول « مراسم دفن معتدلة » بشكل مجرّد، بل يجب أن تحدِّد وتعرِّف ما هو الاعتدال، وكم يكون؛ وما لم تحدِّدها أنت وتعرِّفها، فلا يلزمك أن تفترض أنّك تتكلّم لغة يمكن أن تصبح قانوناً.

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: ألا يجب أن يكون لدى مشرّعينا تصدير لهذه القوانين، بل ليقول، حالاً، إفعل هذا، إمتنع عن فعل ذلك ـ وبعدئذ يثبت العقاب في شكل رعب In Terrorem، لكي يستمرّ بتشريع قانون آخر دون أن يقدّم كلمة نصح قطّ أو عظةً لأولئك الذين يشرّع لهم، على طريقة بعض الأطبّاء. ويمكنني أن أذكّرك ببعض الأطباء، الذين لدى قسم منهم طريقة ألطف لشفاء مرضاهم، في حين أنّ لدى بعضهم الآخر طريقة خشنة وتنقصها الدارية. وكما يسأل الأطفال الطبيب ليكون لطيفاً في التعامل معهم، هكذا سنسأل نحن المشرّع كي يشفينا من الفوضى والاعتدال الجسديّ بالعلاجات الأكثر لطفاً. والذي أعني قوله هو أنّه بجانب الأطبّاء هناك خدم الأطبّاء الذين يُلقبون بالأطباء.

كلينياس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: وسواء أكان هؤلاء عبيداً أو أحراراً فلا فرق في ذلك، إذا اكتسبوا معرفتهم بعلم الطب عن طريق مراقبة أسيادهم ومراقبتهم، هذا بالاعتماد على التجربة وليس طبقاً للطريقة الطبيعيّة في التعليم المناسبة للرجال الأحرار، والذين تعلّموا الطِبّ بطريقة علميّة ونقلوها إلى أبنائهم بشكل علميّ. إنّك تعلم بأن هناك نوعين من الأطبّاء.

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: أوَلم تراقب أبداً أنّ هناك نوعين من المرضى في الدول، أي هناك عبيد وأحْرار؛ وأنّ الأطباء العبيد يطوفون ويشفون العبيد، أو ينتظرونهم في المستوصفات ـ إنّ أصحاب المهن من هذا النوع لا يتكلّمون أبداً مع مرضاهم بشكل منفرد، أو يَدَعوهم يتكلّمون بشأن شكاواهم الخاصّة. إنّ الطبيب العبد يصف ما تقترحه الخبرة أو الحنكة المجرّدة، وكأنّ لديه معرفة بعلم الطبّ، وعندما يعطي أوامره، مثلما يفعل السيّد المستبدّ، فإنّه يهرع إلى خادم ما آخر مريض بثقة متساوية، وهكذا يريح نفسه من العناية ببعض

مرضاه. لكنّ الطبيب الآخر، الذي يكون إنساناً حرّاً، فيسهر على راحة مرضاه ويطبق مهنته على الرجال الأحرار؛ ومن ثمّ يُرجع تحقيقاته إلى زمنٍ بعيد، ويبحث في طبيعة العلّة؛ إنّه يدخل في مناقشة مع المريض ومع أصدقائه، ويحصل حالاً على معلومات من الإنسان المريض ويعلّمه أيضاً بقدر ما يستطيع ذلك. وهو لن يصف له أيّ شيء حتى يقنعه به بادىء ذي بدء. وأخيراً فإنّه عندما يحضر المريض تحت تأثيراته الإقناعيّة أكثر وأكثر ويضعه على الطريق الصحيح المؤدّي به إلى الصحّة يحاول أن ينجز له علاجاً. وبعدُ فأيّ الطريقتين هي الطريقة الأفضل للتقدّم في علم الطبّ وفي التدريب؛ في الطبيب وفي المدرّب؟ هل الأفضل هو مَنْ ينجز غاياته بطريقة مضاعفة، أو هو الذي يعمل بطريقة واحدة، وذلك بالطريقة الأخشن والأحطّ شأناً؟

كلينياس: يلزمني أن أقول، أيّها الغريب، إنّ الطريقة المضاعفة هي الطريقة الأفضل.

الأثيني: هل ستحبّ أن ترى مثالاً عن الطريقة المضاعفة والمفردة في التشريع؟

كلينياس: سأحبّ أن أرى ذلك بدون ريب.

الأثيني: ماذا يكون قانوننا الأوّل؟ أولن يبدأ مشرّعنا بإيجاد أنظمة للدول بشأن الولادات بعد مراقبته لنظام الطبيعة؟

كلينياس: إنّه سيفعل.

الأثيني: وفي كلّ الدول فإنّ ولادة الأطفال تعود إلى الرابطة الزوجيّة؟

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وطبقاً للنظام الحقيقيّ، فإنّ القوانين المتعلّقة بالزواج يجب أن تكون تلك القوانين التي تُقرّر وتُعتمد في كلّ دولة بادىء ذي بدء؟

كلينياس: هكذا تماماً.

الأثيني: دعني أعطي قانون الزواج في شكل بسيط إذن، ويمكن أن يسري كما

يلي: سيتزوّج الرجل بين سنّ الثلاثين والخامسة والثلاثين، أو، إذا لم يفعل ذلك، سوف يدفع مقداراً من الغرامة تحدّدها الدولة، أو أنّه سيتعرّض لفقد بعض امتيازاته. إنّ هذا القانون سيكون قانوناً بسيطاً بشأن الزواج. أمّا القانون المضاعف فسيسري كما يلي: سيتزوّج الرجل بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، آخذين بعين الاعتبار أنّ السلالة الإنسانيّة تشترك في الخلود إلى حدٍّ ما، ذلك الخلود الذي يميل كلّ إنسان ليرغبه بالطبيعة إلى الحدّ الأقصى لأنّ رغبة كلّ إنسان هي أن يتمكّن من أن يصبح شهيراً، وأن لا يتمدّد في القبر بدون اسم؛ وهذه الرغبة هي الحبّ الوحيد للإستمرارية. وبعدُ فإنّ الجنس البشريّ يكون مماثلاً تاريخاً أو ديمومةً في كلّ عصر، وهو الجنس المتدفّق أبداً، وسيتدفّق أبداً في مسار الزمن ودورانه. وهكذا فإنّه يكون جنساً باقياً وخالداً لأنّ الناس يتركون خلفهم أحفادهم، ويبقى الجنس واحداً والشيء عينه، ويشترك في الخلود بواسطة الذريّة والتوليد. وأمّا أن يُجرَّد إنسان من هذه الهبة، كالذي لن يمتلك زوجة وأطفالاً بشكل اختياري، فإنّ هذا العمل يكون عملاً غير مقدّس. ومَنْ يطع القوانين سيكون حرّاً، ولن يدفع أيّة غرامة؛ لكن الذي يعاند ولا يطيع، ولا يتزوّج عند وصوله إلى سنّ الخامسة والثلاثين، فسوف يدفع غرامة سنويّة ذات قيمة محدَّدة، وذلك لئلا يتصوّر أنّ عزوبته تجلب له سهولة وربحاً، وهو لن يشارك في التكريمات التي يقدّمها الشبّان للمسنّين في الدولة.

دعنا نقارن الآن شكلي القانونين، ولسوف تقدر على الوصول إلى حكم بشأن أيّة قوانين أخرى، سواء إذا وجب أن تكون هذه القوانين قوانين مضاعفة التطويل حتى عندما تكون القوانين الأقصر، لأنّها ينبغي أن تقنع مثلما يجب أن تهدِّد، أو سواء إذا وجب أن تهدِّد فقطِ وتكون قوانين نصفية التطويل.

ميغيلوس: إنّ القوانين الأقصر، أيّها الغريب، ستكون أكثر قرباً وفي تطابق مع العرف اللاقيدايموني، برغم أنّني من جهتي، إذا ما سألني شخص عمّا أفضّله أنا في الدولة، فسأقرّر بكلّ تأكيد أن أكون بجانب القوانين الأطول. وسأبغي سنَّ كلّ قانون على غرار النموذج عينه، إذا ما أعطيت لي الحرية في الاختيار، لكنّني أظن أن كلينياس هو الشخص الذي يجب استشارته لأنّ الدولة التي على وشك أن تستخدم هذه القوانين هي دولته.

كلينياس: شكراً لك، يا ميغيلوس: إنّني أقبل بجوابك.

الأثيني: سواء إذا كانت الكلمات لتكون في المجرّد كلمات قليلة أو كثيرة، فإنّ هذا السؤال هو سؤال غبي جدّاً. إنّ الشكل الأفضل للقوانين، وليس الشكل الأقصر، يجب أن يُصادق عليه، ولا ينبغي اعتبار الشكل الأطول على الإطلاق. ومن شَكْلَي القانون الذي تلوناه، فإنّ أحدهما لا يكون صالحاً مرّتين في المنفعة العمليّة مثلما يكون الشكل الآخر فقط: لكنّ الحالة تكون شبيهة بتلك الحالة للنوعين الاثنين من الأطباء، واللّذين ذكرتهما لتوّي. ومع ذلك فإنّ المشرّعين لا يبدون أبداً أنهم أخذوا بعين الاعتبار أنّ لديهم وسيلتين يمكن أن يستخدمهما المشرّع، وهاتان الوسيلتان هما الإقناع والقوّة، إذ في التعامل مع الكثرة الوقحة والجاهلة، يستخدمون الوسيلة الواحدة فقط إلى أبعد ما يستطيعون استخدامها. إنّهم لا يمزجون الإقناع مع الإكراه، بل يستخدمون القوّة صافية وبسيطة. بالإضافة إلى ذلك، هناك نقطة رئيسيّة ثالثة، أيّها الأصدقاء ذوو الطعم الحلو المذاق، وهذه النقطة هي التي يجب اعتبارها في قوانيننا الموجودة، لكن لا أحد يفعل ذلك أبداً.

كلينياس: وما هي النقطة الرئيسيّة هذه؟

الأثيني: إنّها النقطة التي انبعثت، بفضل الله ونعمته، من بحثنا السابق. لقد تكلّمنا كلّ هذا الوقت منذ طلوع الفجر الباكر إلى وقت الظهر عن القوانين، لكنّنا

الآن فقط، وبما أنّنا وصلنا إلى هذا المنتجع الرائع، فإنّنا بدأنا بنشر قوانيننا، وما سبق ذلك كان استهلالاً فقط، لماذا أذكر هذا؟ إنّي أذكره لهذا السبب: أذكره لأنّ كلّ المباحثات والتمارين المعبَّر عنها بالألفاظ لديها استهلالات ولديها مفاتحات، وهي نوعٌ من أنواع البدايات المنجزة ببراعة، والتي قُصِد منها مساعدة الأسلوب الذي يجب أن يتمّ إنجازه. إنّ مقاييس أو بحور الشعر الغنائي والموسيقي من كل نوع آخر، تمتلك مقدّمات موسيقية صيغت بعناية فائقة ورائعة. لكن عن الأسلوب الأحقّ والأسمى للقانون وعلم السياسات، فإنّ أحداً لم يتفوّه بأيّة استهلالات لها حتى الآن قطّ، لا ولم يؤلّف أو ينشر أحد أيّاً منها، وكأن هذا الشيء لم يوجد في الطبيعة. في حين أنّ مباحثتنا الحاضرة تُظهر لي أن هناك شيئاً كهذا. إنّ هذه القوانين المضاعفة، التي تكلّمنا عنها، ليست هكذا قوانين مضاعفة بالضبط، بل إنّها قوانين ذات جزأين إثنين: الجزء القانوني والاستهلال للقانون. أمّا الأمر الاعتباطي الذي قورن بأوامر الطبيب، تلك الأوامر التي وصفناها كأنّها نوع الأوامر الأقلّ شأناً بل الوضيعة، فإنّ القانون كان واضحاً وبسيطاً بشأنها. وأمّا الأوامر التي تقدّمتها والتي وصفها صديقنا هنا كأنّها أوامر واعظة وناصحة فقط، فإنّها كانت في الحقيقة وبرغم ذلك، أوامر عظة ونصح وتحذير، وكانت مشابهة لتمهيد البحث أيضاً. أتصوّر أنّ كلّ هذه اللغة التوفيقية التي تفوّه بها المشرّع في تصدير القانون، قُصِد بها خلقُ شعور وديٍّ نحو الأشخاص الموجّهة لهم، وذلك كي يمكنه، بسبب هذا الشعور الودي، أن يتلقّى أمره بشكل مدرك وواعٍ، يعني، القانون أو الناموس. ولذلك، فإنّ الطريقة التي تكلّمت بها، يمكن وصفها بشكل أكثر صحّة أنّها تمهيدٌ للقانون أكثر منها قضيّة له. وينبغي عليَّ أن أتقدّم أبعد من ذلك كي أُلاحظ أن المشرّع لكل هذه القوانين، ولكل قانون بشكل منفصل، يجب أن يحدِّد تصديراً؛ ينبغي عليه أن يتذكّر كيف أنّ

الفرق سيكون كبيراً بينها، طبقاً لما تمتلك أو لا تمتلك من تصديرات كهذه، كما هي في الحالة التي قدّمناها سابقاً.

كلينياس: إذاً ما سألني المشرّع عن رأيي فلسوفٍ يشرّع بالشكل الذي تنصح به.

الأثيني: أظن أنك محقّ تماماً في ما تقول، يا كلينياس، وذلك في التأكيد على أنّ كلّ القوانين لديها تصديرات، وأنّه أثناء كلّ هذا العمل التشريعي فإنّ كلّ قانونٍ مفرد ينبغي أن يكون لديه تصدير في البداية. لأنّ ذلك الذي سيلي سيكون الشيء الأكثر أهميّة، ويُوجِد الفرق كلّه سواء أتذكّرنا التصديرات أم لم نتذكّرها بكلّ وضوح. وبرغم ذلك فإنّه سيكون خطأً في احتياجنا لكلّ تلك القوانين، سواء أكانت صغيرة أو كبيرة على حدّ سواء، وفي أنّها يجب أن يكون لديها تصديرات من النوع عينه، أكثر مّما يكون لدى كلّ الأغاني أو كلّ الأحاديث. ومع أنّها يمكن أن تكون تصديرات طبيعيّة للجميع، فإنّها لا تكون ضرورية على الدوام. وأمّا إذا كانت لتُستخدم أو لا تُستخدم فيلزم أن تُترك في كلّ حالة إلى حكم المتلكّم أو إلى حكم الموسيقى، أو، في الحالة الحاضرة، فينبغي تركها للمشرّع.

كلينياس: أظن أنّ ذلك هو الشيء الأكثر صحّة وصدقاً. وبعدُ دعنا نعود إلى المناظرة بدون تأخير، أيّها الغريب، وكما يقول الناس في التسلية، دعنا نوجد بداية ثانية بل بداية حسنة، إذا سرّك ذلك، هذا على أساس المبادىء التي اتممنا وضعها، والتي لم نفكر باعتبارها قبلاً كتصدير أبداً، لكنّ التي يمكننا أن نجعلها تصديراً الآن، وأن لا نعتبرها موضوعات تصادفية للمحادثة بشكل مجرّد. دعنا نعترف أنّنا بدأنا التصدير إذن. أمّا بشأن تمجيد الآلهة واحترام الآباء، فلقد قلنا الكثير عنهما سابقاً؛ ويمكننا أن نتقدّم إلى الموضوعات التي تلي في نظام، حتّى تعتبر أنت أنّ التصدير تامٌّ؛ وبعد ذلك فإنّك ستفحص القوانين عينها بدقّة.

الأثيني: أفهم أنك تعني أنّنا أوجدنا تصديراً كافياً بشأن الآلهة وأنصاف الآلهة، وبشأن الآباء الأحياء منهم والمتوفين. والآن ستريد منّا أن نسلّط الضوء على بقية الموضوع.

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: إنّني سأحاول بعد هذا، كما هو مناسب من أجل مصلحتنا كلّنا، أنا المتكلّم، وأنتم المستمعين، سأحاول أن أقدِّر كلّ ذلك الذي يتعلّق بالأرواح والأجسام وممتلكات المواطنين؛ وفي ما يتعلّق بمهنهم وتسلياتهم كذلك، وهكذا نصل إلى طبيعة التعليم، بالقدر الذي يكمن فينا. إنّ هذه الموضوعات إذن هي الموضوعات التي تلي في نظام.

كلينياس: جيّد جدّاً.

محاورة النواميس

الكتاب الخامس

افكار الكتاب الرئيسية

وبعدُ فإنّي أؤكّد أنّ كلّ الأشياء التي يمتلكها إنسان، وتتلو الآلهة، تكون روحه الأكثر ألوهيّة والأكثر ممّا يخصّه بشكل حقيقيّ. هناك في كلّ إنسان جزآن اثنان، الأوّل هو الأفضل والأسمى الذي يحكم، والثاني هو الأسوأ والأحطّ قيمة الذي يخدم. وينبغي على كلّ إنسان أن يمجّد روحه كما يجب. والشرف والتمجيد والتكريم هي أشياء إلهيّة، ولا شيءَ شرّيراً يكون شريفاً، وما تكريم الروح إلاّ السير على هدي الفضيلة وطرح الرذيلة. ويجب على الإنسان أن يبحث عن الخير الرئيس وأن يجده ويجعله له مقطناً وموئلاً. وعلينا أن نكرّم الغرباء في دولتنا وأن نقدّم لهم ضيافة حسنة، وأن نسمعهم أحلى الكلمات وألطفها. إنّ الحقيقة هي الخير الرئيس لكلّ الأشياء الخيّرة، للآلهة وللرجال على حدّ سواء. والذي سيكون مباركاً وسعيداً ينبغي عليه أن يشارك في الحقيقة منذ البدء، وذلك كي يمكنه أن يحيا إنساناً صادقاً طيلة حياته. ويجب علينا أن نرسي قواعد السلوك والتعاليم الأخلاقيّة العالية، يا كلينياس وميغيلوس. ويلزم على الإنسان أن لا يفرِط في الضحك ولا في البكاء. إنّ الحياة المفرطة حياة قاسية ومتهوّرة في كلّ شيء، وفيها آلام عنيفة وملذات قاسية، ولها رغبات متّقدة ومثيرة، ولها محبّات مجنونة بشكل مطلق؛ في حين أنّ الحياة المعتدلة حياة لطيفة ولديها رغبات متّزنة ومحبّات غير مجنونة. والحياة المعتدلة والشُجاعة والعاقلة والصحّية تتفوّق على الحيوات الجبانة والغبيّة والمفرطة والمريضة. وهي أسمى منها ببعد كبير جمالاً واستقامة وامتيازاً

وشهرة. لذلك نقول إنّ الذين سيرتقون المناصب العليا في الدولة يجب عليهم أن يكونوا مميَّزين حقاً في كلّ حالة، وغيراً من أولئك الذين قد تمّ اختبارهم بواسطة التعليم السيّىء وبشكل هزيل. وعلينا أن نقسّم الأرض بين المواطنين بشكل عادل وأن نمنع الديون لأنّها منشأ النزاع الخطير على الدوام. وعلينا أن نعتبر أن الفاقة هي الزيادة في الرغبات الإنسانية وليس في إنقاص ممتلكات الإنسان. وهذا العمل هو بداية إنقاذ الدولة، وعلى هذا الأساس والنظام السياسيّ سنبني قواعد دولتنا.

وكما قلنا فإنّ عدد مواطني مدينتنا لن يتجاوزز الـ ٥٠٤٠ [5040] عائلة، وسيكون هذاالعدد عدداً مناسباً، وسيكون هؤلاء مالكي الأرض وحماتها ومستغلّيها. وعلى كلّ مشرّعٍ أن يعرف مقداراً من علم الحساب، وذلك ليتسنى له أن يخبر أيّ عدد هو العدد الأكثر نفعاً لكلّ المدن على الأرجح. وعلى المشرّع أن لا يغيّر أيّ شيء في ما يتعلّق بالدِّين الذي صادق عليه وسيط الوحي في معبد دلفي، أو معبد دودونا، أو الله آمون، أو صادق عليه أيّ عرف قديم وبأيّة طريقة، سواء إذا كان بواسطة الظهورات أو بواسطة أيّة كلمة أوحت بها السماء. أمّا الشكل الأسمى للدولة وللحكومة وللقانون فهو الشكل الذي يسود فيه القول الغابر المأثور: « الأصدقاء يشتركون في ملكيّة كلّ الأشياء ». ولا يستطيع إنسان أن يبني دولة أصدق أو أفضل أو أكثر رفعة في الفضيلة من الدولة التي نقترحها. وسواء إذا حكم هذه الدولة آلهة أو حكمها أبناء آلهة، كما قلنا، فإنّ الرجال القاطنين فيها والذين سيحيون وفق هذه الطريقة هم السعداء حقّاً، وستكون دولتهم أقرب دولة للخلود. وعلى المواطنين أن يعتنوا بالأرض لأنّها أمّهم الحقيقيّة، وهي تعطيهم الخيرات. وسيعتنون بها أكثر ممّا تعتني الأمّ بأطفالها. لأنّها إلهةٌ لهم وملكة. كما وأنّنا يجب أن نلغي اقتناء الذهب والفضة، وسنسمح باقتناء النقد المعدني من أجل تسهيل التعامل بين المواطنين. ولن يُدفع المال كمهر في الزواج على الإطلاق، ولا أحد سيودع المال مع شخص آخر لا يثق به كصديق، لا ولن يرابي بماله. ولا

يمكن لأحد أن يكون غنيّاً جدّاً وخيِّراً جدّاً في الوقت عينه، ولا ينبغي أن نروِّج في مدينتنا أية تجارة مبتذلة تدار بواسطة قرض المال. والروح والجسم لا يمكن أن يساويا شيئاً بدون التعليم والألعاب الرياضيّة، وسنقسِّم المواطنين إلى أربعة أقسام. ولن يكون بينهم غنىً مفرط ولا فقر مدقع، بل إنّ الطريقة الوسطى ستسود. وسنقسِّم البلاد إلى اثني عشر جزءاً تتلاءَم واحتياجات المواطنين. وسنبني المدينة بشكل دائريّ قصد النقاء وسهولة الدفاع عنها. وينبغي علينا أن نوجد نظاماً للمقاييس والأوزان، وأن نشدّد على تعليم الحساب ونظام العدد، إذا لا أداة مفردة من أدوات تعليم الشباب لها من القوّة العظيمة مثلما يكون لدراسة علم الحساب، وذلك في ما يختصّ بالاقتصاد المحليّ وبعلوم السياسة والفنون. وعلينا أن نعرف مدى تأثير المناخ والغذاء على الروح والجسم.

محاورة النواميس

الكتاب الخامس

الأثيني: اسمعوا، كلّكم يا من سمعتم لتوّكم سرد النواميس بشأن الآلهة، وبخصوص أجدادنا: اسمعوا أنّ كلّ الأشياء التي يمتلكها إنسان، وتتلو الآلهة، تكون روحه الأكثر ألوهيّة والأكثر ممّا يخصّه بشكل حقيقيّ. وبعدُ هناك في كلّ إنسان جزآن اثنان: الجزء الأفضل والأسمى الذي يحكم، والجزء الأسوأ والأحطّ قيمة الذي يخدم. وأمّا الجزء الحاكم فيه فيُفضَّل على الجزء التابع بشكل دائم. ومن أجل ذلك فإنّني لمحقّ في دعوة كلّ شخص بعد الآلهة، أسيادنا، وأولئك الذين يتبعونهم بإنتظام « كمثال أنصاف الآلهة »، إنّني لمحقّ في دعوتهم جميعاً كي يمجّد كلٌّ منهم روحه الخاصّة التي يبدو أنّ كلّ شخص يمجّدها، لكن لا أحد يمجّدها كما يجب. إنّ الشرف والتكريم والتمجيد أشياء إلهيّة، ولا شيء شرّيراً يكون شريفاً. ومن يظنّ أنّه يستطيع تمجيد روحه بالكلمة أو الهديّة، أو أيّ نوع من أنواع المنح، بدون جعلها أفضل بالطريقة التي يبدو أنّه يكرّمها بها، لكنّه لا يكرّمها بذلك على الإطلاق، كمثال، يتوهّم كلّ شخص في سِنِي صباه بالتحديد، يتوهمّ أن باستطاعته معرفة كلّ شيء، ويظنّ أنّه يمجّد روحه ويكرمها بالثناء عليها، ويكون مستعدّاً جدّاً لتركها تفعل ما تحبّ، لكنّني أعني أنه في فعله هذا يؤذي روحه، ويكون بعيداً جدّاً عن تكريمها، في حين أنّه يجب عليه، في رأينا، أن يمجّدها ويكرمها بعد تكريم الآلهة فقط. مرّة ثانية، عندما يظنّ إنسان أنّ الآخرين هم الذي يُلامون، وليس هو، وذلك للأخطاء التي ارتكبها من وقت لآخر وللآثام العظيمة العديدة التي حدثت له على التتالي،

ويتوهّم نفسه أنّه معفيّ وبريء من هذه الكبائر على الدوام، أقول، إنّ هذا الشخص يظنّ أنّه يمجّد روحه في حين أنّ عكس ذلك هو الحقيقة حتماً، إنّه يجلب لها الأذى حقّاً. وعندما يستخفّ بالكلمة وتصديق المشرّع، فإنّه يشبع رغباته بإطلاق العنان لها، وعندئذ يكون بعيداً جدّاً عن تكريمها مرّة ثانية. وحينما لا يتحمّل إلى النهاية المشقّات والمخاوف والأحزان والآلام التي يصادق المشرّع عليها، بل يفسح لها المجال كي تفعل فعلها، حينئذ، فإنّه بالإذعان لها لا يكرّم ولا يمجّد روحه، بل إنّه بكل هكذا سلوك يجعلها شائنةً ومخزية. لا ولا عندما يظنّ أنّ حياةً بأيّ ثمن هي حياة جيّدة وبذلك يكرّمها، لكنّه برغم ذلك يحقرها ثانية؛ لأنّ الروح عندما تفكّر بأنّ العالم السفليّ كلّه عالم شرّ وإثم، فإنّه يذعن لها ولا يعلّمها أو يقنعها أو يقاومها، وأن عليها أن تعلم أنّ عالم الآلهة السفليّ يمكن أن يكون أعظم الخيرات كلّها، بدلاً من أن يكون كلّه شروراً. مرّة ثانية، إنّ أيّ شخص عندما يفضّل الجمال على الفضيلة، فهل يكون ذلك سوى الإهانة الحقيقية والمطلقة للروح؟ لأنّ تفضيلاً كهذا يدلّ ضمناً على أنّ الجسم يكون أكثر تبجيلاً من الروح؛ وهذا المفهوم مفهوم خاطىء وباطل بحدّ ذاته، إذ ليس هناك شيءٌ ذو ولادة ترابيّة أكثرَ تعظيماً وتكريماً من الشيء السماويّ. والذي يظنّ غيراً من ذلك عن الروح فإنّه ليس لديه أيّة فكرة عن مدى نجاسة تقييمه لهذا الاقتناء الرائع بشكل عظيم. لا ولا، مرّة ثانية، حينما يكون شخص مستعدّاً أو غير مستعد أن يكسب أرباحاً غير مشروعة، فهل يكرّم روحه بالهدايا؟ إنّ هذا التفكير غير ذلك ببعد كبير. إنّه يبيع مجدها وشرفها بقطعة صغيرة من الذهب، لكنّ كلّ الذهب الذي يكون تحت الأرض أو فوقها ليس كافياً ليبادل بالفضيلة. وبكلمة مختصرة، يمكنني أن أقول إنّ الذي لا يقدّر السافل والشرير، الخيّر والنبيل، طبقاً لمقياس المشرّع، ويمتنع في كلّ طريقة ممكنة عن

الأول ويمارس الآخر إلى أقصى درجة من درجات قوته، إنّه لا يعرف أنّه في كلّ هذه الوجوه والنواحي إنّما يسيء معاملة روحه بالشكل الأكثر بشاعة وخزياً، هذه الروح التي هي الجزء الأكثر ألوهيّة لإنسان. لا أحد، كما يمكنني أن أقول، يعتبر أبداً ذلك الذي يعلن أنّه العقاب الأعظم لعمل الشرّ، أعني، كي ينمو ويكبر في شَبَهٍ للرجال الأشرار، والنمو والكبر مثلهم يعني أن يهرب من المحادثة مع الأخيار، وأن يقطع صلاته بهم، وأن ينشقّ عنهم ويتبع الأشرار ويصاحبهم. ومن ينخرط بالأشرار يجب أن يفعل ويعاني ما يفعله ويقاسيه هكذا رجال وما يقوله بعضهم لبعض بالطبيعة. إنّها معاناة غير عادلة بل هي عقوبة لهم. إنّ العدل والعادل هما شيئان نبيلان، في حين أنّ العقاب هو المعاناة التي تنتظر الظلم والظالمين. وسواء إذا هرب إنسان من هذا أو صبر عليه فإنّه يكون شقيّاً. أمّا في الحالة الأولى، فلأنّه ليس مشفياً؛ وفي الثانية، فإنّه يهلك ليكون بالإمكان إنقاذ بقيّة الجنس البشريّ. ولأتكلّم بشكل عامّ فأقول، إنّ موضع اعتزازنا ومجدنا هو في أن نتبع الأحسن وأن نحسّن الأسوأ، الأسوأ الذي يكون قابلاً للتحسين بقدر ما يمكن ذلك.

ومن بين كلّ المقتنيات الإنسانيّة، فإنّ الروح هي بالطبيعة الأكثر ميلاً لتفادي الشرّ والبحث عن الخير الرئيس وإيجاده، ذلك الخير الرئيس الذي عندما يجده إنسان، فما عليه إلاّ أن يختاره موئلاً له ومقطناً خلال البقيّة من حياته. ومن أجل ذلك فإنّ الروح تكون الثانية أيضاً « أوتكون التالية إلى الله » في التمجيد والتكريم. وثالثاً، كما سيدرك كلّ شخص، يأتي التكريم للجسد في نظام طبيعيّ. وبما أنّنا عزمنا على هذا وقرّرناه، ينبغي علينا تالياً أن نأخذ بعين الاعتبار أنّ هناك تكريماً للجسم، وأنّ بعض التكريمات يكون حقيقياً وبعضها الآخر مزيفاً ومزوّراً. ولكي نعزم على أيّها يكون كذلك فهذا عمل المشرّع. وأشتبه أنّ المشرّع سيصرّح أنّها تكون كما يلي: يجب أن لا

يُعطى التكريم للجسم الجميل أو للقوي بنيةً أو للسريع عَدْواً أو للطويل قامةً، أو إلى الجسم السليم صحّةً. « ومع ذلك فإنّ الكثيرين يمكن أن يفكروا بطريقة غير ذلك »، أكثر ممّا يفتكرون بأضدادها، لكنّ الحالات الوسط لكلّ هذه العادات هي العادات الأضمن والأكثر اعتدالاً بيعد كبير؛ لأنّ الحالة المتطرّفة تجعل الروح متبجّحة ومتغطرسة، وتجعلها الأخرى جِلفةً وسافلة. ويؤدّي المال، والممتلكات، والامتيازات كلّها إلى النغمة عينها. إنّ الإفراط في أيّ شيء من هذه الأشياء يميل ليكون مصدراً من مصادر الكراهيّة والانقسامات بين الدول والأفراد. وأمّا الخلل فيها فيكون سبباً للعبودية بشكل عامّ. ولهذا السبب، فإنّني لا أريد أن يُغرم أيّ شخص بتكديس الثروات من أجل أطفاله، وذلك كي يتركهم أغنياء قدر الإمكان. لأنّ اقتناء الثروة الكبرى عديم القيمة، إمّا لهم أو للدولة. إنّ حالة الشباب المتحرّرة من التملّق، لا تحتاج إلى حاجات الحياة في الوقت عينه، وهذه الحالة هي الحالة الأفضل والأكثر تناسقاً كونها في انسجام وتوافق مع طبيعتنا، وهي التي تجعل الحياة الحياة الأكثر تحرّراً من الحزن بشكل تامّ. دع الآباء إذن، لا يورّثون أطفالهم أكداساً مكدّسة من المال، بل يورّثونهم النفس المهابة والمبجّلة. إنّنا نتوهّم حقّاً أنّ أطفالنا سوف يرثون المهابة منا، إذا وبّخناهم عندما يُبدون إفتقارهم لتلك المهابة. غير أنّ هذه النوعية لا تُنقل لهم بالأسلوب الحاضر للتذكير والتحذير حقّاً، هذا الأسلوب الذي يقول لهم إنّ الشباب يجب أن يكونوا تبجيليّين على الدوام. والمشرّع الواعي المدرك سيحضّ الأكبر سنّاً على الأصحّ كي ينصحوا الأفتى منهم. وفوق كلّ شيء أن يهتموا وينتبهوا ألاّ يرى الإنسان الشابّ أو يسمع أحدهم يقوم بعمل أو يقول أيّ شيء مخزٍ ومعيب؛ لأنّه حيث لا يكون لدى الرجال المسنّين خجل، فهناك سيكون الرجال الشبّان الأكثر خلوا من الوقار بكلّ تأكيد. إنّ

الطريقة الأفضل لتدريب الشباب هي أن تدرب نفسك عليها في الوقت عينه؛ وهي أن لا تحثّهم ولا تنصحهم، بل أن تنفِّذ أنت حثّك ونصحك على نفسك مراساً ومزاولة بشكل عمليّ على الدوام. إنّ مَنْ يكرّم أنسباءَه ويبجّل أولئك الذي يشترك معهم في تكريم الآلهة، ويكونون من فصيلة الدّم عينه ومن العائلة نفسها، يمكنه أن يتوقّع أنّ الآلهة الذين يشرفون على الجيل تنشئةً وتعليماً، سيكونون صفوحين عنه متسامحين معه، ولسوف يحيُّون نسله. والذي يعتبر أنّ الخدمات التي يقدِّمها له أصدقاؤه والأقربون، أعظم وأكثر أهميّة ممّا يعتبرونها هم أنفسهم، وأنّ مِنَنهُ الخاصّة التي يقدّمها لهم هي أقلّ من تلك التي يقدّمون، إنّ شخصاً كهذا سيمتلك شعورهم الودّيّ في العلاقة الحياتية. ويكون هو الأفضل بكلّ تأكيد وبعد كبير في علاقاته بالدولة وبرفاقه المواطنين، مَنْ يرغب بكسب سَعَف النخل بطاعته لقوانين بلاده بدلاً من أن يحرز نصراً في أيّة ألعاب أولومبيّة على الأصحّ، أو في أيّ انتصار زمن السلم أو زمن الحرب. ومَنْ مِنْ بين الجنس البشري كلّه، يكون هو الشخص المحسوب أنّه أطاعها بالشكل الأفضل أثناء حياته كلّها. أمّا في علاقاته بالغرباء، فإنّ الإنسان عليه أن يعتبر أنَّ الاتفاقية هي الشيء الأكثر قداسة، وأنّ كلّ هموم وأخطاء الغرباء تكون أكثر اعتماداً على حماية الله بشكل مباشر من الأخطاء المرتكبة بحقّ المواطنين؛ لأنّ الغريب، بما أنه لا أقارب له ولا أصدقاء، فهو يستحقّ الشفقة من الآلهة والرجال. ومن أجل ذلك أيضاً، فإنّ الذي يكون أكثر قدرة على الثأر هو الأكثر حماسةً لدعواه؛ ومَن يكون أكثر قدرةً كي يفعل هكذا من العبقريّ وإله الغريب، الذي يتبع في موكب زيوس، إله الغرباء؟ ولهذا السبب، فإنّ مَنْ يمتلك ومضة احتراس فيه، سيفعل أفضل ما يقدر عليه كي يُمضي الحياة بدون أن يرتكب ذنباً ضدّ الغرباء. وبشأن الاعتداءات المرتكبة، سواء إذا كانت ضدّ الغرباء أو ضِدَّ

مواطني البلاد، فإنّ تلك التي تُرتكب ضدّ المتضرّعين إلى الله هي الاعتداءات الأعظم. لأنّ الله الذي شهد على الاتّفاق المبرم مع المتضرّع عليه، يصبح بطريقة خاصّة الحارسَ الذي يحرس المُعَاني، والمعَاني هذا لن يعاني بدون أن يثأر بكلّ تأكيد.

وهكذا فإنّنا وصفنا بشكل عادل الطريقة التي يستعملها إنسان بشأن أبويه، وبشأن نفسه، وبشأن شؤونه الخاصّة؛ وفي ما يتعلّق بالدولة، وبأصدقائه، وأقربائه، وفي ما يخصّ رجال بلاده، وفي ما يخصّ الغرباء على حدّ سواء. إنّنا سنعتبر الآن أيّ أسلوب يجب أن يتّخذه الإنسان الذي يستطيع أن يمضي حياته كلّها بالشكل الأفضل في ما يختصّ بتلك الأشياء الأخرى التي ليست مسائل قانونيّة، بل إنّها مسائل ثناءٍ ولومٍ فقط؛ ثناءٍ ولومٍ بها يتعلّم الإنسان ويتثقّف، وتجعله أكثر قابليّة وانقياداً للقوانين التي توشك أن تُفرَض.

إنّ الحقيقة هي رئيس كل الأشياء الخيّرة، للآلهة وللرجال معاً. والذي سيكون مباركاً وسعيداً، ينبغي عليه أن يشارك في الحقيقة منذ البدء، وذلك ليتسنّى له يحيا إنساناً صادقاً أطول وقت ممكن طيلة حياته، لأنّه يمكن أن يوثق به حينئذ، وحينئذ فقط؛ لكن لا يمكن الوثوق بمن يحبّ الباطل المتعمّد. وأمّا الذي يحبّ الباطل اللاإختياري فهو غبيّ. إنّ كلا الحالتين حالتان غير مرغوب فيهما جدّاً، لأنّ الغبيّ غير الجدير بالثقة والجاهل ليس لهما أصدقاء، وعندما يتقدّم الزمن يصبح هو معروفاً، ويدّخر لنفسه ويخزّن العزلة في سنّ نكد المزاج عندما تأخذ الحياة في التضاؤل والنقصان. وهكذا، فإنّه سواء أكان أطفاله وأصدقاؤه أحياء أو أمواتاً، فإنه ينعزل بشكلٍ متساوٍ. إنّ الذي لا يظلم يستحقّ الشرف والتكريم، ويستحقّ أكثر من ضعفي الشرف والتكريم إذا لم يفعل الظلم بنفسه وحسب، لكنّه يمنع الآخرين من القيام به. يمكن أن يُعدَّ الأوّل كإنسانٍ واحد، أمّا الثاني فيساوي عدّة رجالٍ،

لأنّه يخبر الحكام عن ظلم الآخرين. ومع ذلك فإنّ التقدير الأكثر سُمُواً يكون لمن يتعاون مع الحكّام في تصحيح المواطنين بالقدر الذي يستطيعه ـ إنّه سيُشهر المواطن العظيم والكامل، وسيحمل سَعَف النخل للفضيلة. يمكن أن يُمنح الثناء عينه بخصوص الاعتدال والحكمة، وكلّ الخيرات الأخرى التي يمكن نقلها للآخرين، كما يمكن أن يكسبها إنسان بنفسه. إنّ مَن ينقلها سوف يتمّ تكريمه كإنسان الرجال، وهو الذي يكون مستعدّاً لفعل ذلك، لكنّه لا يقدر على فعله مع هذا، يمكن السماح له بأخذ المكان الثاني. لكنّ الذي يحسد ولا يسمح للآخرين بشكل اختياري بالمشاركة في أيّ خير بطريقة صدوقة، فإنّه يستحقّ الذمّ. إنّ الخير الذي يقتنيه، على كلّ حال، لن يقلّل من قيمته قطّ بسبب اقتنائه بل ينبغي علينا أن نناله بأقصى قوّةٍ لدينا. دع كل إنسان إذن، يجاهد لينال جائزة الفضيلة، ودع الحسدَ يمّحي، لأنّ الطبيعة غير الحسودة تزيد في عظمة الدّول ـ والذي لا يحسد يتبارى في السلالة الإنسانيّة، ولا ينسف الشهرة العادلة لأيّ إنسان. لكنّ الرجل الحسود الذي يعتقد أنّه يستطيع الحصول على الأفضل بتشويه سمعة الآخرين والافتراء عليهم، إنّ هذا الرجل يكون أقلّ نشاطاً وفعاليّة في تعقّب الفضيلة الحقيقيّة، ويصغّر منافسيه إلى درجة اليأس بالافتراء عليهم وقذفهم بالظلم، وهكذا فإنّه يدخل المدينة كلّها إلى الحلبة وهي غير مدربة على مزاولة الفضيلة. ويضعِف وينقّص عظمتها بقدر ما تكمن فيه. وبعدُ فإنّ كلّ إنسان ينبغي عليه أن يكون شجاعاً، لكنّه يجب أن يكون لطيفاً أيضاً. ومن الأعمال القاسية، أو التي يمكن شفاؤُها بصعوبة، أو لا يمكن شفاؤها كليّةً، من الأعمال القاسية تلك التي تعرّض لها إنسان من قبل الآخرين والتي تكون أعمالاً ظالمة، فإنّ إنساناً يمكن أن يهرب منها بالقتال وبالدفاع عن نفسه وبقهرها فقط، وبأن لا ينقطع أبداً عن معاقبة مَنْ يفتعلها. والإنسان

الذي لا تكون نفسيته نبيلة وشجاعة، لا يقدر على إنجاز كلّ ذلك. وفيما يختصّ بأعمال أولئك الذين يفعلون الشرّ، لكنّ شرّهم يكون قابلاً للشفاء، دعنا نتذكّر، في المقام الأوّل، أنّ الرجل الظالم لا يكون ظالماً بمشيئته، إذ لا إنسان سيختار بمشيئته حيازة الشرور الأعظم، والأقلّ من الكلّ في الجزء الأكثر تكريماً وجلالاً من نفسه. ولا أحد سوف يقبل أو يسمح باستمرار الشرور الأعظم في الروح إذن، التي تكون وتعتبر حقاً الأكثر جلالاً وتكريماً من قبل كل الرجال، لا أحد سيقبل بذلك إذا استطاع. إنّ الآثم والشرّير يستحقّان الشفقة ويُرثى لهما في أيّة حال، ويقدر شخص أن يتحمّل السماح كما الشفقة على الذي يكون قابلاً للشفاء، وأن يحجم ويهدّىء غضب شخص، كي لا يصل إلى مرحلة الغضب الشديد، مثل المرأة، وأن يُلطّف الشعور غير الودّيّ فيه. لكن جامات حنقنا الشديد ستصبّ على الذي يكون غير قادر على الإصلاح والصلاح ويكون شرّيراً بالكامل. ومن أجل ذلك فإنّني أقول إنّ الرجال الأخيار يجب أن يكونوا إمّا لطفاء أو غاضبين، حينما تقتضي الظروف ذلك.

من بين الشرور كلّها فإنّ الشرّ الأعظم هو الذي يكون متأصّلاً في أرواح أكثريّة الرجال. أمّا الشرور التي يتغاضى عنها الإنسان في نفسه ولا يصحّحها على الإطلاق، أعني بذلك الشرور التي يُعبَّر عنها في التعبير القائل « إنّ كل إنسان هو صديق نفسه وينبغي عليه أن يكون كذلك ». في حين أنّ الإفراط في حبّ النفس هو في الحقيقة منشأ ومصدر كل التعدّيات في كلّ إنسان، لأنّ المحبّ يكون أعمى بشأن الحبيب، وهكذا فإنّه يحكم على العادل خطأً، ويحكم على الخيّر والشريف كذلك، ويعتقد بأنّه يجب عليه أن يفضّل نفسه دائماً بدل تفضيل الحقيقة. لكن الإنسان العظيم والذي سيكون كذلك يلزمه أن لا يعتبر نفسه أو مصالحه، بل أن يعتبر ما يكون

عادلاً، سواء إذا كان فعل العدل يخصّه أو يخصّ الآخرين. وبسبب الخطأ عينه فإنّ الرجال مدفوعون ليتوهّموا أنّ جهلهم الخاصّ هو حكمة، وهكذا فإنّ مَنْ يمكن القول عنهم إنّهم لا يعرفون شيئاً بحقّ، يظنّون أنّنا نعرف كلّ شيء، ولأنّنا لن نسمح للآخرين أن يفعلوا لنا في ما لا نعرف، فإنّنا مجبرون على القيام بالعمل بأنفسنا وبطريقة خاطئة. ومن أجل ذلك دع كلّ إنسان يتفادى حبّ النفس المفرط، ودعه يتبع الإنسان الأفضل من نفسه على الدوام، وأن لا يسمح للحياء المزيّف كي يعترض طريقه.

هناك قواعد للسلوك وتعاليم أخلاقية ثانوية أيضاً والتي يتمّ تكرارها غالباً، وهذه القواعد هي قواعد مفيدة تماماً. إنّ الإنسان ينبغي عليه أن يتذكّرها ويذكّر نفسه بها، لأنّ الجدول عندما يتدفق خارجاً، يجب أن يتدفّق الماء إلى الداخل أيضاً، والتذكّر يتدفّق إلى الداخل في حين أن الحكمة تغادر. لهذا السبب فإنّني أقول إنّ الإنسان يلزمه أن يحجم عن الإفراط في الضحك أو في البكاء، ويلزمه أن يحثّ جاره على فعل الشيء عينه. يجب عليه أن يحجب حزنه المفرط أو فرحه المفرط، وأن ينشد التصرّف بشكل مناسبٍ ولائق، وذلك سواء إذا لازمه حظّه السعيد القرين، أو عارضته الآلهة في بعض مشاريعه، وذلك عند أزمة حظّه وقدره، حينما يبدو أنّه يتسلّق الأماكن المرتفعة ويجري بسهولة في المنحدرات، يبقى أنّ بإمكانه أن يأمل أبداً، وفي حالة الرجال الأخيار، يأمل أنّ الله سوف يُخفّض بنِعَمِهِ الخاصّة أيّة بلايا ستلحق بهم في المستقبل، وإنّ الشرور الحاضرة سيحوّلها هو لِمَا هو أفضل منها. وأمّا فيما يخصّ الخيرات المضادّة للشرور هذه، فلن يعتريه الشكّ بأنّها ستضاف إليها، وأنّ الجميع سيكونون محظوظين بإضافتها. هكذا يجب أن تكون آمال الرجال، وهكذا ينبغي أن تكون المواعظ والتحذيرات التي يذكّرون بعضهم بعضاً بها؛ هم لا يضيعون فرصة أبداً في سبيل أداء

ذلك، بل إنهم يذكرون أنفسهم بشكل استثنائيّ ويذكرون الآخرين بكلّ هذه الأشياء، في وقت الدعابة والجدّ كليهما.

لقد قلنا وبحثنا بما فيه الكفاية عن القضايا الإلهيّة الآن، وذلك فيما يتعلّق بالممارسات التي يجب أن يتّبعها الرجال، وفيما يتعلّق بنوع الأشخاص الذين ينبغي أن يمارسوها إفرادياً. لكنّنا لم نتكلّم عن الأشياء الإنسانيّة حتى الآن، ونحن يلزمنا أن نفعل ذلك، لأنّنا إلى الرجال نتحدّث وليس إلى الآلهة. إنّ الملذّات والرغبات والآلام جزء من الطبيعة الإنسانيّة، وبها يجب أن يتعلّق كلّ إنسانٍ فانٍ وعليها ينبغي أن يعتمد ضرورة بالشوق الأكثر تلهّفاً عليها ولها. ولهذا السبب يلزمنا أن نثني على الحياة الأنبل، ليس الحياة التي تكون الأجمل في المظهر، بل ككونها واحدة، التي إذا ما تذوّقها .إنسان فقط فلن يهجرها ويتخلّى عنها ما دام شابّاً، وهو سيجد أنّها تتفوّق في الشيء الذي نرغبه .كلّنا بالتحديد، أعني في امتلاك مقدارٍ عظيم من اللذّة والألم أقلّ أثناء الحياة كلّها. وسيكون هذا واضحاً وجليّاً، إذا ما كان لدى إنسان تذوّق حقيقيّ لها. كم ستتمّ رؤية ذلك بسرعة وبشكل صافٍ، لكن لنسأل، ما هو التذوّق الحقيقيّ؟ إنّ ذلك يجب أن نعلمه من المحاورة ـ والنقطة الرئيسيّة هي ما يكون متطابقاً مع الطبيعة، وما ليس في تطابق وتناسب معها. وينبغي أن تتمّ مقارنة الحياة الأولى بالحياة الأخرى، الحياة الأكثر لذّة مع الحياة الأكثر ألماً، على غرار هذا الأسلوب: إنّنا نرغب في امتلاك اللذّة، لكنّنا لا نرغب ولا نختار الألم؛ أمّا الحالة المحايدة فنحن على استعداد لنأخذها بالمقايضة، ليس مقايضة اللذّة بل مقايضة الألم. ونتمنّى أيضاً ألماً أقلّ ولذّة أكثر، لكنّنا لا نتمنّى اللذّة الأقلّ والألم الأكثر. ونحن لا نستطيع المجازفة بتأكيد أنّنا نتمنّى توازناً متساوياً لكليهما. وكلّ هذه الأشياء تختلف أو لا تختلف في كلّ ظرف أو مناسبة للاختيار، رقماً ومقداراً وكثافة ومساواة. وكذلك في

مضادّاتها عندما يتمّ اعتبارها أهدافاً للرغبة. وهكذا كون النظام ضروريّ للأشياء، فإنّنا نرغب بتلك 'الحياة التي فيها العديد من العناصر الكثيرة والكبيرة للذّة والألم الحادّين،' والتي تكون الملذّات فيها مفرطة وحادّة، ولا نتمنّى الحياة التي تتخطّى المضادّات فيها، لا ولا نرغب ثانية الحياة التي تكون عناصر الحياتين الاثنتين فيها صغيرة وقليلة وواهنة، ويتخطّى الألم فيها كلّ ما عداه. وينبغي أن تكون الحياة التي تتوازن فيها اللذّة والألم بشكلٍ متساوٍ، ينبغي أن نعتبرها على المبدأ عينه الذي اعتبرناها به سابقاً. وبقدر ما تفوق الحيوات الأخرى في ما نحبّ، فإنّنا نفضّلها عليها؛ وبقدر ما تفوقها أيضاً في ما نكره، فإنّنا لا نفضلها أبداً. إنّ كلّ حيوات الرجال يجب أن نعتبرها كأنّها موثقة في هاتين الحياتين، وكذلك يلزمنا أن نأخذ بعين الاعتبار أيّ نوع من أنواع الحيوات نرغب بالطبيعة. وإذا رغبنا بأيّة حيوات أخرى، فإنّني أقول إنّنا نتمنّاها بسبب جهلٍ ما فقط وبعدم خبرةٍ عن الحيوات الموجودة بشكل حقيقي.

وبعدُ، أيّة حيوات هي تلك الحيوات، وكم حياة فيها؟ وبما أنّنا بحثنا وتقصّينا ورأينا أهداف الإرادة والرغبة وأضدادهما، وبما أنّنا أوجدنا قوانين منها، فإنّني أقول إن الإنسان لا يمكنه أن يحيا بالطريقة الأسعد الممكنة، حينما يختار الحياة الأسرّ والأفضل والأنبل. دعنا نقول إنّ الحياة المعتدلة هي حياة ذات نوع واحد من الحياة، ونقول إنّ الحياة العقليّة حياة أخرى، وإنّ الحياة الشجاعة حياة غيرهما، وإنّ الحياة الصحيّة حياة غير الحيوات الثلاث السابقة. ودعنا نضع حيوات مضادّة لهذه الحيوات الأربع، الحياة الغبيّة، الحياة الجبانة، الحياة المفرطة، والحياة الممرضة. إنّ الذي يعرف الحياة المعتدلة سيصفها كأنّها الحياة اللطيفة في كلّ الأشياء، لديها آلام لطيفة وملذّات لطيفة، ولديها رغبات متّزنة ومحبّات غير مجنونة، في حين أنّ الحياة المفرطة

هي حياة متهوّرة في كلّ شيء، ولديها آلام عنيفة وملذّات قاسية، ولها رغبات متّقدة ومثيرة، ولها محبّات مجنونة بشكل مطلق. أمّا في الحياة المعتدلة فإنّ الملذات تفوق الآلام، لكن في الحياة المفرطة فإنّ الآلام تفوق الملذات كثرةً وعدداً وتكراراً. ومن ثمّ فإنّ واحدة من هاتين الحياتين هي أكثر لذّة والأخرى أكثر ألماً بشكل طبيعيّ وبشكل ضروريّ، والذي يعيش بشكلٍ سارّ لا يمكنه أن يختار العيش بإفراط، على الأرجح. وإذا كان هذا القول حقيقياً، فالاستنتاج بشكل واضح هو أنّ لا إنسان يكون مفرطاً اختياريّاً؛ بل إنّ الكثرة الساحقة من الرجال ينقصهم الاعتدال في حيواتهم، إمّا بسبب الجهل أو لافتقارهم للسيطرة على النفس، أو كليهما. ويثبت الشيء عينه عن الحياة السقيمة والصحيّة. إنّ كلتا الحياتين لديهما ملذّات وآلام، لكن في الحياة الصحيّة تتفوّق اللذّة على الألم، ويحدث عكس ذلك في الحياة السقيمة. وبعدُ فإنّ قصدنا من اختيار الحيوات ليس أن يتفوّق الألم فيما نختاره، وأيّة حياة لا يتفوّق الألم فيها فإنّنا قررنا أن نسمّيها الحياة الكثيرة اللذّة. ويجب علينا القول إنّ الحياة المعتدلة تمتلك عناصر اللذّة والألم كليهما بشكل أقلّ تكراراً وأصغر وأضأل من الحياة المفرطة، وتمتلكها الحياة العاقلة أكثر من الحياة الغبيّة، والحياة الشجاعة أكثر من الحياة الجبانة. إنّ كلّ زوج منها يتفوّق في اللذّة ويتفوّق الزوج الآخر منها في الألم، فتتخطّى الحياة العاقلة الحياة الغبيّة، والحياة الشجاعة الحياة الجبانة. وهكذا فإنّ أحد صنفي الحيوات يتفوّق على الصنف الآخر في اللذّة. إنّ الحياة المعتدلة والشجاعة والعاقلة والصحيّة تتفوّق على الحيوات الجبانة والغبيّة والمفرطة. ولنتكلّم بشكل عامّ، فنقول، إنّ الحيوات التي تمتلك أيّة فضيلة، سواء إذا كانت روحيّة أو جسديّة، هي حيوات ألذُّ من الحيوات الرذيلة، وهي أسمى ببعد كبير جمالاً واستقامة وامتيازاً وشهرةً، وتيسر لمن يحيا في تطابق معها

وبها أن يكون إنساناً أسعد بشكل لامتناهٍ من الرجل الذي يعيش عكس هذه الحيوات.

لقد قلنا كفايةً عن التمهيد وفيه. وبعدُ فإنّ القوانين ستلي ذلك. أو لأتكلّم بشكل أكثر صحّةً، فإنّ الذي سيلي هو موجز لها. وكما في حالة النسيج أو في حالة أيّة نسيج آخر، فإنّ السّداة واللحمة لا يمكن صنعهما من المواد عينها[٢١]، لكنّ مادة الغلاف أو السّداة أسمى بالضرورة ككونها أقوى، ولها صفة محدّدة من صفات المتانة، في حين أنّ اللحمة أنعم ولها درجة مناسبة من المرونة. وفي أسلوب مماثل فإنّ أولئك الذين سيرتقون المناصب العليا في الدول، يجب عليهم أن يكونوا مميّزين حقّاً في كلّ حالة غير أولئك الذين قد اختُبروا بواسطة التعليم بشكل هزيل. وهناك جزآن اثنان من أجزاء الدستور في الدولة، أحدهما خلق المناصب، والآخر خلق القوانين التي تُخصّص لها كي تُدار.

لكن قبل كلّ هذا، يأتي الاعتبار التالي: إنّ الراعي أو المعتني بالقطيع، أو مولّد الأحصنة أو ما شابه، فإنّه عندما يتلقّى الحيوانات التي تمّ وضعها، لا يبدأ بتدريبها قبل أن يتمّ تطهيرها أولاً بالطريقة التي تناسب مجتمع الحيوانات. إنّه سيقسّم الحيوانات السليمة صحّة والسقيمة، وسيفصل الصنف الجيّد عن الصنف الرديء، وسيبعد النسل السقيم والسيّيء الذي تمّ إنجابه إلى الأسراب الأخرى من القطعان، ويتولّى العناية بالباقي منها. وعندما يتأمّل ملياً أنّ هذه الأعمال الصعبة ستكون أعمالاً غير مجدية، ولن تؤثّر على أرواح أو أجسام أولئك الذين تكون طبيعتهم وتربيتهم السيئة قد فسدتا، وأنّه سيشمل دمارها الطبيعة الصافية والسليمة لوجود كلّ حيوان آخر، إذا ما أُهملت هذه الأعمال تنقيةً وتصفيةً. وبعدُ فإنّ حالة الحيوانات الأخرى لا تكون مهمة هكذا، إنّها جديرة بالإدخال لأجل التوضيح فقط، لكنّ الذي يتعـ[لق]

بالإنسان هو ذو الأهميّة الأسمى والأعلى، وينبغي على المشرّع أن يُوجد تحقيقات، ويعيّن ما يكون مناسباً لكلّ شخص بطريقة الصفاء والنقاء ويفعل ذلك لكلّ جزء آخر. خذ، كمثال، صفاء ونقاء المدينة. هناك تطهيرات عديدة بعضها أسهل، وبعضها الآخر أكثر صعوبة، وبعضها، والأفضل فيها والأكثر صعوبة هو المشرّع، إذا كان طاغيةً وحاكماً مطلقاً أيضاً، يمكنه أن يكون قادراً على التأثير. لكنّ المشرّع الذي لا يكون حاكماً مطلقاً أو طاغية، فإنّه يقيم حكومة جديدة وقوانين جديدة، حتّى إذا حاول أن يطبّق التطهيرات الألطف، يمكنه أن يتصوّر نفسه سعيداً إذا استطاع إتمام عمله. إنّ التطهير ذا النوع الأفضل هو تطهير مؤلم شأنه شأن العلاجات المماثلة في الطبّ. إنّها تتضمّن عقاباً مؤلماً ومحقّاً وتحكم بالموت أو النفي في المحاولة الأخيرة. ونحن في هذه الطريقة نتخلّص من المذنبين الكبار الذين يتعذّر شفاؤهم والذين يكونون الأعظم أذيّة للدولة كلّها. لكنّ الطريقة الألطف للتنقية هي كما يلي: عندما يبدي الرجال الذين لا يساوون شيئاً والذين يفتقرون للغذاء، عندما يبدون ميلاً ليتبعوا قادتهم في هجوم يشنّونه على ممتلكات الأغنياء؛ فإنّ هؤلاء، الذين يعتبرون الطاعون الطبيعيّ للدولة، يبعدهم المشرّع بطريقة حُبّيّة لأبعد ما يستطيع، ويسمّى هذا الطرد لهم مستعمرة بتعبير لطيف. ويجب على كلّ مشرّع أن يفعل هذا في البداية بشكل أو بآخر. أمّا في حالتنا الخاصّة، فإنّنا نحتاج إلى جهدٍ قليل بشكل خاصّ. إذ لا حاجة لابتكار أيّة مستعمرة أو انفصالٍ نقائيّ تحت الحالات التي تُوضع فيها. لكن كما أنّه يجب علينا أن نشهد ونُعنى بالمياه عندما تتدفّق جداول عديدة معاً ومن ينابيع عدّة، سواء أكانت ينابيع أو سيولاً هابطة من الجبال إلى بحيرة واحدة، أقول إنّه يجب علينا أن نشهد ونُعنى بأن تكون هذه المياهُ المندمجة كلّها في نهر واحد نقيّة وصافية بشكل تامّ.

ولكي نُحدث هذا التأثير ينبغي علينا أن نضخَّ ونسحب ونحوّل اللاطهارات وكلّ شيء نجس. فهكذا في كلّ تنظيم سياسيّ يمكن أن يوجد مشاكل وأخطار. لكن، بما أنّنا نرى أنّنا نتحادث ولا نفعل، دعنا نفترض أن اختيارنا تامٌّ، وتصوّر الطهارة المرغوب فيها صارت ملكاً لنا. بما أنّنا اقتربنا مماسَّةً بالرجال الأشرار الذين يريدون أن ينضمُّوا ويكونوا مواطنين في دولتنا، فإنّنا سنمنعهم من المجيء، هذا بعد أن فحصناهم وجربناهم بكلّ نوع من أنواع الإقناع ولوقتٍ كافٍ، لكنّنا سوف نتلقّى الأخيار بأقصى قدرتنا كأصدقاء وبسواعد وقلوب مفتوحة.

يجب أن لا يُنسى قسم آخر من أقسام الحظّ السعيد، التي كانت لدى المستعمر الهيراقليديّة، والتي هي مستعمرتنا أيضاً. وبما أنّنا تخلّصنا من تقسيم الأرض وإبطال الديون، لأنّ هذين الشيئين هم منشأ النزاع الخطير على الدوام، فإنّ المدينة التي تُقاد بالضرورة لإصدار قوانين بخصوص قضايا كهذه، لا يمكنها لا السماح للطرائق القديمة المتّبعة بالاستمرار، ولا المجازفة بتغييرها مع ذلك. ينبغي علينا أن نتلمّس العون من الصلوات ونجعلها سبيلاً لنا، إذا جاز التعبير، ونأمل بإمكان إحداث تغيير طفيف فيها مع مرور الزمن وذلك بشكل حذر. ويمكن لهكذا تغيير أن يتمّ إنجازه بهذه الطريقة: بما أنّنا متعهّدو التغيير، ينبغي أن يكون هناك بعض الذين يمتلكون أرضاً شاسعة المساحة وفيرة العدد، وبما أنّ لديهم العديد من الدائنين، فإنّهم على استعداد أن يتقاسموا الحياة مع أولئك المحتاجين، بنفسيّة لطيفة، مرجئين مالهم وواهبين ما عندهم بعض المرات، مستمرّين في مسلك الاعتدال بثبات، معتبرين أنّ الفاقة هي الزيادة في رغبات الإنسان وليس في إنقاص ممتلكاته. لأنّ هذا العمل هو بداية إنقاذ الدولة، وعلى هذه القواعد الثابتة يمكن بناؤُها بعد ذلك، مهما يكن النظام السياسيّ مناسباً وفق هذه الظروف. لكن إذا أُسِّس

التغيير على مبدأ غير سليم وغير متين، فإنّ إدارة الدولة مستقبليّاً ستكون مملوءَة بالصعوبات. إنّ هذا هو الخطر الذي تخلّصنا منه، كما أقول، ومع ذلك فمن الأفضل أن نتحدّث كيف يمكننا أن نفعل ذلك إذا لم نستطع التخلّص منه. ويمكننا أن نجازف ونؤكّد الآن أنّه لا يمكن استنباط أيّة طريقة أخرى يمكن استنباطها، سواء أكانت طريقة ضيّقة المسلك أو فسيحته، لكنّها حرّيّة وتحرّر من الجشع وإحساس بالعدل وفهم له - ولسوف تُبنى مدينتنا على هذه الصخرة. ولا ينبغي أن يكون هناك خصام بين مواطنينا بشأن الملكيّة والممتلكات. وإذا وُجد أيّ نزاع طويل الأمد بينهم، فالمشرّع الذي يمتلك أيّة درجة من درجات الحسّ والفهم، سوف يتقدّم خطوة واحدة في تنظيم الدولة إلى أن تتمّ تسوية هذه النزاعات. لكن لمن أعطاهم الله، كما وهبنا لنا، ليكونوا المُوجِدِيْنَ لدولة جديدة حرّة من العداوة حتى الآن، فلكي يخلقوا المشاحنات والبغضاء بواسطة شكل توزيع الأراضي والبيوت، لعمري فإنّ هذا سيكون غباء ومكراً فوق مستوى البشر.

كيف يمكننا إذن أن نرتّب توزيع الأراضي بشكل صحيح؟ في المقام الأوّل، إنّ عدد المواطنين يجب أن يتمّ تقريره، وكذلك تقرير عدد وحجم التقسيمات التي سيتمّ تشكيلها بها وتقسيمها فيها. ولسوف توزّع الأراضي والبيوت حينئذ بالقسطاس والعدل بأقصى ما نقدر عليه. إنّ عدد المواطنين يمكن تخمينه بشكل مقنع فيما يتعلّق بخصوص المقاطعة التي سيسكنونها وبخصوص الدول المجاورة لها. إنّ المقاطعة هذه ينبغي أن تكون كافية للمساعدة على استمرار نوع محدّد من القاطنين عليها في طريقة حياة معتدلة، ولا يُحتاج لأكثر من ذلك. وسيكون عدد المواطنين عدداً كافياً للدفاع عن أنفسهم ضدّ الظلم الذي يتعرّضون له من جيرانهم، وكذلك كافياً لتقديم مساعدة إلى هؤلاء الجيران عندما يحيق بهم الأذى. وبما أنّنا

أخذنا بعد الدراسة مسحاً كافياً لمقاطعتهم ومقاطعة جيرانهم، فإنّنا سنقرّر حدودها عمليّاً ونظريّاً. وبعدُ، دعنا نتقدّم إلى المشرّع وقصدنا أن نُتِمَّ بشكل كامل الشكل والمخطّط التمهيديّ لدولتنا. إنّ عدد مواطنينا سيكون خمسة آلاف وأربعين مواطناً، وسيكون هذا العدد عدداً مناسباً، وسيكون هؤلاء المالكين للأرض وحماة الحصص. وستوزَّع البيوت وتُقسَّم الأراضي بالطريقة عينها، وذلك كي يمكن لكلّ إنسان أن يوازي لقطعة الأرض الممسوحة وللبناء المقام عليها. دع هذا العدد كلّه يقسّم إلى جزأين اثنين بادىء ذي بدء، ثمّ إلى أجزاء ثلاثة بعدئذ، وأن يكون العدد عينه قابلاً للقسمة إلى أربعة أو خمسة أجزاء بعدئذ، أو لأيّ عدد من الأجزاء صعوداً إلى عشرة أجزاء. على كل مشرّع أن يعرف مقداراً من علم الحساب وذلك ليستطيع أن يخبر أيّ عدد هو العدد الأكثر نفعاً لكلّ المدن على الأرجح. إنّ العدد بمجمله يمتلك كلّ قسمة ممكنة، ويمكن تقسيم العدد خمسة آلاف وأربعين بتسعٍ وخمسين مقسوماً عليه بالضبط، ويمكن لعشرة من هذا المقسوم عليه أن تواصل القسمة بدون فاصلة من واحد إلى عشرة. إنّ هذا الشيء سوف يقدم أعداداً للحرب والسلام، ولكلّ الاتفاقيات والتعاملات، بما في ذلك الضرائب وتقسيمات الأرض. إنّ هذه الممتلكات المرقّمة عدديّاً يجب أن يتمّ تأكيدها أثناء فترة الراحة من قِبَل أولئك الموثّقين بالقانون والمهيّئين لمعرفتها. وهذه الممتلكات المرقّمة عددياً تكون حقيقيّة، وينبغي إعلانها عند تأسيس المدينة، وذلك قصد إتمام استعمالها. وسواء أأقام المشرّع دولة جديدة أو جدَّد دولة قديمة ومنهارة، فإنّه في ما يتعلّق بالآلهة والهياكل، الهياكل التي يجب أن يتمّ بناؤها في كلّ مدينة، والآلهة أو أنصاف الآلهة التي ينبغي أن تدعى باسمها أقول، إذا كان المشرّع إنساناً ذا إدراك، فإنّه لن يحدث تغيِيراً في أيّ شيء صادق عليه وسيط الوحي في معبد دلفي، أو معبد دودونا، أو الله

آمون، أو أيّ عرف قديم وفي أيّ أسلوب، سواء إذا كان بواسطة الظهورات أو بواسطة أيّة كلمات أوحت بها السماء، في طاعة للذي ثبّت الجنس البشريّ لهم التضحيات، في صلة مع الطقوس السريّة الدينية، التي إمّا أنّها أُنشئت حالاً، أو أنّها استُمِدّت من تيرهينيا Tyrheniaأو من قبرص Cyprus، أو من أيّ مكان آخر، وعلى أساس الأعراف التي كرّسوا بها الوحي الإلهيّ والصور الذهنية والمذابح والهياكل، والتي قسّموا بواسطتها الممتلكات المقدسة لكلّ منهم. إنّ الجزء الأقلّ من كلّ هذه الأجزاء يجب أن لا يعيق المشرّع تحقيقه، بل ينبغي عليه أن يخصّص إلهاً ما للمناطق المتعدّدة، أو أن يخصّص لها نصف إله، أو بطلاً، ويجب أن يعطي في توزيع الأرض لهؤلاء، بادىء ذي بدء، مقاطعتهم المختارة وكلّ الأشياء المناسبة، كي يتمكنّ الساكنون في المناطق المتعدّدة من اللقاء في أوقات محدّدة، ولكي يتمكّنوا من سدّ حاجاتهم المختلفة بسهولة، ومن تكريم بعضهم البعض بالتضحيات، وأن يصبحوا أصدقاء ورفاقاً. إذ ليس في الدولة خير أعظم من أن يكون المواطنون يعرف بعضهم بعضاً. وعندما لا يسود النور بل يسود الظلام والجهل بينهم في معرفة بعضهم أخلاق بعض، فلا أحد منهم سيتلقّى التكريم الذي يستحقّه، أو السلطة أو العدل الذي يكون مهيّأً له بحقّ. ومن أجل ذلك، فإنّ كلّ إنسان في كلّ دولة، يجب أن يهتمّ قبل كلّ شيء بأن لا يمتلك أيّ غش أو خداع في نفسه، بل ينبغي عليه أن يكون صادقاً وبسيطاً على الدوام، وأن لا يحتال عليه أيّ شخص خدّاع وغادر.

إنّ تحرّكنا التالي في تسليتنا الشرعية سوف يثير انشداهاً عندما يُذكر للمرّة الأولى على الأرجح، مثل سحب الحجر من الخطّ المقدّس في لعبة الداما، كون الحركة حركة غير عاديّة. ومع ذلك إذا ما تأمّل إنسان المسألة مليّاً ووزنها بكلّ عناية، فسيرى أنّ مدينتنا نُظّمت بطريقة، إن لم تكن الأفضل،

فإنّها الطريقة الأقرب من الأفضل. لربّما استطاع إنسان ما أن يصادق على هذا الشكل، لأنّه يتصوّر بأنّ مجتمعاً كهذا قد تهيّأ تهيئة سيّئة بمشرّع ليس لديه سلطة مطلقة. والحقيقة هي أنّ هناك ثلاثة أشكال من أشكال الحكومات، هناك الشكل الأفضل، والشكل الثاني الأفضل، والشكل الثالث الأفضل، التي ذكرناها لتوّنا، ونترك للحاكم بعدئذ اختيار التوطين وإقامة السكن. لنتتبّع هذه الطريقة في الحالة الحاضرة. دعنا نتكلّم عن الدول التي تكون الأولى، الثانية، والثالثة في الامتياز على التوالي، وسنترك الخيار عندئذ لكلينياس، أو لأيّ شخص آخر يمكن أن يكون من واجبه إيجاد خيار مماثل بين الدساتير والمجتمعات في ما بعدُ، والذي يمكنه أن يرغب في إعطاء دولته هيئة ما تكون مناسبة له يُصادق عليها في بلاده.

إنّ الشكل الأسمى والأوّل للدولة وللحكومة وللقانون هو الشكل الذي يسود فيه القول الغابر بالشكل الأوسع، القول الذي يؤكّد أنّ « الأصدقاء يمتلكون كلّ الأشياء مشتركة ». وسواء إذا وُجدت هذه المشاركة للنساء والأطفال والممتلكات في أيّ مكان الآن، أو إنّها ستوجد أبداً، والتي ستُلغى فيها الخصوصية والفردية من الحياة بشكل مطلق، وكذلك الأشياء الخاصّة بالطبيعة، مثل العيون والآذان والأيدي، وقد أصبحت كلّها مشتركة، وبطريقة ما ترى وتسمع وتفعل بشكل مشترك، ويبدي الرجال كلّهم إما ثناءً أو لوماً، ويشعرون بالسرور والحزن في المناسبات عينها، فدع القوانين تكون تلك القوانين التي توحّد المدينة إلى أقصى غاية. وأقول إنّ أيّ إنسان يفعل بناءً على أيّ مبدأ آخر، فلن يبني دولة، دولة أصدق أو أفضل أو أكثر رفعة في الفضيلة[٢٢]. وسواء إذا حكم دولة كهذه آلهة أو حكمها أبناء آلهة، واحد منهم أو أكثر من واحد، فإنّ الرجال القاطنين هناك والذين سيحيون بهذه الطريقة هم السعداء. ولهذا السبب، ينبغي علينا أن ننظر إليها كنموذج

للدولة، وَيلزمنا أن نلتصق بها، وأن ننشد واحدة تكون شبيهة بها بكلّ عزمنا. إنّ الدولة التي تكون في متناول أيدينا الآن، عندما توجد، فستكون الدولة الأقرب إلى الخلود، وستكون الدولة الأولى فقط التي ستتبوّأ المركز الثاني الأفضل، وبنعمة الله سوف نتمّم الدولة الثالثة بعد ذلك. وسنبدأ بالكلام عن طبيعة وأصل الدولة الثانية الأفضل.

دع المواطنين يوزّعون الأرض والبيوت حالاً، ولا يحرثون الأرض بشكل مشترك، لأنّ جماعة من الرجال الأخيار يتخطّون أصلهم وتنشئتهم وتعليمهم المقترح. لكن في إيجاد التوزيع، دع المالكين المتعددين يشعرون بأنّ قطعة أرضهم المحدَّدة تخصّ المدينة كلّها؛ آخذين بعين الاعتبار أنّ الأرض هي أمّهم الحقيقيّة، فدعهم يُعنون بها باهتمام، أكثر ممّا تُعنى الأم بأطفالها. إنّ الأرض إلهة لهم وملكة، وهم رعاياها الفانون. يجب عليهم أيضاً أن يضمروا الشعور عينه نحو الآلهة وأنصاف آلهة بلادهم. ولكي يمكن أن يستمرّ التوزيع ويبقى موجوداً على الدوام، ينبغي عليهم أن يعتبروا الاحتفاظ بعدد العائلات الحالي أيضاً، وأن لا يزيدوها أو ينقصوها عدداً. ويمكن ضمان ذلك لكلّ مدينة بالأسلوب الحالي: دع مقتني قطعة الأرض المحددة يترك واحداً من أطفاله يحبّه بالشكل الأفضل، ودع واحداً فقط يكون وريث مسكنه، ويكون خَلَفه في واجب خدمة آلهة الدولة والعائلة. وكذلك يتولّى أمر العناية بأعضاء العائلة الأحياء كما الأعضاء الذين غادروا العائلة عندما أصبح هو وريثها الشرعيّ. لكن في ما يتعلّق بأطفاله الآخرين، إذا كان لديه أكثر من طفل واحد، فإنّه سيقدّم الإناث في الزواج طبقاً للقانون الذي يُسنُّ فيما بعدُ، وسيوزّع الذكور كأبناءٍ لأولئك المواطنين الذين ليس لديهم أطفال، ويكونون راغبين بهم على هذا الأساس. وإذا لم يوجد مثل هؤلاء المواطنين، وإذا كان لدى الأفراد المحدّدين كثيراً من الأطفال، ذكوراً كانوا أو إناثاً، أو

قلّة قليلة منهم، كما في حالة النساء العاقرات، إذا كان هذا فدع هيئة القضاة التي أوجدناها والمكونة من الرجال الأسمى والأكثر شرفاً، دعهم يبتّون في كلّ هذه الحالات ويقرّرون ماذا سيُفعل بالفائض أو الناقص منهم، ودعهم يستنبطون أساليب في أنّ العدد ٥٠٤٠ بيتاً سيبقى نفسه على الدوام. وهناك طرائق عدّة لتنظيم الأعداد، لأنّ الذين يكون التوليد بينهم فيّاضاً يمكن أن يمتنعوا عنه[٢٣]. وعلى الجانب الآخر يمكن أن تؤخذ عناية خاصّة لزيادة عدد الولادات بإعطاء الجوائز وبوضع علامات خاصّة مميّزة، أو يمكننا أن نقابل الشرّ بواسطة الرجال المسنّين الذي ينصحون ويوبّخون الشباب. ونستطيع أن ننال هدفنا بهذه الطريقة. وإذا كانت هناك أيّة صعوبة كبيرة جدّاً بعد كلّ الذي خطّطنا له بشأن الاحتفاظ المتساوي بعدد البيوت الـ ٥٠٤٠، وإذا كان هناك زيادة كبيرة في عدد المواطنين سببه الحبّ الكبير لأولئك الذين يحيون معاً، ونكون نحن حينها عند نهاية صبرنا، فلا تزال الوسيلة القديمة التي نذكرها غالباً وهي إنشاء مستعمرة خارجيّة جديدة، تلك المستعمرة التي ستُخصَّص الأصدقاء معنا، والتي ستتألّف من أشخاص مناسبين. على الجانب الآخر، إذا أتت موجة تحمل وباء المرض أو بلاء الحرب، وأصبح القاطنون أقلّ بكثير من العدد المحدَّد بسبب الفقد موتاً، فلا ينبغي علينا أن نُدخل مواطنين وُلدوا وتعلّموا بطريقة غير شرعيّة ومزوَّرة، إذا أمكننا تفادي ذلك. لكن يُقال حتّى الله لا يقدر على أن يحارب ضدّ الضرورة.

ومن أجل ذلك دعنا نفترض أنّ « محاورتنا السامية » هذه تخاطبنا بالعبارات التالية: يا أيّها الرجال الأفضل، لا تنقطعوا عن تمجيد وتكريم التشابه والتساوي والشيء عينه والاتّفاق طبقاً للطبيعة، لا تنقطعوا عن تمجيدها فيما يتعلّق بالعدد وبكلّ نوعيّة خيِّرة ونبيلة. وبعدُ راقبوا العددَ

المذكور آنفاً ٥٠٤٠ فوق كلّ شيء طيلة الحياة كلّها، وفي المقام الثاني، لا تنقصوا من قدر النِّسَب الصغيرة والمعتدلة للوراثات التي تلقيتموها في التوزيع، لا تنقصوا من قدرها بشرائها وبيعها بعضكم لبعض، لأنّكم إذا فعلتم ذلك فلا الله سيكون صديقكم، وهو الذي وهبكم قطعة الأرض المحدَّدة، ولا المشرِّع حينئذ. وحقّاً فإنّ الناموس يعلن للذين يعصونه أنّ هذه هي الشروط التي يمكن أن تأخذوا قطعة الأرض بواسطتها أوْ لا. وفي المقام الأوّل، فإنّ الأرض مكرّسة للآلهة كما أُخبِر الناموس بذلك، وفي المقام الثاني، فإنّ الكهنة والكاهنات سوف يقدّمون صلوات إضافة للتضحية الأولى، والثانية، وحتى الثالثة. والذي يشتري أو يبيع البيوت أو الأراضي التي تلقّاها، يمكن أن يقاسي العقاب الذي يستحقّه. وأمّا صلواتهم هذه فسيكتبونها في المعابد على ألواح من خشب السرو، وذلك من أجل أن تتعلّم الأجيال القادمة كلّها. علاوة على ذلك فإنّهم سيضعون حراسة فوق هذه الأشياء كلّها، التي يمكن أن تتمّ رقابتها. إنّ هيئة الحكّام ذات العيون الأدقّ بصراً وبصيرة ستظلّ يقظة لئلا تُخرق أو تُنتهك هذه الأوامر، وإذا أمكن اكتشاف الفاعلين فلسوف يُعاقبون وكأنّ ما قاموا به إعتداءات ضدّ القوانين وضدّ الله. كم تكون فائدة أوامر كهذه كبيرة على كلّ تلك المدن، والتي ستطيعها وسُتدار طبقاً بها. لا رجل شرّيراً يستطيع أن يعرف قط، كما يقول المثل القديم؛ بل إنّ الإنسان الذي يعرف هو إنسان ذو خبرة وعادات جيّدة. ولن تكون هناك فرصة كبيرة لتحصيل المال في نظام لهكذا أشياء. لا يجب على إنسان أن يمارس مهنة حقيرة تكون السوقيّة فيها مسألة توبيخ للإنسان الحرّ، ولا أن يُسمح له بالقيام بها؛ ولا أحد سيريد أبداً اكتساب الثروات بوسائل كهذه.

وأبعد من ذلك، فإنّ القانون يفرض أن لا يُسمح لإنسان خاصّ بإقتناء

الذهب والفضّة، بل سيُسمح له باقتناء النقد المعدنيّ للإستعمال اليومّي، ذلك النقد الذي يُعتبر ضروريّاً تقريباً في التعامل مع الحرفيّين، ولأجل الدفع للمستأجرين، سواء أكانوا عبيداً أو مهاجرين، وسيدفع لهم أولئك الأشخاص الذين يحتاجون لخدمتهم. لذلك فإنّ مواطنينا، وكما نقول، ينبغي أن يكون لديهم نقد معدنيّ للتداول فيما بينهم، لكنّه لا يُقبل به بين بقيّة الجنس البشريّ، وذلك بقصد البعثات والرحلات إلى الأراضي الأخرى، على كلّ حال. وينبغي على الدولة أيضاً أن تقتني عملة هيلينيّة مشتركة للسفارات، أو لأيّة مناسبة أخرى يمكن أن تنشأ من إرسال رُسُل إلى الخارج. وإذا وجب على إنسان خاصٍّ أن يذهب إلى خارج البلاد قطّ، عليه أن يمتلك موافقة الحكام وبعدها يذهب، وإذا ما كان لديه دراهم غريبة باقية معه حين عودته، فعليه أن يعطي الفائض منها للخزينة، وأن يتلقّى ما يعادلها مَن العملة المحليّة. وإذا اكتُشف أنّه يخصّص الدراهم الغريبة لغرض معين خاصّ به، فيجب أن تُصادر. والذي يعرف عنها ولا يخبر المسؤولين عن طريقة تخصيصها فلندعه يتعرّض للّعنات والخزي، ومعه الرجل الذي أحضر هذه الدراهم بشكلٍ متساوٍ، ودعه يُغرَّم بمقدار من المال لا يقلّ عن المال الغريب الذي أحضره إلى البلاد. أمّا في الزواج وفي الزواج المقابل، فلا أحد سوف يعطي أو يتلقّى أيّ مَهرٍ على الإطلاق، ولا أحد سيودع المال مع شخص آخر لا يثق به كصديق، لا ولن يرابي بماله. وأمّا المستدين فلا ينبغي أن يرزح تحت أيّ تعهّد أو سند كي يعيد دفع المال المستدان إمّا كمصدر ربح أو كفائض. إنّ هذه الممارسات هي الممارسات الأفضل. يمكن لأيّ شخص يقارنها مع المبدأ والقصد الأوّل للدولة أن يرى ذلك. إنّ قصد رجل الدولة العاقل وتصميمه، كما نؤكّد، ليس كما يعلنه العديدون أنّه هدف المشرّع الصالح، بمعنى، أنّ الدولة التي ينصح من أجل مصالحها الحقيقيّة ينبغي أن تكون عظيمة وغنيّة

أيضاً، ويجب أن تقتني الذهب والفضة، وأن تمتلك الامبراطورية الأعظم برّاً وبحراً. هُمْ يتصوّرون أن هذ هو الهدف الحقيقيّ للمشرِّع، مضيفين في الوقت عينه، وبشكل متناقض، أنّ المشرِّع الحقيقيّ يرغب في امتلاك المدينة الأفضل والأسعد إمكانيّة. لكنّهم لا يرون أنّ بعض هذه الأشياء ممكن، وبعضها مستحيل، وبشكل عامّ، فإنّ المواطنِ الخيِّر، يجب أن يكون سعيداً. ويمكن للمشرِّع أن يرغب في جعله كذلك؛ لكن لا يمكن لأحد أن يكون غنيّاً جداً وخيِّراً جدّاً في الوقت عينه، ليس على الأقلّ، بالمعنى الذي يتكلّم العديدون فيه عن الغنى. لأنّ المعني بـ « الغنيّ » هو الأقليّة من الناس الذين يمتلكون الأشياء الأنفس، برغم أنّ مالكها يمكن أن يكون رجلاً محتالاً تماماً. وإذا كان هذا حقيقيّاً، فإنّني لن أجزم بالتعليم القائل إنّ الرجل الغنيّ سيكون سعيداً، لكن ينبغي أن يكون خيِّراً وغنيّاً أيضاً. أمّا أن يكون خيِّراً بدرجة عالية وغنيّاً بدرجة عالية في الوقت عينه، فلا يمكنه أن يكون. إنّ شخصاً ما سيسأل، لِمَاذا لا يكون كذلك؟ ونحن سنجيب، أنّ هذا لن يكون كذلك، بسبب الأشياء المكتسبة التي تأتي من مصادر عادلة أو ظالمة بشكلٍ لا يتّسم بالإفراط، وهذه الأشياء هي ضعفُ تلك التي تأتي من مصادر عادلة فقط. وأمّا المجموع كلّه الذي يُنفق إمّا بشكل شريف أو بشكلٍ مخزٍ، فإنّه يكون الضّعف في العِظَم لذلك المجموع الذي ينفق بشكل شريف وفي سبيل أغراض شريفة. وهكذا، فإنّ الشخص إذا كسب ضعفاً وأنفق نصفاً، فلا يمكن للإنسان الآخر الذي يكون في الحالة المضادّة والذي يكون إنساناً خيِّراً، لا يمكنه أن يكون أغنى منه بأيّة حال. إنّ الإنسان الأوّل، وأنا أتكلّم هنا عن الموفِّر وليس عن الذي ينفق ماله، لا يكون سيّئاً على الدوام؛ ويمكنه حقّاً أن يكون إنساناً خيِّراً أبداً، لأنّ الذي يتلقّى المال ظلماً كما يتلقّاه بعدل، ولا ينفقه لا بالظلم ولا بالعدل، فسيكون رجلاً غنيّاً إذا ما اقتصد في

الإنفاق فقط. وعلى الجانب الآخر، فإنّ الرجل السيِّىء مطلقاً يكون خليعاً ومبذّراً بشكل عامّ، ولهذا السبب يكون رجلاً فقيراً جدّاً. في حين أنّ الذي ينفق ماله في سبيل أهداف نبيلة، ويكسب الغنى بوسائل عادلة فقط، فإنّه يستطيع أن يكون غنيّاً استثنائياً بصعوبة، بأكثر ممّا يستطيع أن يكون فقيراً جدّاً. إنّ تصريحنا هذا تصريح حقيقي إذن، وهو أنّ الأغنياء جدّاً لا يكونون أخياراً، وإذا لم يكونوا أخياراً فإنّهم ليسوا سعداء.

لكن قصد قانوننا هو أنّه ينبغي على مواطنينا أن يكونوا سعداء بقدر ما يمكنهم أن يكونوا كذلك، وأن يكونوا صدوقين بعضهم لبعض أيضاً بقدر ما يمكن أن يكونوا. إنّ الرجال الموجودين ضمن إطار القضاء مع بعضهم البعض، والذين يتمّ ارتكاب العديد من الأخطاء بينهم، إنّ رجالاً كهؤلاء لا يمكنهم أن يكونوا أصدقاء بعضهم لبعض، بل إنّ الذين يكونون أصدقاء بعضهم لبعض، فهم أولئك الذين تكون الجرائم والدعاوى القضائيّة قليلة وطفيفة بينهم. ولهذا السبب نقول إنّ الذهب والفضّة ينبغي أن لا يُسمح لهما بالرواج في المدينة، لا ولا الكثير من التجارة ذات النوع المبتذل التي تُدار بواسطة قرض المال، أو بواسطة تربية الأنواع الحقيرة من المواشي؛ بل تربية النوع الذي ينتج الزراعة، وبالقدر الذي لن يجبرنا في تعقّبنا إيّاه على إهمال ذلك في سبيل الذي يكون الغنى بسببه، أعني، الروح والجسم اللذين لا يمكن أن يساويا شيئاً بدون التعليم وبدون الألعاب الرياضية. ولذلك، وكما قلنا ليس لمرّة واحدة بل لعدّة مرات، فإنّ الاهتمام بالغنى ينبغي أن يحوز المكان الأخير في تفكيرنا. وهناك ثلاثة أشياء في الكلّ يهتمّ الإنسان بها؛ وعندما يُعتبر الاهتمام بشأن حيازة المال بشكل صحيح، فإنّه يكون ثالثها والأدنى قيمة. ويأتي الاهتمام بالجسم في وسط الطريق، وأمّا الروح، فإنّ الاهتمام بها يكون أوّلاً وقبل كلّ اهتمام. والحالة التِي وصفناها قد

شُكِّلت بطريقة صحيحة، إذا أقامت الكرامات والتكريمات طبقاً لهذا المقياس، لكن إذا تمَّ تفضيل الصحّة في أيّ من النواميس التي سننّاها على الاعتدال، أو تمَّ تفضيل الغنى على الصحّة والعادات المعتدلة، فإنّ ذلك الناموس ينبغي أن يكون ناموساً خاطئاً بشكل جليّ. ومن أجل ذلك أيضاً، يجب على المشرِّع، أن يسأل نفسه هذا السؤال غالباً: « ماذا أريد ؟ » وهل « أبلغ قصدي ومرادي، أو أني أخطىء العلامة والهدف؟ » وبهذه الطريقة، وبها فقط، يمكنه أن يبرِّىء نفسه ويعتق الآخرين من عمل المشرِّع.

دع الذي تُفردُ له حصّة ما من الأرض يُبقي عليها طبقاً للشروط التي ذكرناها.

سيكون شيئاً جيّداً أن يأتي كلّ رجل إلى المستعمرة ولديه كلّ شيء متساوٍ، لكن لنلاحظ أنّ هذا الشيء ليس ممكناً، وسيكونِ لدى إنسان واحد مقتنيات أكثر من المقتنيات التي يمتلكها الآخر. ولعدّة أسباب وبشكل خاصّ لكي نصون المساواة في أزمات الدولة الخاصّة، فإنّ أهليّة الملكيّة ينبغي أن تكون غير متساوية، وذلك أملاً بإمكانية أن تتناسب المناصب والتخصيصات والتوزيعات على مقدار ثروة كلّ شخص، وليس على مقدار فضيلة أسلافه أو فضيلة نفسه فحسب. لا ولا مع ذلك على مقدار قوّته البدنيّة وجماله الشخصيّ، بل على مقياس غناه وفقره أيضاً. وهكذا، وبواسطة قانون اللامساواة، الذي هو قانون التناسب أيضاً، فإنّ الشخص سيتلقّى التكريمات والمناصب بشكل متساوٍ قدر الإمكان، ولن تكون هناك مشاحنات ولا خلافات. وبعدُ فإلى أيّة غاية ينبغي أن توجد أربعة مقاييس مختلفة مخصّصة طبقاً لمقدار الملكيّة: يجب أن توجد طبقة أولى وثانية وثالثة ورابعة سيُوضع المواطنون فيها، وهُمُ سيُدعون بهذه الأسماء أو بأسماء مشابهة. يمكنهم أن يستمرّوا في الرتبة عينها، أو أن ينتقلوا إلى رتبة أخرى في أيّة حالة فردية،

وذلك عندما يصبحون أغنى بعد أن كانوا أكثر فقراً، أو أكثر فقراً بعد أن كانوا أغنى. إنّ شكل القانون الذي يجب عليَّ أن أقترحه وكأنّه النتيجة الطبيعية سيكون كما يلي: في الدولة التي ترغب في الإنقاذ من الكوارث الأعظم، والكوارث ليست شقاقاً، بل حيرة واضطراب عقلي على الأصحّ؛ في دولة كهذه، يجب أن لا يوجد بين المواطنين لا الفاقة المدقعة ولا الغنى المفرط ثانية، لأنّ كليهما هما المسبّبان لهذين الشرّين. وبعدُ فإنّ المشرّع يلزمه أن يقرّر ماذا سيكون حدّ الفاقة أو الغنى. دع حدّ الفاقة يكون قيمة قطعة الأرض المحدَّدة، وهذه يجب أن تُحفظ ويُحتفظ بها. لا ولن يسمح أيّ حاكم، ولا أيّ شخص آخر يتوق عقب سمعة الفضيلة كي يكون مُفسَدَاً بأيّة حالة. ويعطي المشرّع هذا كمقياس، وهو سيسمح لإنسان أن يكسب مقداراً مضاعفاً من هذا أو مقداراً أكبر بثلاث مرّات أو أربع[٢٤]، لكن إذا كان لدى شخص ثروة أعظم، سواء إذا وجدها، أو أنها أُعطيت له، أو حصل عليها في عمله، أو كسبها بضربة حظّ مفرطة بالقياس المتعارف عليه، فإنّه إذا وهب الزيادة التي حصل عليها للدولة وللآلهة الذين هم حماة الدولة، إنّه إذا فعل ذلك، فلن يتعرّض لأيّة عقوبة أو لفقدان السمعة الحسنة. لكنّه إذا عصى قانوننا هذا، فإنّ أيّ شخص يحبّ يمكنه أن يخبر عنه وضدّه ويتلقّى نصف كمية الزيادة المفرطة من ممتلكاته الخاصّة، وأمّا النصف الآخر الباقي من الزيادة المفرطة فيسختصّ بالآلهة. ودع كلّ ما يقتنيه إنسان، ما عدا قيمة الأرض المحدّدة له، دعه يسجّله أمام الحكّام بشكل علنيّ، هؤلاء الحكام الذي يعينهم القانون. وهكذا فإنّ كلّ الدعاوى بشأن المال يمكنها أن تكون دعاوى سهلة وبسيطة للغاية.

إنّ الشيء التالي الذي يجب تسجيله وملاحظته بعناية، هو أنّ المدينة يجب أن يتمّ اختيار مكانها وسط البلاد بشكل قريب وعلى قدر الإمكان.

يجب علينا أن نختار مكاناً يتوفر فيه ما يكون مناسباً لبناء المدينة، ويمكن أن يتمّ تصوّر هذا ووصفه بكلّ سهولة. سنقسّم الدولة إلى اثنتي عشرة قطعة بعدئذ، مقيمين معابد لهيستيا، لزيوس ولأثينا، وذلك في بقعة سندعوها الأكروبوليس Acropolis، وسنحيطها بسور مستدير، جاعلين قسمة المدينة والبلاد كلّها شعاعية من هذه النقطة. إنّ القطع الاثنتي عشرة سوف تتساوى بواسطة الشرط وهو أنّ تلك القطع ذات الأرض الخصبة ستكون أصغر، في حين أنّ تلك القطع ذات النوعية الأسوأ ستكون أكبر. أمّا عدد قطع الأرض فسيكون ٥٠٤٠ قطعة، وستُقسَّم كلّ قطعة منها إلى قطعتين اثنتين، وستُركَّب كلّ حصة من جزأين اثنين، واحدة من الأرض قرب المدينة والأرض الأخرى على مسافة منها. إنّ هذا الترتيب سيُوضع موضع التنفيذ بالطريقة التالية: سيضاف الجزء الذي يكون قرب المدينة إلى ذلك الجزء الذي يحاذي الحدود، ويشكّل هذا الجزء قطعة محدَّدة واحدة. وأمّا القطعة التي تلي في القرب فستضاف إلى قطعة الأرض التالية في البعد؛ وهكذا سنتمّم عملنا في الأرض الباقية. علاوة على ذلك، ففي قطعتي الأرض المحدّدتين سوف تتمّ القاعدة عينها للمساواة في تقسيم الأرض، وينبغي إثبات ذلك. وسوف يتمّ التعويض عن رداءة الأرض وجودتها بتعويض أكثر أو أقلّ. وسيقسّم المشرّع المواطنين إلى اثني عشر جزءاً، وسيرتّب بقية ممتلكاتهم، على قدر الإمكان، كي يشكّل اثني عشر جزءاً متساوياً؛ ويجب أن يتمّ تسجيل الأجزاء جميعاً. وبعدَ ذلك، فإنّ الهيئة الحاكمة سوف تخصّص قطع الأرض المحدَّدة الإثنتي عشرة للآلهة الإثني عشر، وستسمّيها باسم كلٍّ منهم، وتُخصّص لكلّ إله أجزاؤه المتعدّدة، وتدعى القبائل على غرار أسمائها. وهم سيوزّعون التقسيمات الإثنتي عشرة للمدينة بالطريقة عينها التي قسّموا بها البلاد إدارياً، وسيحوز كلّ إنسان

مسكنين اثنين، واحداً في وسط البلاد، والآخر عند طرفها. وبعدُ فنكتفي بهذا القدر عن أسلوب التوطين.

والآن يجب علينا مهما كلّف الأمر أن نعتبر أنّه لا يمكن أن يكون هكذا تعاون والتقاء سعيد للحالات كالتعاون واللقاء اللذين وصفناهما. لا ولا يمكن أن تتزامن وتتطابق كلّ الأشياء كما يُراد لها. إنّ الذين لن يقوموا بأيّ اعتداء في نمطٍ كهذا من أنماط الحياة معاً، وسوف يصبّرون ويتحمّلون حياتهم بطولها كي تكون ممتلكاتهم محدَّدة بشكل معتدل، ولكي ينجبوا الأطفال وفقاً لقوانيننا المحليّة، وسوف يسمحون لأنفسهم بالتجرّد من الذهب ومن الأشياء الأخرى التي سيمنعها المشرّع بكلّ تأكيد، كما هو واضح من هذه التشريعات. وسيصبرون على ما هو أبعد من ذلك، وهي حالة الأرض مع المدينة المقامة في الوسط والساكنون ملتفّون حولها بشكل دائريّ، إنّ كلّ هذه الأشياء تكون كما لو أنَّ المشرّع يخبر عن أحلامه، أو يصنع مدينة ومواطنين من شمع. هناك حقيقة في هذه الأهداف التي نصبو إليها، ولذلك يجب على كلّ شخص أن يتقبَّل بملء قلبه ما أنا ذاهب لأقوله. سيظهر المشرّع مرّة ثانية ويخاطبنا حينئذ قائلاً: « أوه يا أصدقائي، لا تفترضوني جاهلاً بأنّ هناك درجة محدّدة للحقيقة في كلماتكم؛ لكنّني أرى أنّ مَنْ يعرض نموذجاً لذلك الذي يهدف إليه، وفي القضايا التي ليست قضايا الحاضر بل المستقبل، إنّي أرى أنّه ينبغي أن لا يقصّر عن القضايا الأجمل والأحقّ. أمّا إذا وجد أنَّ أيّ جزء من هذا العمل يستحيل تحقيقه، فينبغي عليه أن يتفاداه وأن لا ينفذّه. لكن ينبغي عليه أن يجاهد كي ينفّذ ذلك الأقرب والأكثر نسباً إليه. يجب أن تسمح للمشرّع بأن يتمّم تصميمه، وعند إتمامه، يلزمك أن تنضمَّ معه في اعتبار أيّ جزء من تشريعه يكون ملائماً وأيّهُ سيثير معارضة ضدّه؛ بالتأكيد، إنّ الفنّان الذي يُعتبر جديراً بأيّ

تقدير على الإطلاق، ينبغي أن يكون عمله متساوق الأجزاء على الدوام ».

وبما أنّنا قرّرنا أنّ الدولة سيتمّ تقسيمها إلى اثني عشر جزءاً، دعنا نرى الآن في أيّة طريقة يمكن أن يُنجز هذا القرار. ليس هناك صعوبة في إدراك أنّ الأجزاء الإثني عشر تقبل بالعدد الأكثر من التقسيمات لتلك التي تشملها، أو في رؤية للأعداد الأخرى التي تكون أعداداً مترابطة معها منطقياً، والتي تُحدث منها صعوداً إلى العدد ٥٠٤٠؛ وهكذا فإنّ القانون يجب أن ينظِّم فروع القبائل ووحدات التقسيمات الإداريّة والقرى، والرتب العسكرية والتحرّكات أيضاً، والقطع النقديّة والمقاييس الجافّة منها والسائلة، وأنّ ينظِّم الأوزان، وذلك كي تكون كلّها متناسبة ومتّفقة بعضها مع البعض. ولا ينبغي علينا أن نخشى ظهور الأشياء المتّسمة بالاهتمام الدقيق بالتفاصيل، إذا أمرَ القانون بأنّ كلّ الأوعية التي يقتنيها إنسان ينبغي أن يكون لها مقياس مشترك، عندما نعتبر بشكل عامّ أنّ تقسيمات الأعداد وتنوّعاتها لها استعمال في كلّ التنوعات القابلة لذلك. ويتم هذا في أنفسها وكمقاييس للارتفاع والعمق كليهما، وفي كلّ الأصوات، وفي الحركات، كما في تلك الحركات التي تواصل تحرّكها في جهة مستقيمة والتي تتّجه صعوداً ونزولاً، وكما في تلك الحركات التي تدور على محورها. على المشرّع أن يعتبر كلّ هذه الأشياء وأن يأمر المواطنين، بقدر ما يكون ذلك ممكناً، أن لا يزيغ بصرهم عن النظام العدديّ. فما من أداةٍ مفردة من أدوات تعليم الشباب لها من القوّة العظيمة مثلما لدراسة علم الحساب، وذلك في ما يختصّ بالاقتصاد المحليّ وبعلوم السياسة وفي الفنون. وفوق كلّ ذلك فإنّ علم الحساب يحرّك بسرعة من يكون ميّالاً إلى النوم وبليداً بالطبيعة، ويجعله سريع التعلّم أيضاً، قويّ الذاكرة، داهيةً، ومُسَاعداً بفنّ إلهيّ فإنّه يحقّق تقدّماً ما وراء قواه الطبيعية تماماً[٢٤]. إنّ كلّ هذه الأشياء ستكون أدوات

ممتازة ومناسبة من أدوات التعليم، إذا استطاع المشرّع أن يتخلّص من الخِسّة واشتهاء ما ليس ملكه وذلك من أرواح الرجال بواسطة القوانين والتشريعات الأخرى فقط. وهكذا يمكنهم استعمالها بشكل مناسب ولخيرهم الخاصّ. لكن إذا لم يستطع المشرّع فعل ذلك، فإنّه سيخلق فيهم عن غير قصد، وبدل الحكمة، سيخلق فيهم عادة الخداع التي يمكن مراقبة الميل السيّىء لها في الفينيقيّين والمصريّين، وفي السلالات الأخرى، وذلك بواسطة السوقيّة العامّة لِمَا يتعقّبون ويكتسبون. سواء إذا كان السببُ في ذلك مشرّعاً غير جدير بالتقدير، أو إعاقةً من عوائق الحظ أو عوائق الطبيعة. ونحن يجب أن لا نخفق في المراقبة، أوه يا ميغيلوس وكلينياس، أن هناك فرقاً في الأماكن، وأنّ بعضها ينجب رجالاً أفضل وتنجب الأماكن الأخرى رجالاً أسوأ، وينبغي علينا أن نشرّع وفق ذلك. إنّ بعض الأمكنة عرضة لتأثيرات غريبة ومهلكة، وذلك بسبب الرياح المتنوّعة والحرارة العنيفة، وبعضها بسبب المياه، أو من صفة الغذاء مرّة ثانية الذي تعطيه الأرض، والذي لا يؤثّر على أجسام الرجال فقط خيراً أو شرّاً، بل ينتج نتائج مشابهة في أرواحهم. وفي كلّ نوعيّات كهذه فإنّ تلك البقع تفوق تلك التي يوجد فيها إلهام إلهيّ، والتي عيَّن فيها أنصاف الآلهة أرضهم المحدَّدة، وتكون مبشّرة بالخير وليست معاكسة للقاطنين عليها. إنّ المشرّع سوف يشرف على كلّ هذه القضايا، إذا كان لديه أيّ إدراك، بقدر ما يستطيعه الرجال. ولسوف يصيغ قوانينه طبقاً لذلك. وهذا ما يجب عليك أن تفعله، يا كلينياس، وينبغي أن توجّه تفكيرك إلى قضايا من هذا النوع، بما أنّك في طريقك لاستعمار بلاد جديدة.

كلينياس: إنّ كلماتك، أيّها الأثيني الغريب، كلمات ممتازة، وسأفعل كما تقول.

محاورة النواميس

الكتاب السادس

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: وبما أنّنا انتهينا من الخطوات التمهيديّة لبناء الدولة، سنتقدّم إلى تعيين الهيئات القضائيّة ونوضح أسلوب تأسيسها. والذي سيتعيّنون في السلطة الحاكمة هم وعائلاتهم، عليهم أن يعطوا برهاناً مقنعاً على ماهيّتهم كُلاً بمفرده، وذلك منذ شبابهم فصاعداً حتى وقت الانتخاب. ويجب أن يكونوا قد تدرّبوا وفق عادات ومسلكيّات القانون، وأن يكونوا متعلّمين جدّاً. وينبغي أن نختار حماة القانون بالعناية الأعظم قبل كلّ شيء، وسيشترك الجميع في اختيار وانتخاب السلطات القضائية الحاكمة، وسيتمّ عقد الانتخاب في أيّ معبد من معابد الدولة الذي يُعتبر معبداً جليلاً. ولن يتبوّأ حامي القانون منصباً لمدّة تزيد عن العشرين سنة، وأن لا يكون عمره أقلّ من خمسين سنة حين انتخابه. وإذا تمّ انتخابه عند بلوغه الستين من العمر، فإنّه سيتبوّأ مركزه لعشر سنوات فقط. وعلينا أن ننتخب القادة العسكريّين، وهؤلاء يجب أن يكون لديهم مساعدون، ضباط، وجنرالات فوارس، وضباط لفرق المشاة أي قادة ألوية وعمداء. وسيتمّ كذلك انتخاب الحكّام والرؤساء ومجلس الشورى، وسيعقد حماة القانون اجتماعاً للجمعيّة العموميّة على أرض مقدّسة لهذا الغرض. وسيتألّف مجلس الشورى من ٣٦٠ عضواً، وسيكون هذا العدد مناسباً للانقسام إلى أجزاء أصغر. وصيغة الانتخاب التي وصفناها تكون وسطاً بين الملكيّة والديموقراطيّة، وستكون المساواة شعاراً لنا لأنّ المساواة تخلق الصداقة. وينبغي علينا أن نراقب الدولة على بحر

السياسات العاصف، تماماً مثلما نراقب الباخرة في عرض البحر ونصونها ليل نهار.

وبعد أن قسَّمنا البلاد إلى اثني عشر قسماً، ووضعنا رئيساً على كلّ قسم، يجب علينا الآن أن نعيِّن مشرفين على شوارع المدينة، وبيوتها، وبناياتها، وموانئها، وساحاتها العامّة، وينابيعها، ومقاطعاتها الخاصّة المقدّسة، وهياكلها، وما شابه ذلك. ويجب أن يكون هناك كهنة وكاهنات وخدم للهياكل. وسيتمّ انتخاب الكهنة بالأغلبية، وسيسلم انتخابهم إلى الله ذاته. ومن يحصل منهم على الأغلبية سيجتاز امتحاناً دقيقاً وذلك في ما يتعلّق بسلامة جسده وصحّة مولده الشرعيّ. وعليه أن يبيِّن أنّ عائلته تامّة النقاء، غير ملطّخة بجرائم القتل أو بأيّ عمل مماثل لا يتّسم بالتقوى، وأن يكون أبواه قد عاشا حياة مماثلة غير ملطّخة بما يشين ويعيب. وسندع كلّ شيء يكون له حارساً قدر الإمكان. وسيتمّ تحصين البلاد تحصيناً قويّاً لمنع الأعداء من إختراقها مهما كان. وعلينا أن نتذكّر القاعدة العالميّة التي تقول، إنّ الذي لا يكون خادماً جيدّاً لن يكون حاكماً جيّداً. وينبغي على الإنسان أن يعتزّ بنفسه حين الخدمة الجيّدة أكثر ممّا يعتزّ ويتباهى حين القيادة الجيّدة، وسيهتمّ حماتنا اهتماماً بالغاً بالنظام والتثقيف في مكان الألعاب الرياضيّة وفي المدارس، وسيهتمّون بإحياء كلّ فروع العلم من موسيقى وعلوم ورياضة. ويمكن للناموس الذي نسنه أن يتغيّر إذا وافقت الهيئات القضائية ووافق الشعب كلّه ووافق الكهنة على ذلك. وكما قلنا سابقاً، يجب أن يتمّ الزواج وفق أعلى درجات الفضيلة والتناسق، ولا ينبغي أن يكون الغنى أبداً هو الهدف الذي نسعى إليه في الزواج. ولنؤكّد أن السكر هو عمل غير مناسب على الدوام، وهو خطِر جدّاً عندما يكون إنسان منهمكاً في مهمّة الزواج، إذ في مرحلة كهذه يجب على العريس والعروس أن يُسَخِّرا كل مقدرتهما العقلية لهذه المرحلة. وينبغي عليهما أن يأخذا العناية القصوى ليمكن لذريّتهما أن تولد معقولة، متضامّة وصلبة، هادئة ومركّبة بشكل مناسب. إن

السّكّير يكون منحرفاً عن السبيل القويم كليّاً في كلّ أعماله، ويكون خارجاً عن نفسه في الروح والجسم كليهما، وسينجب ذريّة غير متوازنة وغير جديرة بالثقة على الأرجح، ولا يمكن أن يُتوَقَّع منها أن تسير سيراً مستقيماً لا في الجسم ولا في الفكر. وسيحيا العروسان بعد الزواج في استقلالية تامّة، يزورهما آباؤهما وأصدقاؤهما والأقربون. ونحن نشدّد على ألاّ نبني سوراً من الأحجار حول المدينة بغرض حمايتها، والسور الذي يجب أن يُبنى هو من الرجال المتمنطقين بالسّلاح واللابسين الخوذات والدروع. ونقول إنّ أمن المواطنين وسلامتهم لا يتمّان ببناء البوّابات الحديدية والأسوار المنيعة، بل يتمّان بيقظتهم وسهرهم وكدحهم وتفاهمهم. أرى أنّ كلّ الأشياء بين الرجال تعتمد على حاجات ورغبات ثلاث، غايتها الفضيلة، وهي الأكل والشرب اللذان يبدآن عند الولادة؛ أمّا الحاجة الثالثة فهي الأعظم والأكثر حدّة. إنّها النار التي تثير اللذّة الجنسيَّة، والتي توقد في كلّ الرجال أصناف العبث والاستهتار والجنون. وهذه الأشياء الفوضويّة الثلاثة يجب أن نقهرها بالمبادىء الثلاثة العظيمة وهي الخوف والقانون والعقل الحقّ، وأن نغيِّر اتّجاهها من الاتّجاه الألذّ إلى الاتّجاه الأفضل. وسنعاقب مَنْ لا يطيع القانون ونثيبُ المطيع والذي يهتدي بهديه. وينبغي أن يتمّ عقد قران الفتاة بين سنّ السادسة عشرة وسن العشرين كأبعد مدى. وسندع المرأة تتساوى بالرجل وترتقي المناصب في سنّ الأربعين، وأن يرتقيه الرجل في سنّ الثلاثين. وسيكون الرجل مؤهّلاً للخدمة العسكرية من سنّ العشرين إلى سنّ الستين. أمّا المرأة فستؤدّي هذه الخدمة بعد أن تكون قد أنجبت وربّت الأطفال صعوداً إلى سنّ الخمسين، وأمام ناظريها اعتبار لما هو ممكن ومناسب للفرد في هذا الحقل.

محاورة النواميس

الكتاب السادس

الأثيني الغريب: وبعدُ فما دمنا قد أوجدنا نهاية للخطوات التمهيديّة، فإنّنا سنتقدّم إلى تعيين الهيئات القضائيّة.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: هناك جزآن اثنان في تنظيم الدولة: الأوّل، عدد الهيئات القضائيّة وطريقة إنشائها؛ وثانياً، فإنّها عند إنشائها يجب أن تُجهَّز بالقوانين المناسبة طبيعةً وعدداً لكلٍّ منها ثانية. لكن قبل انتخاب الهيئات القضائيّة دعنا نتوقّف قليلاً ونقول كلمة في موضعها بشأن انتخابها.

كلينياس: ماذا لديك لتقول؟

الأثيني: هذا ما يجب عليَّ قوله: يستطيع كلّ شخص أن يرى، وهو برغم أنّ عمل المشرّع هو المسألة الأكثر أهميّة، ومع ذلك فإنّ مدينة منظّمة تنظيماً جيّداً إذا أضافت إلى قوانين صالحة مراكز غير مناسبة، فليس معنى ذلك أنّه لا نفع في امتلاك القوانين الجيّدة فقط، ليس فقط أنّها ستكون قوانين مضحكة وعديمة القيمة، بل إنّها ستكون الضّرر العامّ الأكبر، ومن المحتمل أن ينشأ الشرّ منها كنتيجة حتميّة.

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: دعنا نراقب الآن إذن، يا صديقي، ماذا سيحدث في ناموس دولتنا العتيدة. في المقام الأوّل، إنّ أولئك الذين يُعيَّنون في السلطة الحاكمة هم وعائلاتهم كما ينبغي، ستعترف بأنّه يجب عليهم أن يُعطوا برهاناً مقنعاً عن ماهيّتهم كلٌّ بمفرده، وذلك منذ شبابهم فصاعداً أي إلى وقت الانتخاب؛ وفي المقام

الثاني؛ فإنّ أولئك الذين يجب أن ينتخبوا ينبغي أن يكونوا قد تدرّبوا وفق عادات ومسلكيات القانون، وأن يكونوا متعلّمين جيّداً، وذلك ليتمكنوا من امتلاك حكم صحيح على الأشياء، وكذلك ليقدروا على اختيار أو رفض الرجال الذين يصادقون عليهم أو لا يصادقون، مثلما يكون هؤلاء جديرين بالأولى أو الثانية. لكن كيف نستطيع أن نتصوّر أنّ أولئك الذين يُحضرون معاً للمّرة الأولى، سوف يتحاشون الوقوع في أخطاء اختيار السلطة الحاكمة؟

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: لكن عند بدء المباراة لمرّة واحدة، يقولون، إنّ الاعتذارات لن تجدي نفعاً. سأخبرك عندئذ. ما ينبغي عليك وعلينا عمله. بما أنّك، ومعك تسعة آخرون، كما أخبرتني، أبديتم استعداداً لإقامة الدولة الجديدة بالنيابة عن شعب جزيرة كريت، وأردتم أن أساعدكم بواسطة اختراع الروح الرومانتيكيّة الحاضرة، أو بواسطة القصة النثرية ذات الطابع البطوليّ. ولا يجب عليّ بالتأكيد أن أترك القصّة تهيم بدون رأس في كلّ أرجاء العالم - إنّ الحيوان المخيف الشكل الذي لا رأس له هو شيء بشع هكذا.

كلينياس: ممتاز، أيّها الغريب.

الأثيني: نعم، وسأكون صالحاً كصلاح كلماتي.

كلينياس: دعنا نفعل كما تقترح مهما كلّف الأمر.

الأثيني: إنّ ذلك ما سيكون، بعناية الله وهديه، إذا سمح لي بذلك تقدّم السنّ فقط.

كلينياس: لكن الله سيكون كريماً وشفوقاً.

الأثيني: نعم، وتحت هداية الله ورعايته دعنا نتأمّل ملياً نقطة رئيسيّة أبعد.

كلينياس: ما هي هذه النقطة؟

الأثيني: دعنا نتذكّر أيّ إبداع مجنون وجسور تكون مدينتنا هذه؟
كلينياس: بماذا فكّرت عندما قلت ذلك؟
الأثيني: فكّرت بالأسلوب الحرّ والسهل الذي أقمناه، وهو أنّ المستعمرين القليلي الخبرة سوف يتلقّون قوانيننا. وبعدُ فإن إنساناً لا يحتاج لأن يكون عاقلاً جدّاً، يا كلينياس، وذلك كي يرى أن لا أحد يستطيع أن يتلقّى القوانين عند عبئها الثقيل الأوّل بسهولة. لكنّنا إذا استطعنا أن ننتظر كيفما اتّفق، إلى أن يأخذ أولئك الذين قد صُبغوا بها منذ طفولتهم، والذين قد تغذّوا بها، وأصبحوا متعوّدين عليها، أقول، إلى أن يأخذ أولئك دوراً في الانتخابات العامّة للدولة، وأقول ثانية، إذا أمكن إنجاز هذا، وإنجازه حقّاً بأيّة طريقة أو وسيلة، حينئذ، فإنّني أعتقد بأنّه سيكون هناك خطر طفيف جدّاً على دولة تدرّبت هكذا، عند نهاية ذلك الوقت، وما أَلِفته لم يصبح بعدُ ثابتاً ودائماً.
كلينياس: إنّها لفرضيّة معقولة.
الأثيني: دعنا نتصوّر مخرجاً من صعوبتنا إذن، إذا استطعنا ذلك. إنّي أؤكّد، يا كلينياس، أنّ الكنوسيّين، فوق كلّ الكريتيين الآخرين، لا ينبغي أن يقتنعوا بإطلاق كلّ مهمّتهم نحو المستعمرة بشكل ظاهر للعيان. بل يجب عليهم أن يتحمّلوا الألم لأقصى حدوده كي يوطّدوا المناصب التي أوجدوها بادىء ذي بدء، وذلك بالطريقة الأفضل والأكثر تأكيداً، وينطبق هذا على اختيار حماة الناموس فوق الجميع، والذين يجب اختيارهم بالعناية الأعظم قبل كلّ شيء، أمّا الآخرون فشأنهم أقلّ أهميّة.
كلينياس: أيّ أسلوب يمكننا أن نستنبط لانتخابهم؟
الأثيني: ستكون هذه الطريقة هي الطريقة التي سأخاطبهم بها: سأقول لهم، أيّها الأبناء الكريتيون، بقدر ما لدى الكنوسيّين من حقّ التقدّم والصدارة على الدول الأخرى، فإنّهم يجب أن يختاروا مجموعة مؤلّفة من سبع وثلاثين

مجموعةً، على غرار أولئك الذين انضمُّوا لهذه المستوطنة، تسعة عشر منهم كونهم مأخوذين من المستوطنين والباقون من مواطني كنوسوس. وسوف يبدأ الكنوسيّون بإيجاد مستعمرتكم من المجموعة الثانية، وستكون أنت واحداً من الثمانية عشر، وستصبح مواطناً لدولة جديدة. وإذا لم تستطيعوا إقناع أنفسكم بالذهاب، فإنّ الكنوسيين يمكن أن يستخدموا العنف قليلاً ليعيّنوكم بعدل.

كلينياس: أيّها الغريب، لماذا لا تأخذ أنت وميغيلوس دوراً في مدينتنا الجديدة؟

الأثيني: أوه، يا كلينياس، إنّ أثينا لمتكبّرة، واسبرطة أيضاً، وهما قطعتا شوطاً بعيداً في هذا المجال. لكنّكم أنتم والمستعمرين الآخرين بشكل مماثل مركّزون في أماكنكم، كما تصف وبشكل مناسب. إنّني تكلّمت عن الطريقة التي يمكن أن يكون المواطنون الجدد فيها مدبَّرين بالشكل الأفضل وفق الحالات الحاضرة. لكن إذا استمرّت المدينة في الوجود إلى ما بعد الأجيال المتعاقبة، فدع الانتخاب يكون بهذه الطريقة. كلّ الجنود الخيّالة وجنود المشاة الذين كانوا في الخدمة العسكرية أو شهدوها في الأعمار المناسبة، وعندما كانوا مناسبين للانضمام إليها كلٌّ بمفرده(٢٥)، كلّ هؤلاء سيتمّ اشتراكهم في انتخاب السلطات القضائيّة الحاكمة. وسيتمّ عقد الانتخاب في أيّ معبد من معابد الدولة يُعتبر معبداً جليلاً، وسيدلي كلّ شخص بصوته في محراب الله، كاتباً على لوحةٍ اسم الشخص الذي يصوّت له، ذاكراً اسم أبيه واسم قبيلته واسم دائرته الانتخابية، وسوف يكتب على جانب اللّوحة اسمه بأسلوب مماثل. يمكن لأيّ شخص يرغب أن يأخذ أيّة لوحة يتصوّر أنّها لم تُملأ جيّداً أو بالشكل المناسب، وأن يعرضها في الساحة العامة لوقت ليس أقل من ثلاثين يوماً. إنّ اللوحات التي تمَّ تقويمها لتكون اللوحات الأولى، حتى رقم الثلاثمائة، ستريها السلطات القضائيّة الحاكمة للمدينة كلّها،

وسيختار المواطنون المرشحين الذين يفضّلونهم من هذه اللوحات بطريقة مماثلة. وسيُعرض الاختيار الثاني للرقم مائة، على المواطنين مرّة ثانية. وفي الاختيار الثالث، دع أيّ شخص يحب أن يختار الذي يسرّه من العدد مئة، مارّاً بين أطراف الضحايا. ودعهم يختارون للهيئة القضائية الحاكمة ويعلنون نجاح السبعة والثلاثين الذين لديهم العدد الأكبر من الأصوات. لكن مَنْ سينظّم لنا في المستعمرة، يا كلينياس وميغيلوس، كلّ هذه القضايا من قضايا الهيئة القضائيّة الحاكمة، ويدقق فيها كذلك؟ إذا تأمّلنا مليّاً، فإنّنا سنرى أنّ المدن في طور البناء، مثل مدينتنا، يجب أن يكون لديها أشخاص كهؤلاء لا يستطيعون مهما حدث أن يُنتخبوا قبل أن تكون هناك هيئة قضائيّة حاكمة. ومع ذلك يجب أن يتمّ انتخابهم بطريقة ما، وهم لن يكونوا رجالاً وضيعين، بل هم أفضل ما يمكن وجوده من رجال. وكما يقول المثل « إنّ البداية الجيّدة نصف العمل »، « أو أن تبتدىء جيّداً »، وهذه ممّا يثني عليه الجميع. وفي رأيي البداية الجيّدة هي مقدار كبير أكثر من نصف العمل، لكن أحداً لم يُثنِ عليها بما فيه الكفاية.

كلينياس: هذا حقيقيّ تماماً.

الأثيني: دعنا نعترف بالصعوبة إذن، وأن لا نخفق في جعلها واضحة وجليّة لعقولنا، وكيفية إنجاز ذلك. هناك اقتراح واحد فقط يجب عليَّ تقديمه، وهذا الاقتراح ضروري ومناسب حسب الحالات التي أتممنا بحثها.

كلينياس: وما هو هذا الاقتراح؟

الأثيني: أؤكّد أنّ هذه المستعمرة التي تخصّنا لديها أمٌّ وأبٌ مختلفان عن الدولة المستعمِرة. حسناً، إنّني أعرف أنّ المستعمرات العديدة قد كانت، وستكون، في عداوة مع آبائها. لكن في الأيّام الممعنة في القِدَم فإنّ الطّفل يُحِبُّ ويُحَبُّ، كما يحدث في كلّ عائلة. حتى إذا أتى وقت متأخّر عندما تُحلُّ

الروابط هذه، يبقى أنّ الطفل يحب آباءه وهما يبادلانه المحبّة، ويلجأ إلى أقربائه لحمايته، ويجد فيهم حلفاءه الطبيعيين الوحيدين وقت الحاجة، وذلك عندما يكون فتيّاً جدّاً ليحمي نفسه ويصونها. هذا الشعور الأبويّ موجود عند الكنوسيين بشكل مسبق، وبسبب عنايتهم بالمدينة الجديدة ورعايتهم لها، هناك شعور من جانبها نحو كنوسوس. وإنّي أكرّر ما قد قلته - إذ ليس هناك ضرر في ترديد الشيء الصالح، وهو أنّ الكنوسيين ينبغي أن يتّخذوا مصلحة مشتركة في كلّ هذه القضايا، وأن يختاروا المستعمرين الأقدم والأفضل، بقدر ما يستطيعون، طبقاً للعدد الذي لا يقلّ عن مائة، ولندع وجود مائة آخرين من المستعمرين أنفسهم. وأقول، إنّه يجب على هؤلاء عند وصولهم، أن يشتركوا بعناية في وجوب تعيين الهيئات القضائيّة الحاكمة طبقاً للقانون، وينبغي عليهم عند تعيينهم أن يجتازوا إمتحاناً دقيقاً. وعندما يتمّ إنجاز هذا، فإنّ الكنوسيين سيعودون إلى البلاد وستقوم المدينة بأفضل ما تقدر عليه لوقايتها وسعادتها. سأريد من السبعة والثلاثين الآن، وخلال الزمن المستقبلي كلّه أن يتمّموا واجباتهم. في المقام الأوّل، دعهم يحمون القانون؛ وثانياً يتولون حماية المسجّلين الذين يسجّل كلّ واحد منهم أمام الهيئة القضائيّة كميّة ممتلكاته، ما عدا أربع مينات مسموح بها لكلّ مواطن من الدرجة الأولى، وثلاث مينات لمواطن الدرجة الثانية، واثنتين لمواطني الثالثة، ومينا واحدة لمواطني الرابعة. وإذا ازدرى شخص ما بالقوانين قصد الربح، من أجل اقتناء شيء لم يتمّ تسجيله، فدع كلّ ذلك الذي يمتلكه زيادة يُصادَر. بالإضافة إلى ذلك، دعه يتعرّض لحالة هي عكس الحالة المشرّفة أو المحظوظة بالسعادة. دع مَن يشاء أن يقاضيه بتهمة حبّ الربح الخسيس، وأن يواصل اتّهامه له أمام حماة القانون. وإذا أُدين، دعه يفقد حصّته من المقتنيات العامّة. وعندما يكون هناك أيّ توزيع عامّ لأيّ شيء، فدعه لا يمتلك شيئاً

سوى قطعة أرضه الأصليّة المحدَّدة. ودع اسمه يُدوّن كرجل مُدان مهما طال أمد حياته. وبوسع أيّ شخص أن يسرد اعتداءَاته في المكان الذي يرغب. إنّ حامي الناموس لن يتبوّأ منصباً لمدّةٍ تزيد عن عشرين سنة، ويجب أن لا يكون عمره أقلّ من خمسين سنة عند انتخابه. وإذا تمّ انتخابه عند بلوغه الستّين من العمر، فإنّه سيتبوّأ مركزاً لعشر سنوات فقط. وبناءً على المبدأ عينه، ينبغي عليه أن لا يتصوّر أنّه سيُسمح له أن يتبوّأ مركزاً مهمّاً كهذا، أي كحامٍ للناموس بعد بلوغه سنّ السبعين، إذا ما عاش لفترة كهذه.

إنّ هذه النواميس المحليّة الثلاثة الأولى هي نواميس حماة الناموس، وعندما يتقدّم عمل المشرّع، فإنّ كلّ ناموس بالمقابل سوف يخصّص لهم واجباتهم المستقبليّة. وبعدُ يمكننا أن نواصل ما نعمل له للكلام عن انتخاب الموظفين الآخرين في الدولة، لأنّه يجب انتخاب القادة العسكريّين. وهؤلاء ينبغي أن يكون لديهم مساعدون، ضباط، وجنرالات فوارس، وضباط لفرق المشاة، سيُدعون بأسمائهم الشعبيّة المحبّبة حقّاً، قادة ألوية وعمداء. إنّ حماة الناموس سيقترحون كقادة عسكريّين، رجالاً من أبناء المدينة، وسيُهَيِّىء أولئك الذين يكونون أو قد كانوا في سنّ مناسبة للخدمة العسكريّة، سيهيئون نخبة من الشباب المقترحين لذلك. وإذا لم يتمّ اقتراح أيّ شخص ممّن يُعتقد به أنّه أفضل من الشخص الذي اختاروه، دعهم يسمون أيّ شخص يفضّلونه ليحلّ محلّ شخص آخر. وكذلك، يؤدّي قَسَماً بأن يكون أفضل، وأن يقترحوه كبديل، وسيتمّ قبول أيّ انسان صادقوا عليه بالتصويت في الاختيار النهائيّ. وسيتمّ تعيين الأشخاص الثلاثة الذين حصلوا على العدد الأكبر من الأصوات، سيتمّ تعيينهم قادة عسكريين ومراقبين على الشؤون العسكريّة بعد اجتيازهم امتحاناً دقيقاً بشكل مسبق، مثل الفحص الدقيق الذي اجتازه حماة الناموس. ودع القادة العسكريين المنتخبين بهذه الطريقة يقترحون اثني

عشر قائد لواء، من كلّ قبيلة واحد. وهناك حقّ لاقتراح مضادّ تماماً مثلما هي الحالة في انتخاب القادة العسكريّين. وسيأخذ القرار والتصويت مكانهما بالطريقة عينها. وإلى أن يتمّ انتخاب الحكّام والرؤساء The Prytanes ومجلس الشورى، إلى أن يتمّ ذلك فإنّ حماة الناموس سيعقدون اجتماعاً للجمعيّة العموميّة على أرض مقدّسة، الأرض الأكثر مناسبة لهذا الغرض. وسيضعون المحاربين الأثينيين المشاة المدجّجين بالسلاح هم بأنفسهم وكذلك الفرسان، وسيضعون في الفرقة الثالثة بقيّة جنود الجيش كلّه. يجب على الجميع أن يصوّتوا لقادة الجيش [وللكولونات الفرسان]، لكنّ قادة الألوية ينبغي أن يصوّت لهم أولئك الذين يحملون الدروع « كمثال، المحاربين المشاة المدجّجين بالسلاح ». دع جماعة الفرسان Phylarchs[٢٦] تختار القادة العسكريّين لكنّ قادة الفرق الخفيفة تسليحاً، أو الرّماة، أو أيّة فرقة أخرى من فرق الجيش، كلّ هؤلاء سوف يعيّنهم قادة الجيش أنفسهم. يبقى تعيين ضبّاط الفرسان فقط: وهؤلاء سوف يتمّ اقتراح تعيينهم من قبل الأشخاص الذين اقترحوا تعيين قادة الجيش، وسيُنظّم الانتخاب والاقتراح المضادّ للمرشّحين الآخرين بالطريقة عينها مثلما كانت الحالة في تنصيب قادة الجيش. ودع الفرسان يصوتون وأن تراقب كتيبة المشاة هذا العمل أثناء الانتخاب. وأمّا الاثنان اللذان حصلا على العدد الأكبر أثناء التصويت فسيكونان قائدين لكلّ الفرسان. يمكن أن ينشأ جدل بشأن التصويت مرّة أو مرّتين، لكن إذا نشأ جدل للمرّة الثالثة، فإنّ الضباط الذين يشرفون على الانتخابات المتعدّدة سيقرّرون ذلك بالتصويت.

إنّ مجلس الشورى سيتألف من ٣٠×١٢ (12x30) عضواً، والعدد ٣٦٠ (360)سيكون عدداً مناسباً للانقسام إلى أجزاء أصغر. وإذا قسّمنا العدد إلى أربعة أجزاء، وكلّ جزء يتألّف من العدد تسعين، فإنّنا نحصل على تسعين

عضواً في المجلس لكلّ طبقة. وبادىء ذي بدء، كلّ المواطنين سيختارون مرشّحين من الطبقة الأولى؛ إنّهم سيُجبرون على التصويت، وإذا لم يفعلوا، فسوف يُغرّمون كما ينبغي. وعند إتمام اختيار المرشّحين، سيسجّلهم شخص ما، وسيكون هذا العمل عمل اليوم الأوّل. وفي اليوم التالي، سيتمّ اختيار المرشحين من الطبقة الثانية بالطريقة عينها ووفق الحالات عينها، كما كانت الحال عليه في اليوم السابق. وأمّا في اليوم الثالث فالاختيار سيتمّ من الطبقة الثالثة، ويمكن لأيّ شخص أن يدلي بصوته أثناءه إذا رغب. وستُجبر الطبقات الثلاث الأولىَ على التصويت، لكنّ الطبقة الرابعة والأدنى لن تُجبر على فعل أيّ شيء، ولن يُعاقب أيّ عضو من أعضائها إذا لم يصوّت. وفي اليوم الرابع سيتّم اختيار المرشّحين من الطبقة الرابعة والأصغر؛ وسيختارهم الجميع، لكنّ الذي يكون من الطبقة الرابعة لن يقاسي أيّة عقوبة، وكذلك الذي يكون من الطبقة الثالثة إذا لم يشأ أن يصوّت لأحد. لكن الذي يكون من الطبقة الأولى أو الثانية سيُعاقب إذا لم يصوّت؛ وأمّا الذي يكون من الطبقة الثانية فسيدفع غرامة مقدارها ثلاثة أضعاف الغرامة التي اقتضى فرضها في البداية. والذي من الطبقة الأولى سيدفع غرامة مقدارها أربعة أضعاف. وسوف ينشر الحكام في اليوم الخامس الأسماء التي تمّ تدوينها، وذلك كي يراها المواطنون جميعاً. وسيختار كلّ إنسان منهم، وتحت العذاب إن لم يفعل ذلك، سيختار مقاساة العقاب. وحينما يختار المواطنون مئة وثمانين شخصاً من كلّ طبقة، فإنّهم سيختارون نصفهم بالأكثرية بعدئذ، وسيجتاز هؤلاء اختباراً دقيقاً، وسيشكّلون مجلس الشورى السنويّ.

إنّ صيغة الانتخاب التي تمّ وصفها هي صيغة وسط بين الملكيّة والديموقراطية، وعلى الدولة أن تراقب حالة وسطاً كهذه على الدوام. إنّ الخدم والأسياد لا يمكنهم أن يكونوا أصدقاء أبداً، وكذلك الأخيار والأشرار،

لأنّهم أعلنوا أنّ لديهم امتيازات متساوية فحسب؛ إذ لغير المتساوين يصبح المتساوون غير متساوين، إذا لم يتوافقوا بواسطة القياس. والمدن ممتلئة بالتحريضات على الفتنة والعصيان، بسبب المساواة، وبسبب عدم المساواة كذلك. إنّ القول القديم القائل « المساواة تخلق الصداقة »، هو قول سعيد وحقيقي أيضاً. لكن هناك غموضاً وارتباكاً في أيّ نوع من أنواع المساواة يتمّ القصد عنه، إذ هناك نوعان من أنواع المساواة مسمّيان بالاسم عينه. لكنّهما في الحقيقة متضادان في عدّة وجوه تقريباً. يمكن لأية دولة أو لأي مشرّع تقديم أحدهما في توزيع التكريمات بدون صعوبة، أعني التكريمات التي للمقياس، للوزن، وللعدد، التي يثبتها المشرّع بالأكثرية. لكنّ هناك مساواة أخرى، أفضل وأسمى، ولا تميّز بسهولة. هذا الحكم هو حكم زيوس، لكنّه حكم يفيد قليلاً بين الرجال، وهذا القليل، على كلّ حال، هو مصدر الخير الأعظم للأفراد وللدول لأنّه يعطي للأكبر أكثر ويعطي للأدنى أقلّ، ويهب وفقاً لطبيعة كلٍّ منهما. وفوق كلّ شيء، يمنح تكريماً أكبر للفضيلة الأكبر على الدوام، وللفضيلة الأقلّ تكريماً أقل، ويعطي لأيّ منهما حسب الفضيلة والتعليم وفق مقياسهما الخاصّ بهما. وهذا هو العدل، وهو المبدأ الحقيقي للدول أبداً والذي يجب أن نهدف إليه، وأن ننظّم الدولة الجديدة طبقاً لهذه القاعدة التي تمّ وضعها الآن. وإذا ما وُجدت أيّة مدينة فيما بعد، فعلى المشرّع أن يتطلّع لها ويمعن النظر فيها، - وأن لا يفعل ذلك لمنافع الطّغاة مفردهم وكثرتهم، أو إلى سلطة الشعب، بل أن يقوم بذلك في سبيل العدل على الدوام، والذي، كما قلت عنه، هو توزيع المساواة الطبيعيّة بين اللامتساوين في كلّ حالة. لكنّ هناك أوقاتاً تُجبر كلّ دولة فيها على استعمال الكلمات: « عادل »، « متساوٍ » في معنىً يأتي الثاني رتبةً، وتفعل ذلك على أمل التخلّص من الشقاقات بدرجة ما. إنّ الأسهم غير العادية في

الممتلكات والانغماس الذاتي هما خرقان لحكم الناموس التامّ والدقيق، وهذا هو السبب الذي من أجله نكون مُلزمين لاستعمال المساواة على العدد الوافر من الأشخاص، وذلك كي نتحاشى سخط الشعب. وهكذا فإنّنا نتضرّع إلى الله والحظّ السعيد في صلواتنا، ونتوسّلهما ليرشدا العدد الوافر من الناس على أمل تحقيق العدل الأسمى. ولهذا السبب، وبرغم أنّنا مجبرون على استخدام هاتين المساواتين، فإنّنا يجب أن نستخدمهما في ذلك الذي يدخل فيه أحد عناصر المصادفة ونادراً قدر المستطاع.

وهكذا، يا أصدقائي، وللأسباب التي ذكرناها، ينبغي على أي دولة أن تفعل الذي تطيقه والذي ينقذها. لكن كما أن الباخرة المبحرة في عرض البحر يجب مراقبتها وصيانتها ليل نهار، كذلك يجب مراقبة الدولة بالطريقة عينها، على بحر السياسات الخارجية العاصف، الذي تتعرض فيه الدولة لكلّ أنواع الهجومات الغادرة. ولهذا يجب على الحكام أن يشبكوا الأيدي معاً، من الصباح إلى المساء، ومن المساء إلى الصباح، وأن يفعل ذلك الحراس مع الحراس، متلاقين وواثقين بعضهم بالبعض في تتابع أبديّ. وبعد فإنّ الأكثريّة لا يمكنها أبداً أن تؤدّي واجبها من هذا النوع بمثل ما تؤديّه بأيّ شيء كالقوّة والمقدرة. علاوة على ذلك، فإنّ العدد الأكبر من أعضاء مجلس الشيوخ يجب أن يُتركوا أثناء القسم الأكبر من السنة لتنظيم اهتماماتهم ببيوتهم الخاصّة. ولهذا يجب تنظيمهم في اثني عشر جزءاً متطابقة مع الأشهر الاثني عشر، وعليهم أن يجهّزوا حماةً للدولة، وسيكون كلّ قسم منهم لشهر بمفرده. ويجب على هؤلاء الحماة أن يكون عملهم في متناول اليد وجاهزاً، وعليهم أن يتلقّوا أيّ غريب أو مواطن يأتي إليهم، سواء إذا كان لديه معلومات، أو يطرح سؤالاً سألته مدينة أخرى، فيجب على مدينتنا أن تجيب عليه، أو إذا ما سألته مدينتنا للمدن الأخرى، فيجب أن يتلقّى له

جواباً بالمقابل، أو ثانية، عندما يكون هناك احتمال قويّ بقيام الاضطرابات السياسيّة والاجتماعيّة الداخليّة، والمتوقّع حدوثها بشكل أو بآخر على الدوام، فإنّهم سيمنعون وقوعها، إذا استطاعوا؛ أو إذا وقعت بشكل مسبق، فإنّهم لن يضيّعوا وقتاً في إخبار المدينة عنها، وعليهم أن يشفوا المدينة من السوء حينئذ. ومن أجل ذلك أيضاً، فإنّ هذه المجموعة التي تشرف على مقدرات الدولة يجب أن يكون لها ضبط وتوجيه جمعيّاتها العموميّة على الدوام، وأن تكون لها قدرة حلّ العاديّة منها وغير العاديّة. إنّ كلّ هذه الأشياء ينبغي أن تُنظَّم بالقسم الثاني عشر من مجلس الشورى، هذا القسم الذي يجب أن يكون يقظاً مع الضبّاط الآخرين في الدولة خلال جزء واحد من أجزاء السنة.

هكذا ستُنظَّم المدينة بعدل. وبعدُ فمن الذي يشرف على البلاد، وماذا سيكون ترتيب ذلك؟ لقد رأينا أن المدينة جميعها والبلاد كلّها تمّ تقسيمها إلى اثني عشر جزءاً، أفلا ينبغي أن يتم تعيين مشرفين على شوارع المدينة، وعلى بيوتها، وبناياتها، وموانئها، وساحتها العامّة، وينابيعها، ومقاطعاتها الخاصّة المقدّسة، وهياكلها، وما شابه؟

كلينياس: يجب عمل ذلك بالتأكيد.

الأثيني: دعنا نفترض، إذن، أنّه يجب إيجاد خدم للهياكل، وإيجاد كهنة وكاهنات. ينبغي إيجاد مشرفين على الطرقات والبنايات، ومشرفين يعتنون بالرجال، لئلا يقوموا بأيّ أذى، وسيعتنون بالبهائم كذلك داخل محيط المدينة وفي ضواحيها. وهكذا فإنّ ثلاثة أنواع من الضباط يجب تعيينهم، لتُجهزَّ المدينة طبقاً لاحتياجاتها. إنّ أولئك الذين سيعتنون بالمدينة سيُدعون أمناء المدينة؛ وأولئك المعتنون بالساحة العامة سيُسمَّون أمناء الساحة العامّة؛ وأولئك الذين يعتنون بالهياكل سيُدعون كهنة. إنّ أولئك الذين يتبوّأون

المناصب الوراثية ككهنة أو كاهنات لن يتمّ إزعاجهم. لكن إذا وُجدت أقلية منهم أو لم توجد في هذه الحالة، كما قد يحدث هذا عند تأسيس المدينة الجديدة، فإنّ الكهنة والكاهنات سوف يُعيّنون ليكونوا خدم الآلهة الذين لا خدم لهم. إنّ بعض ضبّاطنا سيُنتخبون، وسيُعيّن الآخرون بالأكثريّة، أولئك الذين يكونون من الشعب وأولئك الذين لا يكونون منه، مختلطين بأسلوب صداقة وفي كلّ مكان من أمكنة المدينة، وذلك كي يتسنّى لها أن يكون تفكيرها واحداً قدر الإمكان. أمّا في ما يتعلّق بالكهنة، فسيتمّ تعيينهم بالأغلبيّة، وفي هذه الطريقة فإنّ انتخابهم سيُسلّم لله ذاته وذلك ليفعل ما يرضيه. ومَنْ يحصل منهم على الأغلبيّة سوف يجتاز امتحاناً دقيقاً، بادىء ذي بدء، وذلك فيما يتعلّق بسلامة جسده وصحّة مولده الشرعيّ؛ وفي المقام الثاني، لكي يبيّن أنّه من عائلة تامّة النقاء، غير ملطخة بَجرائم القتل، أو بأيّ عمل مماثل لا يتّسم بالتقوى في شخصه الخاصّ. وكذلك في أن يكون أبواه قد عاشا حياة مماثلة غير ملطّخة بما يشين ويعيب. وبعدُ فإنّ قوانين كلّ الأشياء الإلهيّة يجب أن يتم إحضارها من معبد دلفي، وأن يُعيَّن المسؤولون عنها الذين ستُستخدم كلّ هذه الأشياء وفق توجيههم. إنّ ولاية الكهانة يجب أن تكون لمدّة سنة من الزمن على الدوام وأن لا تزيد عن تلك المدّة، ومن سينجز أعمال المنصب المقدس كما ينبغي، وطبقاً لقوانين الدين، يجب أن لا يقلّ عمره عن ستّين سنة. إنّ القوانين ستكون هي عينها بشأن الكاهنات. أمّا فيما يتعلّق بالمؤوّلين، فسوف يتمّ تعيينهم على هذا النحو: دع القبائل الإثنتي عشرة تُوزَّع إلى أربع مجموعات، ودع كلّ مجموعة تنتخب أربعة أشخاص، شخصاً من كلّ قبيلة داخل المجموعة، ولمرّات ثلاث، ودع الثلاثة الذين حصلوا على العدد الأكبر من الأصوات « من خارج الإثنتي عشرة قبيلة المعينين بكلّ مجموعة » دعهم يذهبون إلى

معبد دلفي بعد أن اجتازوا امتحاناً دقيقاً، وتسعة في الكلّ، وذلك كي يمكن لله أن يعيد واحداً من كلّ ثلاثة. إنّ عمرهم سيكون العمر عينه الذي لدى الكهنة. وأمّا الفحص الدقيق الذي سيمرّون به فسيُجرى بالطريقة عينها. ودعهم يكونون مؤوّلين طيلة الحياة. وعندما يتوفّى أحدهم، دع القبائل الأربع، تختار شخصاً آخر من قبيلة الفقيد. بالإضافة إلى ذلك، يجب وجود أمناء الخزينة، بجانب الكهنة والمؤوّلين، الذين سيتولّون شأن ممتلكات الهياكل المتعدّدة، وشؤون الأراضي والمقاطعات المقدّسة، وسيكون لديهم سلطة على ما تنتج من محاصيل وعلى تأجيرها. وسيُختار ثلاثة منهم من الطبقات الأعلى للهياكل الأعظم، وسيتمّ اختيار اثنين منهم للهياكل الأصغر، وواحد للهياكل الأقلّ شأناً منها. أمّا أسلوب انتخابهم والتدقيق فيه فسيكون على غرار أسلوب انتخاب قادة الجيش. وسيكون هذا النظام نظام الهياكل.

دع كلّ شيء يكون له حارس قدر الإمكان. ودع الدفاع عن المدينة يتعهّد به قادة الجيش، وقائد العربات، وقائد الفرسان، والـ «Phylarchs»، والأمناء على المدينة، وعلى الساحة العامّة. دع كلّ هؤلاء يفعلون ذلك حينما يتمّ انتخابهم. أمّا الدفاع عن البلاد فسيتمّ تجهيزه على الشكل التالي: إنّ الأرض كلّها وُزّعت مسبقاً اثني عشر جزءاً متساوياً قدر الإمكان. ودع القبيلة المخصّصة للقسمة تُجهّز للمدينة خمسة أمناء وقادة للحراسة سنويّاً، ودع كلّ مجموعة من خمسة أعضاء تكون لها سلطة انتقاء اثني عشر رجلاً آخرين من شباب قبيلتهم الخاصّة. وهؤلاء لن يكونوا دون الخامسة والعشرين وفوق الثلاثين، ويُخصّص لهم كلٌّ بمفرده المناطق المختلفة كلّ شهر، لكي يتمكنوا جميعهم من اكتساب المعرفة والخبرة عن البلاد كلّها. أمّا مدّة خدمة الآمرين والحرّاس فستستمر أثناء السنتين الاثنتين، وبعد أن تخصّص مواقعهم يذهبون من مكان إلى مكان في نظام مرتب، جاعلين دورة انطلاقهم تبتدىء

من اليسار إلى اليمين كما يرشدهم آمرهم إلى ذلك. » وعندما أتكلّم عن ذهابهم يميناً، فإنّني أعني أنّ عليهم أن يذهبوا باتّجاه الشرق. وحين ابتداء السنة الثانية، ليس لكي يتأتّى للحرّاس معرفة البلاد فقط وفي أيّ فصل من فصول السنة على قدر الإمكان، بل لكي يتمكّنوا من الحصول على أسلوب الخبرة الذي تتأثّر به الأماكن المختلفة في فصول السنة المتباينة. وبعدئذ سوف يقودهم آمروهم باتّجاه اليسار مرّة ثانية. ومن مكان إلى مكان بالتتالي، حتى يتمّوا سنتهم الثانية، وفي السنة الثالثة يتمّ اختيار أمناء المدينة وآمري حرّاس البلاد، خمسة منهم لكلّ قسم من أقسامها، وهم الذين سيكونون المشرفين على العصبة المؤلّفة من اثني عشر شخصاً. وحين وجودهم في الخدمة في كلّ موقع، فإنّ انتباههم سيوجّه إلى النّقاط الرئيسيّة التالية: في المقام الأوّل، سيرون أنّ البلاد محميّة جيّداً في وجه الأعداء. سيحفرون الخنادق ويقيمون التحصينات كلّما احتاجوا لعمل ذلك. وقدر ما يستطيعون فإنّهم سيبعدون بواسطة التحصينات ما يضمره الأعداء من شرّ للبلاد، وذلك كي يمنعوهم من تحقيق ما ينوون. وسيستخدمون البهائم لحمل الأثقال، والعمّال الذين سيجدونهم حيث هم لهذا الغرض. وهذه ستكون أدواتهم التي سيشرفون عليها، وذلك بأخذهم بعيداً قدر الإمكان، في الوقت الذي لا يشغلهم فيه شاغل عن عملهم المعتاد المنظّم، وسيجعلون كلّ جزء من أجزاء البلاد ممّا يتعذّر وصول الأعداء إليه، ويجعلونه عكس ذلك للأصدقاء(٢٧). وسيكون للإنسان وللبهائم التي تحمل الأثقال ولقطعان الماشية طرقات، وسيهتمّون بجعل هذه الطرقات خالية من العوائق والتنقل عليها سهل قدر الإمكان. وسيتجهزون استعداداً لهطول الأمطار لئلاّ تسبب الأذى للأرض بدل الخير، وكذلك حين هبوطها من مرتفعات الجبال وسقوطها في الأوَدية الصغيرة الضيّقة. وسيحتفظون بالزيادة عن طريق حفر أقنية الريّ ومَصَارف المياه،

وذلك لتتمكّن الأودية من تلقيّ كميات المياه الهاطلة من السماء وتمتصّها. وكذلك يجب عليهم أن يقيموا نوافير جداول في الحقول والمقاطعات التي تقع تحت مسيل هذه المياه. وبهذا يمكنهم أن يجهّزوا حتّى الأماكن الجافة بوفرةٍ من المياه الصالحة. إنّ نوافير المياه، سواء أكانت من الأنهار أو من الينابيع، ستزيّن المزارع والأبنية بالجمال. ودعهم يجرون المياه في أقنية خفيّة تحت الأرض، ويجعلون كلّ الأشياء تفيض عطاءً. وإذا كان هناك أيكة مقدسة، أو منطقة مخصَّصة في الجوار، فإنّهم سيجرّون الماء إلى الهياكل الحقيقيّة التي تخصّ الآلهة. وهكذا سيجمّلونها في كلّ فصول السنة. وسيقيم الشباب في كلّ مكان من هذه الأمكنة الألعاب الرياضية بأنفسهم، وسيبنون حمّامات ساخنة للعجزة، واضعين بجانبها وفرة من الحطب اليابس، وذلك لمنفعة أولئك الذين تعتريهم الأمراض المزمنة - هناك سيتلقى الجسد الريفيّ المُرهق، الذي أتعبه الكدح، استقبالاً حارّاً، أفضل بكثير من الاستقبال الذي سيتلقّاه على يدي طبيب غير حكيم.

إنّ هذه الأبنية وغيرها من الأعمال المماثلة ستكون نافعة وتزيّن الأماكن القائمة عليها، وستؤمّن تسلية سارّة لروّادها، لكنّها ستكون وظيفة خطيرة أيضاً. إنّ الأمناء الستّين سيحرسون أقسامها المتعدّدة، ليس في ما يتعلّق بالأعداء فقط، بل بعين يقظة على المتظاهرين بالصداقة أيضاً. وعندما ينشأ خصام بين الجيران والمواطنين، ويؤذي شخص غيره سواء إذا كان عبداً أو رجلاً حرّاً، عند قيام ذلك، دع الأمناء الخمسة حينها يقررون ما سيفعلونه بشأن المسائل الصغيرة بناء على سلطتهم الخاصّة. لكن حيث يتعلّق الإتّهام بقضايا أكبر ضدّ الآخرين، فإنّ الأمناء السبعة عشر المؤلّفين من الخمسة والاثني عشر رجلاً، سيقرّرون ويبتّون في الاتهامات التي يسوقها إنسان ضد غيره والتي لا تزيد قيمتها عن ثلاث مينات. إنّ كلّ قاضٍ وكلّ حاكم

سيكون ملزماً بتقديم حساب عن سلوكه في منصبه، ما عدا أولئك الذين يكونون كالملوك، ولهم القرار الفصل والنهائي. بالإضافة إلى ذلك، وفيما يختصّ بالأمناء المنوّه عنهم في البلاد، إذا سبّبوا الأذى لأولئك الذين هم في عهدتهم ورعايتهم، سواء إذا كان هذا الأذى ارتكب بفرض أعمال شاقّة غير متساوية، أو بمحاولة الاستئثار بمنتوجات الأرض أو أدوات الزراعة بدون أخذ موافقتهم، وأيضاً إذا ما تلقّوا أيّ شيء بطريقة الرشوة، أو إذا قرّروا أحكاماً ظالمة، إذا فعلوا كلّ ذلك فليس لهم إلا الإهانة علناً لإذعانهم وخضوعهم لتأثير التملّق والمداهنة. وأمّا فيما يتعلّق بأيّ عمل خاطىء أكبر من ذلك الذي يتمّ فعله للقاطنين في البلاد، إذا كانت قيمته مينا Mina واحدة، فدعهم يقبلون بقرار القرويّين في الحيّ المجاور. لكن في الدعاوى ذات الحجم الكبير، أو في الحالة الأقلّ شأناً إذا رفضوا الإذعان، وهم على ثقة أنّ نقلهم الشهريّ إلى جزء آخر من أجزاء البلاد سوف يمكّنهم من الهرب، في حالات كهذه على الطرف الذي تلقّى الأذى أن يتقدّم بدعواه إلى محكمة العدل العامّة. وإذا حصل على حكم يمكنه أن ينتزع من المدّعى عليه، الذي رفض الخضوع، قصاصاً مضاعفاً.

إنّ أمناء ومراقبي البلاد سيتناولون وجبات الطعام في مواقعهم المتعدّدة بشكل مشترك، وذلك أثناء خدمتهم في السنتين المخصّصتين لهم، وسيعيشون معاً. والذي يتغيّب منهم عن وجبات الطعام المشتركة هذه، أو يهجع، حتّى إذا فعل ذلك ليوم واحد فقط أو لليلة، وما لم يكن فعل ذلك بناءً على أوامر قادته، أو بسبب الضرورة القصوى، وإذا اتّهمه الخمسة وحفروا اسمه في الساحة العامة لأنه لم يحفظ الحراسة المنوطة به، إذا فعل ذلك فسوف يُعتبر أنّه غرّر المدينة، بقدر ما يكمن ذلك في قوّته، ويجب أن يُهان ويُضرب ضرباً موجعاً من قبل أيّ شخص يقابله ويكون على استعداد

لمعاقبته. وإذا ارتكب أيّ قائد عسكري من قادة الجيش عملاً شاذّاً كهذا، فإنّ جماعة الستين بكاملها ستولي هذا الأمر عنايتها. ومن يطّلع على اعتداء كهذا، ولم يجلب من قام به إلى المحاكمة، فسيكون قابلاً للحكم عليه بالنواميس عينها مثلما يتمّ فعله بالمعتدي نفسه، وسيدفع غرامة ثقيلة الوطأة، ولن يكون قادراً على قيادة الشباب أبداً. إنّ حماة القانون يجب أن يكونوا مفتّشين يقظين لهذه القضايا، وإلاّ سيمنعون أو يعاقبون المعتدين. ينبغي على كلّ إنسان أن يتذكّر القاعدة العالميّة، وهي أنّ الذي لا يكون خادماً جيّداً لن يكون حاكماً جيّداً. ينبغي على الإنسان أن يعتزّ بنفسه حين الخدمة الجيّدة أكثر ممّا يتباهى ويعتزّ أثناء القيادة الجيّدة: أوّلاً عند خدمة النواميس، التي هي خدمة للآلهة أيضاً، وفي المقام الثاني أثناء خدمة الرجال القدماء الكرماء المكرمين في زمن فتوّته. علاوة على ذلك، فإنّ غذاءه اليوميّ ينبغي أن يكون بسيطاً ومتواضعاً أثناء السنتين اللتين يكون فيهما أميناً على البلاد. وعندما يتمّ اختيار الرجال الاثني عشر، دعهم يتقابلون والرجال الخمسة معاً ويقررون أنّهم سيكونون خدمهم الخاصّين، وهم مثل الخَدَم لن يكون لديهم عبيد وخدم آخرون لاستخدامهم الخاصّ، ولن يستخدموا أولئك القرويّين والمزارعين لمنفعتهم الخاصّة، بل للخدمة العامّة فقط. وبشكل عامّ يجب عليهم أن يعقدوا النيّة على العيش المستقلّ بأنفسهم، وأن يكونوا خدماً بعضهم لبعض ولأنفسهم. وأبعد من ذلك، عليهم أن يكونوا تحت السلاح وأن يلقوا نظرة عامّة شاملة على البلاد كلّها في كلّ فصول السنة صيفاً وشتاء على قدم المساواة. وهكذا فإنّهم سيبقون يقظين دوماً ويعرفون تماماً كلّ موضع في البلاد. ليس هناك نوع من أنواع المعلومات أكثر أهميّة من معرفة الإنسان الدقيقة لبلاده، ولهذا السبب كما لأسباب أكثر شيوعاً للمسرّة والمنفعة أيضاً، فإنّ الشباب يجب إقناعهم بالصيد بصحبة كلابهم

وأن يمارسوا الأنواع الأخرى من الرياضة. إنّ الخدمة التي يُعهد لهم بها في هذه العملية يمكن أن تسمّى البوليس السرّي أو أمناء البلاد. والإسم هذا لا يعني كثيراً، لكنّ كلّ شخص يهمّه أمن الدولة قلبياً سوف يستخدم أقصى كدّه واجتهاده في هذه الخدمة.

بعد أن تكلّمنا عن أمناء البلاد، ينبغي علينا أن نتكلّم عن أمناء الساحة العامّة وأمناء المدينة. لقد كان عدد أمناء البلاد ستين، وسيكون عدد أمناء المدينة ثلاثة، وسيقسّمون أجزاء المدينة الاثني عشر إلى ثلاثة أقسام. وهم مثل سابقيهم سيهتمّون بالطرقات، وبالطرقات العامّة المختلفة التي تسهّل الوصول من أطراف البلاد إلى المدينة، وسيهتمّون بالأبنية وذلك ليتمّ بناؤها طبقاً للقانون. وسيعتنون أيضاً بالمياه التي يحفظها حراس الموارد، والتي ينقلونها لهم. ويجب أخذ العناية الفائقة كي تصلهم بواسطة النوافير نقيّة وغزيرة، ولكي تضفي جمالاً ومنفعة على المدينة. إنّ هؤلاء الرجال يجب أن يكونوا ذوي تأثير، وأن يهتمّوا بمصلحة العموم وخيرهم. أيّ إنسان بوسعه أن يقترح أيّ شخص يحبّه من الطبقة الأسمى كأمين للمدينة. وعندما يتمّ الاقتراع، ويخفّض عدد الناجحين إلى ستّة هم الذين حصلوا على أعلى عدد من الأصوات، حينئذ، على الضباط المنتخبين أن يختاروا بالأكثرية ثلاثة من الستّة الذين تمّ انتخابهم. وعندما يجتازون تدقيقاً عامّاً يحتلّون المنصب طبقاً للقوانين التي تمّ سنُّها لهم.

بعد ذلك، يتمّ انتخاب أمناء الساحة العامّة بطريقة مماثلة، وذلك من خارج الطبقة الأولى والثانية، ويجب أن يكونوا خمسة: يجب أن يُنتخب عشرة بادىء ذي بدء، ثم يتمّ اختيار خمسة من العشرة بالأكثرية. وهؤلاء سيُعلنون حكّاماً بعد أن يجتازوا فحصاً دقيقاً. إنّ كلّ شخص سيدلي بصوته لكلّ شخص مرشّح، والذي لن يدلي بصوته فإنّه سيُغرَّم خمسين دراخما، إذا ما

تمَّ إبلاغ القضاة عنه وسيُعتبر مواطناً سيئاً. على كل شخص أن يذهب إلى الجمعية العامة وإلى مجلس الشورى العام، وسيكون الذهاب إجبارياً لمواطني الطبقتين الأولى والثانية، وسيُغرَّمون بعشرة دراخمات إذا ما وُجد أنّهم لم يتجاوبوا عند طرح أسمائهم في الجمعية العامّة. لكنّ الذهاب لن يكون إجبارياً لمواطني الطبقتين الثالثة والرابعة، ولن يتعرّضوا لدفع أيّة غرامة إذا لم يذهبوا، إلاّ إذا أمر الحكّام بذهاب الجميع للإدلاء بأصواتهم، وذلك نظراً لضرورةٍ ما قصوى. إنّ أمناء الساحة العامّة سيراقبون الأمر المحدَّد بالناموس للساحة العامّة، وسيتولّون أمر الاهتمام بالهياكل والنافورات الموجودة في الساحة العامّة، وسيسعون أن لا يؤذي أحد أيّ شيء فيها، ويعاقبون من يقوم بذلك ضرباً بالسياط وتقييداً، إذا كان عبداً أو غريباً. لكن إذا كان مواطناً أساء التصرّف بهذه الطريقة، فلديهم السلطة لمعاقبته وتغريمه ما مقداره مئة دراخما، وإذا وافق أمناء المدينة على أن تُضاعف عليه هذه القيمة فليدفعها كما يرتؤون. ولأمناء المدينة سلطة مشابهة لفرض العقوبات والغرامات في مقاطعتهم. ويُسمح لهم أن يفرضوا الغرامات بواسطة سلطتهم الخاصّة، صعوداً إلى مينا واحدة، أو إلى اثنتين وذلك بموافقة أمناء الساحة العامّة.

في المقام الثاني، فمن المناسب، تعيين مرشدين للموسيقى والألعاب الرياضية، نوعين لكلّ منهما ـ التعليم هو النوع الأوّل من أنواع العمل، وأمّا التعليم الآخر فهو الإشراف على المباريات. وفي حديثنا عن التعليم، فالناموس يعني أن نتكلّم عن أولئك الذين بيدهم العناية بالنظام والتثقيف في مكان الألعاب الرياضيّة وفي المدارس، وفي الذهاب إلى المدارس، وإلى الأبنية المدرسيّة للصبيان والبنات. وفي حديثنا عن المباريات، فإنّ القانون يشير إلى القضاة في الألعاب الرياضية وفي الموسيقى. وهذان يقسمان إلى نوعين،

الأوّل له شأنه وعمله في الموسيقى، والآخر في الألعاب الرياضيّة. والشخص الذي يقاضي في المباريات التي يقيمها الرجال ألعاباً رياضيّة، سوف يقاضي بشأن الأحصنة. لكن في الموسيقى سيكون هناك طاقم واحد من القضاة في الغناء المنفرد، وفي التقليد - أعني للرّواة المحترفين للقصائد الملحميّة، للاّعبين على القيثارة، للعازفين على الناي، وما شابههما من الآلات الموسيقية، سيكون هناك طاقم آخر من القضاة سيقاضي في الغناء الكورسي. وقبل كلّ شيء، يجب علينا أن نختار مرشدين لجوقات الصبيان الموسيقيّة، ولجوقات الرجال، ولجوقات العذارى اللواتي سيتبعنَ في تسلية الرقص، وفي تنظيماتنا الموسيقية الأخرى. سيكون مرشد واحد كافياً للكوارس الموسيقية، وينبغي أن يكون دون الأربعين. إنّ مرشد الكوارس الموسيقية ومديرها سيُنتخب بالطريقة التالية: الأشخاص الذين يهتمون بقضايا كهذه عليهم الذهاب إلى الاجتماعات بشكل عام، ويُغرّمون بالمال إذا لم يذهبوا. « إنّ حماة الناموس سيحكمون على أخطائهم »، لكنّ أولئك الذين لا يهتمّون بقضايا كهذه فلن يُجبروا على فعل ذلك. إنّ أيّ ناخب يمكنه أن يقترح شخصاً ما يفهم الموسيقى كمرشد، وبعد التدقيق يمكن أن يوقفه أولئك الذين يقولون إنّه لا يمتلك مهارة، وأولئك الذين يقولون إنه يمتلك مثل هذه المهارة في الجانب الآخر يمكنهم الدفاع عنه. يجب أن يتمّ انتخاب عشرة مرشدين بالتصويت، والذي يقع عليه الاختيار من العشرة المنتخبين يجب أن يجتاز امتحاناً دقيقاً، وأن يقود الكوارس الموسيقية لسنة طبقاً للناموس. وبطريقة مماثلة فإنّ المتنافس الذي يفوز بالأكثرية يكون قائد الرقص المنفرد للموسيقى المنظّمة ولمدّة سنة. والذي سيُنتخب هكذا سيوزّع الجوائز على القضاة. وفي المقام التالي، ينبغي علينا أن نختار القضاة في مباريات الأحصنة والرجال. وهؤلاء سيتمّ اختيارهم من طبقتي المواطنين الثالثة والثانية، وسيُجبر مواطنو الطبقات الثلاث

الأولى على الذهاب إلى الانتخاب، لكنّ أبناء الطبقات الأدنى يمكنهم البقاء بعيداً عنه والإفلات من العقاب. ويجب أن يوجد ثلاثة من العشرين الذين اختيروا سابقاً وأن يُنتخبوا بالأكثريّة، ويجب أن يكون لديهم أيضاً صوت المخبرين ومصادقتهم. لكن إذا رُفض أيّ شخص في الامتحان الدقيق عند أيّ اقتراع أو اتّخاذ قرار حاسم، فسيتمّ اختيار الآخرين بالطريقة عينها، ثم يتعرّضون لامتحان دقيق مماثل.

يبقى تعيين وزير تعليم الشباب، الذكور منهم والإناث. وهنا، يمكن للناموس أن يحتاط جيّداً من وجود وزير واحد كهذا، ويجب أن يكون عمره خمسين سنة، وأن يكون له أطفال شرعيون، من الذكور والإناث كليهما بالأفضليّة، ومهما تكن الظروف، بهذه الطريقة أو بطريقة أخرى. والذي يتمّ انتخابه، والذي يَنتخِب، يجب أن يعتبرا أنّ من بين كلّ المناصب في الدولة العظيمة فإنّ هذا المنصب أعظمها؛ لأن الانطلاقة الأولى لأيّة نبتة، وإذا ما بدأت جيّداً، فإنّ لها التأثير الأكبر في مساعدتها لتنال امتيازها الطبيعيّ التامّ النموّ. وما أقوله ليس حقيقياً عن النباتات فقط، بل عن الحيوانات المفترس منها والأليف، وعن الرجال أيضاً. إنّ الإنسان كما نقول، هو حيوان أليف، أو متحضّر على كلّ حال، فإنّه يحتاج لتعليم مناسب ولطبيعة محظوظة. حينئذ سيصبح الحيوان الأكثر إلهيّة والأكثر تحضّراً من بين كلّ الحيوانات(٢٧). لكنّه إذا كان تعليمه ناقصاً وسيئاً فهو المخلوق الأكثر فظاظة وهمجيّة من بين كلّ المخلوقات الأرضيّة. ومن أجل ذلك يجب على المشرّع أن لا يسمح لتعليم الأطفال أن يصبح قضيّة ثانوية أو عرضيّة. في المقام الأوّل، إن مَنْ سيكون بعيد النظر بشأنها وبشكل صحيح، يجب أن يعنى ويهتمّ أوّلاً بأن يُنتخب. الأفضل من المواطنين بكل طريقة. وهذا الذي سيقوم المشرّع بأقصى ما يمكنه القيام به كي يُنصّبه حارساً

ومراقباً ومفتّشاً. من أجل هذه الغاية، ينبغي على كلّ الهيئات القضائيّة، ما عدا أعضاء مجلس الشورى وال Prytanes، عليهم أن يذهبوا إلى معبد أبوللو، وأن ينتخبوا بالاقتراع الذي يعتقد حماة الناموس كلٌّ بمفرده منهم أنّه الأفضل في الإشراف على التعليم. ومَنْ يحصل على أكبر عدد من الأصوات، وبعد أن يجتاز امتحاناً دقيقاً على يدي كلّ الهيئة القضائيّة التي انتخبته، ما عدا حماة الناموس، بعد ذلك سوف يتسنّم منصبه لمدة خمس سنوات. وأمّا في السنة الخامسة فدع لشخص آخر مختار أن يحتلّ هذا المنصب وبطريقة مماثلة.

إذا توفّي أيّ شخص خلال تسنّمه منصباً عامّاً، وقبل انتهاء مدّة ولايته بأكثر من ثلاثين يوماً، فهؤلاء القيّمون على عمل كهذا عليهم أن ينتخبوا شخصاً آخر لملء هذا الفراغ بالطريقة المماثلة التي أشرنا إليها سابقاً. وإذا توفّي أحد الذين تعهّدوا بالائتمان على اليتامى، فعلى الأقارب من جانب الأب والأم كليهما، الذين يسكنون في البيت، بمن فيهم الأخوال والأعمام، عليهم أن يعيّنوا حارساً آخر لليتامى خلال عشرة أيّام، وإلاّ يُغرَّموا دراخما واحدة يومياً إذا أهملوا القيام بذلك.

إنّ المدينة التي ليس لديها محاكم عدل منتظمة تفقد صفة المدينة. ومرّة ثانية، إذا كان القاضي صامتاً ولا يتكلّم قطعاً في محاضر الجلسات التمهيديّة أكثر ممّا يفعل المتقاضون، كما هي الحالة في التحكيم، إذا كان كذلك فإنّه لن يقدر على أن يقرّر بعدل. ومن أجل ذلك فإنّ كثرة من القضاة لن تحكم جيّداً بسهولة، ولا يقدر القليلون منهم أن يفعلوا هذا إذا كانوا أشراراً. إنّ نقطة الخلاف الرئيسيّة بين الأطراف يجب أن تُطرح بجلاء، ولا نغالي إذا قلنا إنّ الزمن، والتروي، والفحص المتكرّر، تساهم كلّها في إيضاح الشكّ وإزالة الاشكالات بشكل كبير. لهذا السبب، على أولئك

الذين يلجؤون إلى القانون لحل مشاكلهم وخلافاتهم العالقة، عليهم وقبل كلّ شيء أن يذهبوا إلى أقاربهم وأصدقائهم الذين يعرفون المسائل المطروحة والخلافات العالقة بينهم. وإذا لم يكن المجادل قادراً على أن يحصل منهم على قرار مقنع، فعليه أن يلتمس العون من محكمة عدل أخرى، وإذا لم تستطع المحكمتان تسوية القضيّة، فعلى محكمة ثالثة أن تضع حدّاً للقضيّة.

وبعدُ فإنّ تأسيس محاكم العدل يمكن اعتبارها كاختيار للهيئات القضائيّة الحاكمة، لأنّ كلّ هيئة قضائيّة حاكمة يجب أن تكون قاضية عن أشياء ما. والقاضي، رغم أنّه ليس حاكماً، لكنّه في حالات محدّدة حاكم مهم جدّاً في اليوم الذي يفصل فيه بدعوى. معتبرين إذن أنّ القضاة هم كالحكّام أيضاً، دعنا نقول مَنْ هم المناسبون ليكونوا قضاة، وعن ماذا سيكونون قضاة، وكم قاضياً منهم سوف يقاضي في كلّ دعوى. دع ذلك يكون كرسيّ القضاء السامي الذي يعيّنه المتقاضون لأنفسهم بشكل مشترك، مختارين أشخاصاً محدّدين بالاتفاق. ولْيكنْ هناك كرسيان قضائيّان آخران أحدهما للدعاوى القضائيّة الخاصّة، وذلك عندما يتّهم مواطن مواطناً آخر بالتعدّي عليه ويرغب في الحصول على قرار بذلك؛ وأمّا الكرسي الآخر فللدعاوى العامّة التي يرى مواطن ما أنّ الجمهور قد كان عرضة للأذى من قِبَل فرد، ويشاء أن يحمي المصالح العامّة. ويجب علينا أن لا ننسى ذكر كيفيّة تأهيل القضاة، ومن يجب أن يكون هؤلاء القضاة. في المقام الأوّل، يجب أن يوجد كرسيّ قضائيّ مفتوح لكلّ الأشخاص الخاصّين الذين يحاولون أن يقاضي أحدهم الآخر للمرّة الثالثة، ويجب أن يتمّ تشكيل هذا على النحو التالي: سيتقابل كلّ الضبّاط في الدولة، كما يتقابل الضبّاط السنويون الذين يتسنّمون المنصب لمدّة أطول، وفي الشهر التالي بعد انقلاب الشمس الصيفيّ، وفي اليوم الأخير لكن لمرّة في السنة، سيتقابلون في هيكل ما،

ويدعون الله ليشهد عليهم، وسيخصّصون قاضياً من كلّ هيئة قضاة ليكون حصيلتهم الأولى. مختارين في كلّ منصب القاضي الذي يبدو لهم أنّه الأفضل، والذي يعتبرون أنه سيقرّر قضايا رفاقه المواطنين على الأرجح أثناء السنة التالية بالطريقة الأحسن والأقدس، إنّ أولئك الذين اجتازوا الفحص الدقيق سيحكمون على قضايا أولئك الذين تجنّبوا المحاكم القانونيّة الأقلّ شأناً، وسيدلون بأصواتهم بشكل علنيّ. أمّا المستشارون والهيئات القضائيّة الأخرى الذين انتخبوهم، فسيُطلب منهم أن يكونوا سامعي وشهود القضايا القضائيّة. وأيّ شخص آخر يمكنه أن يحضر إذا أحبّ ذلك. إذا ما اتُّهم إنسان إنساناً آخر بأنّه تعمّد إيقاع الأذى به، عليه أن يذهب إلى حماة القانون ويطرح التهمة أمامهم. والذي يُوجد مذنباً في هذه الحالة سوف يدفع العطل والضرر للفئة المتضرّرة مساوياً لنصف الأذى الذي أوقعه. لكنّه إذا ظهر أنّه يستحقّ عقاباً أكبر، فسيقرّر القضاة أيّ قصاص إضافيّ سيُنزل به، وكم ينبغي عليه أن يدفع أكثر إلى الخزينة العامّة، وإلى الفئة المدّعية.

ينبغي على الشعب أن يشارك في حكم التعديات ضدّ الدولة، إذ عندما يؤذي أيّ شخص الدولة فإنّ الكلّ يلحقهم الأذى، ويمكنهم أن يشتكوا بشكل عقلانيّ إذا لم يُسمح لهم بالمشاركة في الفصل والحكم. إنّ دعاوى قضائية كهذه يجب أن تبدأ مع الشعب وبه، والشعب يجب أن يكون له الحكم النهائيّ فيها أيضاً. لكنّ اختبارها ينبغي أن يأخذ مكانه أمام الهيئات القضائيّة الأعلى الثلاث، التي سيتّفق المدّعي والمدافع عندها. وإذا لم يستطيعوا التوصّل إلى اتّفاق بأنفسهم، فسيختار مجلس الشورى من أولئك الذين رشّحتهم كل فئة. وسيكون لدى الجميع حصّة في الدعاوى القضائيّة الخاصّة أيضاً وعلى قدر الإمكان؛ لأنّ من لا يمتلك حصّة في إدارة العدل يكون عرضة لتصوّر أنّه لا يمتلك حصة في الدولة على الإطلاق. ولهذا

السبب سوف توجد محكمة في كلّ قبيلة، وسيتمّ اختيار القضاة بالأكثرية، وسيعطي القضاة أحكامهم حالاً، ولن تؤثّر عليهم التوسّلات والاستعطافات. وسيُترك الحكم النهائيّ لتلك المحكمة، التي، كما نؤكّد، قد أُسّست بالشكل الأكثر لا قابليةً للفساد والذي تقبل به الأشياء الإنسانية. ستكون هذه المحكمة محكمةً مؤسّسة لغير القادرين على أن يتخلّصوا من دعاواهم القانونيّة لا في المحاكم الخاصّة بالجيران ولا الخاصّة بالقبائل.

سنتكلّم عن محاكم القانون إلى هذا الحدّ، والتي، كما قلت، لا يمكن تعريفها بدقّة: هل هي مناصب أم لا. إنّ رسماً مجمّلاً ظاهرياً قد تمّ إعطاؤه عنها، ولقد قيل فيه بعض الأشياء وأُسقط بعضها الآخر. إنّ المكان الصحيح للتصريح الدقيق عن القوانين فيها يتعلّق بالدعاوى، تحت مواضيعها المحدّدة. إنّ هذا المكان الصحيح سيكون عند نهاية الهيئة القضائيّة. دعنا نتوقّعه عند النهاية إذن، لكن الآن فالتنظيمات الكاملة لتعيين الرسميين الآخرين قد تمّ إعطاؤها بعدل. ولا يمكن نيل وحدة تامّة ودقيقة بالكمال، ممتدّة إلى الكل وعن كلّ إدارة مفردة من الإدارات السياسيّة، لا يمكن نيل ذلك إلاّ بوجوب أن يكون لدى المحادثة بداية ووسط، ونهاية، وتكون محادثة كاملة في كلّ أجزائها. لكنّنا وصلنا في الوقت الحاضر إلى انتخاب القضاة، ويمكن أن يُعتبر هذا كأنّه نتيجة كافية لِمَا تقدّم. وبعدُ لا حاجة بعد اليوم لحصول أيّ تأخير أو تردّد في بدء عمل المشرّع.

كلينياس: إنّني أحبّ الذي قلته، أيّها الغريب، وأحبّ بشكل خاصّ أسلوبك في طريقة عمل البداية لبحثك الجديدة، وفي طريقة نهاية بحثك السابق.

الأثيني: إنّ التسلية العقليّة للرجال المسنّين قد سلكت السبيل المتوقّع إلى هذا الحدّ جيّداً إذن.

كلينياس: أفترض أنّك تعني تعقّبهم الجيّد والنبيل؟

الأثيني: لربّما، لكنّني أحبّ أن أعرف إذا ما كنا أنت وأنا قد اتّفقنا على شيء محدَّد؟

كلينياس: أيّ شيء محدَّد؟

الأثيني: تعرف أنت العمل الشاقّ اللامتناهي الذي ينفقه الرسّامون اليدويون على رسم صورهم ـ هم يضيفون الألوان دائماً أو يزيلونها ومهما يكن الاصطلاح الذي يستخدمه الرسامون، يبدون وكأنهم لن ينقطعوا عن تنقيح أعمالهم قطّ، لكي يتمّ جعلها أكثر إشراقاً وأكثر جمالاً على الدوام.

كلينياس: أعرف شيئاً ما عن هذه القضايا من تقريرٍ يشرح ذلك، رغم أنّه لم يكن لديَّ أيّ اطّلاعٍ على الفنّ.

الأثيني: لا بأس، يمكننا أن نستخدم الإيضاح على الرغم من ذلك: إفترض أنّ شخصاً ما نوى أن يرسم شخصاً باليد بالطريقة الأجمل، على أمل أن يتحسّن عمله مع مرور الزمن بدلاً من أن يُضيّع وقته سدىً، ألا ترى أنّ كونه إنساناً فانياً، وما لم يخلّف شخصاً ما ليصحّح الأخطاء والعيوب التي سيدخلها عليها الزمن، وما لم يكن قادراً على سدّ النقص الذي تركه الفنّان فيه وهذا سيحسّن الصورة ويجعلها صورة مشرقة، أقول، إذا لم يوجد شخص كهذا فإنّ كلّ كدحه لن يدوم إلاّ وقتاً قصيراً.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: أوَليس هدف المشرّع مشابهاً؟ إنّه يرغب أن تكون قوانينه مكتوبة بكلّ الدقّة الممكنة بادىء ذي بدء؛ في المقام الثاني، ومع مرور الزمن اختبر أحكامه القضائية جيّداً، أولن يجد فيها حذفاً وإسقاطاً؟ هل تتصوّر أنّه قد وُجد مشرّع أحمق كهذا لا يعرف أنّ أشياء عديدة كان إسقاطها ضرورياً، ويجب أن يصححها شخص ما جاء بعده، هذا إذا لم يفسد دستور ونظام الحكومة، بل يتحسّنان في الدولة التي أسّسها.

كلينياس: بالتأكيد، إنّ هذا النوع هو الشيء الذي سيرغبه كلّ شخص.

الأثيني: وإذا اقتنى أيّ شخص أيّة وسائل لإنجاز هذا بالكلمة والفعل، أو كانت لديه أيّة طريقة كبيرة أو صغيرة، التي يمكنه بواسطتها أن يعلّم شخصاً ليفهم كيف يمكنه أن يُبقي على القوانين ويعدّلها، فما يجب عليه إلاّ أن ينهي الذي يقوله، وأن لا يترك عمله بدون إنجاز.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: أوَليس هذا ما يجب أن تفعله أنت وأنا في اللّحظة الحاضرة؟

كلينياس: ما الذي ينبغي علينا أن نفعله؟

الأثيني: بما أنّنا على وشك أن نسنّ النواميس، وبما أنّنا اخترنا حماتنا ليحرسوها، وأن حياتنا توشك على المغيب، وهم كما قارنّاهم بنا رجال شبّان، لهذا كلّه، ينبغي علينا أن لا نشرّع لهم فقط، بل أن نكافح لكيلا نجعلهم حماة للناموس بل مشرّعين، بقدر ما يكون هذا ممكناً.

كلينياس: بالتأكيد، إذا استطعنا فعل ذلك.

الأثيني: ينبغي علينا أن نفعل أفضل ما نستطيع، على كلّ حال.

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: سنقول لهم: أوه أيّها الأصدقاء والمنقذون لقوانينكم، هناك عدة خصوصيات سنسقطها في سَنّكم لأيّ قانون، وهذا لا يمكن الحؤول دونه في الوقت عينه، إنّنا سنفعل أقصى ما نقدر عليه لنصف ما هو مهم، وسنعطي مخطّطاً تمهيديّاً سوف تملأه أنت. سوف أشرح المبدأ الذي ستباشر العمل على أساسه. إنّ ميغيلوس وكلينياس وأنا تكلّمنا بعضنا مع بعض متناولين هذه القضايا، ونحن نرى أنّ ما تكلّمناه جيّد، ونأمل أنّكما ستفكّران مثلنا، وأن تصبحا رفيقين لنا ومُرِيْدَيْنْ، وأن تحتفظا في فكركما بالأشياء التي يجب على المشرّع وحامي الناموس أن يحتفظا بها في فكريهما

وكذلك في رأينا الموحّد. وهناك نقطة رئيسيّة واحدة اتّفقنا بشأنها، وهي أنّ قوى الإنسان كلّها، خلال حياته، يجب أن يكرّمها في اكتساب الفضيلة المناسبة للإنسان، سواء إذا كانت هذه الفضيلة تُكتَسبُ بالدرس، أو العادة، أو بأسلوب ما من أساليب الاكتساب، أو الرغبة، أو الرأي، أو المعرفة ـ وينطبق هذا على الرجال والنساء بشكل عامّ، الكبار منهم والفتيان. إنّ هدف الكلّ يجب أن يكون كما وصفت، وأيّ شيء يعيق ينبغي على الإنسان الخيّر أن يتجاهله بشكل كليّ. وإذا أجبرته الضرورة أخيراً بشكل واضح على أن يكون طريد العدالة وخارج أرض بلاده، بدلاً من أن يحني رقبته لنير العبودية، وأن يَحكمه الأدنى منه شأناً، واضطرّ للهرب، عليه أن يختار النفي ويقاسي كلّ هذه التجارب، بدلاً من أن يقبل شكلاً آخر من أشكال الحكومات يجعل الرجال رجالاً أسوأ على الأرجح. إنّ هذه المبادىء هي مبادىء أساسيّة لنا. عليك أن تعرف كيف تثني على القوانين وتنتقدها مركّزاً عينيك على المقياس الذي ينبغي على الإنسان والمواطن أن يكونه أو لا يكونه ـ تلوم تلك القوانين التي ليست لديها السلطة لجعل المواطن مواطناً أفضل، لكنك تقبل الأخرى التي تملك تلك السلطة؛ وتتلقّاها بترحاب وبهجة وتحيا معها، مودّعاً الدساتير والنواميس والمجتمعات الأخرى التي تهدف إلى الخيرات، كما تسمّى، خيرات من نوع آخر.

دعنا نتقدّم إلى نوع آخر من أنواع النواميس، مبتدئين بأساسها في الدين. وينبغي علينا أن نعود إلى العدد ٥٠٤٠ (5040) بادىء ذي بدء ـ إنّ العدد هذا كلّه قَبِل ويقبَل العديد من التقسيمات المناسبة، وهكذا فإنّ لديه عدد القبائل التي آفترِض أنّها الجزء الإثنا عشري من المجموع، كون هذا العدد مُصاغاً بشكل صحيح من ٢١×٢٠ (20x21) ولا يقبل العدد كلّه القسمة بالعدد اثني عشر، بل إنّ عدد كلّ قبيلة يُقسم به. وبعدُ فإنّ كلّ قسم

يجب أن نعتبره هديّة مقدّسة من السماء، مماثلاً للشهور ودورة الكون(٢٨).
إنّ كلّ مدينة لديها مبدأ هاد ومقدس منحتها إياه الطبيعة، لكن في بعضها كانت القسمة وكان التوزيع أكثر صحّة ممّا هما في المدن الأخرى، وكانا أكثر قداسة وأوفر حظاً سعيداً. وفي رأينا، لا شيء يمكن أن يكون أكثر صحّة من اختيار العدد ٥٠٤٠ (5040)، الذي يمكن أن يُقسّم بكلّ الأعداد من الواحد إلى الاثني العشر باستثناءِ العدد أحد عشر، وذلك يقبل بتصحيح سهل جداً؛ لأنّنا إذا تحوّلنا إلى العدد المقسوم « ٥٠٤٠ » (5040) فإنّنا نقتطع عائلتين اثنتين، ويُعالج الخلل في القسمة بذلك. ويمكن أن يتمّ البرهان على صحّة هذا عندما يكون لدينا وقت فراغ. لكن في الوقت الحاضر، ولثقتنا بالتأكيد المجرّد لهذا المبدأ، دعنا نقسّم الدولة، ونخصّص لكلّ جزء منها إلٰهاً ما أو ابن إله. واسمح لنا أن نعطيها مذابح وحقوقاً دينيّة مقدسة، ودعنا نعقد اجتماعات عند المذابح للتضحية مرّتين في الشهر: اثني عشر إجتماعاً للقبائل، واثني عشر إجتماعاً للمدينة، طبقاً لتقسيماتها. سيكون الأوّل لتكريم الآلهة والآشياء الإلهيّة، والثاني لتعزيز الصداقة « والمعرفة الشخصية الأفضل »، كما هي الطريقة في التعبير. وسنشجّع كلّ نوع من أنواع الألفة بعضهم مع البعض الآخر. يجب على الشعب إن يطّلع على أولئك الذين تتكوّن العائلات منهم والذين يشتركون معاً في قضايا الزواج والمصاهرة؛ وينبغي على الإنسان أن يعتبر قضايا كهذه مهمّة تماماً، كي يتفادى الوقوع في الخطأ وعلى قدر الإمكان. ومن أجل هذا الغرض الجديّ يجب أن تقام الألعاب التي سيشترك فيها الشباب والعذارى بالرقص معاً، وأن يشاهد بعضهم بعضاً وكذل أن يُشاهَدوا عُراة، وذلك بقدر ما تسمح به الحشمة والحياء على كلا الجانبين، في السنّ المناسبة، وعند الفرصة المناسبة.

إنّ قادة الجوقات الموسيقيّة سيكونون المشرفين على هذه الألعاب والمنظّمين

لها، وسوف يشرّعون هم وحماة الناموس في القضايا التي أسقطناها، لأنّنا، كما قلنا، حيث توجد تفصيلات متعدّدة ودقيقة، فإنّ المشرّع ينبغي أن يُسقط شيئاً ما. ويجب على الضبّاط السنويّين المتعاقبين، وكما تبيّن لهم الخبرة ما المراد وما الرغبة، يجب عليهم أن يُوجدوا ترتيبات وتحسينات سنةً بسنة، إلى أن يتمّ الشعور والإحساس بأن عادات كهذه قد تمّ إقرارها بشكلٍ كافٍ. إنّ عشر سنوات من خبرات التضحية والرقص، إذا ما امتدت لكلّ النقاط فستكون كافية تماماً، وإذا ما كان المشرّع حيّاً فسيتّصلون به؛ وإذا كان متوفّىً فإنّ الضباط المتعدّدين سيحيلون الإسقاطات التي تصل لمراقبتهم، إلى حماة الناموس. وعليهم أن يصحّحوها لتصبح كلّها كاملة، وبعد ذلك لن يطرأ عليها تغيير أكثر. وسوف يركّزون اهتمامهم ويستخدمون النواميس الجديدة مع الآخرين، تلك النواميس التي أعطاها لهم المشرّع بشكل أصليّ، ولا ينبغي أن يغيّروها إذا استطاعوا، بأيّة حال. أو إذا فاجأتهم الضرورة، فيجب أن تُستدعى الهيئات القضائيّة للتشاور، وكذلك الشعب كلّه، وينبغي أن يذهبوا إلى كهنة الآلهة كلّهم. وإذا اتّفقوا جميعهم، يمكنهم أن يغيّروا في تلك الحالة. لكن إذا لم يتّفقوا على أيّة طريقة من طرق الاتفاق، فسيسود الشخص الذي يعارض، كما يقضي الناموس.

متى تصوّر أيّ شخص تعدّى سنّ الخامسة والعشرين، أو متى تصوّره الآخرون، واعتقد نفسه أنّه وجد رابطة زواج قريبة من تفكيره، ومناسبة لإنجاب الأطفال، فعليه بالزواج إذا كان لا يزال دون الخامسة والثلاثين. لكن عليه بادىء ذي بدء أن يسمع كيف ينبغي عليه أن يَجِدَّ في طلب المناسب والملائم، إذ كما يقول كلينياس، يجب على كلّ قانون أن يكون له استهلالٌ مناسب.

كلينياس: إنّك تتذكر في اللّحظة الصحيحة، أيّها الغريب، ولا تفوّت الفرصة التي تقدّمها المحاورة بقول الكلمة في موضعها.

الأثيني: أشكرك على ما تقول، ونحن سنقول لمن يولد من أبوين صالحين، أوه يا ولدي، عليك أن تقوم بزواج كهذا متى وافق العقلاء عليه. والآن فهم ينصحونك بأن تتفادى الزواج الحقير الفقير، وبألاّ ترغب في الزواج الغنيّ بشكل خاصّ؛ لكن إذا كانت الأشياء الأخرى متساوية، فهم ينصحونك بأن تكرّم الأقلّ شأناً على الدوام، وأن تقيم علاقات وروابط معهم. وهذا الشيء من أجل منفعة المدينة والعائلات المتّحدة؛ لأنّ المستوي والمتناسق يميلان إلى الفضيلة بشكل لا محدود أكثر ممّا يميلان إلى الخالص الصّرف. والذي يُدرَك لكونه عنيداً جدّاً، ويُنقل بعيداً عن العقل في كلّ أعماله أكثر ممّا يكون مناسباً، يلزمه أن يرغب في صحبة قريب الآباء المنظمين ونسيبهم، والذي يكون من المزاج المضادّ يجب أن يبحث عن الزواج والمصاهرة المضادّة. هناك كلمة واحدة تختصّ بكلّ القرانات: كلّ شخص سوف يتبع، ليس أثر الزواج الأكثر مسرّة لنفسه، بل أثر ذلك الزواج الأكثر فائدة للدولة، لأنّ كلّ شخص يميل بالطبيعة إلى الأشبه به، بطريقة أو بأخرى، وفي هذه الطريقة تصبح المدينة كلّها غير متساوية في الملكيّة وفي النزعة والتصرّف. ومن ثمّ تنشأ في أكثريّة الدول النتائج التي نرغب حدوثها في الشكل الأقلّ تحديداً. وبعدُ، فلكي نضيف تدبيراً احتياطيّاً واضحاً إلى الناموس، وهو أنّه لا ينبغي أن يتزوّج الإنسان القويّ بُنيّةً من العائلة القويّة بنيةً، ولا أن يتزوج الغني من عائلة غنيّة فقط، بل نقول إنّ الإنسان ذا الطبائع الأبطأ سوف يُجبر على أن يعقد قرانه على الفتاة الأسرع، والإنسان الأسرع على الفتاة الأبطأ. إذا قلنا ذلك، فيمكن للقول هذا أن يثير الغضب، كما أنه يبعث على الهزء والسخرية في عقول العديدين، لأن هناك صعوبة في إدراك أنّ المدينة يجب أن تمتزج معاً تماماً مثلما يمتزج النبيذ في الفنجان، ذلك النبيذ الذي يكون مجنوناً وحارّاً ومتّقداً، لكنّه عندما يُطهِّره إله أكثر عقلاً ورصانة، فإنّه يتلقى

رفيقاً عادلاً ويصبح شراباً ممتازاً ومعتدلاً[٢٩]. ومع ذلك ففي ولادة الأطفال لا يقدر أحد على أن يرى أنّ النتيجة عينها تحدث. ومن أجل هذا يجب علينا أن نحاول أيضاً، ليس ضبط مسائل كهذه بالقانون، بل فتنة نفوس الرجال في الاعتقاد أنّ استواء نزعة ومزاج أطفالهم هي أكثر أهميّة من المساواة في الخطّ المفرط عندما يتزوّجون هم. والذي يرغب في زواج هدفه الغنى، ينبغي علينا أن نسعى لحمله على تغيير رغبته بالتأنيب والتوبيخ، وليس بأيّ عمل قسريّ يمليه ناموس مكتوب، على كلّ حال.

إن ما قلناه هو ما ننصح به ونحضّ عليه فيما يخصّ الزواج. ولنتذّكر ما قلناه سابقاً وهو أنّ الإنسان عليه أن يتمسّك بالخلود، وأن يخلّف أحفاده ليكونوا خدم الآلهة مكانه إلى الأبد. كلّ هذا القول وأكثر منه يمكن إيراده بحقّ، بطريقة الاستهلال وبشأن واجبات الزواج. لكن إذا لم يستمع إنسان لِمَا نقول، وبقي غير اجتماعي وغريباً بين رفاقه المواطنين، وبلغ الخامسة والثلاثين دون أن يتزوّج، فدعه يدفع غرامة سنويّة. ابن الطبقة الأعلى سيدفع مئة دراخما غرامة، وابن الطبقة الثانية سيدفع خمساً وسبعين دراخما غرامة، وابن الطبقة الثالثة ستّين دراخما غرامة، وابن الطبقة الرابعة سيدفع أربعين دراخما غرامة. والمال هذا يجب أن يُكرَّس للإلهة هيرا. وأمّا الذي يدفع غرامة سنويّة فسوف يكون مَدِيناً بعشرة أضعاف القيمة التي سيحدِّدها أمين صندوق الآلهة. وإذا أخفق في عمل ذلك، فسيكون مسؤولاً وسيقدِّم حساباً عن المال في بيان نهائيّ كنتيجة لهذا. وأمّا الذي يرفض الزواج فلسوف يُعاقب بدفع المال كما أشرنا، وسيُجرَّد من كلّ التكريمات التي يؤدّيها الفتيان للمسنين. ويجب ألاّ يطيعه أحد من الشباب الفتيان إختيارياً، وإذا ما حاول أن يعاقب أيّ شخص، فعلى كلّ شخص أن يأتي للإنقاذ وأن يدافع عن الشخص الذي تعرّض للأذى. وأمّا مَن يكون حاضراً ولا يأتي إلى الإنقاذ، فسيعلنه القانون جباناً ومواطناً سيّئاً.

لقد تكلّمت عن قسمة الزواج سابقاً؛ وأقول مرّة ثانية عن تعليم الرجال الفقراء، وهو أنّ من لا يعطي منهم في الزواج ولا يتلقّى مَهراً بسبب الفاقة، يجب أن يمتلك تعويضاً؛ لأنّ مواطني دولتنا مجهّزون بضرورات الحياة، وستكون الزوجات أقلّ عرضة ليكنّ وقحات على الأرجح، أو أن يكون الأزواج بخلاء معهنّ وخانعين لهنّ بسبب الفاقة. والذي يطيع الناموس سوف يقوم بعمل نبيل؛ لكنّ الذي يعصيه، ويعطي أو يأخذ أكثر من خمسين دراخما كثمن لثياب الزواج إذا ما كان هو من الطبقة الأدنى، أو إذا كان الثمن أكثر من مينا، أو مينا ونصف إذا كان هو من الطبقتين الثانية والثالثة، أو مينيين اثنتين إذا كان هو من الطبقة الأعلى، إذا فعل ذلك فسيكون مَديْناً للخزينة العامّة بمبلغ مشابه، وسيُكرّس ذلك الذي يُعطى ويؤخذ لهيرا وزيوس، وأمناء خزائن هؤلاء الآلهة هم الذين يحدِّدون قيمة المال. وكما قيل سابقاً بشأن العازبين، وهو أنّ أمناء خزينة هيرا هم الذين يحدّدون قيمة المال الذي سيُدفع، وإلاّ دفعوا الغرامة.

إنّ الخطوبة بواسطة الأب هي خطوبة شرعية بالدرجة الأولى، وأمّا الخطوبة بواسطة الجدّ فتأتي في الدرجة الثانية، وفي الدرجة الثالثة الخطوبة التي تتم بواسطة الأخوة الذين هم من الأب نفسه وهي خطوبة شرعية كذلك. لكن إذا لم يكن أحد من هؤلاء حيّاً، فسوف تكون الخطوبة بواسطة الأمّ شرعية بطريقة مماثلة. أمّا في الحالات التي لم يسبق بمثلها كشيء مقدَّر أو محتوم، فإنّ النسيب الأقرب والحماة ستكون لهم السلطة بعقد مثل هذه الخطوبة. ولنسأل ما هي الحقوق المقدّسة قبل القرانات، ما هي الأعمال المقدَّسة المتعلّقة إمّا بالمستقبل، أو بالحاضر، أو بماضي القرانات. إنّ كلّ هذه الأعمال ستُحال إلى المؤوّلين، والذي يتبع نصيحتهم يمكن أن يكون قانعاً. وبما أنّهم سيماسون ويشرفون على إحتفال الزواج، فإنّ أصدقاء كلا العائلتين لن تكون

مجموعتهم أكثر من خمسة ذكور وخمس إناث، وكذلك سيحضر عدد مماثل من أعضاء العائلة لكلا الجنسين، ولن ينفق أيّ إنسان في هذا الاحتفال أكثر ممّا تساعده موارده الماليّة. وسليل الطبقة الأغنى يمكنه أن ينفق مينا واحدة، وسليل الطبقة الثانية سينفق نصف مينا، وينفق في النسبة عينها كما يزيد لكلّ إحصاء رسميّ لهم. إنّ كلّ الرجال سيثنون على من يطيع الناموس؛ لكنّ الذي يعصيه سيعاقبه حماة الناموس كأنّه إنسان يفتقر للذّوق الحقيقيّ، ولم يُثقّف بنواميس أغنية الزفاف. إنّ السّكْر غير مناسب على الدوام، إلاّ أثناء احتفالات الإله الذي أعطى النبيذ، والثَّمَل خطر بشكل خاصّ عندما يكون الإنسان منهمكاً في مهمّة الزواج. ففي هذه المرحلة من حياتهما يجب على العريس والعروس أن يُسخّرا كلّ مقدرتهما العقلية بشأنها. ينبغي عليهما أن يأخذا العناية القصوى لكي تكون ذريتهما معقولة. إذ مَنْ يستطيع تخمين أيّ يوم أو أيّة ليلة سوف تهبهما السماء تكاثراً بالتوالد؟ بالإضافة إلى ذلك يلزمهما أن لا ينجبا أطفالاً عندما تكون أجسامهما مشبعةً بالشَّرَاب ومنهارة بالسّكر، بل يجب أن تكون ذريتهما متضامّةً وصلبة، هادئة ومركَّبة بشكل مناسب. في حين أنّ السكِّير يكون منحرفاً عن السبيل الصحيح كليّاً في كلّ أعماله، ويخرج عن طوره في الجسم والروح كليهما. لهذا السبب أيضاً فالرجل السكِّير هو رجل سيّىء وغير ثابت في زرع بذرة التكاثر بالتوالد، ويكون عرضة لأن ينجب ذريّة غير متوازنة وغير جديرة بالثقة على الأرجح، ويُتوقّع ألاّ تسير سيراً مستقيماً لا في الجسم ولا في الفكر. ومن ثمّ فإنّ الإنسان أثناء السنة كلّها وخلال حياته بمجملها، وخاصّة عند إنجابه الأطفال، عليه أن يحاذر وأن لا يفعل عمداً ما يؤذي صحّته، أو ما يشتمل على الغطرسة والخطأ؛ لأنّه لا يقدر أن يحمي الانطباع الذي يحدثه على أرواح وأجسام ذريّته، ولئلاّ ينجب أطفالاً

وضيعي الشأن في كلّ طريقة. ينبغي على الإنسان أن يمتنع كليّاً عن ارتكاب أشياء كهذه خاصّة في يوم وليلة الزواج؛ لأنّ البداية، التي هي إله قاطن في إنسان أيضاً، تقي كلّ الأشياء، إذا اتّحدت مع الاحترام المناسب لها في كلّ فرد. والذي يتزوّج عليه أن يعتبر ما هو أبعد شأناً من ذلك، وهو أنّ بيتاً واحداً من كلّ بيتين في قطعة الأرض المحدَّدة هو المأوى وموطن النشوء الأخلاقيّ والفكريّ لفتيانه وفتياته. وأنه هناك ينبغي عليه أن يتزوّج وينشىء بيتاً لنفسه ويربّي أطفاله، تاركاً والديه. وفي الصداقة يجب أن تكون هناك درجة ما من الغربة، كي تتماسك وتتوثّق الفوارق الأخلاقيّة معاً؛ لكنّ الاتصال المفرط الذي لا يترك مكاناً للرغبة التي تلي الانفصال، يقضي على الصداقات نتيجة الشعور بالشبع التامّ. ومن أجل ذلك فإنّ إنساناً وزوجته سيتركان لأبويهما مكان سكنهما الخاصّ بهما، ويزورانهما ويستقبلانهما، وسوف ينجبان ويربّيان الأطفال، ويسلّمان مشعل الحياة من جيل إلى الجيل الآخر، ويعبدان الآلهة طبقاً للناموس إلى الأبد.

في المقام التالي، علينا أن نرى أيّ أنواع الملكية هو الأكثر ملاءَمة. لا صعوبة في فهم أو في اكتساب أنواع الملكية الكثيرة، لكن هناك صعوبة كبيرة في الأشياء المتعلّقة بالعبيد. والسبب الذي من أجله نتكلّم عنهم بطريقة محقّة وبطريقة غير محقة، هو أنّ ما نقوله بشأن عبيدنا يكون متساوقاً وغير متساوق مع خبرتنا العمليّة عنهم.

ميغيلوس: إنّني لا أفهم ما تعني، أيّها الغريب.

الأثيني: لا يدهشني ذلك، يا ميغيلوس، لأنّ دولة الهيلوطيّين بين اللاقيدايمونيين هي الشكل الأكثر إثارة للجدل والنقاش للعبوديّة من بين أشكال الدول الهيلينية كلّها، وهذا الشكل من أشكال العبودية موجود بين الهيراقلوطيين الذين استعبدوا الميرياندنيين، وهم على وشك أن يفعلوا ذلك بالتساليين البانستايين.

عندما نراقب هذه الأمثلة وأمثلة غيرها مشابهة بعناية، فما الذي علينا عمله في ما يخصّ الملكيّة للعبيد؟ لقد دوّنت ملاحظة، بالمناسبة، تلك الملاحظة التي أثارت سؤالك بشأن ما أعنيه. الملاحظة هي كالتالي: نحن نعرف أنّ الجميع يتّفقون على أنه ينبغي علينا أن نمتلك العبيد الأفضل والأكثر ملازمة لنا الذين نستطيع الحصول عليهم. العديد من الرجال وجدوا عبيدهم أفضل من الأخوة أو من الأبناء في كلّ طريقة، وهؤلاء العبيد أنقذوا الأرواح أو الممتلكات التي تخصّ أسيادهم وتخصّ بيتهم كلّه بكلّ طريقة ممكنة، وهذه قصص معروفة جيّداً.

ميغيلوس: لتكن متأكداً.

الأثيني: لكن ألا يجب علينا أن نقول أيضاً إنّ روح العبد فاسدة بالمطلق، وإنّ الإنسان المدرك لا ينبغي له أن يثق بالعبيد؟ وإنّ أعقل شعرائنا، يقول عندما يتكلّم عن زيوس: « إنّ زيوس البعيد النظر حرم الرجال الذين أخضعهم يوم العبودية نصف الفهم ». هناك أشخاص مختلفون وضعوا هاتين الفكرتين المتباينتين عن العبيد في ذهنهم - بعضهم لا يثقون بخدمهم بشكل مطلق، وكما لو كانوا بهائم ضارية، فهم يضربونهم بالسّياط وينخسونهم بالمهماز، ويضاعفون عبوديّة أرواحهم ثلاث ورُباع عمّا كانت عليه سابقاً. وأمّا الآخرون فيفعلون عكس ذلك.

ميغيلوس: صدقاً.

كلينياس: إذن ماذا سنفعل نحن في بلادنا الخاصّة، أيّها الغريب، في ما يتعلّق بحقّ امتلاك العبيد ومعاقبتهم، مع أخذ هذه الفروقات في معاملتهم بعين الاعتبار؟

الأثيني: حسناً، يا كلينياس، لا شك أنّ الإنسان حيوان مزعج، ولهذا السبب فهو ليس سهل القيادة تحديداً، وعلى الأرجح لن يصبح كذلك. عندما تحاول أن تضع موضع الاستعمال الضروريّ لتقسيم العبيد، الرجال الأحرار والأسياد،

فإنّ ذلك لشيء واضح. وهذا نموذج عسير من نماذج الأخيار، كما تبيَّن غالباً بثورات الميسينيين المتتالية، وكذلك الاضطرابات العظيمة التي حدثت في الدول التي لديها الكثير من العبيد الذين يتكلّمون اللغة عينها، والسرقات العديدة والحياة المخالفة للناموس للبانديت الإيطاليين، كما يُسمّون، إنّ الذي يتأمّل ملياً كلّ هذا يتحيَّر بشكل عام. هناك علاجان فقط، ـ إمّا أن لا يكون لدينا عبيد من بلاد واحدة، أو إذا أمكن، أن يكونوا ممّن يتكلّم اللّغة عينها(٣٠). ففي هذه الطريقة سوف يخضعون بشكل أكثر سهولة. ثانياً، ينبغي علينا أن نُعنى بهم باهتمام أكثر، ليس اعتباراً لهم فقط، بل احتراماً لأنفسنا بشكل أكثر مع ذلك. وأمّا المعاملة الصحيحة للعبيد فهي أن تتصّرف تصرّفاً لائقاً معهم، وأن تعاملهم، إذا امكن، بعدل أكثر حتى من المعاملة التي تعامل بها الذين يتساوون معنا، لأنّ الذي يبجل العدل بالشكل الطبيعي والأصيل والصادق، ويكره الظلم، يُكتَشَفُ من خلال تعامله مع أيّة طبقة من طبقات الرجال الذين يستطيع أن يظلمهم بكلّ سهولة. والذي لم يدنّسه ويشوّهه العقوق والظلم فيما يتعّلق بطبائع وأعمال عبيده، سوف يزرع بذور الفضيلة فيهم بالشكل الأفضل؛ ويمكن أن يقال هذا بصدق عن كلّ حاكم ومولى، وعن كلّ طاغية، وعن كلّ شخص آخر لديه سلطة في ما يتعلّق بالأدنى منه شأناً. ينبغي أن يُعاقب العبيد كما يستحقّون، ويجب ألاّ يُحثُّوا على أداء واجبهم كما لو أنّهم رجال أحرار، وستجعلهم المعاملة الثانية معجبين بأنفسهم فقط. إنّ اللهجة المستخدمة مع الخادم يجب أن تكون لهجة آمرة(٣١)، وينبغي علينا أن لا نمزح معهم، سواء أكانوا ذكوراً أو إناثاً ـ إنّ هذه الطريقة المزاحية طريقة غبيّة يمتلكها الكثيرون لرفع معنويّات عبيدهم، ولجعل حياة العبوديّة أكثر قبولاً بهم وبحكامهم ومواليهم.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: والآن فإنّ كلّ مواطن يكون مجهَّزاً بعدد مناسب من العبيد الذين يستطيعون أن يساعدوه في ما يجب عليه القيام به، وذلك قدر الإمكان، ويمكننا أن نتقدّم تالياً لنصف أماكن سكنهم.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: ما دامت المدينة جديدة وغير مسكونة حتى الآن، فيجب أن تؤخذ العناية بكلّ الأبنية، وبأسلوب تشييد كلّ منها، وكذلك بالهياكل والأسوار أيضاً. هذه القضايا، يا كلينياس، هي القضايا التي وقعت قبل القرانات بشكل مناسب. لكن بما أنّنا نتحدّث الآن، فليس هناك معارضة لتغيير الوضع، إذا ما كان لمخطَّط مشرّعنا أن يدخل حيّز التنفيذ. على كلّ حال، إنّ البيت سوف يسبق الزواج في الحدوث إذا شاء الله ذلك، وبعد هذا سنصل إلى التنظيمات بشأن الزواج؛ لكن في الوقت الحاضر فإنّنا نصف هذه القضايا في مخطّط تمهيديّ بشكل عامّ.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: يجب أن تُبنى الهياكل كلّها حول الساحة العامّة، وأن تُشاد المدينة بمجملها على التلال بشكل دائريّ لأغراض الدفاع ومن أجل النقاء. أمّا قرب الهياكل فينبغي أن تشاد أبنية الهيئات القضائيّة الحاكمة ومحاكم الناموس، وسيتلقى المدَّعى عليه والمدَّعي ما يستحق أداؤه، وستعتبر هذه الأمكنة كأنّها الأمكنة الأكثر قداسة، من ناحية لأنّها تؤدّي أشياء مقدَّسة، ومن ناحية أخرى لأنّها أماكن سكن الآلهة المقدّسة أيضاً. وسيتمّ فيها عقد جلسات الحكم، التي يمكن أن يُبتّ فيها بشأن حالات القتل والمحاكمات الأخرى للتعدّيات الخطيرة جدّاً. أمّا في ما يتعلّق بالأسوار، يا ميغيلوس، فإنّني أتّفق مع اسبارطة في التفكير على أنّه ينبغي السماح لها أن ترقد تحت الأرض ولا ينبغي علينا أن نخرجها من قبرها هذا. هناك قول شعريّ، عبّر

عمّا يريده قائله بشكل جيّد، وهو « أنّ الأسوار ينبغي أن تكون من البرونز والحديد وليس من التراب ». بجانب ذلك إنّه لشيء مضحك أن نرسل شباننا سنويّاً إلى الريف لحفر الخنادق وإقامة التحصينات وإبعاد الأعداء بإقامة القلاع ووسائل الدفاع، بحجّة أنّه غير مسموح لهم أن تطأ أقدامهم أرضنا، وحينئذ، يجب أن نبني حولنا الأسوار التي لا تُفضي إلى صحّة أبناء المدن، في المقام الأوّل ومهما كلّف الأمر؛ وتكون عرضة أيضاً لإنتاج تخنّث محدّد في عقول وأفكار السكان وفيها تشجيع للرجال على الركض إلى هناك للاختباء بدلاً من طرد أعدائهم خارجاً. وفيها تصوّر للناس أنّ أمنهم لا ينشأ من بقائهم يقظين ليل نهار، بل إنّ أمنهم وسلامتهم يتمّان بواسطة بناء الأسوار والبوّابات المنيعة. وحينئذ يمكنهم أن يناموا آمنين مطمئنّين، كما لو أنّهم لا ينوون أن يكدحوا ويكافحوا، وكما لو أنّهم لا يعرفون أيضاً أنّ الاسترخاء الحقيقيّ يأتي من الكدح والكفاح. لكنّ ذلك الاسترخاء المخزي وغطرسة العقل هما الرائدان لكفاحٍ وكدح جديدين. لكن إذا وجب على الرجال أن يقيموا أسواراً، فما يجب إلا أن يتمّ ترتيب البيوت الخاصّة منذ البدء، وذلك كي يمكن للمدينة كلّها أن تكون سوراً واحداً، وبيوتها كلّها قادرة على الدفاع بسبب انتظامها ومساواتها نحو الشوارع. إنّ شكل المدينة كونه ذا مسكن واحد سيكون مظهره مقبولاً، وكونه محروساً بسهولة فسيكون أفضل للأمن بشكل لا حدود له. إنّ وقاية الأبنية الأصليّة ستكون من اهتمام السكان في المقام الأوّل. لكنّ أمناء المدينة سيشرفون على العمل، وعليهم أن يفرضوا غرامة على المهمِل، وعليهم أن يهتموا بالنظافة في كلّ ما يتعلّق بالمدينة، وأن لا يسمحوا للإنسان الخاصّ أن ينتهك حرمة أيّة ملكيّة عامّة، لا بالبناء ولا بالكشف عن الآثار والتنقيب فيها. وأبعد من ذلك، ينبغي عليهم أن يحتاطوا للمطر الهاطل من السماء وجعله يجري بسهولة

على الأرض. وكذلك بشأن أيّة قضيّة يمكنها أن تُدار إمّا من داخل المدينة أو من خارجها، إنّ حماة الناموس سيقرّون أيّ تشريع يبدو أنّه ضروريّ، ويجهّزون كلّ نقطة رئيسيّة أخرى يمكن أن يكون الناموس فيها ناقصاً. وبعدُ فإنّ هذه القضايا والأبنية حول الساحة العامّة، ومكان التمارين الرياضية، وأمكنة التعليم، والمسارح، هذه كلّها جاهزة وتنتظر أساتذة الجامعات والمتفرجين فلنتقدّمْ إلى المواضيع التي تلي الزواج في نظام التشريع.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: لنفترض أنّ القرانات عقدت الآن، يا كلينياس، فإنّ أسلوب الحياة خلال سنة بعد الزواج، وقبل أن يولد الأطفال، يجب أن يكون له نظام. ففي أيّة طريقة يجب أن يعيش العريس في المدينة التي ينبغي أن تكون أسمى من المدن الأخرى؟ هذه المسألة ليس من السهل اتخاذ قرار بشأنها على الإطلاق. كان هناك بعض الصعوبات مسبقاً، لكنّ هذه الصعوبة هي أعظمها إطلاقاً، وأكثرها مثارة للخلافات. يبقى أنّني لا أستطيع أن أقول إلا ما يبدو لي صحيحاً وحقيقياً، يا كلينياس.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إنّ مَنْ يتصوّر أنّه يستطيع أن يعطي من أجل السلوك العامّ للدولة، في حين تُترك حياة المواطنين الخاصّة لتعتني بنفسها بشكل تامّ، ومن يرى أنّ الأفراد يمكنهم أن يُمضوا النهار كما يحلو لهم، وأنّه لا ضرورة للنظام في كلّ الأشياء أقول، إنّ الذين يتخلّون عن تنظيم حيواتهم الخاصّة، ويفترضون أنّهم يعملون وفقاً للناموس في حياتهم المشتركة والعامّة، إنّ الذين يفعلون ذلك فإنّما يقعون في خطأ كبير. لماذا أبديت هذه الملاحظة؟ لقد أبديتها لأنّني على وشك أن أسنَّ ناموساً جديداً، وهو أنّ العريسين ينبغي أن يعيشا عند الموائد العامّة، تماماً كما فعلا قبل الزواج. هذه الصّفة كانت صفة مميّزة

عندما حدثت للمرة الأولى في مناطقنا من العالم، يا ميغيلوس وكلينياس، ومن الممكن أنّها حدثت عند وقوع حرب ما أو حين نشوء خطر آخر مشابه، سبّب إقرار الناموس. وربّما حدث ذلك في أماكن قليلة السكن، وفي أزمة الضيق، لكن بعد أن جرب الرجال ذلك وأصبحوا معتادين على الموائد المشتركة، فإنّ الخبرة أبانت أنّ المجتمع ودستوره يوفّران الأمان بشكل كبير. وفي أساليب كهذه نشأت بيننا عادة إقامة الموائد المشتركة.

كلينياس: محتمل بما فيه الكفاية.

الأثيني: قلت ربّما هناك صفة مميّزة أو غرابة وخطر في فرض عرف كهذا بادىء ذي بدء، هناك ناموس هو النتيجة الطبيعيّة لهذا، وهو ناموس ممتاز، إذا ما طبّق في أيّ مكان، لكنّه اليوم ليس مطبّقاً في أي مكان. إنّ الناموس الذي أنا على وشك التكلّم عنه لا يوصف ولا يُنفّذ بسهولة؛ وسيكون مِثل المشرّع « منقّباً عن الصوف في النار »، كما يقول الناس، أو قائماً بأيّ عمل مستحيل وعديم الجدوى.

كلينياس: ما سبب هذا التردد المتطرّف، أيّها الغريب؟

الأثيني: إنّك ستسمع ذلك بدون إضاعة وقت لا طائل تحته. إنّ الذي يمتلك ناموساً ونظاماً في الدولة هو سبب كلّ خير. أما الفوضوي، أو المنظم بشكل سيّىء فهو غالباً خراب لما هو منظم تنظيماً جيّداً. والمحاورة تقف عند هذه النقطة الرئيسيّة. أما فيما يتّصل بكما، يا كلينياس وميغيلوس، فإنّ الموائد المشتركة للرجال هي ناموس سماوي وهو ناموس رائع كما قلت سابقاً. لكنّكما تخطئان إذا تركتما النساء غير منضبطات بالناموس. فهنّ ليس لديهنّ ناموس مشابه للموائد المشتركة في وضح النهار، وهنّ جزء من السلالة الإنسانيّة ميال بطبيعته إلى السرّية والتسلّل بسبب ضعفهنّ، أعني جنس الإناث. وهذا الجنس قد تركه المشرّع وحيداً، بلا رفاق، بشكل يدعو

لليأس، وهذا العمل خطأ كبير. ونتيجة لتقصير هذا المشرّع، فإنّ الكثير من الأشياء قد أصبحت متّسمة بانحلال بينكم. وهذه ربّما كانت أفضل ببعد كبير، لو أنها نُظِّمت بالناموس، لأنّ إهمال التنظيمات المتعلّقة بالنساء لا يمكن اعتبارها إهمالاً لنصف القضيّة بالكامل فقط[٣٢]، بل بنسبة وكأنّ طبيعة المرأة أقلّ شأناً من طبيعة الرجال من حيث القدرة على نيل الفضيلة. وفي تلك الدرجة فإنّ عاقبة إهمال كهذا هو أكثر من مرّتين في مرتبة الأهميّة. إنّ الاهتمام بهذه القضيّة، والترتيب والتنظيم بناء على المبدأ العامّ لكل قوانيننا المتعلّقة بالرجال والنساء، يفضي إلى سعادة الدولة. لكن في الوقت الحاضر، فإنّ هذه الحال هي حالة الجنس البشريّ غير السعيد. لا إنسان ذا إدراك سيجازف حتى بالكلام عن الموائد المشتركة في الأماكن وفي المدن التي لم يتمّ فيها تثبيت مثل تلك الموائد على الإطلاق. وكيف يستطيع أيّ شخص تفادي تعريض نفسه للسخرية بشكل مطلق، وهو يحاول أن يجبر النساء على أن يعرضن كيف وكم يأكلنَ وكم يشربنَ بشكل علنيّ؟ وليس هناك جنس يهاجم ويُستاء منه أكثر من هذا الجنس. لأنّ النساء معتادات على التسلّل إلى الأماكن المظلمة، وعند محاولة إخراجهنّ منها إلى النور فإنهنّ يبذلن كلّ ما في وسعهنّ ويقاومن ذلك، وسيكون هذا الشيء عملاً كثيراً جداً على المشرّع أن يقوم به. ولهذا السبب، وكما قلت سابقاً، فإنّ الرجال في أكثر الأماكن لن يطيقوا النطق بالحقيقة بدون أن يطلقوا صراخاً عظيماً عالياً، لكن لربّما يمكنهم فعل ذلك في هذه الدولة. وإذا افترضنا أنّ مباحثتنا كلّها بشأن الدولة كانت مجرّد كلام تافه، سأبرهن لك، إذا قبلت أن تسمع، أنّ هذا الناموس جيّد ومناسب. لكن إذا آثرت العكس، فسأمتنع عن تقديم هذا البرهان.

كلينياس: ليس هناك شيء ينبغي علينا أن نحبّه، أيّها الغريب، أكثر من محبّتنا سماع ما لديك لتقوله.

الأثيني: جيّد جدّاً، وليس عليك أن تُفاجأ إذا ما عدت إلى الوراء قليلاً لأنّ لدينا الكثير من الوقت للراحة، ولا شيء يمنعنا من اعتبار موضوع الناموس في كلّ وجهة نظر.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: دعنا نعود مرّة ثانية إلى ما قلناه في البدء إذن. على كلّ إنسان أن يفهم أنّ السلالة البشريّة لا بداية لها على الإطلاق، ولن يكون لها نهاية، بل ستكون على الدوام وأنّها قد كانت؛ أو أنّها ابتدأت منذ زمن بعيد.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: حسناً، أوَلم يكن هناك نواميس مهدِّمة للدول؟ أوَلم توجد كلّ أنواع المهن، المنظّمة منها والفوضويّة، وكذلك الرغبات المختلفة لتناول اللحم والشراب دائماً في العالم كلّه؟ أوَلم توجدَ كلّ أنواع التغييرات للفصول التي يمكن توقّع خضوع الحيوانات أنفسها لتغييرات عديدة خلالها؟

كلينياس: لا شكّ في ذلك.

الأثيني: أوَلاَ يمكننا أن نفترض ظهور الكرمة التي لم يكن لها وجود مسبق، وكذلك ظهور شجر الزيتون وعطايا ديميتر[٣٣] وابنتها، حيث كان تريبتوليموس[٣٤] أثناءها الكاهن الوحيد؟ وقبل هؤلاء كانت هناك حيوانات تعوّدت على إبادة بعضها بعضاً مثلما تفعل الآن؟

كلينياس: حقاً.

الأثيني: مرّة ثانية، فإنّ ممارسة الرجال لتضحية بعضهم بعضاً لا تزال موجودة بين الأمم، في حين أنّنا نسمع على الجانب الآخر، عن مخلوقات إنسانية أخرى لم يجازفوا حتّى في أن يتذوّقوا لحم البقر ولم يضحّوا بأيّة حيوانات، بل قدّموا بدلاً عن ذلك، الكعك والفواكه المغمّسة بالعسل، وتقديمات نقيّة مماثلة، لكنّهم لم يقدّموا لحم الحيوانات. وامتنعوا عن تقديمها ظنّاً منهم أنّه لا

ينبغي عليهم أكلها، ولكي لا يتمكّنوا من تلطيخ مذابح الآلهة بالدم. وقيل إنّ الرجال في تلك الأيّام عاشوا نوعاً من حياة طربة سارّة، مستخدمين كلّ الأشياء التي لا حياة فيها، لكنهم امتنعوا كليّة عن أكل الأشياء الحيّة.

كلينياس: هكذا كانت العادة أو العرف الثابت، وإنّه لعرف حقيقيّ على الأرجح.

الأثيني: يمكن أن يقول لنا شخص ما ما المغزى من هذا كلّه؟

كلينياس: إنّه لسؤال وثيق الصلة جدّاً بالموضوع، أيّها الغريب.

الأثيني: ولهذا السبب فإنّني سأسعى إذ استطعت، يا كلينياس، لرسم الاستنتاج الطبيعيّ.

كلينياس: واصل.

الأثيني: أرى أنّ كلّ الأشياء بين الرجال تعتمد على ثلاث حاجات ورغبات غايتها الفضيلة، إذا ما اهتدى الرجال بها اهتداءً صحيحاً، أو عكس ذلك إذا ما اهتدوا بها خطأً. وبعدُ فإنّ هذه الحاجات هي الأكل والشرب اللذين يبدآن منذ الولادة. كلّ حيوان لديه رغبة طبيعيّة لهما، ويثار بشكل عنيف، ويثور ضدّ من يقول إنّه لا ينبغي عليه أن يشبع كلّ ملذّاته وشهواته وأن يتخلّص من كلّ الآلام التي تقابلها. أمّا الحاجة والرغبة الثالثة والأعظم والأكثر حدَّة، فإنّها تبرز أخيراً، وهي النار التي تثير اللذّة الجنسيّة، والتي توقد في كلّ الرجال أصناف العبث والاستهتار والجنون. وهذه الأشياء الفوضويّة الثلاثة يجب أن نسعى لقهرها بالمبادىء الثلاثة العظيمة للخوف والناموس والعقل الحقّ؛ مغيّرين اتّجاهها من ذلك الاتجاه الذي يُدعى الاتجاه الألذّ إلى الاتجاه الأفضل، ومستخدمين آلهات الشعر والفنّ والغناء والعلوم ليخمدنَ زيادتها وتدفّقها.

ولْنعدْ إلى ما بدأناه. فلنتكلّم بعد الزواج عن ولادة الأطفال، وتغذيتهم وتعليمهم. إنّ القوانين المتعدّدة ستكون متمّمة أثناء المباحثة، ولسوف نصل

إلى الموائد المشتركة أخيراً، سواء إذا كانت هكذا اتّحادات مقتصرة على الرجال أو تمتد لتشمل النساء أيضاً. وإنّنا لسوف نرى ذلك أفضل عندما نقترب منها. ويمكننا أن نقرّر حينئذ أيّ من القوانين السابقة نحتاج له وأيّها يتقدّم عليها ويفوقها أهميّة. وكما قلت سابقاً، سنرى بتفصيل أكثر، وسنكون قادرين بشكل أفضل على سنّ القوانين المناسبة والملائمة لهنّ.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: دعنا نحتفظ بالكلمات الّتي تفوّهنا بها الآن، فربّما احتجنا إليها في ما بعد.

كلينياس: ماذا تأمرنا الآن أن نُبقي في تفكيرنا؟

الأثيني: ذلك الذي ندركه من كلمات ثلاث: الأكل أوّلا،، ثانياً الشراب، ثالثاً إثارة الحبّ.

كلينياس: لسوف نتأكّد من تذكّرها، أيّها الغريب.

الأثيني: جيّد جدّاً، دعنا نتقدّم إذن إلى الزواج الآن، وأن نعلّم الأشخاص بأيّة طريقة سوف ينجبون الأطفال وإذا لم يطيعوا تطبّق عليهم القوانين.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: ينبغي أن يعتبر العريسان أنّ عليهما أن ينتجا أفضل وأجمل عيّنات أو نماذج الأطفال التي يقدران على إنتاجها للدولة. وبعدُ فإنّ كلّ الرجال الذين يشتركون في أيّ عمل ينجحون دائماً عندما يصرفون كلّ انتباههم إلى ما يفعلون، لكنّهم عندما لا ينتبهون أو يفقدون عقولهم، فإنّهم يخفقون. ومن أجل ذلك فعلى العريس أن يهب العروس انتباهه كلّه وأن يمنحه لإنجاب الأطفال، وأن تعطي العروس انتباهها للعريس بأسلوب مماثل، وبخاصّة ما داما لم ينجبا الأطفال. والنساء اللواتي أتممن اختيارهن، عليهنّ أن يكنّ المشرفات على أمور كهذه. وليكن عددهنّ، كبيراً أو صغيراً لا فرق، وفي أيّ وقت يمكن أن تأمر به الهيئة القضائيّة، دعهنّ يجتمعن في هيكل آيليثيا(٣٥) خلال

الفصل الثالث من فصول النهار. وكونهنّ مجتمعات هناك، دعهن يخبرن بعضهنّ بعضاً عن أي شخص يرونه، سواء إذا كان رجلاً أو امرأة، من أولئك الذين ينجبون الأطفال، متجاهلين القوانين المحليّة المعطاة خلال فترات تضحيات الزواج وإقامة الأعياد، دع إنجاب الأطفال والإشراف على أولئك الذين ينجبونهم يتواصل ليس لأكثر من عشر سنوات، أي في الوقت الذي يكون الزواج فيه خِصْباً. لكن إذا دام الزواج أكثر من هذا الوقت بدون أن ينجب العريسان أطفالاً، فدعهما يعقدان مجلساً استشارياً مع أقربائهما ومع النساء اللواتي يشغلن منصب المشرفات وأن يطلّقا بعضهما لمنفعتهما المشتركة. وإذا نشأ أيّ نزاع، على كلّ حال، بشأن ما يكون مناسباً ولمصلحة كلّ فريق، فإنّهما سوف يختاران عشراً من حماة الناموس وأن يتقيّدوا بإذنهم وتوصياتهم. إنّ النساء اللواتي يراقبنَ هذه القضايا سوف يدخلن بيوت الفتيان ويجعلنهم يكفّون عن غبائهم وخطئهم بالتهديد مرّةً وبالتذكير والنصائح مرّة أخرى. وإذا أصرّوا على فعلهم، فعلى النساء أن يذهبنَ ويخبرنَ حماة الناموس، ولسوف يمنعهم حماة الناموس من القيام بذلك. لكن إذا لم يقدروا على منعهم أيضاً، فلسوف يطرحون هذه القضيّة أمام الشعب؛ وعليهم أن يكتبوا أسماءَهم وأن يقسموا بأنهم لا يقدرون ولا يستطيعون أن يصلحوا شخصين كهذين. والذي يكتب ذلك، وإذا لم يستطعْ أن يدين أولئك الذين حفروا اسمه في محكمة الناموس، يجب أن يُجرّد من امتيازات المواطن بالطرائق الآتية: يجب ألا يذهب إلى الأعراس ولا إلى صلوات وأعياد الشكر بعد ولادة الأطفال. وإذا ذهب، فعلى أيّ شخص يُسَرُّ أن ينعته بعدم الحَصَانة. والأنظمة عينها يجب أن تسري على النساء أيضاً: لن يُسمح لامرأة أن تظهر خارجاً، أو أن تتلقّى التكريمات، أو أن تذهب إلى احتفالات الزواج والولادة، إذا كُتب اسمها بشكل مماثل

كأنّها تَتصرّف بشكل فوضويّ ولا تستطيع أن تحصل على حكم قضائيّ. وإذا كان لدى زجل أو لدى امرأة ارتباط مع رجل أو مع امرأة أخرى لا يزالان ينجبان الأطفال، عندما كانا هما نفسيهما قد أنجبا الأطفال طبقاً للناموس، إذ فعلا ذلك، فالعقاب عينه يجب أن ينزل بهما كما يُنزل على أولئك الذين لا يزالون يمتلكون عائلة. وعند مرور وقت الإنجاب على الرجل والمرأة اللذين يمتنعان عن قضايا كهذه أن يقدّرا في أجلّ اعتبار؛ والذين لا يمتنعون عن ذلكِ يقدّران على عكس ذلك، بمعنى الازدراء والاستخفاف بهما. وبعدُ، إذا تصرّف الجزء الأعظم من الجنس البشريّ بشكل معتدل، فإنّ الناموس يمكن له الثبات. لكن إذا تصرفوا بفوضى، فالناموس يجب أن يوضع موضع التنفيذ، ما دام قد أُقِرّ. إنّ السنة الأولى لكلّ إنسان هي بداية حياته، ويجب أن يُكتب ذلك في الهياكل الخاصّة بآبائهم، كأنّه بداية وجود كلّ طفل، كل فرع من قبيلة. يجب أن يُنقش على حائط أبيض، بجانب اسم كل صبيّ وكلّ فتاة، يُنقش الرقم المتسلسل للحكام الأوّل « في أثينا » الذين تُحسب السنوات بواسطتهم ويُنقش بقربهم أسماء الأعضاء الأحياء في كلّ فرع من فروع القبيلة، وعندما يتوفّون فلتُمح أسماؤهم. إنّ حدّ عمر الزواج للمرأة سيكون من السادسة عشرة إلى العشرين كأبعد مدى. وأمّا للرجال فمن سنّ الثلاثين إلى الخامسة والثلاثين. ودع المرأة ترتقي المنصب في سنّ الأربعين، والرجل في سنّ الثلاثين. ودع الرجل يذهب إلى الحرب من سنّ العشرين إلى الستين، وفي ما يخصّ المرأة، إذا بدا أنّ لها أيّة حاجة للقيام بالخدمة العسكرية، فيجب أن يكون وقت خدمتها بعد أن تكون قد أنجبت وربّت الأطفال صعوداً إلى سنّ الخمسين، وأمام ناظرها اعتبار لِمَا هو ممكن ومناسب للفرد.

محاورة النواميس

الكتاب السابع

أفكار الكتاب الرئيسية

وبعدُ فإنّنا سنهتم بتعليم الأطفال الحديثي الولادة وتغذيتهم وكيف سيتمّان. مرّة ثانية، يا ميغيلوس وكلينياس، أؤكّد أنّ التعليم الصحيح هو ذلك التعليم الذي يستطيع أن ينمّي الميل نحو الجمال وامتياز العقل والجسم بالشكل الأفضل. ويجب علينا أن نعتني بالأطفال والأجنّة. فالجنين له رياضة خاصّة ينبغي أن تمارسها أمّه، وكذلك الطفل. ومن بين الأشياء التي يجب أن نوليها اهتمامنا هي أن لا ندع الطفل يسير وحيداً قبل بلوغه سنّ الثالثة، كي لا تتقوّس عظامه وتتشوّه أطرافه. وبعد ذلك فإنّ الحركة هي الأنسب لكمال أجسام الأطفال. ونؤكّد أنّ التمرين والحركة في سني الحياة المبكرة تسهم في خلق جزء واحد من أجزاء الفضيلة في الروح بشكل كبير هو الشجاعة. وعلينا أن ندرب الأطفال في الحياة الحقيقة التي لا تنشد الملذات، ولا التي تتفادى الألم، بل في الحياة التي تتقبّل حالتهما الوسط لأنّ التربية في سنّ الطفولة تتأصّل في النفس أكثر من أيّ وقت آخر. وينبغي أن نولي عناية كبيرة بالمرأة أثناء حملها، وأن يُهذّب فيها اللطف والنزعة إلى عمل الخير والحنان، وأن تُمنع عن الملذّات والآلام المفرطة والعنيفة.

العلم قسمان، قسم للرياضة البدنيّة المختصة بالجسم، والقسم الآخر للموسيقى المصمّمة لتحسين الروح. وسندرّب شبابنا وفتياتنا على مختلف أنواع الأسلحة سواء بسواء. ونحن نرمي من كلّ هذه الرياضة الخير وحده. ولا أحد سيجرؤ على تغيير قوانينها وقواعدها لأنّ مَن يغيّرها يغيّر أخلاق الشباب سرّاً

ويجعل القديم مهاناً والجديد معزّزاً مكرّماً. وليس هناك ضرر يلحق بالدولة أشد أذىً من هذا الضرر. ولا أحد سيأثم ضدّ النماذج المقدّسة في الغناء أو الرقص، ولا ضدّ النمط العامّ بين الشباب. والذي يراقب هذا الناموس سيكون بريئاً طاهر الذيل، لكنّ الذي يعصيه سيعاقبه حماة الناموس والكهنة والكاهنات. وسيكون شيئاً مناسباً إذن أن نرتّل ونثني على الآلهة ونشفع ذلك بالصلوات، ومن ثمّ يجب علينا أن نقدّم الصلوات والثناءات لأنصاف الآلهة وللأبطال بطريقة مماثلة، صلوات وثناءات مناسبة لصفاتهم المجيدة المتعدّدة. كذلك سنكرّم الرجال الأحياء والمتوفّين وكذلك النساء. وسيشترك الرجال والنساء في كلّ الأعمال الحربيّة، تقريباً، وكذلك في كلّ الأعمال التي تخدم الشعب والدولة في مسار الطريق السويّ. وعندما يبلغ الصبيّ العاشرة من العمر فإنّه يكون قد صرف ثلاث سنوات في تعلّم الحروف، وسيمسك بالقيثارة في سنّ الثالثة عشرة أو سنّ السادسة عشرة كما تهيّأ لذلك وكما يسمح الناموس به. تبقى هناك ثلاث دراسات مناسبة للرجال الأحرار، الحساب وعلم الحساب واحدٌ منها؛ والثاني قياس الطول، قياس السطح، وقياس العمق؛ أمّا الثالث فعمله مع دوران النجوم في أفلاكها بعضها بالنسبة لبعض. وينبغي علينا أن نبحث في مسألة طبيعة العالم وفي الله الأسمى، وفي استقصاء أسباب الأشياء. ونستطيع أن نقول الآن إنّ كلّ تشريعاتنا بشأن التعليم هي تشريعات كاملة.

محاورة النواميس

الكتاب السابع

الأثيني: والآن، لنفترض أنّ الأطفال من الجنسين قد ولدوا، فسيكون شيئاً مناسباً لنا أن نهتم بتغذيتهم وتعليمهم، في المقام التالي. هذا الشيء لا يمكن تركه كليّة بدون مراقبة، ومع ذلك يُعتقد أن هذا الموضوع مناسب لما يُدرَك بالحواسّ وللنصح والتذكير على الأصحّ بدلاً من الناموس. يوجد في الحياة الخاصة عدة أشياء صغيرة لا تكون ظاهرة على الدوام، بل تنشأ من ملذات وآلام ورغبات الأفراد وبسرعة، وتجري عكس نيّة وقصد المشرّع، وتجعل أخلاق المواطنين متنوّعة وغير متشابهة. هذه الأشياء سيّئة في الدول، لأنّها بسبب صغرها وحدوثها المتكرّر، تسبّب شيئاً غير لائق وستكون هناك حاجة إلى التناسب في جعلها جزائيّة بالناموس. وإذا جُعلت جزائيّة، فهي الدمار للنواميس المكتوبة، لأنّ الجنس البشريّ يحصل على عادة انتهاك الناموس في القضايا الصغيرة بالتكرار. والنتيجة هي أنّك لا تستطيع أن تشرّع بشأنها، ويبقى أنّك تقدر على الاستمرار صامتاً بشأنها لوقت أقلّ. إنّني أتكلّم بشكل غامض إلى حدٍّ ما، لكنّني سأسعى لتسليط الضوء على بضاعتي. وأعترف بأنّ ما أقوله في الوقت الحاضر يفتقر للوضوح.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: لقد أكّدت، وآمل أن أكون محقاً في تأكيدي هذا، لقد أكّدت أنّ التعليم الصحيح يجب أن يكون ذلك التعليم الذي يستطيع أن يبيّن أنّه يميل نحو الجمال والامتياز للعقل والجسم بالشكل الأكثر.

كلينياس: بدون شكّ.

الأثيني: والأجسام الأجمل هي تلك الأجسام التي تنمو منذ الطفولة بالطريقة الأفضل والأقوم. هذا إذا عبّرنا عنها بشكل بسيط تماماً.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أوّلاً نلاحظ أيضاً أنّ الانطلاق الأوّل لكلّ شيء حيّ هو الشيء الأفضل والأكمل ببعدٍ كبير؟ سيؤكّد العديد من الرجال أنّ الإنسان في سنّ الخامسة والعشرين، لا يتضاعف طوله عمّا كان عليه في الخامسة من عمره.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: حسناً أليس النمو السريع للمادة بدون تمرين كثيف ومتناسق، أليس مصدر الشرور اللانهائية في الجسم؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: وينبغي أن يقوم الجسم بالتمرين الأكثر عندما يتلقّى الغذاء الأكثر؟

كلينياس: لكن هل يلزمنا أن نفرض هذا المقدار الكبير من التمرين على أطفالنا المولودين حديثاً، أيّها الغريب؟

الأثيني: لا، بل يلزمنا أن نفرضه على أجسام الأطفال الذين لم يُولدوا بعد.

كلينياس: ماذا تعني، يا سيّدي الصالح؟ هل تعني أن نقوم بذلك أثناء عمليّة الحَمْل؟

الأثيني: بالضبط. لن يفاجئني أنّك لم تسمع بهذا النوع الغريب جدّاً من أنواع الرياضة المطبّق على مخلوقات صغيرة كهذه، والذي سأتولّى شرحه لك، برغم أنّه نوع غريب من أنواعها.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: إنّ ممارسة هذه التمارين هو فهمها لنا بأسهل ممّا تفهمها أنت، بسبب التسليات التي تقوم بها إلى أقصى حدودها في أثينا. ولا يقوم الأولاد بها

فقط، بل إنّ الأشخاص المسنّين معتادون على العناية بطيور السُّمّان والديوك غالباً[٣٦] التي يدرّبونها كي يقاتل بعضها بعضاً. وهم بعيدون كلّ البعد عن التفكير بأنّ المبارزات التي يثيرونها بينها هي تمرين كاف. إذ بالإضافة إلى هذا، فإنّهم يطوفون بها، مثبتينها تحت إبطهم، ماسكين الطيور الأصغر بأيديهم والطيور الأكبر تحت سواعدهم، ويتمشون بها لأميال عدّة قصد تحسين صحّتها. بمعنى، ليس من أجل صحّتهم هم، بل من أجل تحسين صحّة هذه الطيور. ويبرهنون وفقاً لهذا العمل ولأيّ شخص ذي إدراك، أنّ كلّ الأجسام تنتفع بالاهتزاز والحركة، وذلك عندما تتحرّك بمشقّة، سواء إذا صدرت الحركة عنها، أو كان الإهتزاز سببها، أو على سطح البحر، أو على ظهر الحصان، أو بواسطة الأجسام الأخرى. ومهما تكن الطريقة التي يتحرّكون بها، فإنّهم هكذا يكسبون السيطرة على الغذاء والشراب، وإنّهم لقادرون على أن يضفوا الجمال والصحّة والقوّة الجسديّة على أجسامهم. لكن عندما نعرف بكلّ هذا، فماذا يلي؟ هل سنسنّ ناموساً جديداً وهو أنّ المرأة الحامل ستسير أينما تريد وتصوغ الجنين داخل الرحم كما نصوغ الشمع قبل أن يصبح قاسياً، وتلفّ الرضيع بعد الولادة لمدّة سنتين؟ افترض أنّنا سنجبر الممرّضات، تحت طائلة عقوبة الغرامة القانونية، سنجبرهن على حمل الأطفال على الدوام في مكان ما أو في مكان آخر، سيحملنهنّ إمّا إلى الهياكل أو إلى الريف، أو إلى بيوت أقاربهم، إلى أن يتمكنوا من الوقوف جيّداً، وعليهنّ أن يحتطن لئلا تتشوّه أطرافهن بواسطة الاتّكال عليها عندما يكون هؤلاء الأطفال صغاراً جداً[٣٧]، وعليهنّ أن يواصلن حملهم حتى يبلغ الرضيع السنة الثالثة من العمر. وينبغي أن تكون الممرضات قويات وصحيحات الجسم قدر الإمكان، وينبغي أن توجد أكثر من واحدة منهنّ للقيام بأعمالهن. فهل ستكون هذه القواعد قواعد لنا، وهل سنفرض عقاباً

على مَن يهملها؟ لا، لا، إنّ العقاب الذي تكلّمنا عنه سيُنزلُ على رؤوسنا الخاصّة وهو عقاب أكثر من كافٍ.

كلينياس: أيّ عقاب؟

الأثيني: السخريّة، وصعوبة الحصول على الإناث والميول الخدماتية للممرّضات كي يستجبن لذلك.

كلينياس: إذاً فلماذا كانت هناك حاجة للكلام عن المسألة؟

الأثيني: سبب ذلك هو أنّ الأسياد والرجال الأحرار عندما يسمعون بها، سيقتنعون حقّاً بشكل مرجّح جدّاً بأنه ما لم توجد إدارة صحيحة للأفراد في المدن، فمن الصعوبة توقّع الاستقرار الدائم في سَنّ القوانين العامة. والذي يُوجد هذا التصوّر يمكنه أن يتبنّى النواميس المذكورة آنفاً، وبتبنّيها يمكنه أن ينظّم بيته أي دولته جيّداً وأن يكون سعيداً.

كلينياس: محتمل جدّاً بما فيه الكفاية.

الأثيني: ولهذا السبب دعنا نتقدّم مع مشرّعنا إلى أن نقرّر التمارين التي تناسب أرواح الأطفال الفتيان بالطريقة عينها التي بدأنا بها دراسة القواعد المختصّة بأجسادهم بدقة.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: دعنا نفترض إذن، كمبدأ أوّل فيما يتعلّق بروح وجسم المخلوقات الصغيرة جدّاً، دعنا نفترض أنّ التمرين والحركة أينما تكونان، أثناء الليل وأثناء النهار، هما جيّدان للجميع، وهم سيحتاجون لهما ما داموا فتياناً[٣٨]. يجب أن يحيا الأطفال، إذا كان هذا ممكناً، كما لو كانوا على سطح البحر ويهزّون على الدوام. إنّ هذه هي العبرة التي يمكننا أن نجنيها من خبرة الممرضات ومن استخدام علاج الحركة في الحقوق المقدّسة للكوربانتيين بشكل مماثل. إذ عندما تريد الأمّهات أن يذهب أطفالهنّ الأَرِقون إلى النوم، فإنّهنّ لا

يستخدمنَ السكون والراحة في هذا الغرض، بل على العكس، هنّ يستخدمنَ الحركة - إنّهنَّ يهززنهم بأذرعهن وهن لا يمنحنهم الصّمت، بل يغنّينَ لهم ويسحرنهم بالأغنيات الحلوة؛ تماماً بالطريقة عينها التي تفتن الكاهنة الباخوسيّة بها النساء في جنونهنَّ المؤقت، باستخدام الحركة في الرقص وفي الموسيقى.

كلينياس: حسناً، أيّها الغريب، وما هو سبب ذلك؟

الأثيني: إنّ السبب لواضح وجليّ.

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: إن الميل والنزوع عند الباخوسيين والأطفال هو إحساس بالخوف الذي ينشأ من عادة سيّئة للروح. وعندما يستخدم شخص ما الإثارة الخارجيّة لتأثيرات من هذا النوع، فإنّ الحركة الآتية من الخارج تنال الأفضل من التأثير المرعب الداخلي العنيف، وتنتج سلاماً وهدوءاً في الروح وتسكّن وجيب القلب الذي لا يرتاح[٣٩]، وذلك يحوز مقداراً كبيراً من الرغبة، ويرسل الأطفال إلى النوم، ويجعل الباخوسيين، برغم أنهم يبقون يقظين، يجعلهم يرقصون على أنغام المزمار بمساعدة أولئك الآلهة الذي يقدّمون لهم تضحيات مقبولة، ويحدثون فيهم عقلاً سليماً ومدركاً، يأخذ مكان شعُرِهم. ولكي أعبّر عمّا أغنيه بكلمة، فإن هناك قدراً كبيراً يجب أن يقال لصالح هذه المعالجة.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: لكن إذا كان لدى الخوف قوّة كهذه، فيجب أن نستنتج من هذه الحقائق أنّ كلّ روح كانت أليفة الخوف من سنّ الشباب فصُعُداً، فإنّها ستكون أكثر عُرضة للخوف، وسيسمح كلّ فرد بأن يعبتر أنَّ هذه الطريقة هي التي تولّد عادةَ جبنٍ وليس عادة شجاعة.

كلينياس: بدون شكّ.

الأثيني: وعلى الجانب الآخر، يمكن القول إنّ عادة التغلّب على المخاوف والأهوال التي تكتنفنا منذ شبابنا فصاعداً، يمكن القول إنّها تمرين على الشجاعة.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: ولهذا السبب يمكننا القول إنّ استخدام التمرين والحركة في سني الحياة المبكّرة، يسهم في خلق جزء واحد من أجزاء الفضيلة في الروح بشكل كبير.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أيضاً، فإنّ الطبع المرح يمكن اعتباره وكأنّه الكثير ممّا يقدر على فعله بالنّفس العالية من ناحية، وعكسه بالنفس الجبانة من ناحية أخرى.

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: يجب علينا الآن إذن أن نسعى لنُري كيف وإلى أيّ مدى يمكننا إذا سرّنا ذلك، أن نغرس إحدى الصفتين في الشباب بدون صعوبة.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: هناك رأي شائع، وهو أنّ التّرَفَ يجعل ميل الشباب ساخطاً وسريع الغضب، وتثيره الأشياء التافهة بشكل عنيف. وعلى الجانب الآخر فإنّ الهمجية المفرطة تجعل الرجال سفلاء ومُذلّين وكارهين لنوعهم. وتجعلهم أيضاً عشراء سوء وغير مرغوب فيهم.

كلينياس: لكن كيف يجب أن تعلّم الدولة أولئك الذين ما زالوا لا يفهمون لغة البلاد، وهم غير قادرين لهذا السبب على تقدير أيّ نوع من أنواع التعليم حق قدره.

الأثيني: سأخبرك كيف. إنّ كلّ حيوان حالما يولد يطلق صرخة، وهذه الحالة يتميز بها الإنسان بشكل خاصّ، ويثار بالميل للبكاء أكثر من أيّ حيوان آخر أيضاً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ألاَ تحكم الممرّضات بهذه الإشارات عندما يُردنَ أن يعرفنَ ماذا يرغب الرضيع؟ فعندما يُحضر أيّ شيء إلى الرضيع ويكون صامتاً، يُفترض أنه يُسرُّ منه حينئذ، لكنّه حينما يبكي ويصرخ، فإنّه يكون مستاءً ممّا يجري لأنّ الدموع والصراخ هما العلامتان المشؤومتان اللتان يُظهر الأطفال بواسطتهما ما يحبون وما يكرهون. وبعدُ فإنّ الوقت الذي يمضي هكذا ليس أقلّ من ثلاث سنوات، وهذا الوقت جزء مهم جدّاً من أجزاء الحياة كي يمرَّ إمّا جيداً أو سيّئاً.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: ألاَ تبدو الطبيعة الساخطة والفظّة مملوءَةً بالنحيب والأحزان أكثر ممّا ينبغي أن يكون عليه الإنسان الخيّر والصالح؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: حسناً، لكن إذا أُخذت كلّ العناية الممكنة أثناء هذه السنوات الثلاث، وهي أنّ رضيعنا ينبغي أن يمتلك القليل من الحزن والخوف وبشكل عامّ القليل من الألم قدر الإمكان، أفلا يمكننا أن نتوقّع جعل روحه أكثر لطفاً وأكثر ابتهاجاً في طفولته المبكّرة؟

كلينياس: لتكن متأكّداً أيّها الغريب. وأكثر من ذلك إذا استطعنا أن نسبّب له أنواعاً من الملذّات بشكل خاصّ.

الأثيني: لا يمكنني هنا أن أتّفق مع كلينياس بعد الآن. إنّك لتدهشني! ألا تعرف أنّك إذا ربّيته بهذه الطريقة فإنّك سوف تدمّره؟ لأنّ البداية هي الجزء الأكثر حرَجاً من أجزاء التعليم على الدوام. دعنا نرى إذا ما كنت محقّاً فيما أقول.

كلينياس: تقدّم.

الأثيني: إنّ النقطة الرئيسيّة التي نختلف بشأنها أنت وأنا هي نقطة ذات أهميّة كبيرة جدّاً، وإنّني لآمل منك، يا ميغيلوس، أن تساعد على حسم الأمور

بيننا. أنا أؤكّد أنّ الحياة الحقيقية يجب أن لا تنشد الملذّات، ولا أن تتفادى الألم، بل ينبغي أن تتقبّل الحالة الوسط(٤٠) التي تكلّمت عنها مثل اللطف والعذوبة، وهي حالة ننسبها إلى الله حقّاً بواسطة بشير وإلهام إلهيّ ما. وبعدُ، فإنّني أقول، إنّ مَنْ يكون بين الرجال إلهيّاً أيضاً يجب أن يقتفي آثار هذه العادة المعتدلة؛ يجب عليه أن لا يندفع بتهوّر في ممارسة اللذّات لأنّه إذا فعل ذلك فلن يكون حرّاً من الآلام؛ ولا ينبغي عليه أن يسمح لأيّ شخص، فتىً كان أو مسنّاً، ذكراً كان أو أنثى، أن يُعطى هكذا أكثر ممّا نعطي أنفسنا، وبشكل أقلّ من الجميع إلى الطفل الرضيع المولود جديداً، لأنّ الأخلاق في الطفولة تتأصّل في النفس أكثر من أيّ وقت آخر. لا ولا أكثر، فإنّي إذا ما خشيت أن أبدو مضحكاً، فسأقول إنّ المرأة يجب العناية بها بالاهتمام الأكثر وخاصة أثناء حملها، وينبغي أن تُمنع عن الملذّات والآلام المفرطة والعنيفة، ويلزمها أثناء ذلك الوقت أن يُهذِّب فيها اللطف والنزعة إلى عمل الخير والحنان.

كلينياس: إنّك لست بحاجة لتسأل ميغيلوس، أيّها الغريب، عن أيٍّ منّا تكلّم الكلام الأكثر حقيقة. فأنا أوافق على أنّ كلّ الرجال يجب عليهم أن يتفادوا الحياة التي لا تخالطها الملذّات والآلام، وأن يتّبعوا الطريقة الوسطى على الدوام. وبما أنّك تكلّمت جيّداً، فهل يمكنني أن أضيف أنّك أُجبت جيّداً على سؤالك؟

الأثيني: نعم، لقد أجبتَ جيّداً وبكلّ الصحّة، يا كلينياس. وبعدُ دعنا نتطرّق، نحن الثلاثة إلى نقطة رئيسيّة أبعد.

كلينياس: وما هي؟

الأثيني: إنّ كلّ القضايا التي نصفها الآن تدخل تحت العنوان العام للأعراف أو العادات غير المكتوبة، وما دعته نواميس أسلافنا هما ذات طبيعة مشابهة. أمّا

الانعكاس الذي نشأ في أفكارنا أخيراً، فذلك يجعلنا لا نستطيع تسمية هذه الأشياء نواميس، ولا يمكننا إغفالها، وهذه قد تمّ تبريرها. إنّها العُرى التي توثق الدولة بمجملها، وتدخل بين النواميس المكتوبة المرسومة أو التي سترسم بعدئذ. وهي أعراف سلفيّة موغلة في القدم تماماً، وإذا نُظِّمت جيّداً وجُعلت نواميس معتادة، فإنّها سوف تقي وتحمي الناموس الموجود المكتوب سابقاً، وإذا انحرفت عن الحقّ ووقعت في الفوضى، تكون حينئذ مثل دعامات البنّائين التي تنزلق من مكانها وتسبب خراباً عامّاً وشاملاً، ويجرُّ الجزء الواحد منها الجزء الآخر، وتسقط البنية الفوقيّة بسبب سحب الأسس القديمة التحتيّة. فإذا تأمّلنا كلّ هذا ملياً، يا كلينياس، ينبغي عليكما أن توثقا الدولة الجديدة معاً بكل طريقة ممكنة دون أن تسقط شيئاً، صغيراً كان أو كبيراً، ممّا يسمى نواميس أو أخلاق أو ملاحقات، لأنّ المدينة توثق معاً بهذه الوسائل، وتكون هذه الأشياء أبديّة فقط حينما يعتمد بعضها على بعض. ولهذا السبب، يجب علينا ألاّ ننشده إذا وجدنا أنّ العديد من الأعراف أو العادات التافهة ظاهرياً تتدفّق وتجعل نواميسنا أكثر إمتداداً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً، وإنّنا ميّالون للاتفاق معك.

الأثيني: إذا ما نفّذ شخص تنظيماتنا السابقة بصرامة، وجعلها هدفه الرئيسيّ، وذلك بالنسبة لما قلناه عن الرُضَّع حتى بلوغهم الثالثة، إذا ما فعل ذلك، فإنّه سيفعل شيئاً كثيراً لمصلحة المخلوقات الفتيّة. لكنّ الطبيعة الصبيانيّة في سنّ الثالثة، الرابعة، الخامسة وحتى السادسة، ستحتاج للرياضة. وبعدُ فلقد حان الوقت الآن كي يتخلّص الفتى من عناده، وذلك بمعاقبته، لكن ليس إلى حدّ إهانته. أما بالنسبة للعبيد، فلا يجب علينا أن نضيف ذلك، خشية أن يصبحوا عنيدين. وينبغي مراقبة قاعدة مماثلة في حالة المولود حرّاً. إنّ الأطفال في تلك السنّ لديهم طرائق وأساليب طبيعيّة محدَّدة للتسلية يكتشفونها

بأنفسهم عندما يتقابلون. وكلّ الأطفال بين الثالثة والسادسة يلزمهم أن يتقابلوا معاً في هياكل القرى، وأن تتّحد العائلات المتعدّدة في القرية على بقعة واحدة. وينبغي على الممرضات أن يراقبن سلوك الأطفال، وأن يجعلوهم يتصرّفون بلياقة ونظام. يجب أن يكونوا جميعاً خاضعين لتوجيه اثنتي عشرة قيّمةً، واحدة لكلّ مجموعة، يتم اختيارها سنويّاً من النساء المذكورات سابقاً لاختبارهنّ. « كمثال، النساء اللواتي لهنّ سلطة فوق الزواج »، واللواتي عيّنهنّ حماة الناموس. هؤلاء القيّمات سوف تختارهن النساء اللواتي لهنّ سلطة فوق الزواج، واحدة خارج كلّ قبيلة. وينبغي أن يكنّ كلّهنّ من العمر نفسه، وعلى كلّ منهنّ، حال تعيينها، أن تتسنّم المنصب وأن تذهب إلى الهياكل كلّ يوم، لتعاقب كلّ المعتدين العبيد أو الغرباء من كلا الجنسين، وذلك بمساعدة بعض العبيد العامّين. أمّا فيما يختصّ بالمواطنين، إذا ما جادل أحدهم بشأن العقاب، فعلى إحدى القيّمات أن تحضره أمام أمناء المدينة، وإذا لم يقع أيّ جدال فعليها أن تعاقبه بنفسها. وبعد سنّ السادسة يحين وقت انفصال الجنسين. فعلى الصبيان أن يعيشوا مع الصبيان، والبنات مع البنات بطريقة مماثلة. وبعدُ، فإنّ عليهم أن يتعلّموا جميعاً ـ يذهب الصبيان إلى معلّمي الفروسية ومعلّمي استعمال القوس، الرمح، والمقلاع، وإذا لم تعترض الفتيات فإنّ عليهنّ أن يتعلّمن ذلك أيضاً، إلى أن يعرفنَ كيف يستعملنَ هذه الأسلحة على كلّ حال، وخاصّة كيف يمسكنَ الأسلحة الثقيلة. ويمكنني أن ألاحظ أنّ الممارسة التي تسود الآن هي ممارسة يُساء فهمها تقريباً بشكل شامل.

كلينياس: بأيّ وجه؟

الأثيني: يُفترض أن تكون اليدان اليمنى واليسرى ملائمتين بشكل مختلف لاستعمالاتنا المتنوّعة لهما بالطبيعة؛ في حين أنّه لا فرق في استعمال الأقدام

أو الأطراف السفلى. لكن في استعمال اليدين فإنّنا لمخطئون، كما عطّل غباء المرضات والأمّهات عمل اليدين. ورغم أنّ أطرافنا المتعدّدة متوازنة بالطبيعة، فإنّنا نخلق بينها فرقاً بالعادة السيّئة. وفي بعض الحالات فإنّ هذه الأشياء ليست بذات شأن. كمثال، عندما نمسك العود باليد اليسرى وريشة العزف باليد اليمنى، وإنّها لغباوة صِرْفة أن نخلق التمييز عينه في الحالات الأخرى. إن عادة السكيثيين تثبت خطأ ما نقوم به. فهم لا يمسكون القوس باليد اليسرى فقط ويلوون السهم لمن يدرّبونهم باليد اليمنى، بل إنّهم يستعملون أيّة يدٍ للغرضين كليهما. وهناك أمثلة عديدة مشابهة في قيادة العجلات وفي الأشياء الأخرى التي يمكننا أن نتعلّم منها أنّ أولئك الذين يجعلون الجانب الأيسر أضعف من الجانب الأيمن، فإنّهم يفعلون ذلك بشكل معاكس للطبيعة. وفي حالة ريشة العزف المصنوعة من قرن الحيوان فقط، وما أقوله عنها أقوله عن الأدوات المشابهة، وهي ليست بذات أهمّية، لكنها تخلق فرقاً كبيراً، ويمكن أن تكون ذات أهميّة عظيمة بالنسبة للمقاتل الذي ينبغي عليه أن يستعمل الأسلحة الحديديّة، الأقواس، الرماح، وما شابه. وفوق كلّ ذلك، عندما يجب عليه أن يحارب بالأسلحة الثقيلة ضدّ الأسلحة الثقيلة، وهناك فرق عظيم بين الشخص الذي تعلّم والشخص الذي لم يتعلّم، وبين الشخص الذي قد تدرّب على التمارين الرياضية والشخص الذي لم يتدرب عليها. إذ مثلما يكون الشخص الحاذق تماماً في البنكراتيوم[٤١] أو الملاكمة، أو المصارعة، ولا يستطيع أن يحارب من جانبه الأيسر، ولا يعرج ولا يمشي متثاقلاً في إرتباك أو فوضى عندما يجعله خصمه يغيّر موقعه، هكذا في القتال بالأسلحة الثقيلة، ويثبت الشيء عينه في كلّ الأشياء الأخرى، إذا لم أكن مخطئاً. إنّ الذي لديه هذه القوى المضاعفة للهجوم والدفاع لا ينبغي عليه أن يتركها بأيّة حال إمّا غير مستعملة أو غير مدرَّبة، إذا قدر على

ذلك. وإذا كان لدى شخص ما طبيعة جيريون أو برايريوس، فينبغي عليه أن يرمي مئة سهم مجنّح بمئة يد. وبعدُ فإنّ كلّ الهيئات القضائية، ذكوراً وإناثاً يجب عليهم أن يروا كلّ هذه الأشياء، وأن تشرف النساء على تمريض وتسلية الأطفال ويشرف الرجال على تعليمهم، كي يتمكنوا جميعهم صبيةً وبناتٍ على السواء من أن يكونوا سليمي الأيدي والأقدام، ولكي لا يتلقّوا هبات الطبيعة بالعادات السيئة، إذا استطاعوا.

التعليم قسمان: قسم للرياضة البدنيّة، التي تختصّ بالجسم، والقسم الآخر للموسيقى المصمّمة لتحسين الروح(٤٢)، والقسم الرياضي يُقسم إلى فرعين هما الرقص والمصارعة، ويقلّد نوع واحد منهما (الرقص) التلاوة الموسيقية، ويهدف إلى وقاية الكرامة والحريّة. ويهدف النوع الآخر إلى إحداث الصحّة، الرشاقة، والجمال في أعضاء وأجزاء الجسم، موفّراً الانثناء والتمدّد لكلّ منها. ولذلك فإنّ حركة متناسقة تنتشر في الجسم كلّه، وتشكّل شيئاً متمّماً ومناسباً للرقص. وأمّا فيما يختصّ بالمصارعة، فإنّ الخدع التي استنبطها انتايوس وسيريكيون في نظاميهما للمصارعة فصادرة من نفسٍ مختالة تنافسيّة، أو خدع الملاكمة التي اخترعها اييبوس أو أميكوس وكلّها خدع غير مناسبة للحرب ولا تستحقّ أن يقال الكثير عنها. لكنّ فنّ المصارعة الذي يبني الجسم ويُبقي الرقبة والجوانب والسواعد على حريّتها، فإنّه تمرين يتطلّب نفساً ووقفة رشيقة، وهو مفيد للقوّة الجسديّة وللصحة. هذه التمارين نافعة على الدوام، ولا ينبغي إهمالها، بل يجب أن تُفرض على الأسياد وأساتذة التعليم والطلاّب، عندما نصل إلى ذلك الجزء من أجزاء التشريع. ولسوف نرغب من الشخص أن يعطي تعليماتها بحريّة، وأن يتلقّاها الآخرون بشكر وعرفان بالجميل. ولا ينبغي أن تسقط التقليدات الملائمة للحرب في جوقتنا الموسيقية مرّة ثانية. إنّكم هنا في جزيرة كريت لديكم الرقصات

المسلَّحة للكيوريت، ولدى اللاقيدايمونيين تلك الرقصات التي للديوسكوري. وبما أنّ سيّدتنا العذارء، التي تبهجها سلوى الرقص، فكّرت أنّه من غير المناسب أن تتسلّى بيدين فارغتين، فما كان منها إلاّ أن تمنطقت بثياب كاملة التسليح وأدت الرقص بهذه الملابس. ويجب على الشباب والعذارى أن يقلّدوها بكلّ طريقة، مجلِّين فضل الآلهة بشكل كامل، قصد ضرورات الحرب، وينبغي عليهم أن يبتهجوا بالمناسبات كلّها. وهذه الأشياء ستكون أشياء صالحة للصبيان كذلك، وخاصة عندما يذهبون إلى الحرب، وذلك لينظّموا مواكب وتضرّعات لكلّ الآلهة في مجموعات جيّدة الترتيب والإعداد، مجموعات مسلحة يمتطي أفرادها ظهور الخيل يرقصون ويزحفون ببطء أو بسرعة، يقدّمون الصلوات للآلهة ولأبناء الآلهة، ويشاركون في المباريات، واستهلالها أيضاً، وسيحقّقون بهذه الأهداف ما يصبون إليه. إنّ هذه الأنواع من التمارين نافعة في السلام والحرب على حدّ سواء، وليس بتمارين غيرها. وهي مفيدة للدول والأشخاص بشكل مماثل. لكنّ الأعمال الشاقّة الأخرى والألعاب الرياضة وتمارين الجسد ليست جديرة بالرجال الأحرار، أوه يا ميغيلوس وكلينياس.

لقد وصفت بشكل تامّ نوع التمارين الرياضية التي قلت إنّ من الواجب وصفها بادىء ذي بدء، وإذا عرفت أنت أيّ وصف أحسن منه، أفلن تخبرنا عن أفكارك؟

كلينياس: ليس من السهل القيام بذلك، أيّها الغريب، ولا أن أضع جانباً مبادىء وقواعد هذه التمارين الرياضية أو أنطق بأحسن منها.

الأثيني: وبعدُ ينبغي علينا أن نقول ما يجب أن يُقال مع ذلك بخصوص هبات آلهات الفنّ والعلوم والشعر والغناء وبشأن أبوللو، وقبل أن نتوهّم أنّنا قلنا كلّ ما ينبغي قوله، وأنّ التمارين الرياضية بقيت بدون أن نتطرّق إليها. لكنّنا نرى

الآن أيّة نقاط رئيسيّة قد تمّ إسقاطها، ويجب أن نعلنها الآن. دعنا نتقدّم ونتكلّم عنها.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: دعني أخبرك مرّة ثانية، برغم أنك سمعتني أقول الشيء عينه سابقاً، عن وجوب أخذ الحيطة والحذر من قِبَل المتكلّم والمستمع كليهما، بشأن أيّ شيء فريد وغير اعتياديّ، لأنّ قصّتي يخاف أن يسردها العديد من الرجال. ومع ذلك فإنّ لي من الثقة ما يجعلني أواصل ما بدأته.

كلينياس: ماذا لديك لتقول أيّها الغريب.

الأثيني: أقول إنّه لا أحد راقب في الدول بشكل عامّ أنّ سلوى الطفولة تحتاج إلى مقدار كبير من الجهد على دوام ويحتاج إلى الدوام في التشريع لأنّ الألعاب عندما تُنظّم من أجل الأطفال الذين يقومون بالألعاب، والذين يسلّون أنفسهم بالطريقة عينها، والذين يجدون مرحاً في أشياء اللّعب عينها، فإنّ دساتير الدولة الأكثر جلالاً تسمح لهذه الألعاب أن تبقى بدون إعاقة وتستمرّ. في حين أن الالعاب الرياضية إذا أُعيقت، وإذا أُدخل عليها تجديد، وإذا تغيّرت دائماً، وإذا لم يتكلّم الشباب قطّ عن أنّ لهم الميول عينها والأفكار عينها المبنيّة على الولوع في الخير والشرّ، إمّا فيما يتعلّق بشأن أجسامهم أو بأرواحهم أو بألبستهم، فإن الذي يخترع شيئاً ما جديداً وغير لائق وفي غير محلّه صوراً وألواناً وما شابه فإنّه يُبجّل تبجيلاً خاصّاً، ويمكننا أن نقول بصدق إنه لا شرّ أعظم من هذا يمكن أن يحدث في الدولة[٤٣]. لأنّ من يُغيّر الألعاب الرياضية فإنّما يغيّر بالسرّ أخلاق الشباب، ويجعل القديم مهاناً بينهم والجديد معزّزاً مكرماً. وإنّي لأؤكّد أنّه لا ضرر لكلّ الدول أعظم من هذا القول وهذا التفكير. فهل ستسمعني لأبيّن لك مدى خطورة هذا الشرّ.

كلينياس: تعني اللّوم السيّىء للشؤون المتعلّقة بثقافة العصور القديمة في الدول؟

الأثيني: بالضبط.

كلينياس: إذا تكلّمت عن ذلك فستجدنا المستعمين الذين يميلون لتلقّي ما تقوله لا بسلبيّة بل بأقصى ما يمكن من إيجابيّة.

الأثيني: عليّ أن أتوقّع ذلك.

كلينياس: واصل.

الأثيني: حسناً إذن، دعنا نصرف كلّ إنتباهنا إلى كلمات بعضنا البعض. تؤكّد المحاورة أنّ أيّ تغيير مهما يكن، ما عدا التغيير عن الشرّ، فهو التغيير الأكثر خطورة من الأشياء كلّها. إنّ هذا لحقيقيّ في حالة الفصول والرياح، وفي تدبير أجسامنا وعادات عقولنا وتفكيرنا ـ إنّه لشيء حقيقيّ عن الأشياء كلّها ما عدا الأشياء السيّئة، كما قلت قبلاً. إنّ مَن يفحص بدقّة بنية الأفراد الذي تعوّدوا أكل اللحم من أيّ نوع، أو شرب أيّ شراب، أو القيام بأيّ عمل يستطيعون الحصول عليه، هؤلاء يمكنهم أن يلاحظوا أنّهم اضطّربوا بتأثيرها بادىء ذي بدء، لكن بعد مرور الزمن، فإنّ أجسامهم تنموْ متكيّفة بها، ويتعلّمون كي يعرفوا ويحبّوا التنوّع، ويكونون صحيحي الأجسام ويتمتعون ببهجة الحياة. وإذا ما قيّدوا أنفسهم فيما بعد بالحمية المثلى ثانية، فإنّهم يُصابون بالاعتلال الجسدي أولاً، ثم يعتادون على غذائهم الجديد بصعوبة. يمكننا أن نتصوّر مبدأ مشابهاً لإثبات ما يتعلّق بعقول أو أفكار الرجال وبشأن طبائع أرواحهم. فهم عندما يُربّون بنواميس محدّدة لم تغيّرها عناية إلهيّة، محدّدة خلال العصور الطويلة، لدرجة أن أحداً لا يتذكّرها أو يعرفها ولم يكونوا أبداً مختلفين عنها، أقول، عندما يُربّون بواسطتها فإنّ كلّ شخص يخاف ويستحي أن يغيّر ما تمّ تشريعه وترسيخه. يجب على المشرّع أن يجد طريقة لغرس مهابة ثقافة العصور القديمة، وسأقترح الطريقة التالية:

إنّ الناس ميّالون للتوهّم، كما قلت قبلاً، أنّه عندما تُغيَّر ألعاب الأطفال لأنّها مجرّد ألعاب، بدون الالتفات إلى أنّ العواقب الأكثر خطراً والمؤذية منبثقةٌ من التغيير. وهم يستجيبون بكلّ استعداد مع رغبات الطفل بدلاً من ردعها، دون الانتباه إلى أنّ هؤلاء الأطفال الذين يجددون ألعابهم سيكونون مختلفين عن الجيل الأخير للأطفال عندما يكبرون ويصبحون رجالاً، وكونهم مختلفين، سيرغبون نوعاً مختلفاً من الحياة، وتحت تأثير هذه الرغبة سيريدون مؤسّسات ونواميس تختلف عما لديهم. ولا يعي أيّ شخص منهم أنّه يتبع هناك ما سمّيته لتوي الآن الشرور الأعظم التي تفتك بالدول. إنّ التغييرات في الأنماط الجسديّة ليست شروراً خطيرة، لكنّ التغييرات المتكرّرة في الثناء واللوم على الأخلاق أو الأساليب فهي التأثيرات الأكثر تأثيراً من الجميع، وتحتاج إلى البصيرة الأعظم.

كلينياس: لتكن متأكداً.

الأثيني: وبعدُ أما زلنا نتمسّك بتأكيداتنا السابقة، من أنّ الإيقاعات والموسيقى هي تقليد للصفات الصالحة والطالحة في الرجال بشكل عامّ؟ فماذا تقول؟

كلينياس: إنّ هذا هو التعليم الحقيقيّ الذي نستطيع الاعتراف به.

الأثيني: ألا يجب علينا إذن، أن نحاول بكلّ طريقة ممكنة منع شبابنا من الرغبة حتّى في تقليد الأساليب الجديدة، إمّا في الرقص أو الأغنية؟ ولا ينبغي السماح لأيّ شخص أن يقدّم لهم أنواعاً متعدّدة من الملذّات.

كلينياس: الأكثر حقيقة.

الأثيني: هل يستطيع أحدنا أن يتصوّر أسلوباً للتأثير على هذا الهدف أفضل من ذلك الأسلوب الذي لدى المصريّين؟

كلينياس: وما هي طريقتهم؟

الأثيني: إنّهم يحيطون كلّ نوع من أنواع الرقص واللحن بهالة من القداسة.

يجب علينا أن نهتمّ بإقامة الاحتفالات حاسبين ما ينبغي أن تكون لسنة، وفي أيّ وقت، وفي تكريم أيّ آلهة، وأبناء الآلهة والأبطال الواجب تمجيدهم. وفي المقام الثاني، اختيار التراتيل الواجب أن تُغنى حين التضحيات المتعدّدة، وبأيّة رقصات يجب أن يُكرّم الاحتفال الخاصّ. إنّ هذه الأشياء ينبغي أن تُرتَّب من قِبَل أشخاص محدّدين. وحين ترتيبها، فإنّ الجمعيّة العموميّة للمواطنين يجب أن تقدّم تضحياتٍ وشراباً بحسب نصيب الآلهة الآخرين، وأن تكرس القصائد الغنائيّة للآلهة والأبطال. وإذا قدّم أيّ شخص أيّة ألحان أو رقصات أخرى لأيٍّ واحد من الآلهة، فإنّ الكهنة والكاهنات، وبالاتفاق مع حماة الناموس، سوف يبعدونه بإقرار من الدين والناموس، وإذا لم يخضع الذي يتمّ إبعاده لذلك، فسيكون عرضة خلال حياته كلّها لإقامة دعوى العقوق ضدّه من قِبَل أي شخص يحبّ ذلك.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: دعنا نتذكّر ما الذي يجب علينا عمله، من اعتبارنا لهذا الموضوع.

كلينياس: إلاَم تشير؟

الأثيني: أعني أن على أيّ إنسان شابّ، وعلى أيّ شخص مسنّ بشكل أكثر، عندما يرى أو يسمع أيّ شيء غريب أو غير مألوف، فليس عليه الإسراع لقبول ما يوهم أنّه نقيض الحقيقة، بل عليه أن يتأمّل ملياً كالذي يكون في مكان تلتقي عنده ثلاثة طرق، ولا يعرف جيّداً أيّها طريقه، ولا أين يتّجه. قد يكون وحيداً أو يسير مع مجموعة من الأشخاص، وسيقول لنفسه ولهم « أين الطريق؟ » ولن يتحرّك إلى الأمام إلى أن يقتنع بنفسه أنه يسلك الطريق الصحيح. وهذا ما يجب علينا أن نفعله في المرحلة الحاضرة. إنّ مباحثة غريبة في موضوع الناموس ظهرت للعيان، وهي تحتاج إلى التأمّل المليّ في أقصى درجاته. ونحن في سَنِّنا للناموس لا ينبغي علينا أن نكون

جاهزين للكلام بسرعة وبدون تردّد بشأن قضايا كبيرة وعظيمة كهذه، أو أن نكون واثقين من أننا نستطيع أن نقول أيّ شيء مؤكّد كلٌّ في لحظة.

كلينياس: الأكثر حقيقة.

الأثيني: إذن فإننا سنفسح مجالاً للتأمّل المليّ، ونقرّر متى أعطينا الموضوع الاعتبار الكافي. لكن لا يمكن أن يعيقنا شيء عن إتمام التنظيم الطبيعيّ لنواميسنا. دعنا نتقدم إلى الاستنتاج بشأنها في نظام واجب الأداء، لأنّه جائزٌ جدّاً، إذا شاء الله، كي يمكن للبيان التفسيري عندما يكتمل عنها أن يلقي ضوءاً على حيرتنا الحاضرة.

كلينياس: ممتاز، أيّها الغريب؛ دعنا نفعل كما تقترح.

الأثيني: دعنا نؤكّد العبارة الموهمة للتناقض(٤٤)، وهي أنّ ألحان الموسيقى هي نواميسنا. وهذه الأخيرة كونها الإسم الذي أعطاه القدماء للأغاني العاطفية أو الحماسيّة، فإنهم لن يعترضوا كثيراً على استعمالنا المقترح للكلمة على الأرجح. إن شخصاً ما، نائماً أو مستيقظاً، يجب أن لا يكون لديه شكٌّ حالم عن طبائعها. دع حكمنا القضائيّ يكون كما يلي: لا أحد سيأثم ضدّ النماذج المقدّسة العامّة في الغناء أو الرقص، ولا ضدّ النمط العامّ بين الشباب، بأكثر ممّا سيأثم ضدّ أيّ ناموس آخر. والذي يراقب هذا الناموس سيكون بريئاً طاهر الذيل. لكن الذي يعصيه سيعاقبه حماة الناموس والكهنة والكاهنات، كما قلتُ. إفترض أنّنا نتخيّل أنّ هذا هو ناموسنا.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: هل يستطيع أيّ شخص يسنّ نواميس كهذه أن يهرب من السخرية؟ دعنا نرى. أعتقد أنّ أماننا الوحيد سيكون في تشكيل أُطرٍ محدّدة للمؤلّفين الموسيقيين بادىء ذي بدء. إنّ إطاراً واحداً من هذه الأطر سيكون كما يلي: إذا قُدِّمت تضحية، وحُرِقت الضحايا طبقاً للناموس، أقول، إنّه إذا أمكن لأيّ

شخص ابناً كان أو أخاً، أن يقف بجانب شخص آخر عند المذبح وفوق الضحايا، ويجدّف على الله بشكل مرعب، إذا أمكنه أن يفعل ذلك، ألن تسبّب كلماته جَزَعاً ونذيراً بالشرّ وتوقّعاً للمصائب في ذهن أبيه وأقربائه الآخرين؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: وهذا العمل يأخذ مكانه تماماً في كلّ مدننا تقريباً. يقدّم المشرّع تضحية عامّة، ولا تأتي للاحتفال جوقة موسيقيّة واحدة بل تأتي عدة جوقات، ويأخذ المشرّع مكاناً بعيداً قليلاً من المذبح، ويصبّ من وقت لآخر كلّ نوع من أنواع التجديف على الله، التجاديف المرعبة عن الطقوس المقدّسة، مثيراً أرواح الحاضرين بكلمات وإيقاعات وألحان يؤدي سماعها إلى الحزن الأكثر. والذي يجعل المواطنين يغرقون في البكاء في اللحظة التي تقدّم فيها المدينة تضحية، يحمل سَعَف النخل، انتصاراً. وبعدُ، أفلا يجب علينا أن نمنع ألحاناً كهذه؟ وإذا وجب على مواطنينا أن يسمعوا نواحاً كهذا، فلتكنْ حينئذ وفي يوم مقدّس ومشؤوم جوقات موسيقيّة غريبة ومغنّون مستأجَرون مثل أولئك المستأجرين الذين يرافقون المتوفّين في المآتم، ويرتلون تراتيل كاريّة (٤٥) غير فصيحة. إنّ هذا النوع من الألحان هو النوع المناسب إذا ما كان لدينا ألحان كهذه على الإطلاق. وملابس المغنّين في المآتم يجب أن تلائم الأغاني الجنائزية، يجب ألاّ تُزيّن بالدوائر أو تحلّى بالذهب، بل أن تكون عكس ذلك. كفاية من كلّ هذا. سأسألك مرّة أخرى بكلّ بساطة إذا ما كنا سنضع مبدأً للأغنية .

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: يجب علينا أن نتفادى كلّ كلمة من كلمات الرجال الأشرار. إن نوع الغناء الذي يحمل بشرى الخير يجب أن يُسمع في كلّ مكان وفي دولتنا

على الدوام. إنّني بالكاد أحتاج لمعرفة رأيك مرّة ثانية، بل سأفترض أنك تتفّق معي.

كلينياس: مهما كلّف الأمر؛ إنّ الناموس هذا نصادق عليه جميعاً.

الأثيني: لكن ماذا سيكون ناموسنا الموسيقيّ أو طرازنا التالي؟ ألا يجب أن نقدّم صلواتنا للآلهة عندما نضحّي؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وسيكون ناموسنا الثالث، إذا لم أكن مخطئاً، ذا مفعول على شعرائنا واعين أنّ الصلوات التي نقدّمها للآلهة هي التماسات، وستأخذ هذه الصلوات منحىً استثنائياً كي لا نسأل بواسطتها شرّاً بدل الخير عن طريق الخطأ. ولكي نقوم بهكذا صلاة سيكون شيئاً مضحكاً جدّاً بكلّ تأكيد.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ألم نكن مقتنعين تماماً لوقتٍ قليلٍ خلا أنّ مدينتنا لا فضّة فيها ولا ذهب بلوتوس؟

كلينياس: لتكن متأكداً.

الأثيني: وماذا كان الهدف من محاورتنا كي يتم تبيينه؟ ألم ندلّ ضمناً على أنّ الشعراء ليسوا قادرين دائماً على معرفة ما هو خير وما هو شر؟ وإذا تفوّه أحدهم بصلاة خطأ بالأغنية أو بالكلمات، فإنّه سيجعل مواطنينا يصلّون عكس ما عيّنّاه في المسائل ذات الفحوى والشأن السامي من المسائل التي يمكن أن يُوجد بها أخطاء أقل أهميّة، كما قلت من قبلُ. هل سنقترح إذن اقتراحاً كواحد من نواميسنا ونماذجنا فيما يختصّ بآلهات الفنّ والعلوم والشعر والغناء -

كلينياس: ماذا؟ هل ستوضح الناموس بشكل أدقّ؟

الأثيني: هل سنسنّ ناموساً بأنّ الشاعر سيؤلّف شعره من شيء لا يناقض الأفكار

التي تتطابق والناموس، أو العادل، أو الجميل، أو الخيِّر، الذي سُمح لهم بالوجود في الدولة؟ ولن يُسمح له أن ينقل تأليفاته لأيّ أفراد خاصّين قبل أن يريها للقضاة المعيّنين ولحماة الناموس، وحتى يقتنع بها هؤلاء الحماة والقضاة. أمّا في ما يتعلّق بالأشخاص الذين نعيّنهم ليشرّعوا نواميسنا بشأن الموسيقى وفي ما يتعلّق بمدير التعليم، فإنّ قضيتهم قد تمّت الإشارة إليها سابقاً. سأسأل مرّة ثانية إذن، مثلما سألت قبلاً أكثر من مرّة؟ هل سيكون هذا الناموس ناموساً لنا للمرّة الثالثة، وهل سيكون طرازاً، وسيكون نموذجاً؟

كلينياس: يجب أن يكون هذا ما تقول، مهما كلّف الأمر.

الأثيني: سيكون شيئاً مناسباً إذن أن نمتلك تراتيل وثناءات على الآلهة[٤٦] ممتزجة بالصلوات. وبعد الآلهة يجب أن تقدّم الصلوات والثناءات إلى أنصاف الآلهة وإلى الأبطال بطريقة مماثلة، صلوات وثناءات مناسبة لصفاتهم وميّزاتهم المتعدّدة.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: في المقام التالي لا إعتراض على سَنِّ ناموس يقضي أن على المواطنين الذين توفّوا والذين فعلوا الخير وقاموا بالمآثر الخلاقة، إمّا بأرواحهم أو بأجسادهم، والذين كانوا مطيعين للنواميس، يقضي أن يُقرّظوا، وسيكون هذا الناموس ناموساً مناسباً جداً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: لكن كي نكرّم أولئك الذين لا يزالون أحياء بالترانيم والإطراءات فلن يكون شيئاً مضموناً.إنّ الإنسان ينبغي أن يمضي في مسلكه، وأن يصل إلى غاية عادلة، ولسوف نثني عليه حينئذ. ودع الثناء يُعطى للنساء كما يُعطى للرجال الذين تميّزوا بالفضيلة. أمّا نظام الغناء والرقص فسيكون على النحو التالي: هناك تاليفات موسيقية قديمة ورقصات ممتازة، وليس من العيب آن

نختار منها ما يلائم ويناسب المدينة المؤسّسة جديداً. وسيختار الحماة القضاة الذين لا يقلّ عمرهم عن خمسين سنة، والذين سيجرون الاختبار، سيضمنون أيّاً من القصائد القديمة التي يعتبرونها قصائد كافية. وأمّا القصائد التي يعتبرونها ناقصة أو غير مناسبة بالكليّة، فما عليهم إلاّ أن يرموها جانباً، أو أن يفحصوها ويصلحوها مستشيرين شعراء وموسيقيين، وموجدين استخداماً لعبقريّة الشعر، وموضحين لهم رغبات المشرّع وذلك ليتمكنوا من تنظيم الرقص، الموسيقى، وكلّ الأغاني الكورسيّة طبقاً لعقل وتفكير القضاة دون أن يسمحوا لهم بأن يغلّبوا رغباتهم وأهواءهم الفرديّة، إلاّ في قضايا قليلة ما. وبعدُ فإنّ الألحان والأنواع غير المنظّمة للموسيقى تُصنع عشرة آلاف مرّة أفضل بالتوافق مع الناموس والنظام على الدوام، وبرفض الشاعر الحلو طعماً كالعسل. إنّنا لا نعني هنا استثناء اللذّة بالكامل، وهي الصفة المميّزة للموسيقى كلّها. وإذ تربّى إنسان منذ طفولته على استعمال الموسيقى المنظّمة والبسيطة إلى أن يبلغ سنّ الرشد، فإنّه عندما يسمع الموسيقى المعاكسة يمقتها ويعتبرها جلفة ضيّقة الأفق والتفكير. لكنّه إذا تدرّب على الموسيقى الحلوة الطعم والعاديّة، فإنّه يعتبر النوع الأكثر تجهّماً منها بارداً وغير سارّ(٤٧). وهكذا، وكما قلت قبلاً، فإن الذي يسمعها لا يكسب من نوعٍ منها أكثر ممّا يكسبه من النوع الآخر. فكل منها له الأفضلية بجعل أولئك الذين يُدرَّبون عليها رجالاً أفضل، بينما يجعلهم النوع الآخر رجالاً أسوأ.

كلينياس: حقيقي تماماً.

الأثيني: مرّة ثانية يجب أن نميّز وأن نقرّر بناءً على مبدأ عامّ أيُّ الأغاني يناسب النساء، وأيّها يناسب الرجال. وينبغي علينا أن نعزو لها ألحانها وإيقاعاتها المناسبة. إنّه لشيء فظيع ومروّع لتآلف الألحان كلّه أن يكون غير متآلف، أو أن يكون الإيقاع غير إيقاعيّ. وسيحدث هذا عندما يكون اللحن غير

مناسب لها. ولهذا السبب فإنّ المشرّع يجب أن يخصّص لهذه طرائقها وأنماطها أيضاً. وبعدُ فإنّ كلا الجنسين لهما ألحانهما وإيقاعاتهما التي تخصّهما بالضرورة. وتلك التي للنساء تُعيِّن بفرقها الطبيعي بشكل واضح وكافٍ. إنّ النوع الرفيع والرئيسيّ منها، وذلك الذي يميل إلى الشجاعة، يمكن أن يدعى رجوليّاً بعدل؛ لكن ذلك النوع الذي يميل إلى الاعتدال والتوسّط، فيمكن إعلانه بالناموس وبالكلام العادي أيضاً أنّه النوعية الأكثر ملاءمة للنساء. سيكون هذا إذن النظام العامّ لهما.

دعنا نتكلّم الآن عن أسلوب التعليم وعن نقله للآخرين، وعن الأشخاص الذين سيُنقل لهم، ومتى يجب أن يتمّ نقل العلم على التوالي، أو أن يُرتّب كلّ شيء بمفرده. وكما أنّ باني السفن يضع صفوف روافد القص(٤٨) في السفن، وهكذا فإنّه يرسم السفينة رسماً كفافياً، كذلك أفعل أنا. أريد أن أميِّز نماذج الحياة وأن أضع روافد قَصِّها طبقاً لطبيعة أرواح الرجال المختلفة، قاصداً أن أتامّل مليّاً بأيّة وسائل وفي أيّة طرائق، يمكننا أن نقوم برحلة الحياة على النحو الأفضل بحقّ. وبعدُ فإنّ الشؤون الإنسانية بالكاد تكون جديرة بالاعتبار وبشكل جدي. وبرغم ذلك فيجب أن نكون جادّين بشأنها. إنّ ضرورة محزنة تجبرنا على القيام بذلك. وبما أنّنا وصلنا إلى هذا الحدّ من البحث، فمن الملائم لإتمام القضية، أن نستطيع إيجاد طريقة أو أسلوب مماثل لعمل ذلك. لكن ماذا أعني أنا بقولي هذا؟ يمكن أن يطرح شخص ما هذا السؤال المحدَّد، ويسأله بحقّ تماماً أيضاً.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أقول إنّ الإنسان يجب أن يكون جديّاً بشأن قضايا خطيرة، وينبغي أن لا يكون جديّاً بخصوص قضايا غير خطيرة. وأقول إنّ الله هو القصد الطبيعي الجدير والشريف بمساعينا الأكثر جديّة والأكثر مباركة. إنّ الإنسان كما

قلت قبلاً، صنع ليكون ألعوبة الله. وهذا الشيء، إذا ما صدّقناه، هو الشيء الأفضل له. ومن أجل ذلك أيضاً يجب على كل رجلٍ وكلّ امرأة أن يسيرا بجدية على الطريق المستقيم، وأن يمضيا حياتهما في التسليات الأنبل، وأن يكونا في عقليّة وتفكير غير ما هما عليه اليوم.

كلينياس: بأيّة طريقة؟

الأثيني: في الوقت الحاضر يتصوّرون أن مساعيهم الجديّة يجب أن تكون قصد اللهو واللعب. فهم يعتبرون الحرب مسعىً من المساعي الخطيرة، والتي يجب أنَ تُدار جيّداً من أجل السلام. لكن في الحقيقة فإنّه لا يوجد لا الآن ولا سابقاً ولا لاحقاً، لا يوجد تسلية أو تثقيف بدرجة تستحقّ الكلام عنها في الحرب، والذي نعتبره المساعي الأكثر جديّة على كلّ حال. ولذلك، كما قلنا، يجب على كلّ واحد منا أن يحيا حياة السلام وبجودة قدر استطاعته. ولنسأل ما هي الطريقة الصحيحة للحياة؟ هل يجب علينا أن نحيا في التسليات فقط وعلى الدوام؟ إنْ هكذا، ففي أيّ نوع من أنواع التسلية؟ يلزمنا أن نحيا مضحّين، ومغنّين، وراقصين، وسيكون الإنسان قادراً بعدئذ على استعطاف الآلهة والدفاع عن نفسه ضدّ أعدائه وقهرهم في المعركة. إنّ نمط الأغنية والرقص اللذين سيستعطف الإنسان الآلهة بواسطتهما قد تمّ وصفهما، وقد شقّت له المسالك التي ينبغي أن يتقدّم من خلالها لهذا الهدف. وهو سيسير إلى الأمام في نفسيّة الشاعر القائل:

« يا تيليماخوس، هناك أشياء لن تجدها أنت بنفسك وفي قلبك، لكنّ أشياء أخرى سوف يقترحها الله؛ لأنّني أعتبر أنّك لم تُخلق أو تُربَّ بدون إرادة الآلهة ».

وهذه الفكرة يجب أن تكونِ فكرة خريجي جامعاتنا وينبغي عليهم أن يفكّروا بأن ما قد قيل كافٍ لهم، وأنّ أيّة أشياء أخرى سيقترحها لهم

عباقرتهم وإلههم - إنّ إلههم سوف يقول لهم لمن، ومتى، لأية آلهة ينبغي عليهم أن يضحُّوا وأن يؤدّوا رقصات على التوالي، وكيف يمكنهم أن يستعطفوا الآلهة، وأن يحيوا طبقاً لما عيَّنته الطبيعة؛ كونهم دمىً متحرّكة بجزئهم الأكثر، لكنّهم يمتلكون حصّة ما قليلة من الحقيقة.

ميغيلوس: إنّ لديك رأياً وضيعاً عن الجنس البشريّ، أيّها الغريب.

الأثيني: لا، يا ميغيلوس، لا تكن منشدهاً، بل سامحني. لقد قارنتهم بالآلهة؛ وتكلّمت تحت تأثير هذا الشعور. دعنا نسلِّم إذا رغبت، بأنّ الجنس الإنسانيّ يجب أن لا يُزدرى به، بل إنه جدير ببعض الاعتبار.

يتبع ذلك أن منشآت التمارين الرياضية والمدارس مفتوحة للجميع. وهذه المنشآت يجب أن تُبنى في مواقع ثلاثة وسط المدينة، وفي مواقع ثلاثة أيضاً خارج المدينة في الريف المحيط. وسيتمّ بناء مدارس للتمارين على الفروسية، ولسوف تُرتَّب أراض فسيحة بقصد الرمي بالسهام والقذائف، والتي يمكن أن يتعلمها ويتدرّب عليها الرجال الشباب، ولقد تمّ ذكر هذه الأشياء سابقاً(٤٩). وإذا لم يكن ذكرها كافياً بشكل جليّ، فدعنا نتعامل معها بالشرح الذي يرافق سَنّ النواميس. يجب أن يكون في هذه المدارس المتعدّدة مساكن للأساتذة الذين سوف يتمّ إحضارهم من المناطق الأجنبيّة مقابل رواتب. وهؤلاء الأساتذة عليهم أن يعلِّموا الذين يحضرون إلى المدارس فنّ الحرب وفنّ الموسيقى. وأمّا الأطفال فسوف يأتون سواء أَرَضِيَ آباؤهم أم لا. وسيكون التعليم مجانياً، كما يقال، وللجميع بدون استثناء بقدر الإمكان. وسيتمّ اعتبار التلاميذ وكأنّهم يخصّون الدولة بدلاً من أن يخصّوا آباءَهم. إنّ ناموسي هذا سينطبق على الإناث كما على الذكور، وهم سيؤدّون التمارين عينها. إنّي أؤكّد بدون خوف، أنّ الألعاب الرياضية والفروسية مناسبة للنساء مثلما هي مناسبة للرجال(٥٠). إنّني لمقتنع بحقيقة هذا من

عُرفٍ قديم. وفي يومنا الحاضر يقال إنّ هناك أعداداً لا تُحصى من النساء في جوار البحر الأسود، يُدعونَ بالسوروماتايدس لا يمتطينَ ظهور الخيل مثل الرجال فقط، بل فُرض عليهنَّ استعمال الأقواس والأسلحة الأخرى مع الرجال على قدم المساواة. وإنّني أؤكّد بشكل أبعد أنّه إذا كانت هذه الأشياء ممكنة، فليس هناك ما هو أكثر إثارة للسخرية من التمرين الذين يسود في أنحاء بلادنا، وهو أنّ الرجال والنساء لا يتبعون الملاحقات عينها بكلّ ما أوتوا من قوّة وبعقلية واحدة لأنّ الحالة إذا بقيت كما هي الآن، فبدلاً من أن تكون الدولة كلاًّ لا يتجزأ تُخفَّض إلى نصف قوّتها عند استثناء النسوة(٥١). لكن يجب عليهنَّ أن يدفعن الضرائب وأن يتعرّضن للمشقّات عينها، وأيّ خطأ أعظم من هذا يمكن لأيّ مشرّع ارتكابه إذا فعل عكس ما نقول؟

كلينياس: ربّما، ومع ذلك فإنّ كثيراً ممّا أكّدناه، أيّها الغريب، مناقض لأعراف الدول. يبقى، أنّه يجب السماح للمحادثة بالتقدّم، وعندما تصل المحادثة إلى كمالها ينبغي علينا أن نختار ما يبدو أنّه الأفضل. لقد تكلّمتَ بشكلٍ مناسب جدّاً، وإنّي أشعر بوخز الضمير لما قلته. أخبرني إذن ما الذي سترغب بقوله لاحقاً.

الأثيني: أرغب أن أقول، يا كلينياس، وكما قلت قبلاً، إنّ إمكانيّة تحقيق هذه الأشياء إذا لم تتم برهنته في الحقيقة، يمكن للاعتراض على المحاورة أن يجد سبيله. لكنّ الحقيقة هي كما قلت، فإنّ من يرفض الناموس ينبغي عليه أن يُوجد أرضيّة أخرى للاعتراض؛ وإذا أخفق في هذا، فإنّ عظتنا أو تحذيرنا سيبقيان ثابتين وراسخين، وهو أن النساء ينبغي عليهنَّ الاشتراك في التعليم وفي الطرائق الأخرى مع الرجال قدر المستطاع. وتأمّل مليّاً، إذا لم تشارك النساء مع الرجال في حياتهنَّ كلّها فينبغي علينا عندئذ أن نتّبع نظاماً آخر للحياة.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وأيّة ترتيبات أو تنظيمات للحياة توجد في أيّ مكان وتفضّلها هذه الجماعة بدلاً من التنظيمات التي نخصّصها لها الآن؟ هل ستفضّل تلك التنظيمات التي يستخدمها التراقيون والسلالات الأخرى المتعدّدة. أن يستخدموا نساءَهم في حراثة الأرض وفي رعي قطعانهم وماشيتهم، وهنَّ يخدمنَهم كما يخدمهم العبيد؟ أو هل سنفعل كما يفعل الناس في منطقتنا هذه من العالم؟ جالبين معاً، كما تقول العبارة، كلّ ما نملكه من أشياء منقولة وغير منقولة إلى مسكن واحد، ثم نعهد بها إلى نسائنا اللواتي يكنَّ المسؤولات عن تدبيرها والإشراف عليها، واللواتي يترأسن أعمال الوشائع وفنّ الحياكة بمجمله؟ أوهل سنسلك الطريقة الوسطى، كما يفعل اللاقيدايمونيون، يا ميغيلوس، تاركين الفتيات تشارك في الألعاب الرياضية وفي الموسيقى، في حين أنّ النساء الأكبر سنّاً، اللواتي لا يستخدمن في حياكة الصوف، يكنَّ عاملات كادحاتٍ في حبك نسيج الحياة، وهذا الاستخدام ليس استخداماً تافهاً أو دنيئاً، ويكنّ عاملات ناشطات في القيام بواجباتهنَّ الخدماتية وفي عنايتهنَّ ببيوتهنَ وبتربية أطفالهن، سيقسمن وقتهنَّ بين هذه الأعمال، غير مشاركات في مشقّات الحرب وصعوباتها؟ وإذا قضت الضرورة أن يحاربن لتسلم مدينتهنَّ وعائلاتهنَّ وبشكل مغاير لما تفعله الأمازونيات[٥٢]، فإنّهنَّ لن يكنَّ قادرات على أن يشاركن في رمي السهام أو استعمال القذائف الأخرى ببراعة، أو أن يحملن الترس أو الحربة، على غرار الإلهة، أو أن يقفن بنبل من أجل بلادهنَّ عندما تكون على شفير الدمار، وأن يرمينَ الرعب في قلوب أعدائهن، إذا كان سبب ذلك أنّه تمّت مشاهدتهن في نظام متراصّ منضبط؟ وعائشات كما يفعلن، فإنّهنَّ لن يجرؤن قطّ على تقليد السوروماتايدز اللواتي عندما يقارنَّ بالنساء العاديّات

سيظهرن أشبه بالرجال. دع من يشاء يثني على مشرّعيكم، لكن يجب عليّ أن أقول ما أؤمن به. إنّ المشرّع ينبغي عليه أن لا يدع الجنس الأنثوي يعيش بنعومة ويبذّر الأموال وأن لا يكون لديه نظام في الحياة، في حين أنّه يبدي أقصى اهتمامه بالجنس المذكّر، ويترك نصف الحياة والسعادة تاركها، عندما يمكّنه أن يجعل الدولة كلّها سعيدة.

ميغيلوس: ماذا سنفعل، يا كلينياس؟ هل سنسمح لغريب أن يطعن في اسبارطة بهذه الطريقة؟

كلينياس: نعم، لأنّنا مثلما أعطيناه حرية الكلام يجب أن ندعه يواصل الكلام إلى أن نتمّم عمل المشرّع.

ميغيلوس: حقيقي تماماً.

الأثيني: يمكنني أن أواصل كلامي الآن إذن؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: ماذا سيكون نمط الحياة بين الرجال الذين يُفترض أن يكون الغذاء والكساء مجهّزاً لهم باعتدال، والذين عهدوا بمزاولة الفنون للآخرين، والذين سلّموا زراعتهم للعبيد مقابل جزء ممّا تنتجه الأرض ممّا جلب لهم عائدات تكفيهم للعيش باعتدال؟ والذين، علاوة على ذلك، لديهم موائد مشتركة يُوضع الرجال فيها على انفراد، وبقربهم الموائد المشتركة لعائلاتهم، للفتيات ولأمّهاتهم، والتي يجب أن يُعاينها الضباط يوماً بيوم، الذكور منهم والإناث - هم سيتيقّنون من سلوك الجماعة. وهكذا إذا أخطأ أحدهم فسينبذونه. وبمقتضى هذه الموائد المشتركة فإنّ القاضي الذي يشرف عليها ومَن يحضر معه، سيكرّمون الآلهة بالسائل المُراق، الآلهة الذين كُرّس لهم ذلك النهار وتلك الليلة. وبعد انتهاء الواجب يذهبون إلى بيوتهم؟ ولنسأل أليس هناك عمل آخر لينجزه الرجال الذين نُظّمت حياتهم هكذا، أم ينبغي

على كلّ واحدٍ منهم أن يعيش ويسمن كما تعيش وتسمن البهائم؟ إنّ حياة كهذه ليست حياة نبيلة ولا شريفة، ولا يستطيع مَن يحياها أن يخفق في أن يلقى ما يستحقّ عليه دفعه؛ ولا يستحقّ البهيم المسمَّن الكسول إلا أن يُمزّقه إرباً بهيمٌ شجاع آخر أنحله الكدح والأعمال الشاقّة. هذه التنظيمات إذا نظرنا إليها كما يجب، لن تُوضع موضع التنفيذ في الحالات الحاضرة أبداً ما دامت النساء والأطفال والبيوت وكلّ الأشياء الأخرى ملكيّةً خاصّةً للأفراد. لكنّ إذا استطعنا أن نصل إلى الشكل الثاني الأفضل لنظام الحكم، فإنّنا سوف نكون في حالة جيّدة جداً. ويبقى هناك عمل كي يتم إنجازه بواسطة رجال يحيون تحت هذا الشكل الثاني من أشكال نظام الحكم الذي هو شكل بعيد جدّاً عن أن يكون حكماً صغيراً وعديم الأهميّة، بل إنّه أعظم الأعمال كلّها، وهو المعيَّن بتوظيف الناموس الحقّ والصحيح. إنّ الحياة التي يمكن أن يقال إنها خاصة بتدريب الجسم والروح في الفضيلة بحقّ هي عبارة عن حياتين، أو أكثر من حياتين، وكأنّها حياة مليئة بالمشقة والحَرَج، مثلما تكون الملاحقة عقب الانتصارات البيثيّة والأولومبيّة[٥٣] التي تحرم الإنسان من كلّ وظيفة من وظائف الحياة. ما من عملٍ عرضيٍّ يعترض العمل الأكبر بتقديم التمرين الضروريّ مع الغذاء للجسم، وتقديم التثقيف والتعليم للروح. إنّ الليل والنهار ليسا وقتاً كافياً لإنجاز كمالهما وتحقّقهما. ولهذا السبب فإنّ الرجال الأحرار ينبغي عليهم أن يرتّبوا الطريقة التي سيصرفون وقتهم بواسطتها لهذه الغاية خلال السياق الكامل للنهار، من الصباح إلى المساء ومن المساء حتى شروق شمس النهار التالي. يمكن ألا يبدو وجود مناسبة ما في أن يقرّر المشرّع بدقّة التفاصيل التي لا تحصى في إدارة البيت، بما في ذلك بعض خاصيّات كواجب اليقظة عند الحماة الدائمين للمدينة كلّها. لذلك فإنّ أيّ مواطن ينبغي عليه ألاّ يستمرّ في النوم

ليلةً بكاملها، بل يجب أن يراه كلّ خدمه أنّه أوّل من يستيقظ وينهض من فراشه على الدوام - هذا، وسواء سُمّيتْ هذه النُظم ناموساً أو تمريناً وممارسة فقط، فإنّما يجب اعتبارها دنيئة وغير جديرة بالإنسان الحرّ، ولا ينبغي على ربّة البيت أيضاً أن توقظها خادماتُها بدل أن تكون هي أوّل المستيقظين. وإذا كان الوضع عكس ذلك فهذا شيء سافل يرتكبه العبيد، الذكور والإناث، والخدم الذكور كلّهم، وإذا أمكن هذا، فكل شخص وكل شيء في البيت. وإذا استيقظوا كلّهم باكراً، فيمكنهم جميعاً أن ينتهوا من الكثير من أعمالهم العامّة والمنزلية، مثلما يفعل الحكّام أو الهيئات القضائيّة في المدينة، ومثلما يفعل أرباب البيوت وربّاتها في بيوتهم الخاصة، وقبل بزوغ نور الشمس، ونحن لا نحتاج لكثرة النوم بالطبيعة، لا لأرواحنا ولا لأجسامنا، وهي لا تزال مناسبة لكلّ أشكال النشاطات هذه. إذ النائم لا يصلح لشيء وهو ليس بأكثر من ميت، لكن الذي نعتبره منّا والذي يقيم وزناً للحياة والعقل يبقى مستيقظاً قدر ما يستطيع، محتفظاً بقدر من الوقت للنوم بشكل مناسب للصحّة. ونحن لا نحتاج لوقت كثير من النوم إذا صيغت عادة الاعتدال بجودة ولمرّة واحدة. إنّ الرجال في موقع المسؤوليّة الذين يستيقظون أثناء الليل هم رجال يرهبهم الأشرار، سواء أكانوا أعداء أو مواطنين، ويكرّمهم ويبجّلهم العادلون والمعتدلون وهم نافعون لأنفسهم وللدولة كلّها.

إنّ الليل الذي يمرّ في نمطٍ كهذا، بالإضافة لكلّ المنافع التي ذكرتها آنفاً، يغرس نوعاً من الشجاعة في عقول المواطنين. عندما يطلع النهار، يحين وقت ذهاب الشباب إلى مدرّسيهم. وبعدُ فكما أن الأغنام وأيّة حيوانات أخرى لا يمكنها أن تحيا بغير راعٍ، فكذلك لا يترك الأطفال بدون معلمين، ولا العبيد بدون أسياد. والصبيّ من بين الحيوانات كلّها هو الأصعب انقياداً، ما دامت فيه نافورة من العقل لم يتمّ تنظيمها بعد. إنّه لحيوان ماكر وذكاؤه

حادّ، وهو الأكثر عصياناً من الحيوانات جميعاً. لذلك يجب أن يوثق بعدّة مكابح؛ ففي المقام الأوّل، عندما يهرب من أمهاته وممرّضاته يجب أن يكون تحت إدارة معلّمين بسبب طفولته وغبائه. وينبغي أن يضبطه المعلمون مرّةً ثانية بوصفه إنساناً حراً، ولا يهمّ ماذا يعلّمون، ويجب أن يتمّ تنظيمه بالدراسة. لكنّه يكون عبداً أيضاً. وفيما يتعلّق بذلك فإنّ أيّ إنسان حرّ يعترضه، يمكنه أن يعاقبه ويعاقب معلّمه ومربّيه إذا ما ارتكب أحدهم خطأً. وأمّا الذي يلتقيه ولا يُنزل به العقاب الذي يستحقّه، فإنّه سوف يتعرض لأكبر الإهانات. وعلى حامي الناموس الذي هو مدير التعليم أيضاً، عليه أن يولي عنايته للذين يبلغ بهم الأمر حدّ الإهانات التي ذكرناها سابقاً، وأن يعاقبهم عندما ينبغي عقابهم، أو أن لا يعاقبهم بغير الطريقة التي يجب أن يعاقبهم بها. عليه أن يبقى منتبهاً ويعتني عناية خاصّة بتدريب أطفالنا، موجّهاً طبائعهم، محوّلاً إياهم إلى الخير طبقاً للناموس على الدوام.

لكن كيف يمكن لقانوننا أن يدرّب مدير التعليم نفسه بشكلٍ كافٍ، لأنّ كلّ شيء حتى الآن ليس كاملاً، ولم يتمّ قول أيّ شيء كافٍ أو واضح بشكل مقنع؟ وبعدُ، وعلى قدر المستطاع، يجب أن لا يُسقط القانون أيّ شيء يتعلّق به، بل عليه أن يشرح كلّ شيء، ليكون المؤوّل والمعلّم للآخرين. لقد تحدّثت عن الرقص والموسيقى والأغاني الكورسيّة سابقاً، بحيث يتمّ اختيار كلّ منها، وتكلّمت عن طريقة إصلاحها ولمن ستُكرّس.

لكنّنا لم نتكلّم بعدُ أيّها اللامع الحامي للتعليم، لم نتكلّم عن الطريقة التي يستخدمها تلاميذك لتلك الأغاني المكتوبة نثراً، رغم أنّنا أخبرناك أيّة أغانٍ عسكريّة يجب عليهم أن يتعلّموا ويستخدموا؛ أيّة أغانٍ تتعلّق بتعلّم الحروف في المقام الأوّل، وثانياً بتعلّم العزف على القيثار والحساب أيضاً. وقلنا إنّها ضرورية لهم كلّهم ليتعلموا بقدر ما يحتاجون منها من أجل الحرب، وإدارة

البيت والمدينة. ومتطلّعين إلى الموضوع عينه، يلزمهم أن يتعلّموا ما هو نافع في دوران الأجرام السماويّة: النجوم والشمس والقمر والنظم المتعدّدة المتعلّقة بهذه القضايا الضرورية للدوْلة كلّها - إنّني أتكلم عن ترتيبات الأيام في فترات شهرية، وعن ترتيبات الأشهر في فترات سنويّة، والتي يجب مراقبتها. كما يمكن أن يكون لتلك الفصول والتضحيات والأعياد نظامها المنتظم والطبيعيّ، ولتبقى المدينة حيَّة ويقظة. فالآلهة يتلقّون تكريماتهم الواجبة الأداء، والرجال يحوزون فهماً أفضل بشأنهم. كلّ هذه الأشياء، يا صديقي، لم يعلن لك المشرّع عنها بشكلٍ كافٍ. إصْغِ إلى ما سأقوله إذن: لقد أخبرناك بدايةً أنّه لم يتمّ إخبارك عن الحروف بشكل كافٍ، والاعتراض كان على هذا الواقع، وهو أنّك لم تُعلَّم أنّ ما عنينا به المواطن المحترم هل ينبغي أن يخصّص نفسه لهذا النوع من أنواع التعليم بالتفصيل أو لا؟ وتثبت الملاحظة عينها جيّداً بشأن درس العزف على القيثار. لكنّنا نقول الآن إنّه يجب عليه أن يحضرها ويصغي إليها. إنّ الصبيّ الذي بلغ العاشرة من العمر يلزمه لتعلّم الحرف ثلاث سنوات. أمّا في سنّ الثالثة عشرة فهو الوقت المناسب له لإمساك القيثارة. ويمكنه أن يستمر في تعلّم ذلك لمدة ثلاث سنوات أخرى لا أكثر ولا أقل. وسواء أحبّ هو أو والده هذه الدراسة أم لم يحباها، فلن يُسمح له أن يمضي وقتاً أقلّ أو أكثر في تعلُّم الموسيقى ممّا يسمح القانون به. ومَن يَعْصِ الناموس يجب أن يجرَّد من تلك التكريمات الممنوحة للشباب والتي سنتكلّم عنها في ما بعدُ. إسمع قبل كلّ شيء، ما يجب أن يتعلّمه الفتيان في سني حياتهم المبكرة، وما ينبغي على معلمهم أن يعلّمهم. يجب على الفتيان أن ينهمكوا بتعلّم الحروف إلى أن يتمكّنوا من القراءَة والكتابة. لكن اكتساب الجمال التامّ أو سرعة الكتابة فينبغي عليهم أن يدعوها وشأنها، إذا لم تؤهّلهم طبيعتهم لاكتساب هذه الإنجازات في عدد معيّن من

السنين. أمّا في ما يتعلّق بتعلم التآليف المخصّصة للكتابة الموضوعة للقيثارة، سواء أتعلقت بالقياس أو كانت بدون تقسيمات إيقاعية، وسواء إذا كانت تآليف نثرية، كما تدعى، وليس لها أيّ إيقاع أو تآلف ألحان - مع الأخذ بعين الاعتبار خطورة الكتابة التي تركها لنا كتّاب هذه الطبقة المتعدّدون - فماذا ستفعلون بهم، أيّها الحماة الممتازون للناموس؟ أو كيف يمكن أن يوجّهكم المشرّع بشأنها؟ أعتقد أنّ المشرّع سيكون وضعه صعباً وحَرِجاً في الوقت عينه.

كلينياس: ما الذين يزعجك، أيّها الغريب، ولماذا تحتار في تفكيرك وعقلك؟

الأثيني: إنّك تطرح سؤالاً طبيعياً، يا كلينياس، ولك كما لميغيلوس، شريكاي في العمل التشريعي، لكما يجب أن أعرض الصعوبة الأكثر كما أعرض الجوانب الأسهل في هذا العمل الشاقّ أيضاً.

كلينياس: إلامَ تشير؟

الأثيني: سأخبرك. هناك صعوبة في اعتراض عدد لا يُحصى من الأفواه.

كلينياس: حسناً، أوَلم نعارض نحن الصوت الشعبيّ في العديد من التشريعات الهامّة سابقاً؟

الأثيني: إنّ ذلك لحقيقيّ تماماً؛ وتعني لتدلّ ضمناً على أنّ الطريق الذي نسلكه يمكن أن يكون طريقاً لا يلائم البعض، لكنّه يلائم العديد من الآخرين. وإذا لم يكن طريقاً يناسب العدد الكبير، فإنّه يلائم الأشخاص الأقلّ شأناً من الآخرين، وإنّك لتأمرني بمصاحبتهم ومزاملتهم مهما تكن المخاطر، وتأمرني أيضاً بالتقدّم على طول الطريق التشريعيّ الذي فتح بحثنا الحالي، لأكون مبتهجاً في ما سأقوم به، ولا أميل إلى اليأس على الإطلاق.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وإنّني لن أيأس، أقول حقاً، إنّ لدينا الكثير من الشعراء الذين كتبوا شعراً

سداسي التفاعيل، ثلاثي التفاعيل، وفي كل نوع من أنواع الأوزان - إنّ بعض شعرهم خطير، وبعضه يثير الضحك - ويعلن الجنس البشريّ كلّه أنّ الشباب الذي تلقّى التعليم الجيّد عليه أن يُربّى فيه وأن يُشبَّع به. ويُصرُّ البعض على سماع هذا النوع من أنواع الشعر عن طريق إلقائه بصوتٍ عال وبشكل متواصل. ويُصرُّون على أن يتعلّموه، كي يحفظوا ما يكتب الشعراء عن ظهر قلب. في حين أنّ الآخرين يختارون مقاطع مفضّلة وخطباً طويلة، ويلخّصونها بشكل وافٍ، قائلين إنّ هذه المقاطع يجب إيداعها في الذاكرة إذا ما كان على الإنسان أن يصبح خيّراً أو حكيماً بالخبرة وبتعلُّم أشياء عديدة. وتريدني أنت الآن أن أقول لهم بشكل واضح بماذا هم محقّون وأين مواقع زللهم.

كلينياس: نعم، أريد منك أن تفعل ذلك.

الأثيني: لكن كيف يمكنني أن أفهمهم كلّهم بكلمة واحدة؟ هناك اتّفاق عامّ في رأيي، إذا لم أكن مخطئاً. يقول الاتفاق إنّ كلّ شاعر من هؤلاء الشعراء قال العديد من الأشياء الجيدة، كما أنّه قال العديد من الأشياء الرديئة. وإذا كان هذا صحيحاً، فإنّني أؤكّد حينئذ أنّ الكثير من التعليم يشكل خطراً على الشباب.

كلينياس: بماذا ستنصح حامي الناموس أن يفعل؟

الأثيني: في أيّة وجهة نظر؟

كلينياس: بأيّ نموذج عليه أن يسترشد في السماح للشباب بأن يتعلّموا شيئاً ما ويمنعهم أن يتعلّموا الأشياء الأخرى. لا تنفر من الإجابة.

الأثيني: يا جيّدي كلينياس، إنّني أعتقد بأنّي سعيد على الأصحّ.

كلينياس: كيف ذلك؟

الأثيني: أعتقد بأنّي لست بحاجة إلى النمودج بشكل كليّ، لأنّني عندما أتأمّل

الكلمات التي تفوّهنا بها منذ طلوع الفجر حتّى الآن، والتي ألهمتها السماء، كما أعتقد، إنّي عندما أتأمّلها فإنّها تبدو لي كالقصيدة تماماً، وأشعر بالسرور بشكل طبيعيّ لأنّ من بين كلّ المحادثات التي تعلّمتها أو سمعتها في حياتي شعراً أو نثراً، فإنّ هذه المحادثة بدت أعدلها وأكثرها ملاءمة ليسمعها الرجال الشباب. إنّي لا أستطيع أن أتصوّر أي نموذج أفضل من هذا النموذج الذي يستطيع امتلاكه حامي الناموس الذي هو مدير التعليم أيضاً. وهو لا يقدر أن يفعل أفضل من أن ينصح المعلّمين بتعليم الشباب هذه الكلمات ذات الطبيعة المشابهة. وإذا ما حدث أنه وجدها إمّا شعراً أو نثراً، أو إذا ما صادف المحادثات غير المكتوبة المماثلة لمحادثتنا، فإنّ عليه أن يقيها ويصونونها ويدوّنها كتابةً. وقبل كلّ شيء، فإنّه سيجبر الأساتذة أنفسهم على تعلّمها والمصادقة عليها. وإذا لم يفعل أيٌّ منهم ذلك، فلن يستخدمه حامي الناموس هذا. لكنّ أولئك الذين يجدهم موافقين في حكمه، سيستخدمهم وسيعهد لهم بتعليم وتثقيف الشباب. وهنا وفي ما يتعلّق بهذا فيجب على قصّتي الخياليّة هذه بشأن الحروف ومعلّميها أن يوضع لها حدّ.

كلينياس: أظنّ أيّها الغريب، أنّنا هِمنا خارج الحدود المقترحة للمحاورة. لكن سواء إذا كنا محقّين في تصوّرنا كلّه أم لا، فإنّني لا أقدر على أن أكون متأكّداً جدّاً من ذلك.

الأثيني: قدْ تصبح الحقيقة أوضح أيّها الغريب، عندما نصل إلى النهاية ونكمل محادثتنا كلّها بشأن النواميس، كما قلنا ذلك غالباً.

كلينياس: نعم.

الأثيني: وبعدُ بما أنّنا قمنا بما ينبغي علينا القيام به مع معلّم الحروف، فإنّ معلّم القيثارة يجب أن يتلقّى منّا الأوامر.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أظن أنّه ينبغي علينا أن نتذكّر أبحاثنا السابقة فقط، ولسوف نستطيع أن نعطي نُظماً مناسبة تحاذي كلّ هذا الجزء من التثقيف والتعليم لأساتذة القيثارة.

كلينياس: إلامَ تشير؟

الأثيني: قلنا، إن كنت تتذكّر، إنّ المنشدين في جوقة ديونيسوس البالغين من العمر ستّين سنة كان عليهم أن يكونوا سريعين في إدراكهم للحن والتأليف الموسيقيَّيْن بشكل خاصّ، وذلك ليكون في مقدورهم التمييز بين التقليد الجيّد والسّيّىء؛ بمعنى، تقليد الروح الخيّرة أو الشرّيرة عندما تكون تحت تأثير الانفعال، ترفض الواحد وتعارض الآخر في التراتيل والأغاني، وتفتتن روح الشباب، وتحثها على تتبّع الفضيلة ونيلها بطريقة التقليد.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: ومن أجل ذلك فإنّ المعلِّم والمتعلّم يجب أن يستعملا أصوات القيثارة، لأنّ أنغامها الموسيقيّة أوضح، والعازف الذي يعلِّم وتلميذه الذي يتعلّم يؤدِّيان علامة موسيقيّة مقابل علامة موسيقيّة في انسجام موسيقيّ. لكنّ التعقيد وتنوّع الأنغام أو العلامات الموسيقية، يظهران عندما تعطي الخيطان صوتاً واحداً أو يعطي الشاعر أو الملحّن صوتاً آخر ـ ويظهران أيضاً عندما يحدثان توافقاً للأصوات وتآلفاً للألحان التي تكون الفواصل الموسيقية فيها أقلّ وأكثر، بطيئة وسريعة، أو تكون نغماتها الموسيقية عالية أو منخفضة. أقول، عندما تكون كلّ هذه الأشياء منضمَّة ومتّحدة، أو ثانية، عندما يظهران إيقاعات ذات تعقيدات متنوّعة، يكيِّفانها مع نغمات القيثارة الموسيقية ـ إنّ كلّ ذلك لا يناسب الذين عليهم أن يكتسبوا معرفة سريعة ونافعة عن الموسيقى في سنين ثلاث. فالمبادىء أو القواعد تكون مربكة وتخلق صعوبة في التعليم، وينبغي على رجالنا الشباب أن يتعلّموا سريعاً. واكتساباتهم الضروريّة المجرَّدة

ليست اكتسابات قليلة أو تافهة، كما سيُبيَّن ذلك في مسلك المحاورة الواجب الأداء. فعلى مدير التعليم أن يصغي إلى القواعد المختصّة بالموسيقى، تلك القواعد التي أرسينا أُسسها. أمّا في ما يتعلّق بالأغاني والكلمات عينها التي يجب أن يعلّمها أساتذة الجوقات الموسيقية ويعلمون ميزتها، فلقد وصفناها سابقاً، وقلنا حينها إنّها عندما تُكرّس وتكيَّف مع الاحتفالات المختلفة فإنّها إنما كانت لتفيد المدن بواسطة إمتاع سكّانها بالسلوى البريئة.

كلينياس: إنّ ذلك لحقيقيّ أيضاً.

الأثيني: على الذي انتُخب مديراً للموسيقى إذن، أن يتلقّى هذه القواعد منا كأنها تحتوي الحقيقة بالذات، ويمكنه أن ينجح وأن يزدهر في منصبه! دعنا نتقدّم بعدئذ لنوطّد القواعد الأخرى بالإضافة إلى القواعد المتقدّمة التي أرسيناها بشأن الرقص وتمارين الألعاب الرياضية بشكل عامّ ومماثل. إنّ الفتيان والفتيات يجب أن يتعلّموا الرقص وممارسة تمارين الألعاب الرياضية ـ أفلا ينبغي عليهم القيام بذلك؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: يجب أن يكون للفتيان أساتذة للرقص إذن، كما ينبغي أن يكون للفتيات أستاذات أيضاً كي يتمرنَّ عليه.

كلينياس: جيّد جداً.

الأثيني: دعنا ندعو من له الاهتمام الرئيسيّ بهذا العمل مرة أُخرى، أعني، المشرف على شؤون الشباب [كمثال، مدير التعليم]. وعندما ندعوه فإنّ لديه الكثير ليفعله، إذا وجب عليه أن يتولّى مهمّة رعاية الموسيقى والألعاب الرياضية.

كلينياس: لكن كيف يتأتّى لإنسان مسنّ أن يُعنى بمهمّات عظيمة كهذه؟

الأثيني: يا صديقي، لا صعوبة في ذلك. فالناموس سمح له سابقاً وسيسمح له

باختيار من يشاء من المواطنين كمساعدين له في مهمّته هذه، ذكوراً كانوا أو إناثاً. وسيعرف هو الذين ينبغي عليه اختيارهم، وسيكون قلقاً إن وجد أيّ خطأ في ذلك. هذا من واجب إحساسه بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقه، ومن وعيه بأهميّة منصبه، وكذلك لأنّه سيأخذ بعين الاعتبار إن كان الرجال الشباب حائزين على التربية الصالحة أو سيكونون. حينئذ، فإنّ كلّ الأشياء تسير على نحو رائع، وإلاّ، فليس بمناسبٍ أن نقول، ولن نقول ما الذي سيتبع، خشية أن يُصاب محترمو بشائرنا بالرّعب لحالة صغارنا صبياناً وفتيات. لقد قلنا أشياء كثيرة بخصوص الرقص وحركات الألعاب الرياضيّة بشكل عامّ؛ ونحن ندرج تحت اسم الألعاب الرياضية كلّ التمارين العسكريَّة، مثل رمي السهام، القذف بالأسلحة الثقيلة، وكل المناورات والتطوّر العسكري، وكلّ تحرّكات الجيوش وإقامة المخيّمات العسكريَّة، والقتال بالأسلحة الثقيلة، واستعمال المجنّات الخفيفة، وكل ما له علاقة بالفروسيَّة. ينبغي أن يكون هناك أساتذة عامّون لتعليم كلّ هذه الأشياء، وتدفع الدولة رواتبهم. ويجب أن يكون طلاّبهم الرجال والصبيان، البنات والنساء، يجب أن يكونوا في الدولة أيضاً، وعليهم أن يعرفوا كلّ هذه الأشياء. وعندما تكون النساء فتيات يجب عليهنَّ أن يمارسنَ الرّقص بالأسلحة وفي كلّ الفنون القتاليّة كذلك. وعندما يصلنَ إلى سنّ متقدّمة ويصبحنَ نساء فينبغي عليهنَّ أن يضعنَ أنفسهنَّ في تمارين المناورات الحربيّة والتطوّر العسكريّ وفي تكتيكاتها وفنونها القتاليّة، وفي أسلوب الدفاع عن الأرض وانتزاعها من الأعداء، وكيفية امتشاق السلاح. وإذا لم يكن هناك سبب آخر، وبرغم ذلك ففي حالة تجنيد القوة العسكريّة المطلقة ووجوب مغادرتها المدينة لمواصلة التعليمات الحربيّة وقتال الأعداء خارجها، فإنّ الملزمين بحماية الشباب وبقية المدينة يمكن أن يكونوا متساوين في هذا العمل الشاقّ، رجالاً ونساء. وعلى

الجانب الآخر، عندما يأتي الأعداء من الخارج، برابرة كانوا أو هيلينيين، عندما يأتون لمحاربتنا بقوّة عظيمة، ويشنّون هجوماً صاعقاً علينا، ويجبروننا على التصدّي لهم لمنعهم من فتح المدينة، وهذا الهدف ليس مستحيل الحصول حينئذ، فإنّ العار على المدينة سيكون عظيماً إذا كانت النساء قد تَردّبْنَ بشكل سيّىء لا يتمكنَّ معه من الحرب والدفاع عن أطفالهنّ، مثلما تفعل الطيور ضدّ أيّ مخلوق يهاجم فِراخها مهما كان عاتياً، ومثلما تستميت بقيّة الحيوانات في الدفاع عن صغارها عندما تتعرّض للخطر. وأمّا واجب النساء عند هجوم الأعداء على المدينة فهو أن يَهْرَعْنَ حالاً إلى الهياكل، ويتجمهرن هناك وفي المزارات، ويضعنْ اللوم على الطبيعة الإنسانية ويوبّخنها لأنّ الإنسان هو أكثر الحيوانات كلها جبناً.

كلينياس: إن افتقاراً للتعليم كهذا أيّها الغريب غير ملائم حدوثه في الدولة بكل تأكيد، كما أنّه سيّىء الحظ بشكل عظيم.

الأثيني: إفترض أنّنا نقرّ قانوناً لهذا المدى يقضي على النساء ألاّ يهملنَ القضايا العسكريّة، بل إنّ كلّ المواطنين، ذكوراً كانوا أو إناثاً، سوف يُعنون بها وينكبّون عليها على قدم المساواة

كلينياس: إنّني أوافق تماماً.

الأثيني: لقد تكلّمنا عن المصارعة جزئياً، لكننا لم نتكلّم عمّا أدعوه الجزء الأكثر أهمية فيها، ولا أستطيع أن أتكلّم بسهولة بدون أن أبيّن بالإشارة والكلمة ما نعنيه في الوقت عينه. وعندما تتّحد الكلمه والفعل، وعندها فقط، فإنّنا سنشرح ما قيل بوضوح، مشيرين إلى أن المصارعة هي الأكثر شبهاً بالقتال في المعركة من بين الحركات كلّها. وينبغي التركيز عليها لهذا السبب، وليس بقصد المصارعة فقط.

كلينياس: ممتاز.

الأثيني: كفاية عن المصارعة، وسنتقدّم الآن للحديث عن حركات الجسم الأخرى. يمكن أن تدعى حركةٌ كهذه رقصاً بشكل عامّ، وهي حركة من نوعين: أحدهما، وهو الأفضل، يقلّد الشريف، والآخر، وهو الأحقر، يقلّد الدنيء. وهذان النوعان ينقسمان بدورهما. أمّا النوع الجدّي منها، فإنّ واحداً من هذين النوعين يشارك في الحرب والعمل المتحمّس، وهو تمرين للنبيل ولذي القلب الشجاع؛ لكنّ النوع الآخر يعرض روحاً معتدلة متمتّعة بالازدهار والملذّات المعتدلة. ويمكن أن يدعى هذا النوع رقصة السلام وهو كذلك. إنّ رقصة المقاتل تختلف عن رقصة السلام، ويمكن أن تسمى رقصة ذات مقطعين اثنين من مقاطع الشعر، ينشدان عند الانتصار البيروسي الذي يُنتزع بثمن باهظ جداً بحقّ. ويقلّد هذا الرقص أساليب تجنّب الضربات والقذائف عند تساقطها على طرفي النزاع كليهما، أو القذائف التي تتفجّر جانباً، أو التي تندفع وتقع في ساحة المعركة. ويقلّد كذلك الوقفات المضادّة التي تكون لتلك الأعمال، كمثال، يقلّد رمي السهام واندفاع الرماح، وكلّ أنواع الضربات المشابهة. وعندما يكون التقليد للأرواح والأجسام الشجاعة ويكون العمل مباشراً وعضليّاً، واهباً بالجزء الأكثر منه حركة مستقيمة لأطراف الجسد، أقول، إنّ هذا النوع من أنواع الحركة هو النوع الحقيقيّ، لكنّ النوع المضادّ ليس صحيحاً. إنّ الشيء الذي يجب أن نأخذه بعين الاعتبار في رقصة السلام، هو سواء إذا كان الإنسان يحمّل نفسه عبئها بشكل طبيعيّ ورشيق، وعلى طريقة الرجال الذين يمتثلون للناموس كما ينبغي. لكن قبل مواصلة البحث يجب عليّ أن أميّز الرقصة التي لا شكّ فيها من تلك الرقصة المشكوك بها. ثمّ ما هي تلك الرقصة المشكوك بها، وكيف يمكن التمييز بين الاثنتين. هناك رقصات من النوع الباخوسي والتي يقال إنّ راقصيها يقلّدون فيها السكارى، وتدعى باسم نيمفس، وبان، وسيلينسيوس،

وساتيرز. وهناك أيضاً تلك الرقصات التي تُمارس لتطهير أو لتمجيد الأسرار المقدّسة احتفالاً. إن كلّ أنواع الرقصات تلك لا يمكن تعريفها بشكل صحيح إمّا كنوع مسالم أو محبٍّ للحرب، أو كأنّها حقاً تمتلك أيّ معنىً مهما كان. ويمكنني أن أظنّ أنّها توصف بحقّ كأنّها أنواع مميّزة من رقص الحرب، ومميزة عن الرقص المسالم. وهي رقصات لا تناسب المدينة على الإطلاق. ولندعها جانباً، ونتطرّق إلى رقصات الحرب والسلام، لأنّنا نهتم بهذه الرقصات بدون شكّ. وبعد فإنّ آلهات الغناء والشعر والفنون والعلوم التي لا تحبّ الحرب، والتي تكرّم الآلهة وأبناء الآلهة بالرقص، متزاملات مع شعور الرخاء، إنّ هذا الصنف يمكن تقسيمه إلى نوعين أقلّ ويمكن التعبير عن أحدهما أنّه هرب من عمل شاقّ ما أو من خطرٍ إلى الخير؛ وهذا النوع فيه ملذات أكبر. أمّا النوع الآخر فإنّه يعبّر عن الاحتفاظ بالخير وزيادة الخير السابق، والذي تكون اللذّة فيه أقلّ إثارة. وفي كلّ الحالات هذه، فإنّ كلّ إنسان يتحركّ جسمه أكثر عندما تكون اللذّة أكبر، ويتحرّك أقلّ عندما تكون اللذّة أقلّ. ومرّة ثانية، إذا كان الإنسان منظّماً أكثر وتعلم الشجاعة من ضبط النفس والنظام فإنّه يتحرّك أقلّ. لكنّه إذا كان جباناً، ولم يكن لديه أيّ تدريب أو ضبط للنفس، فإنّه يقوم بحركات أعظم وأكثر عنفاً. وبشكل عامّ فإنّه عندما يتكلّم ويغنّي لا يقدر على أن يُبقي جسده ساكناً تماماً. وهكذا فإنّ فنّ الرقص كلّه نشأ من خارج تقليد الكلمات بالإيماء. وفي هذه الأنواع المختلفة من التقليد فإن إنساناً يتحرّك بشكل منظّم، ويتحرّك آخر بشكل فوضويّ. أمّا في ما يتعلّق بالأمم الغابرة فيمكن الملاحظة أنها أعطت أسماء عديدة مطابقة للطبيعة وتستحقّ الثناء. فهناك اسم ممتاز وهبته هذه الأمم لرقصات الرجال المعتدلين في ملذاتهم في أوقات رخائهم. إنّ واهب الأسماء، أيّاً كان، خصّص لهذه الرقصات إسماً حقيقيّاً جدّاً،

وإسماً شاعريّاً وعقلانيّاً، عندما دعاها بالإيمالايا أو رقصات النظام. وهكذا فإنّه أسَّس بهذا نوعين من أنواع الرقص الأنبل، أسّس رقص الحرب الذي سمّاه الانتصار البيروسي الذي يُنتزع بثمن باهظ جداً، وأسّس رقص السلام الذي دعاه إيمالايا، أو رقص النظام، وأطلق عليهما أسماءَهما المناسبة واللائقة. إنّ المشرِّع يجب أن يدلّ على هذه الأشياء في خطوط عامّة، وينبغي على حامي الناموس أن يحقّق فيها وأن يتفحّصها، موحّداً الرقص مع الموسيقى، ومخصِّصاً لولائم التضحية المتعدّدة ما يناسبها. وعندما يكرِّسها كلّها في نظام واجب الأداء، فإنّه لن يغيِّر أيّ شيء مستقبلاً، سواء كان ذلك في الرقص أو في الموسيقى. وبعد ذلك يستمّر المواطنون والمدينة في امتلاك الملذّات عينها، كونهم متشابيهن قدر الإمكان، وسيحيون جيّداً وبسعادة.

لقد وصفتُ الرقصات التي تناسب الأجسام النبيلة والأرواح الكريمة. لكن من الضروريّ أيضاً أن نعتبر وأن نعرف الأشخاص غير الوسيمين ونعرف أفكارهم، وأن نعرف كذلك أولئك الذين قصدوا إحداث الضحك في الملهاة، ولديهم شخصيّة مضحكة هزليّة في ما يتعلّق بالأسلوب، بالغناء، بالرقص، وبالتقليدات التي تقدّمها هذه الأشياء. إنّ المدن الجدّيّة لا يمكن فهمها بدون الأشياء المضحكة الهزليّة، ولا يمكن فهم الأشياء مطلقاً بدون فهم نقضيها إذا أراد الإنسان أن يعرفهما كليهما. لكن لا يمكنه أن ينفِّذهما كليهما في العمل، إذا ما وجب عليه أن يمتلك درجة من الفضيلة. ولهذا السبب بالذات يجب أن يتعلّمهما كليهما ليتفادى أن يفعل أو أن يقول شيئاً مضحكاً وخارج الموضوع نتيجة جهله ـ يلزمه أن يقود العبيد ويستأجر الغرباء كي يقلّدوا أشياء كهذه، لكن ليس عليه أن يولي اهتماماً جديّاً فيها بنفسه. ولا ينبغي أن تقاسي المرأة الحرّة أو الرجل الحرّ الآلام كي يتعلّماها؛

وينبغي أن يوجد عنصر ما للبدَع في التقليد على الدوام. هذه القواعد يجب أن توطَّد في الناموس وفي المحادثة معاً، كما تُوطَّد أنظمة وضوابط التسلية المضحكة التي تدعى ملهاة بشكل عام. وإذا جاءنا أحد الشعراء الجديين الذين يكتبون المأساة، كما يُدعون، إذا جاءنا وقال: « أيّها الغرباء، هل يمكننا الذهاب إلى مدينتكم وبلادكم أم لا؟ وهل سنحضر قصائدنا معنا »؟ فما هي إرادتكم بشأن هذه القضايا؟ كيف سنجيب الرجال الإلهيّين؟ أعتقد أن جوابنا سيكون كما يلي: يا أفضل الغرباء، إنّنا شعراء مأساة أيضاً طبقاً لمقدرتنا، وإنّ مأساتنا هي الأفضل والأنبل لأنّ دولتنا كلّها تقليد للحياة الأفضل والأنبل، والتي نؤكّد حقاً أنّها حقيقة المأساة بالذات. إنّكم شعراء ونحن أيضاً شعراء، كلانا نصنع الألحان والأغاني عينها. إنّنا متنافسون وأخصام في أنبل المسرحيّات، التي يمكن أن يتمّمها ويكمّلها الناموس الحقّ، وهذا هو أملنا. لا تتصوّروا إذن أنّنا سنسمح لكم، ولو للحظة، بإقامة مسرحكم في الساحة العامة أو بتقديم أصوات ممثليكم الجميلة، أو أن تعلو فوق أصواتنا. ولن نسمح لكم أن تخطبوا في نسائنا وأطفالنا، وفي عامة الشعب، وذلك في ما يتعلّق بنواميسنا، وبلغة غير لغتنا الخاصّة، وغالباً بلغة مضادّة جدّاً للغتنا الخاصّة. إنّ الدولة التي تعطيكم هذا الإذن هي دولة مجنونة، قبل أن تقرِّر الهيئة القضائيّة الحاكمة ما إذا كان شعركم يمكن أن يُتلى ويُسرد، أو إذا كان نشره مناسباً أو غير مناسب. ومن أجل ذلك، يا أبناء وسلائل آلهات الشعر والفنّ والعلوم والغناء الناعمات، قدّموا أغانيكم للهيئات القضائية قبل كلّ شيء، ودعوهم يقارنونها بما عندنا. فإذا كانت الشيء عينه أو كانت أفضل، فإنّنا سنعطيكم جوقة غنائية، وإلاّ فلا نستطيع السماح لكم حينئذ بهذا، يا أصدقائي. هذه العادات إذن، يجب أن يبتّها القانون بشأن الرقص كلّه وبشأن تعلميه. والقضايا المتعلّقة بالعبيد يجب أن

تُفصل عن تلك القضايا التي تتعلّق بالأسياد، إذا لم يكن لديك اعتراض على ذلك.

كلينياس: لا مجال للتردّد في القبول بما تقترحه عندما تضع المسألة بهذا الشكل.

الأثيني: تبقى هناك ثلاث دراسات مناسبة للرجال الأحرار، إحداها الحساب وعلم الحساب وثانيتها قياس الطول، قياس السطح، وقياس العمق. وأما الثالثة فعملها مع دوران النجوم في أفلاكها بالنسبة لبعضها البعض. لا ينبغي على كلّ شخص أن يتحمّل مشاقّ تعلّم كلّ هذه الأشياء بأسلوب علميّ محدَّد، بل هذا عمل الأقليّة فقط. أمّا من هم هؤلاء الأقلية فإنّنا سنعيِّنهم في نهاية بحثنا مستقبلاً، وسيكون تعيينهم في المكان المناسب. إنّ الجنس البشريّ بشكل عامّ ينبغي أن يتعلَّم قدر ما يحتاج إذ ليس هناك معرفة يمكن القول عنها حقّاً إنّ عدم إدراكها عار وخزي. إنّ التضلّع بكل هذه الدراسات بالتفصيل ليس سهلاً حقّاً، وليس ممكناً لكلّ شخص، لكنّ فيها شيئاً ضروريّاً لا يمكن أن يُغفَل عنه، والذي ضرب المثل بخصوص الله في الأصل ربّما فكر بهذا وقصده عندما قال: « حتىّ الله ذاته لا يمكن أن يحارب ضدّ الضرورة ». لقد عنى، إذا لم أكن مخطئاً، الضرورة الإلهيّة، إذ في ما يتعلّق بالضرورات الإنسانية التي يتكلّم عنها الكثيرون، عندما يتحدّثون بهذه الطريقة، فما من شيءٍ أكثر إضحاكاً وعرضة للسخرية من استعمال للكلمات بهذا الشكل.

كلينياس: وأيّة ضرورات توجد للمعرفة، أيّها الغريب، والتي هي ضرورات إلهيَّة وغير إنسانية؟

الأثيني: أتصوّر أنها هي تلك الضرورات، التي لا يمكن لمن لا يستعملها ولا يعرف عنها شيئاً على الإطلاق، لا يمكنه أن يكون إلهاً، أو نصف إله، أو بطلاً من أبطال الجنس البشريّ، وباستطاعته أن يتلقّى أيّ تفكير جديّ عنها أو أن

يتوّلى أمر العناية بها. وسيكون مختلفاً جدّاً عن الإنسان الإلهيّ مَنْ لا يقدر على أن يعدَّ واحد، اثنين، ثلاثة، أو على أن يميّز الأعداد المفردة والمزدوجة، أو يكون غير قادر على أن يعدَّ ويحسب على الإطلاق، أو على أن يقدّر الليل والنهار، وكذلك من لا يكون ملمّاً بدوران الشمس والقمر، وبدوران النجوم الأخرى. إنه لغباءٌ كبير أن نتصوّر أنّ كلّ هذه الأشياء ليست أجزاء ضروريّة للمعرفة، وذلك لِمَن يقصد أن يعرف أيّ شيء من الأنواع الأسمى من المعرفة[٥٤] لكن أيّ أنواع هي هذه، وكم يوجد منها، ومتى ينبغي تعلّمها، وما الذي يجب تعلّمه منها معاً. وأيها ينبغي تعلّمه كلاً بمفرده، وما العلاقة المتبادلة بينها. إنّ كل هذه الأشياء يجب فهمها في المقام الأوّل. وتمهّد هذه الأشياء الطريق كي تتمكّن من التقدّم إلى أجزاء المعرفة الأخرى. إنّ الضرورة المرسّخة هكذا في الطبيعة تجبرنا على معارضة القول الذي نقوله أنْ لا إله يكافح أو أنّه سيكافح قط.

كلينياس: أعتقد أنّ ما قلته الآن حقيقي ومقبول بالطبيعة، أيّها الغريب.

الأثيني: نعم، يا كلينياس، إنه لكذلك. لكنه لشيء صعبٌ أن يبدأ المشرّع بهذه الدراسات، ونحن سوف نضع نظماً لهذه الدراسات في مناسبة أفضل.

كلينياس: تبدو خائفاً من جهلنا المعتاد لهذا الموضوع، أيّها الغريب، ولا سبب يمنعك من محاولة قول الحقيقية بكاملها.

الأثيني: إنني خائف جداً من الصعوبات التي تلمّح إليها، وإنّني لا أزال أكثر خوفاً من أولئك الذين يخصّصون أنفسهم لهذا النوع من أنواع المعرفة، ويخصّصونها بشكل سيّىء. إنّ الجهل الكليّ ليس شرّاً فظيعاً أو مفرطاً، وهو بعيد عن أن يكون أعظم الشرور. لكنّ الحذق الكثير جدّاً والتعليم الكثير جدّاً، المترافقين مع التربية السيّئة هما أكثر مهلكة ببعد كبير[٥٥]

الأثيني: أتصوّر أنّ كلّ الرجال الأحرار يجب عليهم أن يتعلّموا قدر ما يستطيعون

من فروع المعرفة هذه، كما يتعلّمها كلّ طفل في مصر عندما يتلقّن حروف الأبجديَّة. لقد اخترعت الألعاب الحسابية في تلك البلاد ليستعملها الأطفال المجرَّدون، والتي يتعلّمونها كلذّة وتسلية. وينبغي عليهم أن يوزّعوا تفاحات وأكاليل زهر، مستخدمين العدد عينه بعض المرات للعدد الأكثر من الأشخاص، وبعض المرات العدد عينه للعدد الأقلّ من الأشخاص. وهم يرتّبون الملاكمين المحترفين والمصارعين بالقرعة عندما يزدوجون معاً أو يمكثون زيادة، ويبيّنون كيف تأتي. هناك شكل آخر من أشكال تسليتهم وهو توزيع الأواني المصنوعة من الذهب بعض المرَّات أو من النحاس الأصفر أو الفضّة، وما شابه، وهي تكون ممزوجة ببعضها أحياناً وتكون من معدن واحد فقط أحياناً أخرى. وكما قلت، فهم يهيّئون الأعداد لتسليتهم في استعمال مشترك، وبهذه الطريقة يجعلون ترتيب وتحركات الجيوش والحملات الحربية أكثر وضوحاً لتلاميذهم. أمّا في إدارة البيوت فإنّهم سيجعلون الشعب أكثر نفعاً لأنفسهم وأكثر انتباهاً بشكل واسع. ومرَّة ثانية، فإنّهم في مقاييس الأشياء ذات الطول والعرض والعمق، يحرّروننا من ذلك الجهل الطبيعيّ لكلّ الأشياء المضحكة لسخفها والمخزية(٥٦).

كلينياس: أيّ نوع من أنواع الجهل تعني؟

الأثيني: أوه يا عزيزي كلينياس، أنا مثلك دهشت! سمعت في الحياة متأخّراً عن جهلنا بهذه المسائل. نبدو أشبه بالخنازير منّا بالرجال، وإنّني لمستحٍ تماماً، ليس بنفسي فقط، بل بكلّ الهيلينيين.

كلينياس: بشأن ماذا؟ قل لي ماذا تعني، أيّها الغريب؟

الأثيني: سأفعل، أو فإنّني سأريك بالأحرى ما أعنيه بطرح سؤال عليك وأجبني عليه من فضلك. أفترض أنّك تعرف ما هو الطول؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وتعرف ما هو العرض؟

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: وتعرف أنّهما متمايزان، وأنّ هناك شيئاً ثالثاً هو العمق؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: أوَلاَ تبدو هذه الأشياء لك كلها قابلة للقياس مع أنفسها؟

كلينياس: أجل.

الأثيني: يعني أنّ الطول قابل للقياس مع الطول بشكل طبيعي، والعرض مع العرض، والعمق مع العمق بالطريقة نفسها؟

كلينياس: الأكثر تأكيداً.

الأثيني: لكن إذا لم يكن هناك سؤال ذو درجات من التأكيد واليقين، بل إنّ بعض الأشياء تكون قابلة للقياس وأخرى لا تكون، في حين أنك تظنّ أن كلّ الأشياء قابلة للقياس، فما هو موقفك في ما يختصّ بها؟

كلينياس: إنّه بعيد جدّاً عن الخير، بوضوح.

الأثيني: أمّا في ما يختصّ بالطول والعرض عندما يقارنان بالعمق، أو في ما يختص بالعرض والطول عندما يقارنان أحدهما بالآخر، أفلا يتّفق كلّ الهيلينيين أنّها قابلة للقياس بعضها مع بعض بطريقة ما؟

كلينياس: حقيقي تماماً.

الأثيني: لكنّها إذا كانت غير قابلة للقياس بشكل مطلق، وبرغم ذلك فإنّنا جميعاً نعتبرها قابلة للقياس، أفليس لدينا سبب يجعلنا نستحي من أبناء بلدنا وزملائنا؟ أوَلا يمكننا أن نقول لهم: أوه يا أفضل الهيلينيين، أليس هذا واحداً من الأشياء التي يُعتبر الجهل بها شيئاً مخزياً، ولا امتياز كبيراً في معرفتها بشكل ضئيل؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وهناك أشياء أخرى مماثلة لهذه تنبثق فيها أخطاء أخرى من العائلة عينها؟

كلينياس: وما هي؟

الأثيني: إنّها طبائع النوعيات القابلة للقياس وغير القابلة للقياس في صلتها بعضها ببعض. إنّ الإنسان الذي يصلح لأيّ شيء يجب أن يكون قادراً على تمييزها عندما يفكّر. وينبغي أن يتبارى الأشخاص المختلفون بعضهم مع بعض بطرح الأسئلة، وهذه الطريقة أفضل وأكثر لباقة ببعد كبير في تمضية وقتهم، من الطريقة المتّبعة في لعبة الداما لإنسانٍ مسنّ.

كلينياس: أجرؤ على القول. وهذه التسليات ليست غير شبيهة جدّاً بلعبة الداما.

الأثيني: وهذه الدراسات هي التي يجب أن يتعلّمها شبابنا، يا كلينياس، كما أؤكّد ذلك. فهم بريئون وليس صعباً التعامل معهم. إنّ تعلّم تلك الدراسات تسلية لهم، وهم سينفعون الدولة. وإذا كان لشخص ما تفكير آخر، فلْيقلْ ما عنده.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إذا كانت هذه الدراسات كما نؤكّد هكذا إذن، فإنّنا سوف نضمّنها وإلا فسوف نستثنيها.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أوَلا يمكننا، أيّها الغريب، أن نصف هذه الدراسات بأنّها ضرورية، وهكذا نسد الفجوة في نواميسنا تماماً؟ إنّ هذه الدراسات ستُعتبر تعهّداتٍ يمكن أن تجدَّد في ما بعد وأن تُنقل من الدولة، هذا إذا لم تنل إعجابنا، نحن الذين نهبها، أو إعجابكم أنتم الذين تقبلون بها.

كلينياس: إنّه لشرط عادل.

الأثيني: دعنا نرى تالياً إذا ما كنا سنقترح إدراج دراسة علم النجوم ليتعلّمها شبابنا أم لا.

كلينياس: واصل.

الأثيني: هنا تحدث ظاهرة غريبة، لا يمكن إجازتها بأيّة وجهة نظر بكلّ تأكيد.

كلينياس: إلام تشير؟

الأثيني: يقول الرجال إنّه ينبغي علينا أن لا نبحث في الله الأسمى وفي طبيعة العالم، أو أن نشغل أنفسنا في استقصاء أسباب الأشياء، وإنّ تحقيقات كهذه هي تحقيقات عامّة، في حين أن الحقيقة هي ضدّها تماماً.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: ربّما بدا لك ما أقوله ذا صفات متناقضة ظاهريّاً، ومتعارضاً مع لغة العصر الاعتيادية. لكن عندما يمتلك أيّ شخص فكرة صحيحة وحقيقيّة لصالح الدولة، ويقبلها الله بكل وجه، عندما يحدث ذلك فإنّ هذا الشخص ليس بمقدوره الامتناع عن التعبير عنها.

كلينياس: إنّ كلماتك معقولة بما فيه الكفاية؛ لكن هل سنجد فكرة صحيحة وحقيقيّة بشأن النجوم؟

الأثيني: يا أصدقائي الأخيار، كلّنا نروي الأكاذيب في هذه الساعة فيما يتعلّق بهذين الإلهين العظيمين، الشمس والقمر، إذا ما أمكنني استخدام تعبير كهذا.

كلينياس: أكاذيب من أيّة طبيعة؟

الأثيني: نقول إنّهما والنجوم الأخرى لا تلزم الطريق عينه، وندعوها كواكب سيّارة ومتجوّلة.

كلينياس: حقيقيّ تماماً، أيّها الغريب، لقد رأيت خلال حياتي نجمة الصباح ورأيت نجمة المساء والنجوم المتجوّلة الأخرى، رأيتها غير متحرّكة بطريقتها الاعتيادية، بل متجوّلة خارج طريقها بكلّ طريقة وكل أسلوب، ورأيت الشمس والقمر يتحرّكان كما نعهد كلنا.

الأثيني: هكذا تماماً، يا ميغيلوس وكلينياس، وإنّني أؤكّد أنّ مواطنينا وشبابنا يجب أن يتعلّموا ما يتعلّق بطبيعة الآلهة في السماء، بقدر ما يتمكّنون من تقديم تضحيات ويصلُّون من أجلها بلغة غير دنيويَّة وغير ورعة، ولئلاّ يجدفوا بشأنها.

كلينياس: إنّك لمحقّ، هناك، إذا أمكن كسب معرفة كهذه وإذا كنّا مخطئين في ما نقوله الآن، ويمكن أن نتعلّم ونتثقّف بشكل أفضل لاستعمال لغة أحسن، حينئذ فإنّي أوافقك تماماً على أنّ درجة من المعرفة كهذه تجعلنا قادرين على الكلام بصدق، يجب أن نكتسبها. وبعدُ حاول أن توضح لنا معناك كاملاً، ونحن من جانبنا سنحاول أن نفهمك.

الأثيني: هناك صعوبة ما في فهم معناي، لكنّها ليست صعوبة كبيرة جدّاً، ولا تحتاج لوقت طويل لفهمها. ولهذا فإنّي أنا البرهان؛ لأنّي لم أعرف هذه الأشياء منذ وقت طويل، ولم أعرفها في أيّام شبابي. وبرغم ذلك أستطيع أن أشرحها لك في فترة زمنيّة قصيرة، في حين أنها لو كانت صعبة لما قدرت أبداً على إيضاحها لكما، أنا المسنّ وأنتما المسنّان مثلي.

كلينياس: حقّاً، لكن ما هي هذه الدراسة التي تصفها بأنّها مدهشة ومناسبة للشباب ليتعلّموها والتي نجهلها نحن؟ حاول أن توضح لنا طبيعتها بأقصى ما تستطيعه من جلاء.

الأثيني: سأفعل ذلك. أوه أيّها الأصدقاء الأخيار، إنّ التعليم الآخر بشأن تطواف الشمس والقمر والنجوم الأخرى ليس تعليماً حقيقياً، بل إنّه عكس الحقيقة بالتحديد. إنّ كلاًّ منها يتحرّك بالطريقة عينها، ولا يتحرك، بطرق عدّة، بل إنّه يسير في طريق واحدة، هي طريق دائريّة. وأمّا التنوّع فهو ظاهريّ فقط. ونخطىء حين نفترض أنّ الأسرع منها هو الأبطأ، أو العكس، أي أنّ الأبطأ هو الأسرع. وإذا كان ما أقوله حقيقياً، فتصوّر فقط أنّه كانت لدينا الفكرة

المماثلة عينها بخصوص الأحصنة المتسابقة في الألعاب الأولومبيّة، أو بشأن الرجال الذين تباروا في السباق الطويل، ولقد خاطبنا الأسرع منهم كأنّه الأبطأ والأبطأ كأنّه الأسرع وأثنينا على المهزوم كأنّه كان المنتصر. إنّ ثناءاتنا في تلك الحالة غير حقيقيّة ولن يقبلها المتسابقون، رغم أنّهم ليسوا سوى رجال. وبعدُ فدعنا لا نقترف الخطأ عينه بشأن الآلهة، ذلك الخطأ الذي قد كان مضحكاً جدّاً لغرابته وسخفه وكان خطأ غير صحيح في حالة الرجال. لا أقدر أن أقول إنّ ذلك هو قول مضحك لسخفه، بل إنّه يثير استياء الآلهة بخصوص الذين يجب أن نكرّر عنهم تقريراً زائفاً؟

كلينياس: إنّ كلامك هو الأكثر حقيقة، إذا كانت هذه هي الحقيقة.

الأثيني: وإذا استطعنا أن نبيّن أنّ الحقيقة هي كذلك في الواقع، فإنّ كلّ هذه القضايا حينئذ يجب تعلّمها بقدر ما يكون ذلك ضروريّاً لتفادي العقوق. لكن إذا لم نستطع فينبغي التخلّي عنها.وهذا القرار يجب أن يكون قرارنا النهائيّ.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: إنّ ما قلناه عن النواميس المتصلة بالتعليم والثقافة يكفي. لكنّ الصيد والملاحقات المشابهة تتطلّب اهتمامنا بشكل مماثل. يبدو أنّ المشرّع يفرض عليه واجبه أن يتخطّى حدود التشريع المجرّد. هنا شيء ما فوق الناموس وتحته يتأرجح بين التذكير والنصح وبين الناموس، ولقد حدث لنا في سياق محادثتنا. كمثال، هناك أشياء في تعليم الأطفال الصّغار جداً، ونؤكّد ذلك، أن هناك أشياء يجب علينا أن لا نمرّ بها وكأنّها لا تعنينا. ومع هذا فإنّ اعتبارها وكأنها قضايا ذات ناموس إيجابي يُعتبر شيئاً مضحكاً بشكل كبير. وبعدُ، فإنّ نواميسنا وهيكليّة دولتنا كلّها، بما أنّ خطوطها الكبرى قد رُسمت هكذا، فإنّ الثناء على المواطن الفاضل لا يكون ثناء تامّاً عندما

يوصف بكلّ بساطة بأنّه الشخص الذي يخدم الناموس ويطيعه بالشكل الأكثر، بل إنّ الثناء الأسمى هو ذلك الثناء الذي يُطلق عليه بوصفه المواطن الخيِّر الذي يجتاز الحياة غير مدنَّس، ومطيعاً لكلمات المشرِّع، وذلك عندما تسنّ له القوانين وحينما يُخصِّص اللوم والثناء. إنّ هذه الكلمة هي الكلمة الحقيقية التي يمكن قولها في مدح المواطن؛ وينبغي على المشرِّع الحقيقيّ أن لا يكتب نواميسه فقط، بل أن يحبك معها كلّ الأشياء التي تظهر له شريفة وغير شريفة، ويجب على المواطن الكامل أن ينشد تقويتها ليس بأقلّ من تقوية مبادىء الناموس التي تُقرُّ بالعقوبات. سأورد الموضوع الحاضر كشاهد على كلماتي، وسيوضح هذا الموضوع معناها. إنّ الصيد ذو نطاق واسع، وتنضم تحت عنوانه أشياء عديدة أخرى. فهناك صيد المخلوقات في الماء، وصيد المخلوقات في الهواء، وهناك كميَّة كبيرة لصيد الحيوانات من كلّ الأنواع على الأرض، وليس صيد الحيوانات المفترسة فقط. انّ الصيد عقِب الإنسان هو صيد جدير بالاعتبار أيضاً. هناك صيد عقب الإنسان في الحرب، وهناك صيد عقِبه بطريقة الصداقة غالباً، قد يُحمد وقد يُلام. وهناك السرقة، والصيد الذي يمارسه السارقون، وذلك الذي تمارسه الجيوش بعضُها ضدّ بعض. وبعدُ فإنّ المشرِّع عند سَنّ القوانين المتعلّقة بالصيد، لا يمكنه أن يتغاضى عن ملاحظة هذه الأشياء وتدوينها، وليس بمقدوره إيجاد قوانين محليَّة رادعة تضع قواعد ومعاقبات بشأنها كلِّها. فما الذي يجب على المشرِّع فعله؟ ينبغي عليه أن يثني على الصيد ويلومه بقصد ممارسة وملاحقات الشباب. وعلى الجانب الآخر، على الشابّ أن يستمع للمشرِّع وهو بكامل طاعته؛ ولا ينبغي أن يعترض طاعته لا الألم ولا اللذّة، ويجب عليه أن يعتبر أن الثناءَات ووصايا المشرِّع هي مقياس عمله، بدل أن تكون العقوبات التي يفرضها الناموس. إنّ هذه الأشياء بما أنّها مقدِّمات منطقيَّة

فيجب أن يليها بنظام الثناء المعتدل واللوم على الصيد. إنّ الثناء يخصّص لذلك النوع الذي سوف يجعل أرواح الشباب أفضل، واللوم على ذلك الذي له تأثير مضادّ. وبعدُ دعنا نخاطب الرجال الشباب في شكل دعاءٍ من أجل خيرهم وسعادتهم. وسنقول لهم، أيّها الأصدقاء، لا تدعوا أن يسيطر عليكم أبداً، لا رغبة ولا حبُّ الصيد في البحر، أو صيد السمك بالصنّارة، أو الإيقاع بالمخلوقات في الماء، سواء أكنتم مستيقظين أو نياماً، ولا أن يكون هذا الصيد بواسطة الكلاّبات أو صنانير الصيد. والصيد الأخير هو صيدٌ بحيلة كسولة جداً. وكلّ رغبة لصيد الرجال وللقرصنة على سطح البحر لا تَدَعوها تدخل إلى أرواحكم وتجعلكم صيادين قساة وغير خاضعين لسيطرة القانون. وأمّا في ما يتعلّق برغبة اللصوصية في المدينة أو الريف، فلا تدخل هذه الرغبة أبداً في أفكاركم الأكثر زوالاً. وعليكم ألاّ يسيطر عليكم الوهم المغري ألا وهو صيد الطيور لأنّه صيدٌ غير جدير أبداً بالرجال الأحرار. لا تدعوا كلّ هذا يدخل إلى عقل أيّ فتى. يبقى إذن صيد وحيد يمارسه رياضيّونا وهو التقاط الحيوانات عن الأرض، والذي ينام أثناءه الصيّادون بالدور ويستسلمون للكسل. إنّ هذا النوع من الصيد يجب أن لا يوصى به أكثر ممّا يُوصى بالصيد الذي يقوم أثناءه الصيادون بفترات راحة والذي يتمّ فيه إخضاع قوّة الحيوانات المفترسة. بواسطة الشباك والأفخاخ، وليس بقوة انتصار النفس المُجِدّة. هكذا فقط يتمّ السماح للنوع الأفضل من أنواع الصيد ـ إنّه صيد الحيوانات ذوات الأربع. ويتمّ القيام به باستعمال الأحصنة والكلاب والرجال الذين يحضّون الصيادين. وهم ينتصرون على الحيوانات بإرهاقها وصدمها وضربها بعنف وقذفها بقوّة، آخذينها بأيديهم الخاصّة. بهذا يتوقون لرجولة شبيهة بالله. إنّ الثناء واللوم اللذين يخصّصان لكلّ هذه الأشياء قد أُعلنا الآن. فعلى القانون بعد هذا أن يكون كما يلي: لا تسمح

لأيّ شخص أن يعيق هذه الأشياء عن الذين يكونون صيّادين مقدَّسين، أي من متابعة الصيد أينما وحيثما يشاؤون. لكنّ الصيادين ليلاً اللذين يثقون بشباكهم وشراكهم، لن يُسمح لهم أن يصطادوا كيفما اتّفق. إنّ الطيور الموجودة في الجبال من أيّ نوع وفي الأماكن المقفرة سوف يُسمح بصيدها. لكن لن يُسمح بصيد هذه الطيور الموجودة على الأرض المحروثة وعلى الأراضي غير المحروثة المقدّسة. وأيّ شخص يلتقي بمن يقوم بمخالفة هذه النواميس سيتمّ منعه في حينه. أمّا في ما يتعلّق بالصيد في المياه، فالصيّاد يمكنه أن يصطاد في أيّ مكان ما عدا الموانىء والجداول المقدَّسة أو المستنقعات أو الأحواض، شرط أن لا يلوّث المياه بسوائل سامّة. وبعدُ، يمكننا أن نقول إنّ كلّ تشريعاتنا بشأن التعليم هي تعليمات كاملة.

محاورة النواميس

الكتاب الثامن

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: ينبغي علينا في المرحلة التالية، وبمساعدة وسيط الوحي في معبد دلفي، أن نقيم أعياداً وأن نسنّ نواميس بشأنها، وأن نقرّر أيّة تضحيات ستكون لخير المدينة، ولأيّ آلهة سيتمّ تقديمها، ومتى وكيف؟ ونقول إنّ أولئك الذين سيحيون بسعادة يجب عليهم ألاّ يؤذي بعضهم بعضاً، وألاّ يؤذيهم الآخرون. وما من إنسان يمكنه أن يكون آمناً من الاعتداء إلاّ إذا أصبح خيِّراً بالكمال، والمدن تشبه الأفراد في هذا. إنّ المدينة إذا كانت خيِّرة تحيا بسلام، أما إذا كانت شريرة فليس لها سوى حياة حرب في الداخل والخارج. ونقول إنّ حبّ الغنى الجشِع المستمرّ مدى الحياة هو واحدٌ من الأسباب التي تمتصّ الجنس البشريّ وتمنعه من مزاولة فنون الحرب بحقّ. أمّا الحكومات الديموقراطية، الأوليغاركية، والاستبداديّة، فليست سوى دول نزاع لأنّ أيّاً منها لا يمارس الحكم اختيارياً على رعايا اختياريّين. ونحن سندرّب أطفالنا، شبابنا، رجالنا، ونساءنا، على كلّ نوع من أنواع الرياضة والأساليب العسكرية، ونعلّمهم الموسيقى الحقّة. ويجب أن نمنع اللواط بالمطلق ونتّخذ تدابير احتياطيّة ضدّ الحبّ غير الطبيعيّ بين الصبيان والفتيات، ضد انحرافات الذكور والإناث جنسيّاً، تلك الإنحرافات التي كان وسيكون لها تأثير سيِّء غير محدود على الأفراد والمدن.

إنّ الصداقة التي تنشأ من المضادّات هي صداقة مرعبة وفظّة، وليس لديها رباط وثيق على الغالب، لكنّ الصداقة التي تنشأ من المتشابهات هي صداقة لطيفة

ولديها رباط وثيق ووحدوي يدوم ما دامت الحياة. ونقول إنّ الاعتدال هو توظيف الطبيعة لخير الإنسان، في المقام الأوّل، والاعتدال يمنع الرجال من ممارسة كلّ عمل وكلّ حبّ جنونيّ ومخبّل، ويجعلهم أصدقاء أخيار لزوجاتهم. إنّ الانتصار الحقيقيّ هو الانتصار على اللذّة وقهرها، أمّا الهزيمة فهي الخضوع والإذعان لها. ويجب على مواطنينا أن لا ينحدروا إلى مستوى البهائم والطيور في علاقاتهم الجنسيّة، بل إنّ بعض الطيور لا تتزواج إلا في الوقت المناسب لها في الحياة وتبقى عذراء قبله، ثم تقترن معاً بحقّ وتعيش بقيّة عمرها بقداسة وبراءة، ملتزمة باتّفاقها الأصليّ بشكل ثابت.

هناك مبادىء ثلاثة إذا أطاعها شبابنا فلن يخالفوا الناموس، وهي مبدأ التقوى، مبدأ حبّ الشرف، ومبدأ رغبة الجمال في الروح وفي الجسم. وسيجرّد من حقوقه ومن امتيازاته المدنية كلّ مَن يقيم علاقات جنسيّة منافية للنبل والطبيعة. أمّا الغذاء فيمكننا أن نحصل عليه من الأرض فقط، ومشرّعنا ليس له عمل بقوانين مالكي البواخر، والتجّار، وتجّار التجزئة، وأصحاب الفنادق، ومحصّلي الضرائب، والمناجم، وقارضي المال، والفوائد المركّبة، والأشياء الأخرى التي لا تحصى، بل إنّه سيسنّ قانوناً للمزارعين والرعاة والنحّالين، وستُقسّم الأرض، كما قلنا، تقسيماً عادلاً بين المواطنين، وستفصل محاكم العدل بشأن أيّ خلاف ينشأ بينهم، وسيُعاقب مَن لا يطيع الناموس الذي ينظم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان. ولأنّ الماء هو العنصر الأهمّ في حياة الإنسان من حيث التغذية لذلك يجب أن تتمّ حمياته بالقانون كذلك. وسيُعاقب الذي يلوّثه أو يسرقه. وسنسنّ قانوناً خاصّاً بالصنّاع المهرة، وكما قلنا في الماضي، فإنّ كلّ شخص منهم سيقوم بعمله المحدَّد الخاصّ ويبرع فيه، ولن يقوم بعدة أعمال في وقت واحد، وهذا هو العدل الحقّ.

محاورة النواميس

الكتاب الثامن

الأثيني الغريب: ينبغي علينا في المرحلة التالية، وبمساعدة وسيط الوحي في معبد دلفي، أن نقيم أعياداً ونسنّ نواميس بشأنها، وأن نقرّر أيّة تضحيات ستكون لخير المدينة، ولأيٍّ آلهة سيتمُّ تقديمها. لكنّ أوان تقديمها، وكيفيّة ذلك، فذلك يمكن أن ننظّمه نحن جزئياً.

كلينياس: تعني الأعداد ـ نعم؟

الأثيني: يجب علينا إذن أن نحدِّد العدد قبل أي شيء؛ ولندع العدد كلّه يكون ٣٦٥ 828، واحداً لكلّ يوم. وهكذا فإنّ مشرّعاً واحداً على الأقلّ سوف يضحّي يومياً لإله ما أو لنصف إله بالنيابة عن المدينة كلّها، وعن المواطنين وممتلكاتهم. ولسوف يجتمع المفسّرون والكهنة والكاهنات والأنبياء، ولسوف يقيمون هذه الأشياء التي أسقطها المشرّع ضرورة بموافقة حماة الناموس. ويمكّنني أن أعلّق على هذا وهو أنّهم هم تحديداً الأشخاص الذين يجب عليهم أن يدوِّنوا ما قد أُسقط(٥٧)، سيقول الناموس إن هناك اثني عشر عيداً دينيّاً مخصّصة للآلهة الإثني عشر الذين دُعيت القبائل المتعدّدة بأسماء على غرار أسمائهم. وكلّ واحدة من هذه القبائل سوف يضحي أفرادها كلّ شهر، وسيعيّنون جوقات موسيقيّة، وكذلك مسابقات للموسيقى والألعاب الرياضية المخصّصة لتلائم الآلهة وفصول السنة. وسيكون لديهم أعياد للنساء ومنها ما ينبغي أن يُفصل عن احتفالات الرجال، وما لا يجب فصله. وأبعد من ذلك، فهم لن يشوّشوا أو يخلطوا بين الآلهة الشيطانيّة وطقوسها وبين الآلهة التي تدعى سماويّة وطقوسها، بل إنّهم سوف يفصّلونها، مانحين

لبلوتو ما يخصّه في اثني عشر شهراً، من أعيادٍ مقدّسة له طبقاً للناموس. على الرجال الحربيّين أن لا يضمروا كراهية لإله كهذا، بل عليهم أن يكرموه وكأنه دائماً الصديق الأفضل للإنسان. إنّ ارتباط الروح والجسم ليس أفضل من حلّهما بأيّة طريقة، كما أنّي جاهز لتأكيد ذلك بشكل جديّ تماماً. أكثر من ذلك، فإنّ أولئك الذين ينظّمون قضايا كهذه بشكل صحيح، يجب عليهم أن يعتبروا أنّ مدينتنا ليس لها صنوٌ بين المدن الموجودة، لا من حيث احترام وقت الفراغ ولا من حيث إنجاز ضرورات الحياة، وأنّها مثل الفرد ينبغي أن تحيا حياة سعيدة. وألئك الذين سيحيون بسعادة عليهم أن لا يؤذي بعضهم بعضاً، ولا ينبغي أن يؤذيهم الآخرون. وإن الحصول على الشرط الأوّل ليس شيئاً صعباً، لكن هناك صعوبة كبيرة في ردّ الأذى عنهم، إذ لا إنسان يمكنه أن يكون بمأمن من الاعتداء، إلاّ إذا أصبح خيّراً بالكمال. والمدن تشبه الأفراد في هذا، لأنّ المدينة إذا كانت مدينة خيّرة تحيا بسلام، أما إذا كانت شرّيرة فتحيا حياة حرب في الداخل والخارج. لذلك يجب على المواطنين أن يمارسوا الحرب، ليس زمن الحرب، بل عندما يعيشون زمن السلم على الأصحّ. إنّ أيّة مدينة مُدرِكة ينبغي أن تنزل إلى ميدان المعركة يوماً واحداً في الشهر على الأقلّ، ولأكثر من ذلك إذا تصوّر مَنْ بيديهم زمام الأمر أنّ ذلك مناسب. وعلى المدينة أن لا تهتمّ ببرد الشتاء وقيظ الصيف عندما تقوم بذلك. وعلى سكانها أن يخرجوا بشكل جماعيّ، بما في ذلك زوجاتهم وأطفالهم، عندما يقرّر القيّمون عليها قيادة الشعب كلّه، أو أن يخرجوا في جماعات منفصلة حينما يدعونهم. وعليهم أن يجهّزوا دائماً ليتمموا إيجاد ألعاب وولائم وتضحيات، وعليهم أن يقوموا بسلسلة من المباريات العسكريّة مقلّدين فيها بشكل حيّ قدر الإمكان، الأسلوب المتّبع في المعارك الحقيقيّة. وعليهم أن يوزّعوا جوائز النصر والشجاعة على المتبارين،

مع لوم البعض ومدح البعض الآخر طبقاً للأساليب المتّبعة في المباريات وفي حياتهم كلّها. يجب تمجيد الأفضل ولوم من يعاكس ذلك. على الشعراء أن يحتفلوا بالمنتصرين، ليس جميع الشعراء بل الشاعر الذي لا يقل عمره عن خمسين سنة في المقام الأوّل. ولا يَجب أن يكون شاعراً من لم يقم بعمل نبيل أو شهير في حياته رغم الهبات الموسيقية والشاعريّة التي يتمتع بها. بل إنّ الشعراء الذين ينبغي أن يفعلوا ذلك هم الأخيار والأشراف أيضاً في الدولة، ومبدعو الأعمال النبيلة. لندع أغاني هؤلاء تشنّف الآذان، حتى لو لم تكن أغاني موسيقية جدّاً. ولندع الحكم عليها يستقّر مع مثقّف الشباب ومع بقيّة حماة الناموس، وهم الذين سيمنحونهم هذا الامتياز، وحينها سيكون هؤلاء الشعراء أحراراً في الغناء. لكنّ بقية الناس لن يكون لديهم هذه الحرية. ولن يجرؤ أحد على أن يغني الأغنية التي لم يتمّ التصديق عليها بحكم حماة النواميس، حتى لو كان لحنها أعذب من أغاني ثاميراس وأورفيوس، بل ينبغي أن يغني فقط تلك القصائد التي حُكِم بأنها مقدّسة ومخصّصة للآلهة، والتي أبدعها الرجال الأخيار والتي نالت الثناء أو اللوم، والتي اعتُبرت أنّها تؤدي هدفها بشكل عادل.

إنّ التنظيمات بشأن الحرب وبشأن حريّة الكلام في الشعر يجب أن تنطبق على الرجال والنساء بشكل متساوٍ. ينبغي على المشرّع أن يتّخذ قراراً ويناقش المسألة في ذهنه. إنّه سيسأل مَن هم مواطنيّ الذين نُظِّمت المدينة من أجلهم؟ أليسوا المتنافسين في أعظم المباريات[٥٨]؟ أوليس لديهم عدد لا يحصى من المنافسين؟ لتكن متأكداً، سيكون هذا هو الجواب الطبيعي. حسناً، لكنّنا إذا درّبنا ملاكمين، أو مصارعين، أو أيّ نوع آخر من الرياضيين فلا ينبغي أن يتقابلوا إلاّ عندما تحين ساعة المبارَزة. أوَلاَ يجب أن لا نفعل شيئاً كي نعدّ أنفسنا بممارسة التمارين الرياضية يومياً وبشكل سابق؟ إذا كنّا

ملاكمين فعلينا أن نتعلّم كيفية المصارعة لعدّة أيّام قبل أن ننازل خصمنا بكلّ تأكيد، وعلينا أن ندرّب أنفسنا على طريقة توجيه كلّ تلك الضربات إلى خصمنا وردّ ضرباته ساعة الصراع. ولكي نتمكّن من تأديه ذلك بجودة والاقتراب من واقع ما نحن عازمون عليه قدر الإمكان، يلزم أن نلبس في أيدينا قفازات الملاكمة بدلاً من استخدام الأحزمة، وذلك لنتمكّن من توجيه الضربات وصدّها عن طريق التمرين عليها إلى أقصى ما في قوّتنا. وإذا كان هناك نقص في عدد المتصارعين، فإنّ سخرية الأغبياء لن تردعنا من صنم لاحياة له وممارسة ضربات ملاكمتنا عليه. أو إذا لم يكن عندنا أيّ خصم على الإطلاق، حيّ أوْ لا، أفلا يجب أن نستغل قلّة الأعداء للمناوشة فيما بيننا؟ وفي أيّ أسلوب آخر نستطيع أن ندرس أبداً فنّ الدفاع عن النفس؟

كلينياس: إنّ الطريقة التي تذكرها، أيّها الغريب، ستكون الطريقة الوحيدة فقط.

الأثيني: وهل سيكون مقاتلو مدينتنا، الذين كتب عليهم عندما تدعوهم الفرصة، أن يدخلوا في أعظم المباريات كلّها، وأن يحاربوا من أجل حيواتهم وحيوات أطفالهم وممتلكاتهم، ومن أجل المدينة كلّها، هل سيكون هؤلاء المقاتلون أسوأ تجهيزاً من الملاكمين؟ وهل سيمتنع المشرّع عن أمرهم بالذهاب والقتال، لأنّه يكون خائفاً من أنّ تمارينهم مع بعضهم البعض يمكن أن تبدو مضحكة للبعض؟ أو لن يصدر أمراً لقيام الجند بتأدية تمارين أقلّ وبدون أسلحة كلّ يوم، جاعلاً الرقص وكلّ الألعاب الرياضية تميل نحو هذه الغاية؟ أو لن يحتاج هو أيضاً لمزاولتهم بعض التمارين الرياضيّة، الكثيرة منها والقليلة، كلّ شهر على الأقلّ، وكذلك قيامهم ببعض المباريات مع الآخرين في كلّ جزء من أجزاء البلاد، مستولين على المواقع ومقيمين الكمائن ومقلّدين الحرب الحقيقيّة بكل أشكالها؟ وكذلك عليهم أن يحاربوا بقفازات الملاكمة ورشق الرماح مستخدمين أسلحة خطرة إلى حدٍ ما ومشابهة للأسلحة الحقيقيّة قدر

الإمكان، لئلا تخلو الرياضة كليّة من الخوف. بل يمكنهم أن يتعرّضوا للرعب أثناءها وأن يمتاز الشجاع من الجبان، ولكي يتمكنّ ذلك التكريم والعار اللذين خُصّصا لهم على التوالي أن يهيّئا المدينة كلّها لنزال الحياة الحقيقيّ؟ إذا توفّي أحدهم في هذه المباريات المتّسمة بالتقليد والمحاكاة، فإنّ المقاتل لا يكون قاتلاً بالحقيقة باختياره، وسوف نجعل القاتل هذا يتطهّر من سفك الدم عند تطهيره طبقاً للناموس، آخذين بعين الاعتبار أنّه إذا توفّى رجال قلائل، فإنّ رجالاً آخرين أخياراً كالذين توفّوا سوف يولدون. لكن إذا مات الخوف، فإنّ المواطنين لن يجدوا أبداً اختياراً للطبائع الأسمى والأدنى حينئذ، ذلك الخوف الذي هو شرٌّ أعظم للدولة يبعد كبير من خسارة القليل من الرجال.

كلينياس: إنّنا لمتّفقون تماماً، أيّها الغريب، على وجوب التشريع بشأن هذه الأشياء، ومتّفقون على أنّ الدولة كلّها ينبغي أن تمارسها.

الأثيني: وما سبب ندرة الرقص والمباريات من هذا النوع في الدول، على الأقلّ ليس لأيّ مدى جدير بأن يُحكى عنها؟ هل هذا ناشيء عن جهل الجنس البشريّ وجهل مشرّعيه؟

كلينياس: لربّما.

الأثيني: لا بالتأكيد، يا كلينياس، الحلو الطعم، بل هناك سببان إثنان كافيان تماماً لتسبيب النقص.

كلينياس: ما هما؟

الأثيني: أحدهما هو حبّ الثروة، هذا الحب الذي يمتصّ الرجال بشكل كامل ولا يسمح لهم ولو لدقيقة بأن يفكّروا بأي شيء آخر سوى ممتلكاتهم الخاصّة. إنّ روح كلّ مواطن تتشبّث بحبّ الغنى ولا تستطيع أن تنكبّ على أيّ شيء سوى ربحها اليوميّ. إنّ الجنس البشريّ جاهز ليتعلّم أيّ فرع من فروع المعرفة، وأن يزاول ما يراه مناسباً لهذه الغاية. والجنس البشري يضحك

أفراده بعضهم على بعض. إنّ هذا الشيء سببٌ واحدٌ من أجله لن تكون المدينة جديّة بشأن مباريات كهذه، أو بشأن أي تعقب آخر صالح ومشرف، بل إن كلّ رجل نتيجة نهمه للذهب والفضة سوف ينزل إلى أيّ مستوى من الفن، على نحو لائق أو غير لائق، على أمل أن يصبح غنياً وهو لن يعارض القيام بأيّ عمل، مقدّس أو غير مقدّس وحتى إذا كان عملاً منحطّاً بشكل مطلق، إذا كان مثل الوحش المفترس لديه قوّة الأكل والشرب من كلّ نوع ولكلّ الأشياء، ويحصل على كلّ شيء لنفسه بأيّ طريقة لإشباع شهواته.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: هذا السبب إذن يجب أن يعبتر أحد الأسباب التي تمنع الدول من ملاحقة فنّ الحرب بأسلوب كافٍ، أو من ملاحقة أيّ هدف نبيل آخر. وهذا ما يجعل الجزء النظاميّ والمعتدل للجنس البشريّ يتحوّل إلى جزء تجاريّ، وإلى قادة للبواخر وخدم، وبعكس النوع الباسل إلى لصوص وقطّاع طرق وإلى سارقي هياكل، وإلى أشخاص عنيفين ومستبدّين. إنّ العديد من هؤلاء ليس لديهم القدرة على التغيير لكنّهم تعساء[٥٩].

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: ألا ينبغي أن يكون هؤلاء تعساء بحقّ ما دامت أرواحهم مجبرة على أن تقاسي الحياة جائعةً مشتهيةً على الدوام؟

كلينياس: إذن فإنّ هذا سببٌ واحد، أيّها الغريب، غير أنّك تحدّثت عن سبب آخر.

الأثيني: شكراً لك على تذكيرك إيّاي.

ميغيلوس: إنّ حبّ الغنى النّهم المستمرّ مدى الحياة، كما قلت، هو سبب أول يمتصّ أفراد الجنس البشريّ ويمنعهم من مزاولة فنون الحرب بحقّ. لقد سلّمنا بذلك، وبعدُ أخبرنا عن السبب الآخر؟

الأثيني: هل تتصوّر أنّني أؤخّر الإفصاح عن هذا لأني مرتبك؟

ميغيلوس: لا، لكنّنا نتصوّر أنّك قاسٍ جدّاً على طبع محبي المال، ويبدو أنّك تكنّ كرهاً فريداً لهم في البحث الحاضر.

الأثيني: إنّ هذا توبيخ عادل جدّاً، أيّها الغرباء، وسوف أتقدّم الآن إلى السبب الثاني.

كلينياس: واصل.

الأثيني: أقول إنّ الحكومات هي سبب، الحكومة الديموقراطية، الأوليغاركية، الاستبداديّة. هذا فيما يتعلّق بالذي تكلّمت عنه غالباً في البحث السابق. أو على الأصحّ فإنّ تلك الحكومات ليست حكومات، إذ لا أحد منها يمارس حكماً اختيارياً على رعايا اختياريين؛ بل يمكن أن يقال عنها إنّها دول نزاع حكومتها حكومة اختيارية، يطيع رعاياها ما هو ضدّ أرادتهم على الدوام، وينبغي عليهم أن يُجبروا على ذلك. ويخاف الحاكمُ المحكومَ ولن يسمح له، إذا استطاع، لا أن يصبح نبيلاً، ولا غنياً، ولا قوياً ولا شجاعاً، ولا محبّاً للحرب على الإطلاق(٦٠). إنّ هذين السببين الإثنين هما علل كلّ الشرور أيضاً، وهما علل الشرور بشكل بارز أيضاً. لكن دولتنا تخلّصت منهما كليهما، لأنّ مواطنيها لديهم وقت الفراغ الأكثر، وهم ليسوا تابعين لبعضم البعض. وما أظن أنّ هذه النواميس ستجعلهم عكس ما هم عليه محبّو المال. يمكن وبشكلٍ معقول، أن يُفترض مجتمع كهذا أنّه المجتمع الوحيد الموجود فقط الذي سيقبل التعلم الذي وصفناه، وأنّه هو الذي سيتبنّى التسليات الحربيّة التي تمّ إكمالها طبقاً لفكرتنا.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: تالياً إذن، يجب علينا أن نتذكّر، ما يخصّ كلّ مباريات الألعاب الرياضيّة، وهو أنّ النوع الحربيّ منها يجب أن يُمارس وأن يحوز جوائز النصر. وأمّا

تلك التي ليست تسليات عسكريّة فينبغي التخليّ عنها. إنّ النوع العسكريّ منها من الأفضل أن يوصف وأن يتمّ تركيزه بواسطة الناموس بشكل تامّ. ودعنا نتكلّم بادىء ذي بدء، عن الركض والسرعة.

كلينياس: جيد جداً.

الأثيني: إنّ الميزة الأكثر عسكريّة من كلّ الميزات هي نشاط الجسد العامّ بكلّ تأكيد، سواء إذا كان هذا النشاط متمّماً بالرّجل أو باليد. إننا نحتاج لسرعة العدو لنهرب من عدوّنا أو لإلقاء القبض عليه؛ لكن النزاع بالسلاح الأبيض والقتال يحتاجان للنشاط والقوّة الجسديّة.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ما من نوعية منها تقدر أن تكسب فعاليتها بدون سلاح.

كلينياس: كيف تستطيع بدونه؟

الأثيني: إذن فإنّ الناطق باسمنا سوف يدعو المتسابق بادىء ذي بدء، في تطابق مع التمرين السائد، وسيظهر مسلّحاً، لأنّنا لن نمنح جائزة للمتنافس غير المسلّح، وسوف يدخل أوّلاً مَنْ سيعدو في وجهة سير مفردة حاملاً السلاح. ثم يدخل مَنْ سيعدو في وجهة سير مضاعفة، ويدخل بعدها مَن سيعدو ممتطياً الحصان، ويدخل الرابع من سيعدو في وجهة سير طويلة. أمّا الخامس فسنرسله قبل الجميع حاملاً الأسلحة الأثقل، وسوف يعدو مسافة ستين ستاديا إلى هيكل مالآريس ومن ثمّ يعود، مرّة ثانية ـ وسنطلق عليه لقب المحارب الأثيني المدجّج بالسلاح. وهو سيعدو فوق أرض أكثر نعومة. يبقى رامي السهام، وهو سيعدو مسافة مئة ستاديا فوق الجبال بعتاده الكامل، ومن ثمّ يقطع البلاد كلّها إلى أن يصل إلى هيكل أبوللو وأرتيميس. وسيكون هذا الأمر نظام المباريات، ونحن سننتظر كلّ المتسابقين إلى أن يعودوا، وسنمنح جائزة للمنتصر.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: دعنا نفترض أنّ هناك ثلاثة أنواع من المباريات: واحدة للصبيان، وأخرى للشباب الذين لم تنبت لحيتهم بعد، وثالثة للرجال. وسنحدد ثلثي وقت المباراة للشباب، وسنعطي للصبيان نصف المدّة كلّها، وذلك سواء إذا تباروا كرماة للسهام أو كحملةٍ للسلاح الثقيل. أمّا في ما يتعلّق بالنساء، فسندع البنات اللواتي لم يبلُغْنَ بعد يتبارين شبه عراةٍ في الملعب المدرَّج وفي المباريات المضاعفة والمسافات الطويلة، وندعهنّ يتسابقن في السباقات التي تجري على الأرض عينها. أمّا البالغات من العمر ثلاثَ عشرةَ سنة وما فوق وحتى وقت زواجهن، فلسوف يواصلن الاشتراك في المباريات إذا لم تكن أعمارهنّ قد تجاوزت العشرين، لكنّهنّ سيُجبرن على العدو حتّى يبلغنَ سنّ الثامنة، وسينزلن إلى ميدان القتال وهن يرتدين الملابس المناسبة. ودع هذه التنظيمات تكون تنظيمات بشأن المباريات في العدو للرجال والنساء على حدّ سواء.

أمّا في ما يتعلّق بالقوّة الجسديّة، وبدلاً من المصارعة والمباريات بالسلاح الأثقل، فإنّنا سنقيم صراعات بالسلاح شخصاً ضدّ شخص، وشخصين ضدّ شخصين، وهكذا إلى أن يتصارع عشرة ضدّ عشرة. أمّا فيما يختصّ بما لا يجب أن يقاسيه إنسان أو يفعله، وإلى أيّ مدى، وذلك ليُحرز النصر فسنبحثه لاحقاً. وكما في المصارعة، فإنّ أسياد الفن هذا وضعوا ما هو عادل وما هو غير عادل، هكذا فعلوا في الحرب بالأسلحة. ونحن ينبغي علينا أن ندعو الحكام البارعين الذين سيتولّون حكم المباراة، والذين سيكونون مساعدينا المستشارين في عمل التشريع. وهم يقرّرون مَنْ يستحقّ أن يكون المنتصر في معارك من هذا النوع، وما الذي يُفعل أو سيُفعل له أو لها، وسيقرّرون أيّ قانون يُعرّف مَنْ ينهزم بأسلوب مماثل. وهذه النواميس المحليّة

يجب أن تنطبق على النساء والرجال إلى أن يتزوّجوا. إنّ الملاكمة والمصارعة تحتاجان شيئاً متمّماً لهما في المعركة التي تجري بالسلاح الخفيف، وسيستخدم المتبارون فيهما السهام والدروع الخفيفة والرماح، وسيتبارون برمي الأحجار مستعملين المقلاع والأيدي. وسيُسَنُّ قانون بشأنها وتُعطى الجوائز للأفضل وللذي ينفذ أوامر الناموس.

إنّنا سنشرِّع ما يخصّ إقامة مباريات الأحصنة في النظام تالياً. وبعدُ فنحن لا نحتاج إلى أحصنة متعدّدة، لأنّها ليست كبيرة النفع في بلادٍ مثل جزيرة كريت، ومن ثمّ فإنّنا لن نعاني الآلام بسبب تربيتها أو بإقامة سباق لها. وما من شخص واحد بيننا يحتفظ بعربة تجرّها الخيول، وأيّ تنافس في قضايا كهذه سيكون خارج مكانه كليّة. لن يوجد أيّ إدراك أو أيّ ظلٍّ للإدراك في إقامة مباريات لا تكون على غرار نمط البلاد الطبيعيّ. ولهذا السبب فإنّنا نمنح جوائزنا للأحصنة المفردة، نعطيها للمهور التي لم تبدِّل أسنانها بعد، نهبها لتلك التي تكون في حالة وسط وللأحصنة الكاملة النموّ. وهكذا فإنّ ألعابنا الفروسيّة ستنسجم مع طبيعة البلاد. وعلى الذين سيشتركون في الصراع والمنافسة أن تكون لديهم هذه القضايا متوافقة مع الناموس. وعلى قادة الفرسان العسكريين أن يقرّروا معاً بشأن كل الطرق التي تخصّ المباريات، وبشأن المتنافسين المسلّحين فيها أيضاً. لكننا ليس لدينا ما نقوله لغير المسلّحين، لا في التمارين الرياضية ولا في هذه المباريات. على الجانب الآخر، فإنّ حَمَلةَ السّهام الكريتيين أو حملة الرماح الذين يحاربون متمنطقين الدروع عل متن خيولهم، إنّ حرب هؤلاء ستكون نافعة، ولهذا السبب يمكننا أيضاً أن نعيِّن مبارزة من هذا النوع كواحد من أنواع تسلياتنا. ليس من الواجب إجبار النساء أن يتنافسن لا قانونياً ولا كأوامر لا تقبل الجدل. لكنّهنَّ إذا كسبنَ العادة نتيجة تدريب سابق، وكنَّ قويات الأجسام بما فيه

الكفاية، وأحببن أن يشتركن في هذه المباريات فَلْيفعلنَ ذلك، بناتٍ وصبياناً على حدّ سواء، ولا أحد يستطيع لومهنّ. وهكذا فإنّ المبارزة في الألعاب الرياضيّة وطريقة التعليم قد تمّ وصفها. ولقد تكلّمنا أيضاً عن مصاعب هذه المباريات وعن التمارين اليوميّة تحت إشراف أسياد هذا الفنّ. لكن في ما يخصّ الرواة المحترفين للقصائد الملحميّة وما شابهها، وفي ما يتعلّق بمباريات الكوارس الموسيقيّة التي ستؤدّي ألعابها أثناء الولائم والأعياد، فإنّ كلّ هذه سيتمّ ترتيبها عندما تكون الشهور والأيّام والسنون معيّنة للآلهة وأنصاف الآلهة، سواء إذا عُيّنت كل ثلاث سنوات، أو كلّ خمس، أو بأيّة طريقة أو أسلوب يمكن للآلهة أن تلهم للرجال طريقة توزيعها وأداء نظامها. وفي الوقت عينه، يمكننا أن نتوقّع أنّ المباريات الموسيقية سيتمّ الاحتفال بها في دورها بأمرٍ من القضاة ومِن مرشد التعليم وحماة الناموس عندما يجتمعون معاً لهذا الغرض، وعندما يصبحون مشرّعي زمان وطبيعة وحالات المباريات الموسيقية والرقص بشكل عام. وما يجب أن يكون إفرادياً في اللّغة والأغنية، وفي مزج الإيقاع بالوزن الشعريّ والرقص، قد أعلنه المشرّع الأصليّ غالباً، وينبغي على خلفائه أن يتّبعوه جاعلين الألعاب والتضحيات تتلاءَم في الوقت المناسب كما ينبغي، ويلزمهم أن يعيّنوا وقت الاحتفالات العامّة كذلك. ولن يكون من الصعب تحديد نظام متكامل لهذه الاشياء والقضايا ولن يسبّب تغييرها أيّ خير عظيم أو أي أذىً للدولة. هناك قضيّة أخرى ذات أهميّة وصعوبة، على كلّ حال، وهي تختصّ بالإله الذي سيسنّ النواميس، إذا كانت هناك إمكانيّة منه للحصول على أمرٍ بشأنها. لكن لو أخذنا بعين الاعتبار أنّ المساعدة الإلهيّة من الصعب إمتلاكها، فيبدو أنّ الحاجة ماسة لرجل شجاع يمجّد بساطة الكلام بشكل خاصّ، ويقول بغير تحفّظ ما هو الأفضل للمدينة وللمواطنين. إنّه سيأمر بما يكون صالحاً ومناسباً للدولة كلّها

وسط فساد الأرواح الإنسانيّة، وهو سيعارض ويضادّ الشهوات الأشدّ عتوّاً، لأنّه بدون مساعد بل هو الواقف وحده في الميدان والمهتدي بعقله فقط.

كلينياس: ما الذي تقوله، أيّها الغريب؟ إنّنا لا نفهم معناك حتى الآن.

الأثيني: محتمل جدّاً، إنّي سأجهد لأوضح ما أقول بشكل أكثر جلاء. عندما وصلت إلى موضوع التعليم، رأيت الشبان والصبايا يقيمون علاقات صداقة مع بعضهم بعضاً. وهناك نشأ في فكري نوع من الإدراك بشكل طبيعيّ - لم أستطع إلاّ أن أفكّر كيف ينبغي على الشخص أن يتعامل مع مدينة تربّي شبابها وشاباتها تربية جيّدة، وليس لديهم أيّ شيء يفعلونه، ولا يجتازون اختبار المشقّات الزائدة والمذلّة التي تخمد الإسراف والعبث، في الذين يكون همهّم الوحيد أثناء حياتهم كلّها هو التضحيات والأعياد والرقص. كيف سيمتنعون في دولة كهذه عن الرغبات التي تقحم العديد من الرجال والنساء في الهلاك الروحي الأبديّ؟ ومَنْ غير العقل يأمرهم بالامتناع عنها، مدّعين أنّها أعمال الناموس؟ إنّ النواميس المحليّة التي سُنّت بشكل مسبق يمكنها أن تحصل على الأفضل من هذه الرغبات. ومنع الغنى المفرط هو ربح جدير بالاعتبار جدّاً باتجاه الاعتدال. ويفرض تعليم شبابنا بمجمله قانون الاعتدال عليهم. وأكثر من ذلك، فإنّ عين الحكّام ضرورية لمراقبة الشباب على الدوام، وأن لا تغفل عنهم على الإطلاق. إنّ هذه التدابير الاحتياطية تمارس تأثيراً منتظماً على الرغبات بشكل عامّ، بقدر ما تستطيع الوسائل الإنسانيّة التأثير على أيّ شيء. لكن كيف نقدر أن نتّخذ احتياطات ضدّ الحبّ غير الطبيعيّ للفتيان والفتيات، ولإنحرافات الذكور والإناث جنسياً، تلك الانحرافات التي كان لها تأثير غير محدود على الأفراد والمدن؟ كيف سنستنبط علاجاً وطريقة لإبعاد خطر عظيم كهذا؟ هناك صعوبة بحقّ، يا كلينياس. إنّ كريت ولاقيدايمونيا يساعدان بشكل كبير بطرائق متعدّدة

أولئك الذين يسنّون قوانين غريبة. لكن في قضايا الحبّ، وبما أنّنا نقف وحيدين، يجب أن أعترف بأنّهما ضدّنا تماماً. إذ لو كان على أيّ شخص يتبع الطبيعة أن يسنّ ناموساً وُجد قبل أيام لايوس (٦١)، معلناً أنّه ليس من الصحيح أن يلعب الذّكر دور المرأة في عملية الجماع، ومورداً كبرهان على ذلك غريزة الحيوانات، إذ بين الحيوانات لا ينبغي على الذكر أن يعاشر الذكر بهذه الطريقة لأنها طريقة غير طبيعية، أقول، إنّه إذا سنّ شخص هذا القانون، فيمكنه أن يبرهن قصده، لكنّه سيكون على خلاف مع عرف وعادة دولتيكما. وأبعد من ذلك، فإنّه شيء كريه بالنسبة للمبدأ الذي نقول عنه إنّ على المشرّع أن يراقبه على الدوام. ونحن نحقّق بشكل دائم أيٌّ نواميسنا يميل إلى الفضيلة وأيّها لا يفعل ذلك. وافترض أنّنا نمنح أنّ عمليات الحبّ هذه تعتبر عمليات شريفة قانوناً، أو أنّها عمليات غير مخزية على الأقلّ. ففي أيّة درجة سوف تسهم هذه العمليات في الفضيلة؟ هل ستغرس هذه الشهوات في روح المضلَّل عادة الشجاعة، أو مبدأ الاعتدال في روح المضلَّل؟ ومن سيصدّق هذا القول؟ أو بالأحرى، من الذي لا يلوم تخنّث مَنْ لا يذعن للملذّات ويكون غير قادر على أن يصمد بوجهها؟ ألن يلوم الرجال كلّهم مَنْ يقلّد المرأة كأنّه أنثويّ؟ ومن يقدر أن يفكّر بتركيز ممارسة كهذه قانونيّاً؟ بالتأكيد لا أحد سيفعل ذلك ممّن يعون الناموس الحقيقيّ. كيف يمكننا أن نبرهن أنّ ما أقوله هو القول الحقّ؟ إنّ مَن سيعتبر هذه القضايا وبشكل صحيح، يجب أن يرى طبيعة الصداقة والرغبة، وهذه التي تُدعى محبّة، فهما طبيعتان من نوعين اثنين. وينشأ من هذين النوعين نوع ثالث، له الإسم عينه. وهذا التشابه في الاسم يسبّب كلّ الصعوبة والغموض.

كلينياس: كيف يكون ذلك؟

الأثيني: يكون الشبيه عزيزاً على شبيهه في الفضيلة وكذلك المتساوي على المتساوي، ومَن لديه وفرة عزيز على من ليس لديه ذلك، برغم أنّه لا يشبهه. وعندما تصبح أيٌّ من هاتين الصداقتين صداقة مفرطة، فنحن نسمّيها حبّاً مفرطاً.

كلينياس: حقيقيٌ جدّاً.

الأثيني: إنّ الصداقة التي تنشأ من المتضادّات هي صداقة مرعبة وفظّة، وليس لديها رباط وثيق في الغالب. لكنّ تلك الصداقة التي تنشأ من المتشابهات هي صداقة لطيفة ولديها رباط وثيق ووحدوي يدوم ما دامت الحياة. وفيما يتعلّق بالنوع المختلط الذي صُنع منهما كليهما، فهناك صعوبة في تقرير ماذا يرغب مَنْ يمتلك هذا النوع من أنواع الحبّ، بادىء ذي بدء. بالإضافة إلى ذلك، إنّ مَنْ يتوجّه توجّهات مختلفة، ولديه شكّ بين المبدأين الاثنين، فالمبدأ الأوّل يحضّه على أن يتمتّع بجمال الشباب، ويمنعه المبدأ الثاني من فعل ذلك. إنّ الشخص الأوّل محبٌّ للجسد، ويشتهي الجمال، وهو مثل الفاكهة الناضجة، سيُسر بإرضاء نفسه بدون أيّ اعتبار لأخلاق المحبوب. أمّا الشخص الآخر فإنّه يكبح جماح الرغبات الجسديّة ويعتبرها رغبات ثانويّة وقضيّة غير مهمّة، وعلى الأصحّ فهو يفتش ويتحرّى بدلاً من أن يحبّ، وبما أنّ روحه ترغب روح الآخر بحقّ، فهو يعتبر أن إشباع الحبّ الجسديّ حبّ خليع[٦٢]. إنّه يبجل ويحترم الاعتدال والشجاعة والشهامة والحكمة، ويرغب في أن يحيا بعفاف وطهارة مع احتشام هدف عاطفته. وبعدُ فإنّ نوع الحبّ الذي صنع من الاثنين الآخرين هو ذلك النوع الذي وصفناه بأنه النوع الثالث. وإذا اعتبرنا أن هناك هذه الأنواع الثلاثة من أنواع الحبّ، فهل ينبغي أن يحرّمها الناموس كلها ويمنع وجودها بيننا؟ أليس واضحاً على الأصحّ أنّ من واجبنا أن نرغب الحبّ الفاضل، والذي يرغب المحبوب أن يمتاز به؟ أوَلا يلزمنا أن

نمنع وجود النوعين الباقيين إذا أمكن؟ فماذا تقول، أيّها الصديق ميغيلوس؟

ميغيلوس: أعتقد أنّك محقّ تماماً في ما قلته، أيّها الغريب، الآن.

الأثيني: أعرف جيّداً، يا صديقي، أنّه ينبغي عليّ أن أحظى بموافقتك، تلك الموافقة التي أتقبّلها، ولذلك ليس لديَّ حاجة لأحلّل عادتك وعرفك في بلدك أبعد من ذلك. إنّ كلينياس سوف يقتنع بمنحى موافقته في وقت آخر، ونكتفي بهذا، لنتقدم للبحث في النواميس.

ميغيلوس: جيّد جدّاً.

الأثيني: إنّني أرى طريقة لفرض الناموس عند التأمّل مليّاً، الناموس الذي يكون فرضه سهلاً في وجهة نظر ما، لكنّه صعب في وجهة نظر أخرى.

ميغيلوس: ماذا تعني؟

الأثيني: إنّنا جميعاً ندرك أنّه حتّى الرجال الأكثر عدداً في الوقت الحاضر، برغم طبائعهم الفوضويّة، متحفظون جداً بشكل صارم ودقيق عن الجماع مع الجميل. وهذا ليس عكس إرادتهم على الإطلاق، بل بإرادتهم بشكل كامل.

ميغيلوس: أيّ الحالات تعني؟

الأثيني: عندما يكون لدى أيّ شخص أخٌ جميل أو أخت جميلة، ويطبق الناموس عينه بشأن الإبن أو البنت، وهذا الناموس هو الوقاية الأكمل، إلى حدّ أنّ العلاقة الجنسيّة السّريّة أو المفتوحة لا تأخذ مكاناً بينهما أبداً، ولا تدخل فكرة كهذه في عقول أكثريتهم على الإطلاق أبداً.

ميغيلوس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أوَلا تبطل كلمة صغيرة كلّ ملذات ذلك النوع؟

ميغيلوس: أيّة كلمة؟

الأثيني: الإعلان عن أنّها ملذّات عاقّة، يكرهها الله، وهي الأكثر جلباً لسوء السمعة. أوليس سبب هذا أن لا أحد قال العكس على الإطلاق، بل كلّ

شخص سمع الرجال يتكلّمون منذ طفولته المبكرة، يتكلّمون بشأنها بالطريقة عينها دائماً وفي كلّ مكان، سواء كان ذلك في الملهاة أو في لغة المأساة الأكثر رزانة؟ وعندما يقدّم الشاعر ثياستوس أو أوديب على المسرح، أو يقدّم ماكريوس مقيماً علاقة جنسيّة مع أخته، فإنّه يقدّمه، عند اكتشاف فعلته، جاهزاً لقتل نفسه كعقاب لخطيئته.

ميغيلوس: إنّك لمحقّ جدّاً في إيراد هذا العرف ذي القوة الرائعة، إن لم يغيّر عليه أبداً نَفَسٌ من أنفاس المضادّة.

الأثيني: أولست محقّاً أيضاً في القول، إنّ المشرّع الذي يريد أن يسيطر على أيّة شهوة من الشهوات التي تتغلّب على الرجال، يمكنه أن يعرف بسهولة كيف يستطيع قهرها؟ إنّه سيكرّس العرف لأخلاقهم السيّئة بين الجميع، العبيد منهم والأحرار، الرجال والأطفال، إنّه سيكرّسها في المدينة طولاً وعرضاً. تلك ستكون القاعدة الأكيدة التي يستطيع الناموس أن يرسيها.

ميغيلوس: نعم، لكن ألن ينجح هو أبداً في جعل الجنس البشريّ يستخدم اللغة عينها بشأنها؟

الأثيني: إنّ اعتراضك جيّد، لكن ألم أقل لتوّي إنّ لديّ طريقة لجعل الرجال يستخدمون الحبّ الطبيعيّ ويمتنعون عن ممارسة الحبّ خلافاً للطبيعة لئلاّ يدمّروا عمداً بذور التكاثر الإنسانيّ، أو يزرعونها في أماكن صخرية لا تتجذّر فيها. وسوف آمرهم بالامتناع أيضاً عن الزرع في أيّ حقل أنثوي تكاثري لا يرغب الشخص أن ينمو فيه ما تمّ زرعه. وبعدُ إذا تمَّ جعل الناموس دائماً إلى هذا الحدّ، وكسب سلطة كتلك التي تمنع العلاقة الجنسيّة بين الآباء والأطفال، إنّ ناموساً كهذا الذي يمتد إلى الرغبات الحسيّة الأخرى والذي يقهرها، سيكون مصدر عشرة آلاف نعمةٍ إلهية. إنّ الاعتدال معناه توظيف الطبيعة لخير الإنسان، في المقام الأوّل، ويمنع الرجال من ممارسة كلّ

حبّ جنونيّ ومخبّل، ومن كلّ زنىً ونهم في استخدام اللحم والشراب، ويجعلهم أصدقاء أخياراً لزوجاتهم. ستُنتج المنافع العديدة الأخرى التي لا تحصى إذا أمكن فرض ناموس كهذا. إنّي أستطيع أن أتصوّر شهوة شابٍّ واقفٍ في مكان قريب، يعلن عند سماعه هذا الأمر، يعلن في اصطلاحات بذيئة أنّنا نسنّ نواميس غبيّة ومستحيلة، ويملأ الدنيا صياحاً وصراخاً. ولهذا السبب أقول إنّني أعرف طريقة لسنّ ناموس وجعله أبديّاً. إنّه سهلٌ من ناحية، لكنّه الأكثر صعوبة من ناحية أخرى. ما من صعوبة في رؤية أنّ ناموساً كهذا ممكن، ورؤية الطريقة التي تتيح تحقيقه. لقد قلت إنّ الناموس هذا إذا كُرّس لمرّة فلسوف يسيطر على روح كلّ إنسان، ولسوف يرهبه ويقوده إلى الطاعة. لكنّ المسائل الآن قد وصلت إلى حدّ يبدو معه وكأن النتائج المرغوبة حينئذ لا يمكن نيلها، تماماً مثلما تُعتبر استمراريّة الدولة كلّها في ممارسة إقامة المآدب العامّة شيئاً مستحيلاً. وبرغم أنّ المآدب العامّة لا تحظى بموافقتكم جزئياً لعدم وجودها بينكم، لكنّها لا تزال تُعتبر للنساء حتّى في مدنكم كأنّها غير طبيعيّة ومستحيلة. لقد فكّرت بتمرّد القلب الإنساني عندما قلت إنّ الإرساء الثابت لهذه الأشياء بواسطة الناموس هو أمر صعب جدّاً.

ميغيلوس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: هل سأحاول أن أجد نوعاً من أنواع المحاورة المقنعة التي ستبرهن لك أنّ سنّ قوانين كهذه ممكن وليست ممّا يتعدّى الطبيعة الإنسانيّة؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: هل المرجّح أن يمتنع الإنسان عن ملذّات الحبّ وأن يفعل ما أُمر بشأنها، وذلك عندما يكون جسمه في حالة جيّدة، أو عندما يكون في حالة سيّئة وعديمة التدريب.

كلينياس: إنّه سيكون أكثر اعتدالاً عندما يكون مدرَّباً.

الأثيني: أَوَلم نسمع عن ايكوس من تارانتوم الذي من حماسته لفنّه في الألعاب الأولومبية الأخرى، ولأنّه كان ذا نزعة رجوليّة ومعتدلة أيضاً، ألم نسمع أنّه لم يقم بأيّ اتّصال جنسيّ مع امرأة أو شاب خلال فترة تدريبه كلّها؟ وقيل الشيء عينه عن كروسون من استيلوس وعن ديويمبوس وعن أشخاص عديدين آخرين. ومع ذلك، يا كلينياس، فإنّ هؤلاء الرجال كانوا أسوأ تعليماً في أفكارهم ممّا كان عليه مواطنو بلدك ومواطنو بلدي، وكانوا أكثر شهوانيّة في أجسادهم أيضاً.

كلينياس: لا شكّ أنّ هذه الحقيقة قد تمّ تأكيدها بشكل يقينيّ غالباً، وذلك بواسطة هؤلاء الرياضيين القدامى الذين اشتركوا في الألعاب الرياضية.

الأثيني: وهل كانت لهم الشجاعة للإمتناع عمّا اعتُبر لذّة بشكل اعتياديّ، وذلك من أجل الانتصار في المصارعة، في العدو وما شابه؟ وهل سيكون شبابنا غير قادرين على جَلَدٍ مماثل من أجل الانتصار الأنبل، الانتصار الأنبل والأسمى من كلّ الانتصارات؟ ونحن سنخبر شبابنا منذ نشأتهم فصاعداً قصصاً وأحاديث وأغاني على أمل أن نفتنهم بها ليصدقوا ما نقوله.

كلينياس: عن أيّة انتصارات تتكلّم أنت؟

الأثيني: أتكلّم عن الانتصار على اللذّة، التي إذا انتصروا عليها فسيعيشون بسعادة، لكنّهم إذا أخضعتهم فسيحيون بشقاء. وأبعد من ذلك، لا يمكننا أن نفترض أنّ خوف العقوق سوف يجعلهم قادرين على أن يقهروا ويسيطروا على ذلك الذي قهرَ الأدنى منهم كرامة وسيطر عليه.

كلينياس: أجرؤ على قول ذلك.

الأثيني: وبما أنّنا وصلنا إلى هذه النقطة الرئيسيّة في تشريعنا، وبما أنّنا وقعنا في صعوبة بسبب رذائل الجنس البشريّ، فإنّي أؤكّد أن ناموسنا سيمتدّ إلى

التعابير التالية: يجب على مواطنينا أن لا ينحدروا إلى ما دون مستوى طبيعة الطيور والبهائم بشكل عامّ، والتي ولَّدت بتكاثر كبير، ومع ذلك فهي تبقى عذراء وغير متزوجة حتى سنّ الولادة والإنجاب. لكنّها عندما تصل إلى الوقت المناسب في الحياة فإنّها تقترن، ذكورها وإناثها، وترتبط معاً بحبّ وتعيش بقية عمرها بقداسة وبراءة، ملتزمة باتفاقها الأصليّ بشكل ثابت. بالتأكيد، سنقول لمواطنينا، يجب عليكم أن تكونوا أفضل من الحيوانات بكثير. لكن إذا أفسدهم الهيلينيون الآخرون أو ممارسة البربر الشائعة ورأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم عمّا يسمّى بالحبّ الحرّ سائداً بينهم في كلّ مكان وهم غير قادرين على الحصول على الأفضل من الإغراء والغواية، فإنّ حماة الناموس، الممارسين لمهن المشرعين سوف يستنبطون ناموساً ثانياً ضدّهم.

كلينياس: وأيّ ناموس ستنصحهم بإقراره إذا أخفق هذا الناموس؟

الأثيني: إنّه الناموس الذي سيلي بالطبيعة، يا كلينياس، وبكلّ وضوح.

كلينياس: وما هو ذلك؟

الأثيني: إنّ مواطنينا لا يجب أن يسمحوا أن تقوى الملذات عن طريق الانغماس فيها، بل ينبغي عليهم أن يحولوا غذاءَها ووفرتها بالكدح النشط إلى أجزاء الجسد الأخرى. وسوف يحدث هذا إذا لم يُسمح للوقاحة بمزاولة الحبّ حينئذ فإنّهم سيستحون من ممارسة الجماع المتكرّر الحدوث وسيجدون أن اللذّة سيّدة مَهيبة بشكل أقل، إذا تمتّعوا بها نادراً. ولا ينبغي أن يُكتَشفوا وهم يمارسون أيّ شيء من هذا النوع. إنّ الكتمان سيكون عملاً شريفاً، وسيقرُّ بالعادة ويُسَنُّ ناموساً بالقاعدة المكتوبة. وعلى الجانب الآخر، فلسوف يُعتبر شائناً أن يُكتشف إنسان يرتكب هذا العمل، لكن ليس كي يمتنع عنه بالشكل الكامل. وسيكون هذا مقياساً ثانياً شرعيّاً للشريف والمخزي بهذه الطريقة، ومتضّمناً فكرة ثانية للحقّ. إنّ ثلاثة مبادىء ستشمل كلّ تلك

الطبائع الفاسدة التي نسمّيها طبائع أدنى من نفسها، والتي ليست إلاّ نوعاً واحداً، وهذه المبادىء الثلاثة ستجبرهم على أن لا يخالفوا النواميس.

كلينياس: ما هي هذه المبادىء الثلاثة؟

الأثيني: إنّها مبدأ التقوى، مبدأ حبّ الشرف، ومبدأ رغبة الجمال، ليس في الجسم بل في الروح. ربما هناك تطلّعات مشبوبة بالعاطفة، لكنّها هي التطلّعات الأنبل، إذا ما أمكن تحقيقها في الدول كلّها. والله المريد، يُمَكِّنُنا أن نضع موضع التنفيذ واحداً من شيئين في قضيّة الحبّ. فإمّا أن أحداً لن يجازف بِمسّ أي شيء حرّ الولادة أو نبيل الطبقة باستثناء زوجته التي له، أو أن يزرع البذرة غير المكرّسة وغير الشرعية بين البغايا، أو في شهوات عقيمة وغير طبيعيّة، أو على الأقلّ، يمكننا أن نقضي كليّاً على اللواط. أمّا في ما يتعلّق بالنساء، إذا كان لدى أيّ رجل علاقة مع أيّهنّ غير اللواتي يأتين إلى بيته متزوّجات بطقوس دينيّة مكرّسة، سواء إذا اشتُرينَ أو اكتُسِبنَ بأيّة طريقة أخرى، وهو يأثم ضدّهنّ علناً في مواجهة الجنس البشري كلّه، حينئذ فإنّنا سنكون محقين في سنّ ناموس لتجريده من امتيازاته وحقوقه المدنيّة واعتباره غريباً كما لو كان كذلك حقاً. هذا الناموس إذن، سواء أوجب أن يكون واحداً، أو اثنين، يجب أن يُسَنَّ في ما يخصّ الحبّ بشكل عامّ، وكذلك في ما يخصّ العلاقات الجنسيّة بين الجنسين التي تنشأ من الرغبات، سواء إذا أُطلق لهذه الرغبات العنان بشكل خاطىء أو تمّ تقييدها.

ميغيلوس: من جهتي، سوف أتلقّى هذا الناموس بسرور، أيّها الغريب. أما كلينياس فسوف يتكلم في ما يخصّه ويقول لك ما هو رأيه.

كلينياس: سأفعل ذلك، يا ميغيلوس، حينما تُعطى لي الفرصة، لكنّي أرى في الوقت الحاضر أن الأفضل لنا أن نسمح للأثيني الغريب بمواصلة شرح نواميسه.

ميغيلوس: جيّد جدّاً.

الأثيني: لقد وصلنا إلى إرساء قواعد الموائد المشتركة تقريباً، والتي يكون إرساؤها صعباً في أكثر الأمكنة، لكن لا أحد في جزيرة كريت سيفكّر بإدخال أيّة عادة أخرى. يمكن أن يُطرح سؤال بشأن طريقة إرسائها، مثلاً، سواء إذا كانت كما هي الآن في جزيرة كريت، أو مثلما هي الآن في لاقيدايمونيا. أو أن نوعاً آخر يمكن أن يكون أفضل من كليهما[٦٣]؟ والجواب على هذا السؤال يمكن اكتشافه بكلّ سهولة. لكنّ هذا الاكتشاف لن يؤدّي إلى خير عميم لأنّ النواميس في كلتا الدولتين منظمة تنظيماً جيّداً في الوقت الحاضر.

لنترك الموائد المشتركة، ولنتقدّم إلى وسائل تهيئة الغذاء. وبعدُ فإنّ وسائل الحياة في المدن يمكن الحصول عليها بطرائق عديدة ومن مصادر مختلفة، وتحديداً من مصدرين اثنين بشكل عامّ، في حين أن مدينتنا لديها مصدر واحد. إنّ أكثريّة الهيلينيين يحصلون على غذائهم من البحر والأرض، لكنّ مواطنينا يحصلون عليه من الأرض فقط، وهذا يجعل عمل المشرّع أقل صعوبة. لذلك فإنّ نصف ما يُسَنُّ من قوانين سيكون كافياً، ويمكن أن يكون أقلّ بكثير من النصف، وستكون هذه القوانين أفضل ملاءَمة للرجال الأحرار. فالمشرّع لا دخل له بقانون مالكي البواخر والتجّار وتجّار التجزئة وأصحاب الفنادق ومحصّلي الضرائب والمناجم وقارضي المال والفوائد المركّبة والأشياء الأخرى التي لا تحصى. إنّ المشرّع سيتغاضى عن كلّ هذه الأشياء، وسيسنّ قوانين للمزارعين والرعاة والنحّالين، سيسنّها للحماة والمشرفين على تنفيذها. وهو قد شرّع مسبقاً من أجل مسائل أعظم من هذه. كمثال، فهو قد شرّع لمسائل الزواج والإنجاب وتربية الأطفال وتعليمهم، وشرّع لتأسيس المراكز في الدولة. والآن يجب عليه أن يوجّه نواميسه لأولئك الذين يهيّئون الغذاء ويكدحون لتقديمه.

دعنا إذن، وقبل كلّ شيء، أن يكون لدينا نوع من النواميس تدعى نواميس المزارعين، والناموس الأوّل منها يجب أن يكون ناموس زيوس، إله الحدود. لا تدع أيّ شخص ينقل حدّه إلى أرض جاره، وإذا سكن عند أقصى الأرض فلا ينبغي أن ينتقل حدّه إلى أرض إنسانٍ غريبٍ له معه حدود مشتركة، معتبراً أنّ ذلك هو « تحرّك غير المتحرّك ». وكلّ شخص يجب أن يكون أكثر استعداداً لتحريك الصخرة الأكبر التي ليست علامة الحدود، من أن يحرك الحجر الأصغر الذي هو علامة قَسَمٍ للصداقة والكراهية بين الجيران. لأنّ زيوس، إله العشيرة والأنسباء، هو الشاهد على المواطن، وزيوس إله الغرباء، والغرباء عندما يستثارون، أيّها الغريب، فإنّ الحروب التي يستحثّونها رهيبة. إنّ الإنسان الذي يطيع الناموس لن يعرف أبداً عواقب العصيان المميتة، لكنّ الذي يستخفّ بالناموس سوف يكون عرضة لعقوبة مضاعفة. والعقوبة الأولى تأتي من الآلهة، وأمّا الثانية فمن الناموس، لذلك لا تدع أيّ شخص ينقل حدود أرض جاره ويغيّرها بإرادته، وإذا فعل أيّ شخص ذلك، فعلى الذي سيخبر مالكي الأرض، وعلى جيرانه جميعاً أن يحضروه إلى محكمة العدل. وإذا أُدين هناك بتهمة تقسيم الأرض ثانية وذلك عن طريق السرقة أو القوة، فعلى المحكمة أن تقرّر ما يجب عليه أن يقاسيه أو يدفعه. وفي المقام الثاني، إنّ الكثير من الأذيّات الصغيرة التي يرتكبها الجيران بحقّ بعضهم البعض، يمكنها أن تسبّب عداوة عظيمة من خلال تضاعفها، ويمكنها أن تجعل المجاورة شيئاً حادّ الطعم مُرّاً وغير مقبول على الإطلاق. في حين أنّ على الإنسان أن يحرص على عدم ارتكاب أيّ اعتداء ضدّ جاره، وبشكل خاصّ انتهاك أرض هذا الجار أو التعديّ عليها. لأنّ أيّ إنسان يمكنه أن يرتكب الأذى بسهولة، لكنّه لا يستطيع أن يفعل الخير للإنسان الآخر. إنّ من يعتدي على أرض جاره، ومن ينتهك حدود

أرضه، عليه أن يصلح الضرّر. ولكي نشفيه من صفاقته ومن دناءَته أيضاً، فما يجب عليه إلاّ أن يدفع ضعف الغرامة للجانب الذي تلقّى الأذى. وسيأخذ حكام البلاد علماً بهذه المسائل وبمسائل أخرى مشابهة، وسيكونون قضاة بشأنها وسيخمّنون الضرر. أمّا في الحالات الأكثر أهميّة، كما قلنا سابقاً، فإنّ العدد الكليّ منهم الخاصّ بأيّة قسمة من الأقسام الإثني عشر سيّقرّر ذلك، وسيقرّر الضباط هذا في الحالات الأقلّ أهميّة. أو إذا رعى أحدهم ماشيته في أرض جاره، فسوف يقرّر الضباط ويرون ما لحق بها من أذى ويقضون بدفع الغرامة. وإذا استولى شخص ما على أسراب نحلْ الآخرين بواسطة خداع النحل وجذبها إليه باستعمال الضجيج، فإنّه سيدفع قيمة الضرر الذي فعله. وإذا أضرم أيّ شخص النار في أخشابه الخاصّة ولم يأخذ في الحسبان ممتلكات جاره، فسوف يدفع غرامة حسب حرية القضاة في التخمين. وإذا لم يترك مسافة معقولة بين أرضه وأرض جاره عندما يغرس الغرسات، فلسوف يُعاقب طبقاً لنواميس العديد من المشرّعين التي يمكننا أن نستعملها، دون أن يكون من الضروري أن يأخذ مشرّع دولتنا العظيم بعين الاعتبار كلّ الأشياء الطفيفة التي يمكن لأيّ شخص أن يقرّرها. كمثال، انّ المزارعين كانت لديهم قوانين قديمة ممتازة بشأن المياه، وما من سبب [illegible] علينا أن نقترح تغيير منوالها. يمكن لأيّ إنسان أن يسحب ماءً من رأس نبع مجرى الماء العامّ إلى أرضه الخاصّة، هذا إذا لم يقطع مياه النبع الذي يخصّ مالكاً آخر بشكل واضح؛ ويمكنه أنْ يأخذ الماء إلى أيّة جهة يشاء، إلاّ من خلال بيت أو معبد أو قبر. لكن يجب عليه أن يكون حريصاً على أن لا يتعدّى أذاه حدود قناة المياه هذه. وإذا كان مكان يعاني جفافاً طبيعيّاً للأرض التي تختزن ماء السماء، وتسبّب نقصاً في تزويد الماء، إذا كان هذا كذلك فله الحقّ أن يحفر أرضه الخاصة إلى أن يصل إلى طبقة

الطين، وإذا لم يجد ماءً حين وصوله إلى هذه الطبقة، فله الحقّ في أن يحصلَ على الماء من جاره، بقدر ما يحتاجه خدمُهُ للشرب. وإذا كان جاره شحٌّ في الماء أو عنده كميّة محدودة منه، فليَجز منه الكميّة التي سيقررها حكّام البلاد المحليّون. وسيتلقّى هذه الكمية كلّ يوم، ويحوز الحصة المحدّدة من الماء من جاره وفق هذه الشروط. وإذا هطلت كمية غزيرة من المياه، وسبّب مَن يعيش في الأرض المنخفضة الضرر لحارث حقل ما في الأرض المرتفعة، أو لشخص ما يشاركه في حائط، لرفضه إعطاءهم مصرفاً للمياه، أو إذا كان شخص ما يقطن على الأرض الأعلى، وترك للمياه أن تتدفّق بطيش على جاره القاطن في الأرض المنخفضة، ولم يقدرا على التوصّل إلى حلّ فيما بينهما فلمن يشاء دعوة حاكم المدينة المحلي إذا كان يعيش في المدينة، أو له أن يستدعي حاكم البلاد إذا كان يعيش في الريف، للفصل في القضيّة. ودعه يحصل على قرار بماذا يجب على كلّ منهما عمله. وأمّا الذي لن يتقيّد بهذا فسيقاسي العقوبة بسبب نكده وحقده، وسيدفع الغرامة للجهة التي لحق بها الأذى، مساوية لضعف قيمة الأذى الحاصل، وذلك لأنّه لم يذعن لقرار القضاة والحكّام.

وبعدُ فإنّ تقاسم الفواكه سوف يُرتَّب على هذه الطريقة. إنّ إلهة الخريف لديها هبتان كريمتان: إحداهما الفرح لديونيسوس الذي لا يُقاس؛ والهبة الأخرى هي التي قصدت الطبيعة تخزينها. فليكنْ هذا إذن، ناموس فواكه الخريف، إنّ الذي يتذوق فواكه الخريف العامّة أو المخزنّة، سواء أكانت عنباً أو تيناً، وذلك قبل فصل قطفها الذي يتزامن مع السّماك الرامح[٦٤]، وسواء إذا كان على أرضه الخاصّة به أو على أرض الغير، أقول، إنّ الذي يتذوّقها، دعه يدفع خمسين دراخما، وستُكرس هذه القيمة لديونيسوس. سنفرض هذه القيمة عليه إذا قطفها من أرضه الخاصّة، وسيدفع مينا واحدة إذا قطفها من

أرض جاره، وثلثي مينا إذا قطفها من أراضي الآخرين. وأمّا الذي يجمع العنب « المختار » أو يجمع التين « المختار »، كما تسمى الآن، فإنّه إذا جناها من حقله الخاصّ، فله أن يجنيها كيف ومتى يشاء؛ لكنّه إذا جناها من أرض الغير بدون تركهم لها، ففي هذه الحالة يجب أن يُعاقب دائماً طبقاً للناموس الذي يقضي بألاّ ينبغي على إنسان أن يحرّك الذي لم يضعه. وإذا لمس عبدٌ هذا النوعَ من أنواع الفاكهة، بدون موافقة مالك الأرض، فسوف يُضرب على عدد الحبّات الموجودة في الحزمة أو بعدد حبات التين الموجودة على شجرة التين. دع الغريب يشتري فاكهة الخريف « المختارة » ويمكنه أن يجمعها بعدئذ، إذا سَرَّه ذلك. لكن إذا مرَّ الغريبُ بجانب الطريق ورغب أن يأكل، فله أن يتناول العنب « المختار لنفسه ولرفيقه » الذي يتبعه بدون أن يدفعا ثمنه، وذلك كضيافة. إنّ الناموس على كلّ حال سيمنع الغرباء من المشاركة في ذلك النوع من الفواكه الذي لا يستخدم للأكل. وإذا تناولها شخصٌ جهالةً، سواء أكان سيّداً أو عبداً، فالعبد يجب أن يضرب وأن يتمّ صرف الرجل الحرّ مع النصح والتحذير، وأن يُرشد إلى تناول فواكه الخريف الأخرى التي لا تناسب صنع الزبيب والنبيذ، أو التي تُدَّخر للمستقبل كالتين المجفَّف. وأمّا في ما يخص الإجّاص، التفاح، الرمّان والفواكه المشابهة، فلا عار في تناولها سرّاً، لكن الذي يُلقى القبض عليه وهو دون الثلاثين من عمره، فلسوف يُضرب على نحو موجع، لكن ينبغي ألاَّ يُجرح بالضرب. ولن يكون لدى أيّ إنسان حرّ حقُّ المراجعة القانونية عن ضربات كهذه. يمكن للغريب أن يشارك في أكل هذه الفواكه، كما يمكنه أن يشارك تماماً في أكل فواكه الخريف. وإذا أكل منها رجل تجاوز الثلاثين من عمره في المكان عينه، فيُسمح له بالمشاركة في كلّ فاكهة كهذه، مثلما يفعل الغريب لكن عليه أن لا يأخذ شيئاً منها إلى بيته. على كلّ حال، إذا لم يُطع

الناموس، فيجب أن يتحمّل عبء مخاطرة الإخفاق في التنافس على نيل الفضيلة، وذلك إذا دوّن أيّ شخص ملاحظة عن أعماله أمام القضاة في ذلك الوقت.

أن الماء أعظم وأهمّ عناصر التغذية في الجنائن، لكنّه عنصر سهل التلويث. فأنت لا تستطيع أن تسمّم التربة، أو الشمس، أو الهواء، التي هي عناصر أخرى من عناصر التغذية في النبات، ولا تقدر أن تحوّلها أو تسرقها. لكنّ كلّ هذه الأشياء يمكن أن تحدث في ما يختصّ بالماء بشكل محتمل جدّاً، والذي يجب أن يتمّ حمايته بالناموس. إذا أفسد أيّ شخص المياه الأخرى عمداً، سواء أكانت مياه الينابيع أو المياه المجمّعة في خزانات، إذا أفسدها بموادّ سامّة، أو بواسطة الحفر، أو بالسرقة، فللجهة التي تعرّضت للأذى أن تطرح السبب وتشرحه أمام حكّام المدينة المحليّين، وأن تطالب خطيّاً بمقدار الخسارة التي تعرّضت لها. وإذا وُجد المتّهم مذنباً بإفساد المياه بمواد مؤذية، فلن يكتفي بدفع ثمن الأذى الذي قام به فقط، بل عليه أن يطهّر مجرى المياه أو الصهريج الذي يحتويها، وذلك بالطريقة التي يأمره بها مؤوّلو النواميس.

أمّا في ما يتعلّق بجمع فواكه التربة، فلكلّ إنسان، إذا سرّه ذلك، أن يحمل ما يخصّه منها ومن أيّ مكان لا يُلحق الأذى منه بأيّ شخص، أو أن يكسب نفسه ثلاث مرات مثلما خسر جاره. وبعدُ فإنّ القضاة يجب أن يطّلعوا على هذه الأشياء، مثلما يطّلعون على كلّ الأشياء الأخرى التي يرتكب إنسان فيها الأذى عمداً للآخرين أو لممتلكاتهم، إمّا بالاحتيال أو بالقوّة. في الاستعمال الذي يقوم به في ما يخصّه من ممتلكات؛ يجب على الإنسان أن يطرح هذه المسائل كلّها أمام القضاة، وأن يتلقّى قيمة الضرر، مفترضاً أنّ الأذيّة لن تكون أكثر من ثلاث مينات. أو إذا كان لديه تهمة

ضدّ الغير التي تبلغ مقداراً أكبر من المال، فعليه أن يتقدم بقضيته إلى المحاكم العامّة وأن يتمّ عقاب فاعل الشرّ. لكن إذا بدا أنّ أيّاً من القضاة يحكم بالغرامات التي يفرضها بنفسيّة غير عادلة، فيجب أن يتعرّض لدفع الضعف إلى الجهة التي تعرّضت للأذى. يمكن لأيّ شخص أن يعرض الاعتداءات التي يقوم بها القضاة أمام المحاكم العامّة وبأيّة طريقة خاصّة. هناك مسائل صغيرة لا تحصى تتّصل بأساليب العقاب، بتطبيق الدعاوى، بالاستدعاءَات، وبشهود الاستدعاءَات. كمثال، سواء أدعت الحاجة لشاهدين اثنين للاستدعاءَات، أو مهما كان عدد الشهود. إنّ كلّ هذه التفاصيل التي لا يمكن إسقاطها في التشريع، هي تفاصيل متروكة لحكمة المشرّع المتقدّم في العمر. إنّ هذه القضايا الأقلّ أهميّة، كما هي بالفعل، لجديرة بالمقارنة مع القضايا الأخرى. ويجب أن ندع النشء الجديد ينظّم هذه القضايا بالناموس، على غرار النماذج التي سبقت، وطبقاً لخبرتهم الخاصّة بنواميس كهذه في الاستخدام اليوميّ. وعندما يتمّ تنظيمها كما ينبغي فلا تدع أيّ شيء فيها يتغيّر، بل دع المواطنين يعيشون وهم ينظرون إليها على أنّها نواميس نهائيّة.

لنتكلّم الآن عن الصنّاع المهرة، ولتكنْ التنظيمات بشأنهم كما يلي: في المقام الأوّل، ليس على أيّ مواطن أو خدمه أن ينهمكوا في فنون الصناعات اليدوية. إنّ الذي يجب عليه أن يضمن ويصون النظام العامّ للدولة يمتلك فناً يحتاج[1] لدراسة كثيرة ولمعارف متعدّدة الأنواع، ولا يعترف بأنّ فنّه مصنوع من مهنة ثانويّة. وبالكاد يستطيع إنسان ما ممارسة مهنتين أو فنين اثنين بشكل صحيح، أو مزاولة فنّ واحد بنفسه والإشراف على شخص آخر يزاول فنّاً ثانياً. هذا المبدأ إذن يجب أن يكون مبدأنا الأوّل في الدولة. فلا الحداد سيكون نجّاراً أيضاً، وإذا كان نجّاراً، فإنّه لن يشرف على فنّ الحداد بدلاً من الإشراف على فنّه الخاص، وذلك بحجة أنّه يشرف على عدّة خدم

يعملون له، وأنّه يُحتمل أن يُشرف عليهم بشكل أفضل لأنّ دخله سيكون أكثر مّما يحصل عليه من فنّه. لكن دع حكّام المدينة المحليّين يجهدون في تأكيد هذا الناموس، وإذا مال أيّ مواطن إلى أيّ فنٍّ آخر بدلاً من دراسة الفضيلة، فعليهم أن يعاقبوه بالخزي والعار، إلى أن يرجعوه إلى الطريقة الصحيحة الخاصّة به. وإذا مارس أيّ غريب فنين، دعهم يؤدبونه بعقوبات السندات ودفع المال، وبالإبعاد من الدولة، ليجبروه على أن يكون شخصاً واحداً فقط وليس اثنين(٦٥).

لكنّنا عند محاذاتنا لدفعات الأجر ولعقود العمل، أو في حال سبّب شخص ما خطأً لأيٍّ مواطن، أو عندما يرتكب المواطنون الخطأ بعضهم لبعض، فعلى حكام المدينة المحليين أن يقرروا مبلغ الدفع صعوداً إلى خمسين دراخما. لكن إذا اقتضى الأمر دفع مبلغ أكبر فعلى المحاكم العامّة أن تحدِّد الغرامة طبقاً للناموس. لا تدع أيّ شخص يدفع رسماً لا على استيراد البضائع ولا على تصديرها. وأمّا في ما يختصّ بالبخور والعطورات الأخرى المشابهة المستعملة في خدمة الآلهة والتي تأتي من الخارج، وكذلك صباغ الأرجوان والصباغات الأخرى التي لا تنتجها البلاد، أو موادّ أيّ فنّ فالواجب استيرادها، وأمّا غير الضرورية، فلا ينبغي أن يستوردها أحد. ومرّة ثانية، إذا وجب على أيّ شخص أن يصدِّر أيّ شيء يريد أهل البلاد تصديره، فليكُنْ هناك مفتشون ومشرفون على كلّ هذه الأشياء يختارهم حماة الناموس، وليكونوا الأشخاص الإثني عشر الذين سيلون الأشخاص الخمسة الأعلى مقاماً في نظام. أمّا في ما يتعلّق بالأسلحة وكلّ الأدوات التي يُحتاج إليها في الأغراض العسكريّة، إذا ما كانت هناك حاجة لإيجاد أيّ فن، أو إقامة مصنع، أو تنجيم معادن، أو بناء عدد من المؤسسات المماثلة، أو تربية الحيوانات التي تستخدم في الحرب، أقول، في ما يتعلّق

بهذه كلّها فقادة الفرسان وقادة الجيوش لهم سلطة إيجادها، واستيرادها، وتصديرها. إنّ المدينة سوف تصدّرها ومن ثمّ تستوردها. وأمّا حماة الناموس فسيسنون قوانين مناسبة وجيّدة بشأنها. لكن يجب ألاّ تكون هناك تجارة تجزئة(٦٦) من أجل كسب المال لا في المدينة ولا في البلاد على الإطلاق، لا بهذه المواد ولا بأيّة مواد أخرى.

أمّا في ما يتعلّق بالغذاء وتوزيع الخضار على البلاد، فيبدو أنّ الطريقة الصحيحة والمناسبة تقريباً هي تلك الطريقة المتّبعة في جزيرة كريت. إنّ الكلّ تدعوهم الحاجة لتوزيع فواكه التربة إلى اثني عشر جزءاً، ولاستهلاكها بهذه الطريقة. دع الحصص الاثنتي عشرة [كمثال حصّة القمح والشعير، والحصص التي ستُضاف إليها بقية فواكه الأرض، كذلك الحيوانات المقرّرة للبيع في كلّ قسم من الأقسام الاثني عشر]، هذه الحصص يجب أن تُقسَّم إلى حصة مناسبة، وأن تقسَّم الحصّة إلى أجزاء ثلاثة: جزء منها للرجال الأحرار، وآخر لخدمهم، وآخر للصنّاع المهرة وللغرباء بشكل عامّ، وهم سيعيشون مثل بقيّة الرجال الآخرين، أو مثل الذين يَفِدون لقضاء عمل ما مع الدولة أو مع فرد من الأفراد. هذا الجزء الثالث هو الذي يُطلب بيعه من كلّ الضروريّات فقط، وأمّا من ثلثي الجزء الآخر فلا أحد سيُجبر على بيعه. والآن، كيف ستُوزّع هذه الحصص بالطريقة الأفضل؟ في المقام الأوّل، نرى بوضوح أنّ التوزيع سيكون متساوياً في وجهة نظر واحدة وغير متساوٍ في وجهة نظر أخرى.

ميغيلوس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أنّ الأرض تنتج بالضرورة وتطعم أصناف الغذاء المتنوّعة، إنّها تفعل ذلك بالطريقة الفضلى بعض المرات وبالطريقة السيّئة مرات أخرى.

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: وبما أن الحالة هكذا، فلا يجب أن تكون أيّة حصّة من الحصص الثلاث أكبر من الحصتين الأخريين، ولا أن تكون تلك الحصّة المخصّصة للأسياد أو للعبيد، ولا تلك الحصّة المخصّصة للغريب. بل دع التوزيع يكون توزيعاً متساوياً ومتشابهاً للجميع. ودع المواطن، كلّ مواطن، أن يأخذ حصتيه الاثنتين ويوزعهما على العبيد والرجال الأحرار. سيفعل ذلك من لديه القوّة كي يقرّر نوعيّتها وكميّتها. وسوف نوزع الباقي بالمقياس والعدد بين الحيوانات التي يجب أن نمدّها بأسباب الحياة من الأرض، مدوّنين عددها كلّها.

في المقام الثاني، يجب على مواطنينا أن يكون لديهم بيوت منظمة ومنفصلة على نحو واف، وسيكون هذا النظام مناسباً للرجال الذين يشبهونهم. ستكون هناك اثنتا عشرة قرية صغيرة، واحدة منها في وسط كلّ قسم من الأقسام الاثني عشر، وسيقيم ساكنوها، كلٌّ على حدة، مكاناً تجاريّاً بادىء ذي بدء، ويبنون هياكل للآلهة وكذلك لأنصاف الآلهة الحاضرين فيها. وإذا كان هناك أيّة آلهة محليّة من مغنيسيا، أو أيّة آلهة غابرة أخرى ذات مراكز مقدسة، حُفظ ذكرها، فلهؤلاء أن يؤدُّوا تكريماتهم الغابرة. لكن هيستيا، وزيوس، وأثينا سيكون لديهم هياكل في كلّ مكان معاً ومع الله الذي يشرف على كلٍّ من هذه المقاطعات الاثنتي عشرة، ولسوف تكون إقامة البيوت أوّلاً حول هذه الهياكل، حيث الأرض في ارتفاعها الأعلى، لتوفّر المكان الأكثر أماناً والأكثر قابلية للدفاع عنه ولكي يعتزل فيه الحراس. وسيقيم بقيّة سكان البلاد بالطريقة التالية: إنّهم سيوجدون ثلاثة عشر تقسيماً للصنّاع المهَرَة، وسيبنون واحداً منها في المدينة، وسيقسمون هذا بدوره إلى أقسام صغيرة عددها اثني عشر قسماً مرّة ثانية، وذلك بين مقاطعات المدينة الإثنتي عشرة، وسيُوزّع باقي السّكان في البلاد

وما حولها. وسيقيم في كلّ قرية أنواع مختلفة من الصنّاع المهرة بقصد راحة المزارعين وسيشرف رئيس الضباط الأعلى للحكّام المحليّين على كلّ هذه القضايا، وسيرى كم منهم، وأيّة طبقة منهم، تحتاج لكلّ مكان، وعليه أن يؤويهم في المكان الأقل عرضةً للمضايقات بشكل محتمل، وحيث يكونون الأكثر نفعاً للمزارع. وسينظر حكام المدينة المحليون في مسائل مماثلة تحدث في المدينة.

وبعدُ فإنّ الحكّام المحليّين ينبغي أن ينظروا في تفاصيل الساحة العامّة، وعليهم أن يراقبوا الهياكل الموجودة فيها، وأن يتأكّدوا من عدم وقوع أعتداء على أحد هناك. ويجب أن يحضروا توقيع وإجراء المعاملات التي تجري بين الإنسان. ونظيره. وكونهم مفتشين عن الاعتدال والعنف فعليهم أن يؤدّبوا من يحتاج إلى التأديب. دعنا نحاذي أصناف البيع في بحثنا، وهنا عليهم أن يراقبوا بادىء ذي بدء إذا كانت الموادّ التي لدى المواطنين خاضعَة للنظم المرعية الإجراء، وذلك ليتمّ بيعها إلى الغرباء إذا بيعت لهم، كما يأمر الناموس بذلك. إنّ لكلّ صنف من هذه الأصناف قانونه التالي: إن المسؤولين، مهما تكن صفتهم، وسواء أكانوا غرباء أم عبيداً، والذين لديهم العُهدَة بالنيابة عن المواطنين، سيجهِّزون للغرباء الحصّة التي ستُباع لهم. وستكون هذه الحصّة الحصّة الثانية عشرة من محصول الذرة. أمّا الغريب فسيشتري الذرة للشهر كلّه، وسيشتري الحبوب الأخرى كذلك. إنّه سيشتريها في اليوم الأوّل من أيّام افتتاح السوق التجارية، وفي اليوم العاشر من أيّام الشهر سيبيع أحد الفرقاء، وسيشتري الفريق الآخر السوائل الكافية كي تبقى خلال الشهر كلّه. وفي اليوم الثالث والعشرين فإن المستعدّين لبيع الحيوانات سيبيعونها لمن يريد أن يشتري، وكذلك سيبيعون الأدوات والأشياء الأخرى التي يبيعها المزارعون « مثل الجلود وكل أنواع الثياب المحاكة منها أو

المصنوعة من اللبّاد وكلّ البضائع الأخرى من النوع عينه »، والتي يُجبر الغرباء على أن يشتروها لهم وللآخرين. أمّا في ما يختصّ بتجارة التجزئة في هذه الأشياء، سواء أكانت من الشعير أو القمح اللذين وُضِع كلٌّ منهما على حدة من أجل الوجبات والطحين، أو أيّ نوع آخر من أنواع الغذاء، أقول، لا أحد سيبيعها إلى المواطنين أو إلى مواطنيهم، ولا أحد سيشتري من المواطن. لكن دع الغريب يبيعها في سوق الغرباء التجاريّة للصنّاع الحرفيّين وعبيدهم، مستبدلها بالنبيذ والغذاء، وبواسطة التجارة التي تدعى تجارة تجزئة بشكل عام. أمّا الجزّارون فسيقدّمون للبيع أجزاءً من الحيوانات المقطّعة الأوصال إلى الغرباء، وإلى الحرفيين وخدمهم. دع أيّ غريب يحبّ أن يشتري وقوداً يوماً بيوم وبالجملة من أولئك الذين يهتمّون بها في البلاد، ودع هذا الغريب يبيع للغرباء قدر ما يسرّه وفي الوقت الذي يشاء. أمّا في ما يتعلّق بالبضائع الأخرى وبالأدوات التي يريدون بيعها على الأرجح، فإنّهم سيبيعونها في السوق التجارية العامّة أو في أيّ مكان يقرّره حماة الناموس وحكّام المدينة المحليّون. وهم سيقايضون البضائع بالمال في أمكنة كهذه، ولن يسلّف الفريقان أحدهما للآخر أمّا الذي يسلّف فيجب أن يكون قانعاً، سواء إذا حصل على ماله أو لم يحصل عليه بالمقابل، لأنّ الناموس لن يحميه في مبادلات كهذه. لكن متى تمّ شراء الملكيّة أو بيعها، وكانت أكبر من الكميّة أو القيمة أو أكثر ممّا يسمح به الناموس، والتي قد قرّرت ضمن الحدود التي يمكن لإنسان أن يزيد أو أن ينقص ممتلكاته فيها، أقول، إذا تمّ شراء هذه الملكية أو بيعها، فالزيادة يجب أن تُسجّل في سجلاّت وكتب حماة الناموس، وفي حالة النقصان فيجب محوها من السجلاّت. ويجب أن تتمّ مراقبة القانون عينه بشأن تسجيل الملكية للمواطنين. يمكن لمن يرغب أن يأتي ويسكن هنا بناءً على شروط محدّدة. فالغريب يقدر على الإقامة هنا إذا

أحب، يمكنه أن يسكن في الأرض، لكن ينبغي عليه ممارسة فنّ ما، وعليه أن لا يقيم أكثر من عشرين سنة ابتداءً من بدء إقامته، وهو لن يدفع أيّة ضرائب إقامة مؤقّتة مهما كانت صغيرة، سوى التصرّف الجيد، ولن يدفع أيّة ضرائب أخرى للشراء والبيع. لكن عند انتهاء العشرين سنة يجب عليه أن يأخذ ما يملكه معه ويغادر البلاد. وإذا صادف أنّه اكتسب شهرة خلال هذه السنين العشرين وذلك عن طريق إنجاز شيء ذي قيمة يمنحه للدولة، ويتصوّر أنّه يستطيع إقناع مجلس الشورى والجمعية العامّة، فإمّا أن يمنحوه إذناً بتأجيل مغادرة البلاد، أو السماح له بالبقاء طيلة حياته. دعه يذهب ويقنع المدينة وما يرتضيه سكّانها سيكون ساري المفعول. فأبناء البلاد، كونهم صنّاعاً مهرة، وعمرهم خمس عشرة سنة، فإن وقت إقامتهم المؤقتة يجب أن يبدأ بعد بلوغهم سنّ الخامسة عشرة، ولهم أن يبقوا لعشرين سنة، وأن يذهبوا بعدئذ حيثما يشاؤون. لكن إذا أحبّ أيّ شخص منهم البقاء في البلاد، فيمكنه أن يفعل ذلك، إن استطاع إقناع مجلس الشورى والجمعية العموميّة. وإذا غادر البلاد، فعليه أن يمحو كلّ التدوينات التي كتبها في السجلّ المحفوظ عند [illegible].

محاورة النواميس

الكتاب التاسع

افكار الكتاب الرئيسية

ستأتي دعاوى الناموس بعد كلّ القضايا التي تقدّمت، ستأتي في نظام طبيعيّ، وسنشرح من يكون القضاة بشأنها. هناك معنىً للعار في التشريع، وكلّ تفاصيل الجريمة في الدولة يجب أن تنظَّم جيّداً، وستكيّف لممارسة الفضيلة، وسيُعاقب مَن ينتهك النواميس ويثاب مَن يطيعها. أمّا من يسرق المعابد فسيعاقب بمنتهى الشدّة، ولن تغتفر جريمته بل هي لعنة أبديّة متكرّرة وستُحفر على جبينه. يلي بعد ذلك التشريع الخاص بالأشياء التي تتعلّق بالآلهة، وما يتّصل بتدمير الدولة. وسيكون العدوّ الأكبر للدولة مَن يستعبد النواميس ويسخّرها لسلطة الرجال، ويُخضع المدينة للشّقاقات، ويستخدم العنف ويحرّض على الفتنة. هذا الرجل سنعتبره العدوّ الأكبر للدولة، وسنسنّ قانوناً عامّاً في ما يتعلّق بالقضاة الذين سيعطون الحكم، وطريقة إدارة الاتهامات بحقّ الذين يُحاكَمون بتهمة الخيانة. والذي يمارس العدل يشارك في الجمال والشرف بالدرجة عينها. ونقول إنّ الرجال الأشرار كلّهم يكونون أشراراً رغم إرادتهم على الدوام، والرجل الظالم إنّما يكون ظالماً ضدّ إرادته. لكنّنا سنسنّ قانوناً للظالم ونعاقبه لئلاّ يتمادى في ظلمه وكذلك الشرّير. أمّا أسباب الجرائم في الروح فهي الانفعال، اللذّة، والجهل الذي يوجد منه نوعان. وسأعرّف الظالم بأنّه عندما يستبدّ الغضب والخوف واللذّة والألم، والحسد والرغبات، عندما تستبد هذه بالروح فإنّ ما ينتج عنها يُسمّى ظلماً. لكن عندما يسود الرأيُ الفاضلُ في الروح، وينظمُ حياةَ كلِّ إنسان فإنّ هذا المبدأ يدعى العدل. ونحن كما سننّا نواميس تتعلّق

بالقضايا المهمّة سابقاً، سنسنّ ناموساً في ما يتعلّق بالقتل المتعمّد وغير المتعمّد ومن كلّ الانواع، وكيف سيتمّ عقاب القتلة. وسنتكلّم من ثمَّ عن أسباب هذه الجرائم. نقول إنّ السبب الأعظم لهذه الجرائم هو الشهوة التي تسيطر على الروح والمخبّلة بالرغبة. وهناك الشهوة الأكثر شيوعاً حيث يحكم الهوى الأقوى والأكثر سيادة وانتشاراً بين جماهير الجنس البشريّ، أعني، حيث قوّة الغنى تخلق رغبات لا نهاية لها، ولا يمكن إشباعها أبداً لأنّها متأصّلة في نزعة طبيعيّة، وتفتقر للتعليم. إنّ الغنى هو ثالث الخيرات وليس أوّلها كما يشاع خطأً بين أبناء الجنس البشريّ عامّة. والغنى يكون من أجل الجسد، كما أنّ الجسد يكون من أجل الروح، وقد قُصد الغنى ليكون من أجلهما بالطبيعة، ولهذا السبب فإنّه دونهما، وهو الثالث في نظام الامتياز. أمّا السبب الثاني فهو الطموح، والطموح يخلق الحسد، والسبب الثالث هو الجبن والخوف غير العادل. لذلك سيتمّ إيجاد العقاب المناسبَ لها. ونحن سنشرّع لمن يجرح الغير مثلما شرّعنا لجرائم القتل، وسيكون تشريعنا هذا في منتهى العدل أيضاً.

محاورة النواميس

الكتاب التاسع

الأثيني: ستأتي دعاوى الناموس تالياً وبعد كلّ القضايا التي تقدّمت، ستأتي في السياق الطبيعيّ. أمّا الدعاوى التي تتعلّق بالزراعة فلقد تمّ وصفها سابقاً. لكنّ الدعاوى الأكثر أهميّة لم نتطرّق إليها بعد. وبما أنّنا ذكرناها إفرادياً تحت أسمائها الاعتيادية، فإنّنا سنتطرق إلى العقوبات التي يجب أن تفرض على كل اعتداء، وإلى القضاة المولجين بشأنها.

كلينياس: جيّد. جدّاً.

الأثيني: هناك معنى للعار في التشريع، وسنشرحه للتوّ. فكلّ تفاصيل الجريمة في الدولة، يجب أن تُنظَّم جيّداً، كما قلنا، وستُكيَّف جيّداً لممارسة الفضيلة بشكلّ تامّ. لنفترض أنّه سينشأ في دولة كهذه شخص ارتكب جرائم متعدّدة شائنة، كالجرائم التي تُرتكب عادة في الدول الأخرى، وأن علينا أن نشرّع لشخص كهذا بالحدس، وأن نهدّده ونسنّ نواميس ضدّه إذا ما نشأ في دولتنا، وذلك كي نردعه ونعاقبه على أعماله. وأمّا فكرة أنّه سينشأ شخص كهذا في الدولة، فمن أجل ذلك قلت إنّه يكون خزياً إلى حدّ ما في التشريع. ومع علمنا أنّنا لسنا مثل المشرّعين الغابرين الذين سنُّوا نواميس للأبطال ولأبناء الآلهة، لأنهم من ذريّة الآلهة طبقاً للاعتقاد الشعبيّ، وهم الذين شرّعوا للآخرين الذين كانوا أبناء آباءٍ إلهيّين أيضاً، لكنّنا ونحن رجالٌ فقط نشرّع لأبناء الرجال. فما من تساهل في إدراك أنّ شخصاً ما من مواطنينا، يمكن أن يشبِه بذرة تعلّقت بقرن الثور، ولديه قلب قاسٍ جدّاً ولا يمكن تليينه بأكثر ممّا يُستطاع تليين البذرة بالنار. يمكن أن يوجد بين مواطنينا

أولئك الذين لا يمكن إخضاعهم بقوّة الناموس كلّها. ورغم أنّ التشريع لهم عملٌ شاقّ وعسير، فمن أجلهم سوف أعلن ناموسي الأوّل بشأن سرقة الهياكل، في حالة إذا تجرّأ شخص على ارتكاب جريمة كهذه. إنّني لا أتوقّع أو أتصوّر أنّ المواطن المتربّي تربية حسنة سيقبل بتلقّي هكذا حَقنة أبداً، لكنّ خدم المواطنين، الغرباء وخدم الغرباء يمكن أن يكونوا مذنبين بارتكابهم العديد من الأعمال المتّسمة بالعقوق. وبقصد أن يتحسّنوا بشكل خاصّ، ولكن ليس ببعد نظر مع ذلك إلى ضعف الطبيعة الإنسانية بشكل عامّ، فإنّني سأعلن قانون سارقي الهياكل، المجرمين المعضولين المشابهين، وبشأن المعضولين منهم بالعار على وجه التقريب. وبما أنّنا اتّفقنا على أن نواميس كهذه يجب أن تكون ذات استهلال قصير على الدوام، يمكننا أن نتكلّم إلى المجرم الذي يجرّب الذهاب إلى الهيكل وسرقته، تحثّه رغبة ما تعذّبه ليل نهار. سنكلّمه بأقلّ ما يمكن من كلمات، كلمات فيها نصح وعظة وتحذير ونقول له: أيّها السيّد، إنّ الدافع الذي يحرّكك لسرقة المعابد ليس سوى جنون ورثه الإنسان من جرائم جنسه القديمة التي لا تغتفر، بل إنّها لعنة أبديّة متكرّرة. يجب عليك أن تحترس بكلّ ما لديك من قوّة ضدّ هذه الأشياء وسنشرح لك كيف يمكنك أن تفعل ذلك. وعندما تخطر ببالك أيٌّ من هذه الأفكار، فـآذهب وكفّر عنها. إذهب إلى الهياكل متوسّلاً للآلهة الذي يتفادون الشرّ، إذهب إلى مجتمع أولئك الرجال الذين يُدعون أخياراً بينكم. اسمعهم يقولون إنّ كلّ إنسان ينبغي أن يكرّم النبيل والعادل، وحاول أنت أن تردّد هذا الكلام العظيم. أهرب من معاشرة الخبثاء أهرب منهم ولا تعد إليهم. وإذا خفت أن تضطّرب بهذه العلاجات، فحَسَنٌ وجيّد، وإلاّ، فاعترف عندئذ أنّ الموت خير لك من الحياة، ثمّ غادر.

هكذا تكون الاستهلالات التي نغنّيها لكلّ الذين تراودهم أفكار للقيام

بأعمال غير مقدّسة وغادرة، وللذي يوليها أذناً صاغية، فالناموس ليس لديه أيّ شيء يقوله. لكن للذي يتمرّد على الناموس فصرخة بصوت عال عندما ينتهي الاستهلال. إنَّ من يُلقى القبض عليه في ارتكاب سرقة الهياكل، إذا كان عبداً أو غريباً فسوف تُحفر أعماله الآثمة على وجهه ويديه، وسيُضرب بالسّياط مرات عديدة وفق ما يراه القضاة مناسباً، وسيُرمى عارياً ما وراء حدود البلاد. وإذا قاسى هذا العقاب فإنّه سيعود على الأرجح لعقله الصحيح ويتحسّن. ما من قصاص يرسمه الناموس مُصمَّماً للشرّ، بل إنّه يُسَنُّ دائماً لجعل مَن يقاسيه أفضل أو لئلا يسوء أكثر ممّا كان عليه[٦٧]. لكن إذا وجد أيّ مواطنٍ مذنباً بارتكابه خطأً كبيراً أو بما لا يصحّ ذكره، أو بما يتعلّق بالآلهة، أو بآبائه، أو بالدولة، فعلى القاضي أن يعتبره أنّه غير قابل للشفاء. إذ أنّه بعد أن تعلّم وتدرّب بشكل ممتاز منذ فتوّته فصاعداً، فإنّه لم يمتنع عن ارتكاب أعظم الجرائم[٦٨]. وسيكون عقابه الموت، وسيكون الموت أهون الشرور له. ولسوف يكون مَثَلهُ هذا أمثولة للآخرين، إذا هلك ومات مخزيّاً وقُبر ما وراء حدود الأرض. لكنّ عائلته وأطفاله إذا امتنعوا عن سلوك طريقة أبيهم، يجب أن يحوزوا التكريم والتبجيل، وأن يُرتّب لهم الذّكرُ الشريف وكأنّهم هربوا من الشرّ إلى الخير بنبل ورجولة. لن تصادر الدولة ممتلكات أيٍّ منهم، فممتلكات المواطنين يجب أن تتواصل وتستمرّ كما هي متساوية والشيء عينه على الدوام.

لنقترب من تحصيل الغرامات. عندما يرتكب الإنسان شيئاً يستحقّ غرامة، فلسوف يدفعها، إذا كان لديه أيّ شيء زيادة في الحصّة المخصّصة له، لكنّه لن يدفع شيئاً أكثر من ذلك. وَلكي يتمّ ضمان الدقّة، فعلى حماة الناموس أن يرجعوا إلى السجلاّت، وأن يُخبروا الحقيقة بالضبط، وذلك كيلا تتحوّل أرض من الأراضي الممسوحة بوراً بسبب الافتقار للمال، لكن إذا بدا أن

شخصاً ما يستحقّ غرامة أكبر، فيجب أن يسجن عاماً، وأن يُحقَّر، ما لم يكن بعض أصدقائه مستعدّين لكفالته وتحريره بمساعدته على دفع الغرامة. ما من مجرم سوف يهرب بدون عقاب. إنّه لن يهرب حتّى إذا قام باعتداء واحد، وحتى إذا هرب من البلاد. بل إن العقاب يجب أن يكون طبقاً لِمَا يستحقّ، ألا وهو الموت، أو القيود، أو الضربات، أو تجريده من أماكن الجلوس أو الوقوف، أو الانتقال إلى هيكل ما على حدود البلاد، أو دعه يدفع غرامة، كما قلنا سابقاً. أمّا في الاتهامات الخطيرة، فدع القضاة يكونون حماة الناموس والمحكمة مختارة بجدارة من حكام السنة الأخيرة أن تقرز ذلك. لكن كيف ستقدّم الدعاوى إلى المحكمة، كيف سيُخدم المستدعون، وما شابه ذلك، فإنّ هذه الأشياء يمكن أن تُترك إلى الجيل الأفتى من المشرّعين ليقرروا. أمّا أسلوب التصويت فيجب أن نقرّره بأنفسنا.

دع التصويت يكون علناً. لكن قبل أن يأتي المقترعون للتصويت، على القضاة أن يجلسوا في نظام الأسبقيّة على وضد المدّعي والمدّعى عليه. وجميع المواطنين الذين يقدرون على توفير الوقت عليهم أن يسمعوا ويولوا اهتماماً جديّاً للاستماع لدعاوى قضائيّة كهذه. بدايةً سوف يلقي المدّعي خطاباً واحداً، وبعدئذ سيلقي المدّعى عليه خطاباً آخر. وبعد إلقاء الخطابين سيبدأ القاضي الأكبر سنّاً باستجواب الفريقين وبعدها يقوم بالتحقيق المناسب. وبعد أن يتكلّم الأكبر سنّاً يواصل الباقون بنظام استجواب كلا الفريقين لكي يتمكّنوا من إيجاد ما فيه خلل في البنية أو الدليل ويصلحوه، سواء إذا كان لعرض القضية أو للحذف منها. ومن ليس لديه شيء ليسأله سيسلّم الاستجواب إلى الآخر. وبناءً على ما تمّ قوله، وكأنّه يفي بالغرض، فإنّ كلّ القضاة سيتّخذون القرار النهائيّ، ويضعون الكتابة على مذبح هيستيا. وفي اليوم التالي سيتقابلون ثانية، وسيطرحون أسئلتهم بطريقة مماثلة

ويدرسون الدعاوى بدقّة ويتّخذون القرار النهائيّ عند الحصول على البيّنة أو الدليل. وعند قيامهم بذلك ثلاث مرات، وعند حيازتهم على ما فيه الكفاية من الشهود ومن البيّنات، سيدلي كلّ واحد منهم بتصويت مقدّس، وذلك بعد وعدهم لهيستيا أنّهم سيحكمون بالعدل والحقّ بأقصى قوّتهم. وهكذا فإنّهم يسيرون بالدعاوى إلى نهايتها.

بعد ذلك يأتي ما يتعلّق بالآلهة، وما يتصّل بتدمير الدولة. إنّ أيّ امرىء يستعبد النواميس، مسخّراً إيّاها لسلطة الرجال، ومخضعاً المدينة للشقاقات، مستخدماً العنف، ومثيراً التحريض على الفتنة عكس ما ينصّ عليه الناموس، إنّ ذلك المرء سنعتبره العدوّ الأكبر للدولة كلّها. لكنّ الذي لا يشترك في أحداث كهذه، وكونه واحداً من حكّام الدولة الرئيسيّين، وليست لديه معرفة بالخيانة، أو أنّ لديه معرفة بها وهو لا يتدخّل فيها بالنيابة عن الدولة بسبب جبنه، فما يجب علينا إلاّ أن نعتبره رجلاً سيّئاً على نحو وثيق. إنّ كلّ إنسان يكون جديراً بأيّ شيء سوف يخبر الحكّام، وسيحضر المتآمر إلى المحاكمة لقيامه بمحاولة عنيفة وغير شرعية لتغيير الحكومة. إنّ قضاة حالاتٍ كهذه سيقاضون مَن يقوم بها كما يقاضُون سارقي الهياكل. ومحاضر الجلسة كلّها يجب أن تدار بالطريقة عينها، وسيُدين صوت الأكثرية المدان بحكم الإعدام. لكن يجب أن تكون هناك قاعدة عامة، وهي أنّ تحقير وعقاب الأب لن يصيب الأطفال إلاّ في حالة الشخص الذي قد تعرّض أبوه، جده، وجده الأكبر لعقاب الموت. إنّ المدينة ستبعد هؤلاء الأشخاص منها مع كلّ ما يملكون، ستبعدهم إلى مدينة وبلاد أسلافهم، محتفظة فقط بكامل أرضهم المخصّصة لهم. وسيختارون من عائلات المواطنين الذين لديهم أكثر من صبيّ واحد ممن لا يقل عمره عن عشر سنين، سوف يختارون منهم عشرة صبية بالأكثريّة، وسيرشحون آباءَهم أو أجدادهم من جانب الأم

أو جانب الأب. وعليهم أن يرسلوا إلى معبد دلفي الأسماءَ التي وقع الاختيار عليها، والذي يختاره الله سيثبتونه كوريث للبيت الذي وَهَن. ويمكن لهذا الوريث أن يسلك طريقاً أفضل من طريق أسلافه.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: مرّة ثانية يجب أن يكون هناك ناموس ثالث عام في ما يتعلّق بالقضاة الذين سيعطون الحكم، وبطريقة إدارة الاتّهامات ضدّ الذين يُحاكمون بتهمة الخيانة. وأمّا في ما يختصّ ببقاء أو رحيل أعقابهم، فسيكون هناك ناموس واحد للثلاثة، أعني، الخائن وسارق الهياكل والمدمّر بالعنف لنواميس الدولة. فالسارق، سواء أسرق قليلاً أو كثيراً، فالناموس واحد، والعقاب واحد للكلّ بصورة مشابهة. وفي المقام الأوّل، على السارق أن يدفع ضعف ما سرق إذا أُدين، وإذا كان يملك أكثر من الحصّة المسروقة، وإذا لم يكن لديه ذلك، فإنّه سوف يقيّد إلى أن يدفع الغرامة أو إلى أن يقنع مَن أصدر الحكم عليه أن يعفو عنه. لكن إذا أُدين شخص بسرقة ضدّ الدولة، فإنّه إذا استطاع إقناع الدولة، أو دفع ضعفي القيمة المسروقة فسيُطلق سراحه عندئذ.

كلينياس: ما الذي جعلك تقول هذا، أيّها الغريب، إنّ السرقة هي شيء واحد، سواء أخذ السارق كثيراً أو قليلاً من الأماكن المقدّسة أو الأماكن المدنية. وهذه الأشياء ليست الفوارق الوحيدة في السرقات. مشاهدين إذن أن هناك العديد من أنواع السرقات، أفلا يجب على المشرّع أن يكيّف نفسه لها، وأن يفرض غرامات مختلفة عليها بشكل كليّ.

الأثيني: ممتاز، إنّني جريت بسرعة كبيرة جدّاً، يا كلينياس، وأنت صدمتني وأرجعتني إلى الطريقة الصحيحة في الكلام. إنّك ذكّرتني بما خطر بذهني حقّاً بشكل مسبق، وهو أنّ المشرّع لم يعمل بنجاح وبشكل صحيح حتى الآن، وها نحن لدينا مثال على ذلك. هل تتذكّر الصورة التي شبّهتُ بها

الرجال الذين من أجلهم سُنَّ الناموس، ألم أشبّههم بالعبيد الذين يطبّبون العبيد؟ ويمكنك أن تتأكّد جيّداً من ذلك، وهو أنّه إذا أتى أحد أولئك الأطباء التجريبيّين الذي يمارس مهنة الطبّ بدون علم، إذا أتى هذا الشخص إلى الطبيب السيّد وتكلّم إلى مريضه السيّد، واستعمل اللغة الفلسفيّة تقريباً مبتدئاً عند بداية المرض، ومتحدّثاً بشأن طبيعة الجسم كلّه، فالطبيب السيّد سينفجر بالضحك من صميم قلبه، وسيقول، ما لدى أكثر أولئك الذين يُدعون أطباء عند نهاية كلامهم. سيقول، أيّها الغبيّ، إنّك لا تشفي الإنسان المريض، بل تعلّمه، وهو لا يريد أن يكون طبيباً، بل أن يشفى وتتحسّن صحّته.

كلينياس: أولن يكون محقّاً في ما يقول؟

الأثيني: ربّما. وهو سيقدّم ملاحظة لنا، وهي أنّ مَن يتباحث بشأن النواميس، كما نفعل نحن الآن، فإنّه يعطي المواطنين تعليماً ولا يسنّ نواميس لهم. وستكون هذه الملاحظة قولاً مُراقِباً على الأصح.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: لكنّنا نكون سعداء.

كلينياس: بماذا؟

الأثيني: إنّنا سعداء بقدر ما لا نُجبر على سنّ النواميس، لكن يمكننا أن نعتبر كلّ شكل من أشكال الحكومات، وأن نؤكّد ما هو الأفضل أو ما هو اللازب منها، وكيف يمكن لكليهما أن يوضعا موضع التنفيذ. ويمكننا أيضاً أن نختار الأفضل في هذه اللحظة بالذات، إذا أردنا أو إذا فضلنا، فاختيار الحاجة المجرّدة ـ أيّهما سنقوم به؟

كلينياس: هناك شيء ما مضحك، أيّها الغريب، في اقتراحنا لخيار كهذا، كما لو كان علينا أن نشرّع في حاجة ملحّة كبيرة ولا نستطيع تأجيل العمل إلى

الغد. لكنّنا، كما يمكنني أن أؤكّد بمنّة السماء، مثلُ جامعي الأحجار، أو المبتدئين بعمل مركّب، ونحن الذين يمكننا أن نجمع كومة من المواد وأن نختار منها وقت فراغنا ما يناسب بناءَنا الذي صمّمناه، دعنا نفترض إذن أنّنا في وقت فراغنا هذا، لا يلزمنا أن نبني، بل إنّنا مثل الرجال الذين يجهّزون المواد جزئياً على الأصحّ والذين يجمعونها معاً بشكل جزئيّ. ويمكننا أن نقول بصدق إنّ بعض نواميسنا وُضعت في أماكنها ورُكّزت، مثما تُركّزُ الأحجار، وإن النواميس الأخرى أُحضِرت وجُهّزت.

الأثيني: بالتأكيد، وفي تلك الحالة فإنّ فكرتنا العامّة عن الناموس، يا كلينياس، ستكون أكثر موافقةً للطبيعة. وهناك مسألة أخرى تؤثّر على المشرّعين، ويجب أن أستعطفك لتتأمّلها بشكل جديّ.

كلينياس: وما هي؟

الأثيني: هناك كتابات عديدة في المدن، وبين هذه الكتابات هناك محادثات ألفها المشرّعون، كما ألّفها الأشخاص الآخرون.

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: هل ستهتمّ بكتابات أولئك الآخرين على الأصحّ، كالشعراء وما شابه الذين سجّلوا نصيحتهم بشأن سلوك الحياة، سجّلوها بأشعار موزونة وغير موزونة. فهل سنهتم بهذه الكتابات ونتغاضى عن كتابات المشرّعين؟ أو أننا سنهتم بها أكثر من كلّ الكتابات؟

كلينياس: نعم، سنهتم بكتابات المشرّعين قبل كلّ الكتابات الأخرى.

الأثيني: وهل يجب على المشرّع وحده من بين الكتّاب جميعاً أن يحتفظ لنفسه برأيه بشأن الجميل، الخيّر، والعادل، وأن لا يعلّمها ما هي، وكيف يمكن أن يلاحقها أولئك الذين يبغون السعادة؟

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: وهل يكون عاراً على هوميروس وتيرتايوس والشعراء الآخرين، أن يذكروا في كتاباتهم مدارك حسيّة شرّيرة في ما يتعلّق بالحياة وملاحقات الرجال، لكنّها ليست عاراً على ليغارغوس وصولون والآخرين الذين كانوا مشرّعين كما كانوا كتّاباً؟ أليس من الحقّ أنّ من بين كلّ الكتابات الموجودة في المدينة، فإنّ تلك الكتابات التي تتّصل بالنواميس يجب أن تكون الكتابات الأفضل والأنبل لأبعد غاية عندما تنشرها وتقرأها؟ ألا ينبغي أن تتّفق الكتابات الأخرى معها، وإذا اختلفت، فسوف تُعتبر كتابات مضحكة؟ يجب علينا أن نعتبر إذا ما كان على نواميس الدول أن يكون لديها أخلاق الآباء المحبّين والعقلاء، بدلاً من أخلاق الطغاة والأسياد الذين يأمرون ويهدّدون، والذين يمضون بطريقهم بعد أن ينقشوا مراسيمهم التشريعيّة على الجدران. وسواء إذا وجب علينا، في تكلّمنا عن النواميس، أن لا نأخذ بالفكرة الألطف عنها التي يمكن أو لا يمكن نيلها. على كلّ حال، سوف نظهر جاهزيّتنا كي نفكر بفكرة كهذه، وأن نستعدّ للتعرّض لأيّة مخاطرة مهما تكن النتيجة. وربّما كانت النتيجة جيّدة، إذا أنعم الله علينا، فستكون كذلك.

كلينياس: ممتاز، دعنا نفعل كما تقول.

الأثيني: إنّنا سنأخذ الآن نواميسنا بعين الاعتبار، كما تقترح، وذلك في ما يتعلّق بلصوص الهياكل وكلّ أنواع السرقات والتعديات بشكل عامّ. ولا ينبغي أن نتضايق إذا شرّعنا أشياءَ ما في مسار عملنا التشريعي ولم نتوصّل إلى أشياء أخرى كي نسنّ ناموساً بشأنها. فنحن لسنا مشرّعين بعد، لكن يمكننا أن نكون كذلك قريباً. دعنا نتأمّل مليّاً ما ذكرته إذا سرّك ذلك، وبالنفسية التي ذكرتها.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: وفي ما يختصّ بالشريف والعادل، دعنا نجهد لنؤكد إلى أيّ حدٍّ نكون منسجمين مع أنفسنا، وإلى أي حَدٍّ نكون عكس ذلك، وإلى أي حدّ يكون العديد كذلك. ومَنْ الذي سنعترف له بأنّ رغبتنا تختلف على كلّ حال، وأنّنا نتّفق ونختلف بعضنا عن بعض.

كلينياس: ما هو عدم الاتساق الذي تراقبه فينا؟

الأثيني: إنّني سأجهد لأشرح لك ذلك. إذا لم أكن مخطئاً، لقد اتّفقنا كلّنا على أنّ العدل والرجال العادلين والأشياء والأعمال، كلّها جيدة. وإذا أكّد شخصٌ ما أنّ الرجال العادلين لا يزالون جميلين في ما يتّصل بامتياز عدل أفكارهم، حتّى حينما تكون أجسامهم مشوهة، فلا أحد سيقول إن هناك عدم تناسق في هذا.

كلينياس: إنّهم سيكونون محقّين تماماً.

الأثيني: لربّما، لكن دعنا نتأمّل مليّاً ما هو أبعد من ذلك. إذا كانت كلّ الأشياء عادلة وجميلة ومشرّفة، فينبغي علينا أن نشمل في الاصطلاح « كلّ » ما يقارب العدد عينه للمعاناة مثلما نشمل الأعمال.

كلينياس: وما هو الاستنتاج؟

الأثيني: الاستنتاج هو أنّ عملاً عادلاً في مشاركة العدل يشارك فاعله أيضاً في الجمال والشرف بالدرجة عينها.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: ألا يجب للمعاناة التي تشارك بمبدأ العدل الاعتراف بأنّها جميلة وشريفة بالدرجة عينها، إذا ما نُفِّذت المحاورة بشكل متناسق؟

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: لكن إذا اعترفنا أنّ المعاناة تكون عادلة ومخزية مع ذلك، وينطبق الاصطلاح « مخزية » على العدل، ألَنْ يختلف العادل والشريف؟

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني شيئاً ليس صعباً فهمه. سيبدو أن النواميس التي سُنَّت سابقاً تعلن نقيض المبادىء التي تقولها بشكل مباشر.

كلينياس: النقيض لماذا؟

الأثيني: لقد شرّعنا ناموساً يقول، إذا لم أكن مخطئاً، إنّ سارق الهيكل، وعدو الناموس والنظام، يمكن أن ينفَّذ فيه حكم الإعدام. وثم واصلنا تشريعنا لنسُنّ نواميس للنشّالين ذوي الطبيعة المشابهة. لكنّنا توقّفنا فجأة لأنّنا رأينا أنّ هذه المعاناة هي معاناة لا نهائية في الدرجة والعدد، وأنّها الأكثر عدلاً والأكثر خزياً من المعاناة كلّها. وإذا كان هذا القول حقيقيّاً، أفليس العادل والشريف كلاهما الشيء عينه في وقت واحد، وأنّهما الأكثر تضادّاً تماماً في وقت آخر؟

كلينياس: يبدو أنّ الحالة كذلك.

الأثيني: هل لغة الكثرة في هذا الأسلوب المتضارب واللامتناسق، تميل لإبعاد العادل والشريف بعضهما عن بعض؟

كلينياس: إنّ ما تقوله حقيقي تماماً، أيّها الغريب.

الأثيني: دعنا نرى الآن إذن، أيّها الغريب، إلى أيّ بعدٍ نحن متناسقون بشأن هذه القضايا.

كلينياس: متناسقون بماذا؟

الأثيني: أعتقد أنّني قرّرت بوضوح في الجزء السابق من هذا البحث، لكنّي إن لم أفعل ذلك، فدعني أقوم به الآن -

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: سأقرّر أنّ كلّ الرجال الأشرار هم أشرار بدون إرادتهم على الدوام. وعليّ أن أتقدّم ممّا قلته لأرسم استنتاجاً أبعد من ذلك.

كلينياس: وما هو الاستنتاج؟

الأثيني: إنّ الرجل الظالم، كونه رجلاً سيئاً، فهو كذلك رغم إرادته. وبعدُ فإنّ عملاً طوعيّاً يجب فعله لا اختيارياً فذلك تناقض ومن أجل ذلك فإنّ مَن يؤكّد أنّ الظلم يكون لا اختيارياً سيبدو أنّه يقول إنّ الظالم لم يفعل الظلم رغم إرادته. إنّني أوافق أيضاً على أنّ كلّ الرجال يرتكبون الظلم رغم إرادتهم، وإذا قال شخصٌ ما كثير الخصام ومثير للجدل إنّ الرجال يكونون ظالمين رغم إرادتهم، ومع ذلك فإنّ الكثيرين يرتكبون الظلم بإرادتهم، فأنا أقبل بالعبارة السابقة، لكنّي لا أقبل بالثانية. لكن كيف أستطيع أن أتفادى عدم الانسجام مع نفسي حينئذ، إذا ما قلتما لي أنتما، يا كلينياس وميغيلوس: حسناً، أيّها الغريب، إذا كان هذا كلّ الذي تقوله، فما رأيك في تشريع مدينة ماغنيطيس؟ هل سنشرّع لها أوْ لا؟ ماذا تنصح؟ عليَّ أن أجيب، سنفعل ذلك بكلّ تأكيد. هل ستعزم وتقول أيّ الجرائم طوعيّ وأيّها ليس كذلك؟ وهل سنجعل العقوبات أكبر للأخطاء الاختيارية والجرائم وأقلّ للمرتكبة رغم الإرادة؟ أو هل سنجعل العقاب متشابهاً على الجميع، بحجة أنه لا وجود لشيء مثل الجريمة الاختيارية.

كلينياس: جيّد جدّاً أيّها الغريب، وماذا سنقول في إجابتنا على هذه الاعتراضات؟

الأثيني: إنّه لسؤال محقّ جدّاً، دعنا، في المقام الأوّل...

كلينياس: أن نفعل ماذا؟

الأثيني: دعنا نتذكّر ما قلناه سابقاً وهو أنّ أفكارنا عن العدل هي أفكار مشوّشة ومتناقضة في الدرجة الأعلى. عند قبولنا العقليّ بهذا، دعنا نتقدّم لنسأل أنفسنا مرّة ثانية اذا ما كانت لدينا طريقة تخرجنا من الصعوبة التي نحن فيها. « ألم نقرّر في أيّة وجهة نظر يختلف هذان النوعان من أنواع الفعل بعضهما عن بعض. ففي كلّ الدول وبكلّ المشرّعين مهما كانوا، قد تمّ تمييز

عملين اثنين من الأعمال، أوّلهما اختياري، والثاني إلزامي. وهُم شرّعوا بشأنهما طبقاً لذلك. لكن هل سنتكلّم هذه الكلمة فقط، كأنّها وحي من الله، ونتصرف بعدها بدون أيّ شرح أو تحقيق لما تنطوي عليه؟ هل نعني أنّنا نُسكِت النقد بقوّة الناموس؟ مستحيل أن نفعل ذلك. قبل أن نتقدّم للتشريع إذن، علينا أن نبرهن أنّهما نوعان اثنان، وأن نبرهن ما هو الفرق بينهما، وذلك عندما نفرض الغرامة على كلّ منهما. يمكن لكلّ شخص أن يفهم اقتراحنا، وأن يكون قادراً على الحكم بطريقة ما، سواء أأُنزل العقاب على نحو ملائم أو لا.

كلينياس: إنّني أتّفق معك، أيّها الغريب، لأنّ أحد الإثنين هو أكيد: فإمّا يجب أن لا نقولَ إنّ كلّ الأفعال الظالمة هي أفعال إلزامية، أو ينبغي علينا أن نميّز بادىء ذي بدء الشيء الذي يبيّن صدق هذا التعبير.

الأثيني: إنّ خياراً واحداً من هذين الخيارين الاثنين لا مفرّ منه تماماً. ولكي لا أتكلّم عمّا أعتقد أنّه الحقيقة فذلك سيكون غير شرعيّ وغير مقدّس بالنسبة لي. لكن إذا كانت الأعمال الظالمة لا يمكن تقسيمها إلى أعمال اختياريّة وأعمال إلزامية، فما يجب عليّ إلاّ أن أسعى لأجد تمييزاً آخر ما بينهما.

كلينياس: حقيقيّ تماماً، أيّها الغريب، لا يمكن أن يوجد رأيان اثنان بيننا حول هذه النقطة الرئيسيّة.

الأثيني: تأمّل مليّاً إذن، هناك أذى من مختلف الأنواع، اقترفه بعض مواطنينا ضد بعض في علاقات الحياة. وهذه العلاقات تقدّم أمثلة كثيرة عن الأعمال الاختياريّة منها والإلزاميّة على حدّ سواء.

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: لا أعتقد أنّ أيّ شخص يفترض أنّ كلّ هذه الأذيّات هي أضرار وخسائر، وأنّ هذه الأضرار ذات نوعين أحدهما اختياري، والآخر إلزامي. إنّ الأذيّات

الإلزامية لكلّ الرجال متعدّدة وكبيرة تماماً كما هي الأذيّات الاختيارية[٦٩].
واعتبر من فضلك، سواء إذا كنتُ محقّاً أو مخطئاً في ما أنا على وشك قوله. إنّني أنكر، يا كلينياس وميغيلوس، أنّ من يؤذي الآخر بدون إرادته يسبب له الضرر لااختيارياً، ولا ينبغي عليّ أن أشرّع بشأن فعل كهذا بحجة أنّني أشرّع للضرر اللاإختياري. لكن عليّ أن أقول بالأحرى إنّ ضرراً كهذا، سواء أكان صغيراً أو كبيراً، ليس ضرراً على الإطلاق. وعلى الجانب الآخر، إذا كنت محقّاً في القول إنّ النفع عندما يُمنح خطأً فإنّ مانحه يمكن أن يقال عنه إنّه يؤذي على الغالب. إنّي أؤكّد، يا صديقيّ، أنّ الهبة المجرّدة أو السلب المجرّد لأيّ شيء لا يمكن وصفه بأنّه عدلٌ أو ظلم. لكنّ المشرّع عليه أن يعتبر إذا ما كان أفراد الجنس البشري يسببون الخير أو الأذى بعضهم لبعض من عادةٍ وأخلاقية عادلة. إنّ المشرّع يجب أن يركز تفكيره على التمييز بين الظلم والأذى. وعندما يوجد أذى بادىء ذي بدء، عليه قدر استطاعته أن يجعل الأذى خيراً بواسطة القانون، وأن ينقذ ذلك الذي تدمّر وأن يرفع ذلك الذي يسقط وأن يجعل ذلك الذي فقد الحسّ أو نزف دماً كلاً لا يتجزّأ. وعندما يلطف التعويض الأذى الذي تمّ فعله، يجب على الناموس أن ينشد الانتصار على الفاعلين والمتضرّرين وذلك بنقلهم من مشاعر العداوة إلى مشاعر الصداقة على الدوام.

كلينياس: جيّد جداً.

الأثيني: ثانياً سنشرّع لَما يختصّ بالأذيّات الظالمة « وللأرباح أيضاً، مفترضين أنّ الظلم يحقق الكسب للإنسان المتضرّر ». يمكننا أن نشفي من هذه الأشياء الكثيرين الذين يمكنهم أن يشفوا، معتبرين أنّ هذه الأمراض أمراض روحية. وسيأخذ الشفاء من الظلم المنحى التالي.

كلينياس: أيّ منحى؟

الأثيني: عندما يرتكب شخص أيّ ظلم، صغيراً كان أو كبيراً، فإنّ الناموس سينصحه ويجبره إمّا بألاّ يرتكب مثله على الإطلاق مرّة ثانية، وإما أنّه لو ارتكبه فبدرجة أقلّ بكثير مهما تكن الظروف. وينبغي عليه أن يدفع للمتضرّر بالإضافة إلى ذلك. وسوف يهدف الناموس لجعل الإنسان يكره الظلم ويحب طبيعة العدل ولا يكرهها، سواء إذا تمّ نيل هذه الغاية بالكلمة أو الفعل، بالسرور أو بالألم، بإعطاء الامتيازات أو أخذها، بواسطة الغرامات أو الهبات، أو بأيّة طريقة أخرى مناسبة. إنّ هذا العمل سيكون العمل الأنبل للناموس تماماً. لكن إذا رأى المشرّع أيّ شخص لا يمكن شفاؤه، فأيّة غرامة أو قصاص سيعيّنه عليه الناموس؟ يعرف المشرّع تماماً أنّ رجالاً كهؤلاء لا فائدة من بقائهم على قيد الحياة، وهم يحسنون كثيراً لبقية الجنس البشري إن هم وضعوا حدّاً لحياتهم بأيديهم. وبقدر ما سيكونون مَثَلاً للآخرين لئلاّ يعتدوا، هم سيفرّجون عن المدينة بتخلّصها من مواطنين أشرار. وفي تلك الحالات، وفي حالات كهذه فقط، يجب على المشرّع أن ينزل عقاب الموت كقصاص على المعتدين.

كلينياس: يبدو أنّ ما قلته لي عقلاني تماماً، لكن هل ستمنُّ عليّ وتعرض الفرق بين الأذى والظلم بشكل أكثر وضوحاً وتشرح التعقيدات المختلفة بين الأشياء الاختيارية والإلزامية التي تدخل فيهما؟

الأثيني: سأسعى لفعل ما ترغبه. أمّا في ما يتعلّق بالروح فإلى هذا الحدّ سيُقال ما قلناه ويُسمح به بشكل عامّ، وهو أنّ أحد عناصر طبيعتها هو الانفعال الذي يمكن وصفه بأنّه حالة من حالاتها أو جزء منها. وإنّه لمن الصعب جدّاً مكافحته أو الرّضى به، وهو يقلب أشياء عديدة بالقوة اللاعقلانية رأساً على عقب.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ولا تكون اللذّة الشيء عينه مع الانفعال، بل إنّ لديها قوّة مضادّة، تفعل إرادتها بواسطة الإقناع وقوّة الخداع في كلّ شيء.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: يمكن لإنسان أن يقول حقّاً إنّ الجهل سببٌ ثالثٌ من أسباب الجرائم. والجهل، على كلّ حال، يمكن أن يقسّمه المشرّع إلى نوعين بشكل مناسب، فهناك الجهل البسيط الذي يكون مصدر الاعتداءَات الخفيفة، وهناك الجهل المضاعف الذي يُصاحَب بخداع الحكمة. ومَن يكون تحت تأثير هذا النوع الأخير يتوهّم أنّه يعرف كل شيء عن القضايا التي لا يعرف عنها شيئاً. إنّ هذا النوع الثاني من الجهل، عندما تتملّكه القوّة والمقدرة، سيعتبره المشرّع مصدر أعظم الجرائم وأرهبها، لكنّه عندما يُصاحبه الضعف، سينتج عنه أخطاء الأطفال والرجال فقط. وسيسنُّ المشرّع نواميس طبقاً لأولئك الذين يرتكبونها، وستكون هذه النواميس أرحم النواميس وألطفها.

كلينياس: إنّك لمحقّ بشكل تامّ.

الأثيني: لكنّنا نقول عن إنسان إنّه متفوّق في اللذّة والانفعال، ونقول عن آخر إنّه دونَهما، وإنّ هذا القول لحقيقيّ تماماً(٧٠).

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: لكن لم يُسمع أحدٌ لحدّ الآن يقول إنّ شخصاً منّا يكون متفوّقاً وإنّ الآخر يكونُ دوناً للجهل.

كلينياس: حقيقيّ جدّاً.

الأثيني: إنّنا نتكلّم عن البواعث التي تحثّنا على تنفيذ ميولها. ويمكن أن يُجرَّ الفرد بها غالباً برغم ذلك في الاتجاهات المضادّة في الوقت عينه.

كلينياس: نعم، غالباً ما يحدث ذلك.

الأثيني: وبعدُ فإنّني أستطيع أن أحدّد بوضوح وبدون غموض، ماذا أعني بالعادل

والظالم، طبقاً لفكرتي عنهما. عندما يستبدّ الغضب والخوف، واللذّة والألم، والحسد والرغبات، عندما تستبدّ كلّها بالروح، وسواء آذتها أم لا، فإنّني أسمّي هذا ظلماً. لكن عندما يسودُ الرأيُ الأفضلُ الروحَ وينظّم حياة كلّ إنسان، وأيّاً كان الجزء المفترض من الطبيعة الإنسانية، إنّ هذا الرأي يوجد ويقطن فيه، ويوجد ويقطن في الدول والأفراد أيضاً، حتى إذا أخطأ بعض المرّات، ومع ذلك فإنّ ما يتمّ فعله في تطابق معه بعد ذلك مباشرة، ويكون المبدأ الذي يطيع هذه القاعدة في الأفراد هو المبدأ الأفضل لحياة الإنسان كلّها. أقول، إنّ هذا المبدأ هو العدل وبذلك يُسمّى، رغم أنّ الأذى الذي ارتُكبَ خطأً ظنّه العديدون أنّه الظلم الإلزامي. لنتخلَّ عن سؤال الأسماء الذي نحن على وشك أن نختلف بشأنه. وبما أنّنا صوّرنا ثلاثة مصادر للخطأ مسبقاً، فيمكننا الآن أن نبدأ بتذكّرها أكثر وبشكل مفعم بالحيويّة. إن أحدها كان من النوع المؤلم الذي سسمّيناهُ الغضب والخوف.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وهناك نوع ثانٍ مؤلّفٌ من الملذّات والرغبات، ونوع ثالث من الآمال التي وُجّهت نحو الرأي الصحيح بشأن الأفضل. وما دام النوع الأخير مقسماً إلى ثلاثة أنواع بشكل صغير، فإنّنا نحصل الآن على خمسة مصادر للأفعال، ولسوف نسنّ نوعين من القوانين لهذه المصادر الخمسة.

كلينياس: وما هما هذان القانونان؟

الأثيني: هناك نوع واحد من الأعمال تمّ فعله بالعنف وفي وضح النهار، وهناك نوع آخر من الأعمال التي ارتُكِبَتْ فيَ الظلام وبخداعٍ سرّيّ، أو ارتُكِبَتْ بالعنف والخداع بعض المرّات. فعلى النواميس المختصّة بهذه الأنواع الأخيرة أن تجد طريقة صارمة جدّاً.

كلينياس: إنّ فعل ذلك لطبيعيّ.

الأثيني: وبعدُ دعنا نعود عن هذا الاستطراد ونكمل عمل المشرِّع. لقد سَنَنّا النواميس مسبقاً بخصوص لصوص الآلهة، وبخصوص الخونة، وأيضاً بخصوص أولئك الذين يفسدون النواميس قصد تدمير الحكومة. يُحتمل أن يرتكب إنسان ما هذه الجرائم، إمّا في حالة الجنون أو تحت تأثير المرض، أو تحت تأثير الشيخوخة، أو نوبة طفولية لعوبة. إنّ إنساناً كهذا ليس أفضل من الطفل. وإذا وضحت هذه الأشياء للقضاة المنتخبين للنظر في الدعوى قضائياً، بناء على مناشدة المجرم ومحاميه، فيجب أن يُحاكم في هذه الحالة عند ارتكابه الاعتداء. إنّه سوف يدفع غرامة الأذى الذي يكون قد سبّبه للآخرين وبكلّ بساطة. لكنّه سيعفى من الغرامات الأخرى، إلاّ إذا ذبح شخصاً ما وكانت يداه مملوءتين دماً. سوف يُنْفى في هذه الحالة، لمدة سنة. وإذا عاد قبل انتهاء المدّة المحدَّدة التي عيّنها الناموس، أو حتّى إذا وطئت قدمه أرض بلده الأمّ على الإطلاق، فإنّ حماة الناموس سوف يسوقونه إلى السجن كي يقضي سجيناً ثلاث سنوات ويُطلق سراحه بعدئذ.

بما أنّنا ابتدأنا بالتحدّث عن القاتل، فعلينا أن نسعى لسَنّ نواميس بشأن كلّ نوع من أنواع القتل المختلفة، بدءاً بما يختصّ بالقتل العنيف واللاّمتعمّد. إذا قتل شخصٌ صديقاً عن غير عمد في مباراة رياضيّة وخلال الألعاب العامّة، وإذا مات هذا الصديق إمّا حين تلقّيه الضربات أو بعد ذلك، أو إذا حدثت بليّة لأيّ شخص في الحرب أو أثناء التمارين العسكريّة، أو حين المباراة الصوريّة سواء أَستُخدمت فيها الأسلحة أو لم تُستخدم، وبعد ما يتمّ تطهير القاتل طبقاً للناموس الذي أُحضر من معبد دلفي بخصوص هذه القضايا، أقول، إذا تمّ فعل كلّ هذا فإنّ القاتل سوف يُبرّأ. وهكذا ستكون الحالة بالنسبة للأطباء إذا توفّي مريضهم على أيديهم، لأنّ موته كان عكس ما قصدوه، إنّ الناموس سيعتبر الطبيب غير مذنب. وإذا ذبح شخص

شخصاً آخر بيديه، لكنّه فعل ذلك عن غير قصد، وسواء إذا فعل ذلك بغير سلاح أو كان يحمل أداة أو سهماً بيده، أو إذا قتله بإعطائه غذاءً أو شراباً، وسواء إذا فعل فعلته بيديه أو بواسطة الآخرين، فإنّه سوف يُعتبر مجرماً وسيقاسي عقوبة واحدة من العقوبات التالية: إذا قتل عبدَ الآخر، فيجب عليه أن يتخيّل أنّه مكان مالك العبد وأن يعوض عليه تلك الخسارة، أو أنّه سيدفع غرامةً تساوي قيمتها ضعفي قيمة الإنسان المتوفّ، وسيقرّر القضاة هذه القيمة. لكنّ التطهيرات يجب استخدامها بشكل أكبر وأكثر عدداً من أجل أولئك الذين ارتكبوا القتل أثناء الألعاب. أمّا ماذا ومَن سيكون المؤوِّلون الذين سيعيّنهم الله، فإنّ القضاة هم المخوّلون بإعلانهم. وإذا قتل إنسانٌ عبدَه، فإنّه سيبرّأ من القتل عندما يتمّ تطهيره طبقاً للناموس. وإذا قتل إنسان إنساناً حرّاً عن غير عمد، فإنّه سيتعرّض للتطهير عينه كالذي تعرّض له من قَتَلَ العبد، لكن يجب أن لا ينسى أيضاً قصّة قديمة لديها هذا التأثير: إنّ الذي يعاني نهاية عنيفة، فإنّه ساعة موته يكون غاضباً مِمَن سبّب موته، إذا كان لديه روح الإنسان الحر في الحياة. وكونه ممتلئاً خوفاً وهلعاً بسبب نهايته العنيفة، فإنّه يصاب بالرعب ويصبح مضطرباً عندما يرى قاتله يطوف تكراراً بما اعتاد عليه. وأمّا اضطرابه هذا فإنّه ينقله بقوّة غامرة إلى القاتل وأعماله، يساعده في ذلك التذكّر المذنب للآخرين. ومن أجل ذلك يجب على القاتل أيضاً أن يخلي الطريق أمام ضحيته لمدّة سنة كاملة من الزمن، وأن لا يتواجد في أيّة بقعة كان معتاداً على زيارتها داخل البلاد. وإذا كان الميت غريباً، فإنّ القاتل سوف يظل خارج بلاد الغريب لفترة مماثلة من الزمن. إذا أطاع أيّ شخص هذا الناموس طوعيّاً فإنّ نسيب الفقيد الأقرب، وقد رأى ما حدث، ستأخذه الشفقة عليه، ويسالمه، ويلاطفه في المعاملة. لكن إذا عصى شخص هذا الناموس، أو جازف بالذهاب إلى أيٍّ من الهياكل

وضحّى غير متطهرٍ، أو لم يواصل إقامته في المنفى خلال الوقت المحدَّد، فإنّ نسيب الميّت الأقرب سيقدِّم الدعوى ضدّ القاتل. وإذا أُدين القاتل، فكلّ جزء من أجزاء إدانته ستتمّ مضاعفته. وإذا لم يقدّم الدعوى النسيب الأقرب للميّت ضدّ مرتكب الجريمة، فسوف يقع التلوّث بها على رأسه. إنّ الضحيّة سوف يلقي الذنب على قريبه، ومَن لديه فكرة إقامة الدعوى ضدّه، يمكنه أن يجبره على الغياب عن بلاده لمدّة خمس سنوات، طبقاً للناموس. إذا قتل غريبٌ غريباً عن غير قصد، وكان الغريب من سكّان المدينة، فإنّ مَن يرغب يمكنه مواصلة الدعوى حتى النهاية طبقاً للقواعد عينها. وإذا كان هو غريباً كليّةً، بالإضافة إلى تطهيره، وسواء إذا ذبح هو غريباً أو غريباً ممّن يدفع ضريبة، أو ذبح مواطناً، إذا فعل كلّ ذلك، فإنّه سيُبعد عن أرض الوطن التي تسود فيها نواميسنا. وإذا عاد مخالفاً ما أمر به الناموس، فعلى حماة الناموس أن يعاقبوه بالموت، وعليهم أن يسلّموا ممتلكاته، إذا كان لديه شيءٌ منها، عليهم أن يسلّموها إلى النسيب الأقرب للمتضرّر. وإذا كان لا يملك شروى نقير وأُبعد إلى الساحل رغماً عنه، فإنّه سيلبث على الشاطىء ويبلّل قدميه بماء البحر، ويرقب أقرب فرصة للإبحار. لكنّه إذا أُحضر برّاً، ولم يكن سيّد نفسه، فعلى الحاكم القاضي الذي قابله أوّلاً في المدينة أن يطلق سراحه ويرسله سالماً معافىً إلى ما وراء الحدود.

إذا ما ذبح شخصٌ إنساناً حرّاً بيديه، وإذا تمّ الفعل نتيجة هوىً جامح، ففي حالة كهذه، يجب علينا أن نبدأ بإيجاد تمييز لها. إنّ الفعل الذي تمّ عن هوى جامح، إمّا عند ارتكاب الرجال جريمة القتل فجأة وبدون قصد، وإذا سبّب هذا الفعل الموت للآخرين بالضربات وما شابه عند اللحظة الخاطفة وندم الفاعل على العمل الذي قام به بعد ذلك حالاً، أو مرّة ثانية، عندما يسعى الرجال للثأر، حين إهانتهم بالفعل والكلمة، ويقتلون شخصاً

عمداً ولا يندمون على عملهم هذا، ولهذا السبب ينبغي علينا أن نفترض أنّ جرائم القتل هذه نوعان، وكلاهما ينشآن من الهوى المفرط، ذلك الهوى المفرط أو الرغبة الجامحة التي يمكن القول إنّها وسط بين اللااختياري والإلزامي. وفي الوقت عينه، لا أحد منهما يكون شيئاً أكثر من شَبَه الخيال لكل منهما. إنّ مَن يدَّخر غضبه، ومن لا يثأر لنفسه في اللحظة عينها، لكنّه يفعل ذلك بتصميم غادر وبعد فاصل زمنيّ، فإنّ عمله هذا شبيه بالعمل الاختياري. لكنّ مَنْ لا يكتم غضبه، ويأخذ ثأره في اللحظة عينها وبدون حقد متعمّد، إنّ مَن يفعل ذلك يقترب من العمل الاضطراري. ومع ذلك فإنّ عمله هذا إذا لم يكن اضطراريّاً كليّة، فهو صورة أو شَبَهٌ للعمل الاضطراري. ومن أجل ذلك توجد صعوبة في العزم بشأن جرائم القتل المرتكبة عند فورة دم، سواء إذا اعتبرها المشرّع أعمالاً متعمّدة أو غير متعمّدة جزئياً. إنّ الرأي الأفضل والأحقّ هو اعتبارها مشابهة للأعمال المتعمّدة وغير المتعمّدة فقط على التوالي، وعلينا كذلك أن نميّزها في تطابق وكأنّها ارتُكبَت بتصميم وبدون سابق تصميم أيضاً. وسنجعل الغرامات أثقل على أولئك الذين يرتكبون القتل نتيجة غضب تصميم سابق، وأنّ نجعلها أخفّ على أولئك الذين لا يصمّمون على ذلك مسبقاً، بل يوقعون الأذى في اللحظة عينها. إن ما يشبه الشرّ الأعظم يجب أن يُعاقب بصرامة أكثر، وما يشبه الشرّ الأقل يُعاقب بأقلّ صرامة. هكذا سوف يكون حكم الناموس.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: دعنا نواصل ما بدأناه. إذا ذبح أيّ شخص إنساناً حرّاً بيديه، وتمَّ فعل ذلك في لحظة غضب وبدون سابق تصميم، فالآثم يجب أن يقاسي في جوانب أخرى ما قاساه مرتكب القتل اللااختياري، وعليه أيضاً أن يذوق مرارة النفي سنتين، وذلك ليتعلم كيف يهذّب هواه الجامح. لكن الذي يذبح

الآخرين بسبب هواه الجامح، وعن سابق تصميم، فإنّه سيقاسي كما قاسى الآخر في وجهة ما، وسيُضاف إلى هذا نفي لثلاث سنوات بدلاً من سنتين. إنّ عقابه يجب أن يكون أطول لأنّ شهوة القتل عنده أعظم. أمّا طريقة عودتهما من النفي فستكون على هذا النحو: « وهنا فإنّ لدى الناموس بعض الصعوبة في العزم الدقيق عليه. ففي بعض الحالات إنّ القاتل الذي يحاكمه الناموس على أنّه القاتل الأسوأ يمكن أن يكون القاتل الأقلّ قسوة، والذي يحاكمه الناموس على أنّه القاتل الأقلّ سوءاً يمكن أن يكون القاتل الأسوأ حقّاً، ويمكن أنّه نفّذ القتل بطريقة أكثر وحشية. في حين أنّ القاتل الآخر يمكن أن يكون ألطف من ذلك. لكن درجات الذنب بشكل عامّ ستكون درجات كتلك التي وصفناها. يجب على حماة الناموس أن يأخذوا علماً بكلّ هذه الأشياء ». عندما ينهي القاتل نوعيْ نفيه، سوف يرسل حماة الناموس اثني عشر قاضياً إلى حدود البلاد، ويفترض أنّ هؤلاء القضاة أخبر بعضهم بعضاً بأعمال المجرمين أثناء فترات الزمن الفاصلة، وسيحكمون طبقاً للعفو والقبول، وسيلتزم القتلة بما يحكمون. لكن بعد عودتهم إلى موطنهم، إذا ارتكب أحدهم القتل ثانية في لحظة غضب فيجب أن ينفى وأن لا يعود من منفاه بعد ذلك. وإذا عاد، فيجب أن يقاسي العقاب كما قاساه الغريب في حالة مشابهة. إنّ الذي يقتل عبده سوف يخضع للتطهير، لكن إذا قتل عبدٌ عبداً آخر في لحظة غضب، فإنّه سيدفع ضعف القيمة لمالكه الذي خسره. وإذا عصى أيّ قاتل الناموسَ، ولوّث الساحة العامّة بدون أن يخضع للتطهير، أو لوّث المعابد، أو الألعاب، فيمكن لمَن يرغب أن يجلب للمحاكمة نسيبَ الرجل الميت القريب للسماح له، وأن يُحضر القاتل معه. ويُمكن أن يجبر الشخص على تعيين القصاص وأن يعانيه الآخر بدفع ضعفي الغرامات والتطهيرات، وسيتلقّى المتّهم نفسه غرامة طبقاً لِما ينصّ عليه

الناموس. إذا قتل عبدٌ سيّدَه في نوبة انفعالية، فإنّ أقارب القتيل يمكنهم أن يفعلوا به ما يسرّهم « شريطة أن لا يبقوا على حياته » وسيكونون متطهّرين. أو إذا قتل عبدٌ إنساناً حرّاً ليس سيده، فإنّ مالك العبد سيسلّمه إلى أقارب القتيل، وسيتعهّدون بأن يحكموا عليه بالموت، ويمكن أن يفعلوا ذلك بأيّة طريقة تسرُّهم. وإذا قتل أحد الأبوين بالضرب المبرح ابنَهما أو ابنتَهما في لحظة هوىً جامح « وذلك حدث نادراً، لكنّه يقع بعض المرات »، أو إذا فعلا ذلك في حادثة عنف أخرى، فإنّهما سيخضعان للتطهير عينه كما جرى في الحالات السابقة. وسيتعرّضان للنفي مدّة سنواتٍ ثلاثٍ، لكن عند عودتهما من المنفى تُفصل الزوجة عن زوجها، والزوج عن زوجته، ولن ينجبا الأطفال معاً بعد الذي حدث ولا يعيشان تحت سقف واحد ولا يشتركان في الطقوس المقدّسة عينها مع أولئك الذين جرّدوهم من طفل أو من أخ. وأمّا المعاند العاقّ في حالة كهذه فيمكن لمن يرغب أن يحضره للمحاكمة متّهماً أيّاه بالعقوق. إذا قتل زوج زوجته في نوبة غضب، أو إذا قتلت الزوجة زوجها، فإنّ القاتل سيخضع للتطهير عينه، وستكون مدّة النفي ثلاث سنوات. وعندما يعود الشخص الذي ارتكب الجريمة، فيجب ألاّ يُشارك أطفاله في الطقوس المقدّسة ويجب ألاّ يجلس على الطاولة عينها معهم. وإذا لم يطع الأب أو الابن هذا الناموس فسيكون معرّضاً لجلبه للمحاكمة بتهمة العقوق وذلك من قِبَل شخص يريد القيام بذلك. إذا قتل الأخ أخته أو قتلت الأخت أخاها في نوبة غضب، فإنّهما سيُعرّضان للتطهير والنفي، كما هي حالة الأبوين اللذين قتلا نسلهما. إنّهما لن يعيشا تحت سقف واحد، أو يشتركا في الطقوس المقدّسة لأولئك الذين جرّدوهم من إخوانهم، أو من أطفالهم. ومن يعاند سيكون عرضة لعقاب الناموس بعدل، الناموس الذي يختصّ بقضايا العقوق هذه. إذا كان أيّ شخص عنيفاً في انفعاله ضدّ آبائه،

وتجرّأ على قتل أحدهما في ثورة غضب، وإذا سامحه الشخص المقتول قبل أن يفارق الحياة، فالقاتل يجب أن يخضع للتطهير المخصّص للمذنبين بالقتل عمداً، وأن يفعل ما فعلوه، ولسوف يتطهّر. لكنّه إذا لم يتبرّأ من تهمته، فإنه سيكون عرضة لعقاب عدد من القوانين. إنّه سيكون عرضة لأقصى عقوبات الهجوم والعقوق وسرقة الهياكل، لأنّه سرق الحياة من أبويه. وإذا كان مستطاعاً قتل المرء مرتين أو أكثر، فسيكون من قتل أباه أو أمه في نوبة غضب، أحق الناس بذلك. كيف يستطيع فعل ذلك بين كلّ الرجال، حتّى دفاعاً عن حياته. وحتّى لو كان على وشك أن يقاسي الموت على يدي آبائه، فلا ناموس يسمح له بقتل أبيه أو أمّه اللذين هما سبب وجوده، وهذا هو من يفرض عليه المشرّع تحمّل أيّة شدة في سبيل والديه بدلاً من القيام بارتكاب هذا العمل المخزي - أقول، كيف يمكنه أن يتلقّى أيّ عقاب آخر بشكل قانوني؟ إن الموت إذن هو القصاص المخزي لمن يذبح أباه أو أمه في نوبة هوى جامحة. لكن إذا قتل أخٌ أخاه في شجار مدنيّ، أو في حالات أخرى مشابهة، وإذا كان البادىء هو المقتول، وكان القاتل في حالة دفاع عن النفس، فيجب أن يكون بريئاً من الذنب، كما لو أنّه ذبح عدوّاً. والناموس عينه يطبّق إذا قتل مواطن مواطناً آخر أو إذا قتل غريبٌ غريباً آخر، أو إذا قتل غريب مواطناً أو قتل مواطن غريباً في دفاع عن النفس. يجب أن يكون القاتل بريئاً من الذنب، بطريقة مماثلة، وهكذا في حالة إذا قتل عبدٌ عبداً آخر. لكن إذا قتل عبدٌ إنساناً حرّاً دفاعاً عن النفس، فيجب أن تطبّق عليه عقوبة من قتل أباه. فالقانون المتعلّق بإرجاء العقوبات في حالة قتل الأمّ أو الأب أو أحد الأقربين الأدنين يجب أن ينطبق على كلّ إرجاءٍ آخر بشكلٍ متساوٍ. متى يرجىء أيّ مُقاسٍ لهذه الجرائم ذنب قاتل الآخر، متى يرجئه من غير إكراه، بحجّة أن عمله كان عملاً اضطرارياً فيجب على

مرتكب العمل أن يتعرّض للتطهير وأن يُنفى لمدّة سنة وطبقاً للناموس.

لقد تكلّمنا بما فيه الكفاية عن جرائم القتل العنيفة والاضطرارية والتي إرتُكبت في لحظة انفعال.ينبغي علينا أن نتكلّم الآن عن الجرائم الإختيارية المرتكبة ظلماً ومن كلّ نوع وعن سابق إصرار وتصميم، وذلك نتيجة تأثير الملذات والرغبات والحسد.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: دعنا نتكلّم بادىء ذي بدء، قدر إمكاننا عن أنواعها المختلفة. إنّ السبب الأعظم لهذه الجرائم هي الشهوة، تلك الشهوة التي تسيطر على الروح والمخبّلة بالرغبة. وهذه الشهوة توجد بالشكل الأكثر شيوعاً حيث يحكم الهوى الذي هو الأقوى والأكثر سيادة وانتشاراً بين أفراد الجنس البشري. أعني، حيث قوّة الغنى تخلق رغبات لا نهاية لها، والتي لا يمكن إشباعها أبداً، لأنّها متأصّلة في نزعة طبيعيّة، وهي تفتقر للتعليم بشكل بائس. وسبب هذا الافتقار البائس للتعليم هو الثناء الباطل على الغنى والشائع بين الهيلينيين والبربر على حدّ سواء. إنّهم يعتبرون الغنى أوّل الخيرات وهو في الحقيقة ثالثها. وهم يُجيرون في هذه الطريقة على أجيالهم القادمة كلّها، إذ لا شيء يمكنه أن يكون أفضل وأنبل من تلك الحقيقة المتعلّقة بالغنى، والتي يجب الإفصاح عنها في جميع الدول ـ أعني، إنّ الغنى يكون من أجل الجسد، كما أن الجسد يكون من أجل الروح. إنّهما خيران وقد قُصِدَ الغنى ليكون من أجلهما بالطبيعة، ولهذا السبب فإنّه دونهما كليهما، وهو الثالث في نظام الامتياز. إنّ هذه المحاورة تعلّمنا أنّ الذي سيكون سعيداً ينبغي عليه أن لا ينشد الغنى، أو بالأحرى يجب عليه أن ينشد الغنى بالعدل والاعتدال، وحينئذ تنعدم جرائم القتل في الدولة، تلك الجرائم التي تحتاج لجرائم أخرى كي تزول. لكن الآن، وكما قلت قبلاً، أقول إنّ الجشع هو السبب الأوّل

والرئيسيّ ومصدر أسوأ تجارب جرائم القتل الاختياريّة. أمّا السبب الثاني فهو الطموح، والطموح يخلق الحسد، وهما رفيقان عسيران، وعسيران للرجل الحسود نفسه قبل كلّ الأشياء، وبدرجة أقلّ لرؤساء الدولة. وأمّا السبب الثالث فهو الجبن والخوف غير العادل اللذين كانا السبب المباشر للعديد من جرائم القتل. حينما يرتكب إنسان شيئاً ما ويرغب ألاّ يعرفه أيّ شخص أنّه مرتكبه أو أنّه ارتكبه، فإنّه سيقتل الذين سيخبرون عن أشياء كهذه، على الأرجح؛ هذا إذا لم يكن لديه وسائل أخرى للتخلّص منهم. وهذا القول يجب أن يقال كاستهلال، في ما يخصّ جرائم العنف بشكل عامّ، ويلزمني ألاّ أُغفِل عرفاً يصدقه العديدون بشكل لا يقبل الجدل، والذي تلقّوه من العارفين بالأسرار الإلهيّة السّريّة. يقولون هم إن أعمالاً كهذه سيُعاقَب عليها في العالم السفليّ، وأيضاً فإنّ مرتكبي الجرائم عندما يعودون إلى هذا العالم سوف يدفعون الغرامة الطبيعيّة المتوقّعة للمتضرّر وهذه الغرامة واجبة الأداء، وينهون حياتهم بأيدي الآخرين بطريقة مماثلة. وإذا اعتقد بهذا من هو على وشك أن يرتكب جريمة قتل، وإذا جُعِل بالإستهلال المجرّد يخاف عقوبة كهذه فلا حاجة لإكمال تصريح أو إعلان الناموس. لكن إذا لم يستمع أحد لما قلناه، فالناموس التالي يجب أن يُعلن وأن يُسجّل ضدّه: إنّ مَن سيذبح شخصاً من أبناء قبيلته بيديه ظلماً وعدواناً وعن سابق تصميم فإنّه سيُجرَّد من امتيازاته الشرعيّة بالدرجة الأولى، ولن يدنّس الهياكل، ولا الساحة العامّة، ولا المرافىء، ولا أيّ مكان من أماكن الاجتماعات، سواء أمنعه الرجال من ذلك أم لم يمنعوه. إنّ الناموس الذي يمثّل الدولة بمجملها يمنعه، ولسوف يواجهه ويمنعه على الدوام. وإذا لم يحاكمه ابن عمّ القتيل أو الأقرب نسباً إليه، سواء من جهة الذكر أو الأنثى، إذا لم يحاكمه عندما تجب محاكمته، ولم يعلن أنّه طريد العدالة، فإنّه يكون شريكاً في التدنيس

بالدرجة الأولى ويجلب على نفسه غضب الآلهة، حتى أن لعنة الناموس تثير أصوات الرجال ضدّه. وفي الدرجة الثانية فإنّه سيكون عرضة للتقديم للمحاكمة من قبل أيّ شخصٍ عازمٍ على إنزال عقوبة به نيابة عن الإنسان المتوفّى. وأمّا الذي سيثأر للقتل فسيراقب كلّ التدابير الوقائية لاحتفالات الغسل، وكذلك لأيّة احتفالات أخرى يأمر بها الله في حالات من هذا النوع. وعليه أن يعلن التصريح، وأن يشرع بالعمل ويجبر القاتل على مقاساة إجراء العدل طبقاً للناموس. وبعدُ فإنّ المشرّع يمكنه أن يبيّن بسهولة أنّ هذه الأشياء يجب أن تُنجز بالصلوات والأضاحي لآلهة محدَّدة، لآلهة تختصّ بمنع جرائم القتل في الدول. لكن من هم هؤلاء الآلهة، وما هو الأسلوب الصحيح لبدء محاكمات كهذه في اعتبارٍ للدِين واجبٍ أداؤه، فإنّ حماة الناموس يساعدهم في ذلك المؤوّلون والأنبياء والله هم الذين يقرّرون. وعندما يقرّرون دعهم ينفّذون المقاضاة عند الناموس. إنّ الدعوى سيكون القيّمون عليها القضاة أنفسهم الذين عُيّنوا لإتخاذ القرار في حالة لصوص الهياكل. ومن يدان بهذا الجرم يجب أن يُعاقب بالموت، وأن لا يُدفن في بلاد القتيل، لأنّ هذا العمل سيكون معيباً وعاقّاً. وإذا هرب القاتل ولم يقدِّم نفسه للمحاكمة، فيجب أن يظلّ هارباً إلى الأبد. لكنّه إذا وضع قدميه في أيّ مكان وعلى أيّ جزء من أجزاء بلاد القتيل، فأيّ قريب من أقرباء المقتول، أو أيّ مواطن يصدف أن يراه أوّلا ويقابله فله أن يقتله بسبب الإفلات من العقوبة، أو له أن يقيّده ويرسله لقضاة الحالة هذه، وذلك كي ينفّذوا به حكم الإعدام. وعلى المدَّعي أن يطلب كفيلاً من الذي يحاكم. هناك ثلاثة كفلاء كافون في رأي القضاة الحكّام الذين ينظرون في الدعوى، وسوف يجهّز هؤلاء الكفلاء الثلاثة، وهم سيباشرون تقديمه عند المحاكمة. لكنّه إذا كان غير مستعدّ أو غير قادرٍ أنّ يقدم

كفلاء، حينئذ فإنّ القضاة الحكّام سيقيّدونه بالأغلال ويقدّمونه عندما يحين يوم المحاكمة.

إذا لم يرتكب إنسان جريمة القتل بيديه، بل رسم خططاً لموت الغير، وكان مسبّب الفعل في القصد والتصميم، وإذا استمرّ ساكناً في المدينة، ولم تُطهَّر روحه من إثم القتل، فسوف يُحاكم بالطريقة عينها إلاّ فيما يتعلّق بالكفلاء. وإذا وُجد مذنباً أيضاً، يمكن أن تدفن جثّته في بلاده الأصليّة بعد إعدامه. لكنّ حالته ستكون كالحالة التي تطرّقنا لها سابقاً في كلّ الجوانب الأخرى. وإذا قتل غريب مواطناً، أو قتل مواطنٌ غريباً، أو قتل عبدٌ عبداً، فلا فرق في ما يتعلّق بجريمة القتل أكانت بيد القاتل أو بواسطة تيسير الوسائل لها، إلاّ في قضيّة الوكلاء. وهذه سيحتاج لها القاتل الحقيقيّ فقط، كما قلنا سابقاً، والذي يتقدّم بالإتّهام سوف يُلزِمهم بالحضور تحت طائلة العقوبة في الوقت عينه. إذا أُدين عبدٌ بذبح حرٍّ اختيارياً بيديه أو بالوسائل الأخرى، فعلى منفّذ الإعدام العامّ أن يأخذه باتّجاه الضريح، إلى حيث يمكنه رؤية قبر القتيل. ثم يضربه ضرباً موجعاً بعدد ما يأمر به المدَّعي العام. وإذا بقي على قيد الحياة بعد ذلك، فعلى المدَّعي العام أن يحكم عليه بالموت. وإذا قتل أيّ شخص عبداً لا بإثم ارتكبه بل خوفاً من أن يخبر العبد عن بعض أعمال دنيئة وسيئة ارتكبها، أو من أجل سبب آخر مشابه، ففي حالة كهذه على القاتل أن يدفع غرامة جريمة قتل وكأنّه قام بها ضدّ مواطن من المواطنين. هناك أشياء أرهب وأمقت من أن تستدعي التشريع بشأنها. لكن من المستحيل أن لا يُشرَّع بخصوصها في الوقت عينه. كمثال، إذا حدثت جريمة قتل لنسيب أو قريب، إمّا تمّ ارتكابها بأيدي أقرباء أو بواسطة وسائلهم، فإنّها جريمة مكرٍ وتعمّد على نحوٍ صِرْف، وهذه الجريمة تحدث غالباً في الدول ذات النظام السّيّىء والتعليم الدنيء. ويمكن أن تحدث حتّى

في البلاد التي لا يُتوقع حدوثها فيها. ينبغي علينا أن نردِّد مرّة ثانية القصّة التي رويناها منذ مدة قصيرة مضت، على أمل أنّ الذي يسمعنا سيكون الأكثر ميلاً للامتناع مختاراً عن جرائم القتل المقيتة، ويمتنع بناءً على هذه الأسس. إنّ الأسطورة، أو القول، أو مهما يمكنْ أن نسميه، قد أعلنه الكهنة في الزمان الغابر. لقد أعلنوا أنّ العدل الذي يحرس ويثأر لدم الأقرباء، يتبع ناموس مقابلة الأذى بمثله، ويقضي أنَّ مَن قام بارتكاب جريمة قتل يجب بالضرورة أن يعاني ويتحمَّل عواقب فعله. إنّ مَنْ ذبح أباه سوف يُذبح هو نفسه في الوقت نفسه أو في وقت آخر، وسيقوم أطفاله بهذا العمل. وإذا ذبح أمّه فإنّه سيتّخذ طبيعة المرأة بالضرورة، وسيفقد حياته على يدي ذريته في الأجيال القادمة. لأنّه حيث تمّ تدنيس دم العائلة فما من تطهير آخر غير الذي حكمنا به، ولا يمكن أن يُغسل الدنس حتّى تؤخذ روح المجرم القاتل، التي قامت بهذا العمل الدنيء، حتى تؤخذ بروح أخرى أي بموت القاتل. بهذا العمل تخلد العائلة كلّها للسكون وتسترضى. إنّ هذه العقوبات هي عقوبات السماء، ويجب أن يُردَع الرجالِ بعقوبات كهذه. لكن إذا لم يتمّ ردعهم، فإنّ أيّ شخص ستدفعه أية حادثة لتجريد أبيه أو أمه أو أخوته من الحياة طوعاً وعن قصد. وله سيشرِّع المشرِّع الأرضي كما يلي: ستوجد التصريحات عينها بشأن الحرمان من حماية الناموس، ولسوف توجد التأكيدات عينها التي حدثت في الحالات السابقة. لكن في هذه الحالة، إذا أُدين، فإنّ خدم القضاة مع القضاة الحاكمين سيذبحونه ويرمون جثّته عارية في مكان معيَّن خارج المدينة حيث تلتقي طرقات ثلاثة. وسيمسك كلّ حاكم قاضٍ بالنيابة عن المدينة كلّها، سيسمك بحجر ويرمي به على رأس الرجل الميّت، وهكذا سينقذون المدينة من الرجس والدنس. وبعد ذلك، سيحملونه إلى حدود البلاد، ويرمونه خارجاً في العراء دون دفن طبقاً

للناموس. وماذا سيكون عقاب مَنْ يذبح أفضل صديق له من بين كلّ الرجال، كما يقولون؟ أعني المنتحر، الذي يجرّد نفسه بالعنف من حصّته المعيَّنة في الحياة، لا لأنّ ناموس الدولة يحتاجه لفعل ذلك، وليس بسبب ألمٍ ما أو مصيبةٍ محتومة نزلت عليه، ولا بحجّة أنّه عانى من عارٍ لا سبيل إلى معالجته ولا يطاق، بل هو الذي يفرض على نفسه عقاباً جائراً يفرضه نتيجة خموله أو افتقاره للرجولة. وله أيّة أعياد توجد ذات تطهير ودفن فالله يعرف. وعلى الإنسان الأقرب له أن يسأل المؤوّلين بشأنها وأن يسأل عن القوانين المتّصلة بذلك أيضاً. وعليه أن يفعل أيضاً طبقاً لوصاياها. إنّ الذين يقابلون حتفهم بهذه الطريقة سيُدفنون وحيدين، ولن يُدفن أحدٌ بجانبهم. إنهم سيُدفنون بخزي في حدود أجزاء البلاد الاثني عشر، وفي الأمكنة السبخة والمجهولة، ولن يسجّل نُصبٌ منقوش مكان دفنهم. وإذا سبّب حيوان مفترس أو أيّ حيوان آخر الموت لأيّ شخص، إلا إذا حدث شيء من ذلك النوع لمتنافِسٍ في المباريات العامّة، فإن نسيب الميت سيقوم بمحاكمة القاتل لارتكابه جريمة القتل، وإذا أدين الحيوان المفترس فيجب أن يذبحوه، ولهم أن يرموه وراء الحدود. وإذا جرّد أيّ شيء لا حياة له إنساناً من حياته، إلاّ في حالة حدوث الصاعقة أو وقوع أيّة حركة مفاجئة مميتة أرسلتها الآلهة، سواء إذا قُتل الإنسان بوسائل لا حياة لها سقطت عليه، أو سقط عليها، حينئذ فإنّ النسيب الأقرب له سيعيِّن الجار الأقرب ليكون القاضي، وبتلك الوسيلة يبرىء نفسه ويبرىء العائلة كلّها من الذنب. وسيرمي الشيء الآثم ما وراء الحدود، تماماً كما قيل بشأن الحيوانات مسبقاً.

إذا وُجد إنسان ميتاً، وكان قاتله غير معروف ولم يُكتشف بعد بحث جاهدٍ ومتقن، فسوف يُوجد التصريح عينه كما وُجد في الحالات السابقة، كذلك التحريم عينه على القاتل. وبما أنّهم أقاموا الدعوى ضدّه، فلسوف

يعلنون في الساحة العامّة بواسطة مذيع، أنّ مَن ذبح شخصاً كهذا، ومَن أُدين بجريمة القتل لن تطأ قدماه أرض الهياكل، ولا كل أرض بلاد المغدور على الإطلاق. وإذا ما ظهر فيهما وتمّ اكتشافه فسيموت، وسيُرمى ما وراء الحدود بدون أن يُدفن. هكذا ستكون نواميس جرائم القتل مؤلفة من ناموس مفرد وحيد، ودع قضايا من هذا النوع يتمّ اعتبارها هكذا.

والآن دعنا نقول في أيّة حالات وتحت أيّة ظروف يكون القاتل بريئاً من الإثم بشكل حقيقيّ. إذا قبض إنسان على لصّ تسلّل ليلاً إلى بيته ليسرق، فأمسك به وقتله، أو إذا ذبح قاطعَ طريق دفاعاً عن النفس فإنّه سيكون بريئاً. وأيّ شخص يفعل العنف لامرأة حرّة أو لشابّ، فسوف يُذبح من جرّاء الإفلات من العقوبة، سيذبحه الشخص الذي وقع عليه الأذى أو أبوه أو أبوها أو أخوه أو أخوها أو أبناؤه أو أبناؤها. وإذا وجد إنسان زوجته تقاسي العنف، يمكنه أن يقتل المعتدي عليها، وأن يكون بريئاً في نظر الناموس. وإذا قتل شخصٌ شخصاً لصدّ الموت عن أبيه أو أمّه أو أطفاله أو أخوته أو زوجته الذين لم يؤذوا المعتدي، إذا فعل ذلك فإنّه يكون بريئاً بكلّ تأكيد.

سنتكلّم إلى هذا الحدّ في ما يتعلّق بتثقيف وتعليم الروح الحيّة للإنسان، والإنسان بالتثقيف والتعليم يستطيع أن يحيا، لكنّه لا يقدر على الحياة بدونهما لسوء الحظّ. وفيما يختصّ بالعقوبات التي ستُفرض للموت العنيف، فالتشريع بشأنها يجب أن ينتهي عند هذا الحدّ. لقد تكلّمنا عن تثقيف وتعليم الجسم سابقاً، وعلينا أن نتكلّم عن أعمال العنف، الاختيارية منها والاضطرارية بشكل منظّم، التي يقوم الرجال بها بعضهم ضد بعض. سنميّز هذه الأعمال قدر ما نستطيع، وذلك طبقاً لطبيعتها وعددها، وسنقرّر من العقوبات ما سيكون مناسباً لها. وهكذا نعيّن لها مكانها المناسب كذلك في سلسلة تشريعاتنا. إنّ المشرّع الأكثر فقراً في فنّه لن تكون لديه صعوبة في

تقرير أنّ الجراح والتشويه الناتج عنها، تلي حالات الموت من حيث الترتيب. الجراح يجب أن تُقسَّم كما تمّ تقسيم جرائم القتل، إلى اضطرارية تُنتج انفعالياً أو من الخوف، وكذلك المتعمّدة وعن سابق تصميم. ينبغي علينا أن نذيع بياناً ينصّ ما يلي، في ما يتعلق بهذا كلّه. يجب على الجنس البشري أن يمتلك نواميس، وأن يعمل وفقاً لها، وإلاّ فحياتهم ستكون حياة سيئة كما هي حياة الوحش المفترس[٧١]. وسبب هذا أنّ أحداً لا يقدر على معرفة ما هو الأفضل للمجتمع الإنساني، وإذا عرف فليس بقادر على الدوام أو مستعداً لفعل الأفضل. هناك صعوبة، في المقام الأوّل، في فهم أنّ فنّ علم السياسة الحقيقيّ لا يختصّ بالخير الخاصّ بل يختصّ بالخير العام. « فالخير العامّ يوثق الدول معاً، لكن الخير الخاصّ يحيِّرها ويلهيها فقط ». وفي فهم أنّ كلا الخيرين العام والخاص كما خير الأفراد والدول، فليس الخير الأعظم والذي يجب اعتباره أوّلاً وقبل كل شيء إلاّ خير الدولة وليس خير الفرد. وفي المقام الثاني، ورغم أنّ الشخص يعرف أنّ هذا القول صحيح وحقيقي نظريّاً، ومع ذلك إذا حاز هذا الشخص القوة المطلقة غير المسؤولة بعد ذلك، فإنّه لن يبقى ثابتاً على مبادئه ولن يُصرّ على اعتبار الخير العامّ كأنّه الشيء الأساسيّ في الدولة، وأنّ الخير الخاصّ شيء ثانويّ. إنّ الطبيعة الإنسانيّة ستجذبه نحو الجشع والأنانيّة، متجنّبةً الألم وممارِسةً اللذّة بدون تعقلٍ، وسوف تجعل الطبيعة هذه الأشياء في مقدّمة اهتماماتها، حاجبةً بعملها هذا ما هو الأعدل والأفضل. وبما أنّ الظلام استولى على روحه فإنّه سوف يملأها أخيراً بالشرور ومن ثمّ يملأ المدينة كلّها. إنّ الإنسان إذا خُلق هكذا موهوباً بهبةٍ إلهيّة، وذلك كي يمكنه فهم الحقيقة بشكل طبيعيّ، فإنّه لن يحتاج لحكم النواميس[٧٢]. إذ ما من ناموس أو نظام فوق المعرفة، ولا يمكن اعتبار العقل، بدون عقوق، أنّه تابعٌ أيّ إنسان أو عبده، بل يجب اعتباره

سيّد الجميع على الأصحّ. إنّني أتكلّم عن العقل الحقيقيّ والحرّ وفي اقتنائه الكامل لطبيعته. لكن لا وجود لعقل كهذا في أيّ مكان، أو على الأقلّ لا يوجد بمقدارٍ وافر. ولهذا السبب ينبغي علينا أن نختار الناموس والنظام اللذين يليان الأفضل. إنّهما ينظران إلى الأشياء كما هي بجزئها الأكثر، لكنّهما غير قادرين على أن يحسبا حساباً لكلّ حالة.

إنّ سبب قولي هذا هو أنّه يجب علينا أن نقرِّر الآن أيّة عقوبة ينبغي أن يتعرّض لها أو يعانيها من أنزل الأذى بالشخص الآخر أو جرحه. يمكن لكلّ إنسان أن يتخيّل أن الأسئلة التي يجب طرحها في كلّ هذه الحالات هي: ماذا جرح ذلك الشخص، أو من جرح، أو كيف، أو متى؟ فهناك حالات خاصّة لا تحصى من هذا النوع وتتنوّع من الواحدة إلى الأخرى بشكل كبير. ولكي نُيسّر لمحاكم الناموس أن تتّخذ قراراً بخصوص كلّ هذه الأشياء، أو لا تتّخذ فذلك يبدو مستحيلاً على الأرجح. هناك حالة واحدة خاصّة يجب عليهم أن يتّخذوا قراراً بشأنها في كلّ الحالات، إنّها سؤال الحقيقة. وبعدئذ فإنّ المشرِّع ينبغي أن لا يسمح لها أن تتّخذ قراراً بشأن أيّة عقوبة يلزم إنزالها في أيّة حالة من هذه الحالات، بل عليه أن يتّخذ قراراً بنفسه بشأنها كلّها، الصغيرة منها والكبيرة. وهذا من ثاني المستحيلات.

كلينياس: إلامَ الإشارةُ إذن؟

الأثيني: الإشارة إلى أن بعض الأشياء يجب أن تُترك لمحاكم الناموس؛ وأمّا الأشياء الأخرى فعلى المشرِّع أن يتَّخذ قراراً بشأنها بنفسه.

كلينياس: وماذا ينبغي على المشرِّع أن يقرِّر، وماذا عليه أن يترك لمحاكم الناموس؟

الأثيني: يمكنني أن أجيب بأنّه يقدر على فعل ذلك في دولةٍ تكون محاكم الناموس فيها سيّئة وصامتة، لأنّ القضاة يكتمون آراءَهم ويقرّرون الأسباب بشكل سرّي. أما الأسوأ فهو عندما يصفّقون ويصيحون مستهزئين أو مستهجنين

لذلك أو لهذا المدّعي بشكل فوضويّ وصاخب، وكأنّهم في مسرح. أقول هناك شرّ خطير جدّاً حينئذٍ سيؤثر على الدولة كلّها. إنّه لمِن سوء الحظّ أن نضطرّ للتشريع لمحاكم كهذه، لكن حيث تقضي الضرورة، ينبغي على المشرِّع أن يسمح لهم بتعيين الغرامات على الاعتداءات الأصغر فقط. وإذا كانت الدولة التي يشرِّع لها من هذه النوعية فيجب عليه أن يأخذ المسائل الأكثر أهميَّة بيديه بواسطة التدبير الاحتياطي الدقيق. لكن عندما تمتلك دولة محاكم جيّدة، ويكون القضاة فيها مدرّبين تدريباً جيّداً ومختَبَرين بشكل دقيق، يمكن لتقرير العقوبات والغرامات التي ستُفرض على المذنب أن تُترك لهم مع الفائدة. ولسنا نلام إذا لم نشرِّع في ما يختصّ بكلّ ذلك النوع الكبير من القضايا، والتي سيكون قضاة متّفقون بشكلٍ أسوأ بكثير من قضاتنا، سيكونون قادرين على أن يقرّروا ما يناسبها، وأن يعيّنوا لكلّ اعتداء ما يجب أن يحصل عليه القاتل والمتضرّر. نحن نعتقد أنّ الذين نشرِّع لهم لديهم القدرة الأفضل للحكم على ما نشرِّع، ولهذا السبب يمكننا أن نترك الجزء الأكبر لهم. وفي الوقت عينه، وكما قلت سابقاً، ينبغي علينا أن نعرض للقضاة موجز شكل العقوبات التي يمكن فرضها، كما فعلنا آنفاً. وحينئذ فهم لن يخالفوا ناموس العدل. إنّ التمرين الذي عاينّاه في ما مضى، والذي نفترض الآن أنه عمل المشرِّع هو تمرين ممتاز ويمكننا أن نردّده لفائدته الكبرى.

أما التشريع بشأن الجروح فيجب أن يكون في العبارات التالية: إذا كان لدى أيّ شخص القصد والنية لذبح آخر ليس عدوّاً له، فيجرحه لكنّه لا يستطيع قتله، فالشخص الذي نوى القتل لكنّه جرح الآخر فقط لا ينبغي أن يُشفق عليه. إنّه لا يستحقّ أيّ تفكير، بل يجب اعتباره قاتلاً وتلزم محاكمته بتهمة القتل. ومع احترامنا للقَدَرِ الذي مَنَّ عليه بطريقة ما، ومع

احترامنا للعناية الإلهية التي بعطفها عليه وعلى الجريح أنقذت أحدهما من الضربة القاضية، وأنقذت الآخر من القسمة البغيضة ومن الكارثة، وكشكر لتقديمه لهذا الإله، ولكي لا نعارض مشيئته، فإنّ الناموس في تلك الحالة سيخفّف عقوبة الإعدام ويجبر المعتدي على الهجرة إلى مدينة مجاورة فقط طيلة حياته، وسيبقى هناك متمتّعاً بكلّ ما يملك. أمّا إذا جُرح المتضرّر فإنّه سيقدّم تعويضاً عن الضرر الذي ألحقه به. والمحكمة هي التي تقدّر الدعوى وتقدّر قيمة التعويض. وسيتولّى الحكم القضاة أنفسهم الذين كانوا سيحكمون لو توفّي الإنسان من جراء جروحه. وإذا جرح صبيٌّ آباءَه عن قصد، أو إذا جرح خادم سيّدَه، فإنّ الموت سيكون عقاب الاثنين. وإذا جرح زوج زوجته، أو إذا جرحت زوجة زوجها، قصد القتل، فيجب أن يخضعا لنفي أبديّ. وإذا كان لديهما أبناء أو بنات صغار، فإنّ الحماة سيعتنون بممتلكاتهم. ويتولّون أمر العناية بالأطفال كأنّهم يتامى. وإذا كبر أولادهم فليسوا ملزمين بإعالة الآباء المنفيين، لكنّهم سيمتلكون ممتلكاتهم. أمّا الذي يتعرّض لمصيبة ولا أولاد له، فسيجتمع أقرباء الرجل المنفي معاً إلى منزلة العمومة، الذكور والإناث، وبعد عقد المشورة مع حماة الناموس والكهنة، سيعينون ٥٠٤٠ [5040]مواطناً ليكونوا ورثة البيت، آخذين بعين الاعتبار وبعلم المنطق أن أيّاً من بيوت الـ ٥٠٤٠ [5040] مواطناً لا يخصّ القاطنين أو يخصّ العائلة كلّها، بل الملكيّة الخاصّة والعامّة للدولة. وبعدُ فإنّ الدولة عليها أن ترغب بامتلاك بيوت مقدّسة وسعيدة قدر الإمكان. وإذا كان أي ساكن من سكّان البيوت غير سعيد، ووُسِمَ بالعقوق، ولم يترك المالك أيّة ذريّة وراءَه، ومات غير متزوّج أو متزوجاً بدون عقب، وقاسى عقوبة الموت كغرامة لجريمة القتل أو لجريمة أخرى ارتُكبت ضِدّ الآلهة أو ضد رفاقه المواطنين، أو إذا كان أحد المواطنين يعاني عقوبة النفي الدائم، ولا عقب له،

فإن ذلك البيت سيُطهَّر قبل كلّ شيء ويتعرّض لتكفيرٍ طبقاً للناموس. وبعدئذ دع أقارب صاحب البيتِ الأقربين، كما قلنا لتوّنا وكما قال حماة الناموس، دعهم يجتمعون ويأخذون بعين الاعتبار أيّة عائلة في الدولة تتمتّع بالسمعة الأعلى في الفضيلة وفي الحظّ السعيد أيضاً، وفيها عدد من الأبناء، دعهم يأخذون شخصاً واحداً من تلك العائلة ويقدمونه إلى والد أو إلى جدٍّ المغدور وكأنّه ابنهم. ومن أجل الفأل الحسن دعه يُسمَّى هكذا، وذلك ليمكنه أن يكون المواصل لبقاء عائلتهم، دعه يسمّى حافظ مأواهم ووكيل طقوسهم المقدّسة مع حَظّ أفضل ممّا كان عليه حظّ أبيه. وعند تقديمهم هذا الابتهال، سيجعلونه وريثهم طبقاً للناموس. وسيتركون الشخص الآثم بدون إسم وبدون عقب ولا حصّة له، عندما تفاجئه كارثة كتلك الكوارث.

وبعد فإنّ حدود بعض الأشياء لا يلامس بعضها بعضاً، لكنّ هناك حالة متوسطة بين حالتين، تمنعها من الملامسة. وقلنا سابقاً إنّ الأعمال التي ارتُكِبت انفعالياً هي من هذه الطبيعة، وتأتي في حالة وسط بين الأعمال الاختيارية والأعمال اللاإختيارية. هذا الناموس يجب أن يكون ناموسنا المختصّ بالجراح الحادثة انفعالياً وعن هوى جامح. إذا أدين شخص بذلك، فإنّه بالدرجة الأولى سيدفع قيمة الأذيّة التي ألحقها بالآخر مضاعفةً، إذا كان الجرح قابلاً للشفاء، وإذا لم يكن الجرح قابلاً للشفاء فإنّه سيدفع قيمة ما أُلحق بالشخص من أذى أربعة أضعاف، وإذا كان الجرح قابلاً للشفاء، ويسبب تشويهاً فاضحاً وكبيراً للشخص المتضرّر فإنّ الشخص المعتدي سيدفع للمتضرّر أربعة أضعاف. ومتى يجرح شخص شخصاً آخر فإنّه لا يؤذي هذا الشخص المتضرّر فقط، بل يؤذي المدينة، ويجعل الشخص الذي جرحه غير قادر على الدفاع عن بلاده ضدّ الأعداء، وعند ذلك، فإنّه سيدفع غرامة للخسارة التي استُهدِفت بها الدولة، إضافة إلى الغرامات الأخرى

المفروضة عليه. والغرامة التي ستفرض عليه هي أن يخدم بلاده بالنيابة عن الشخص الذي ألحق الضرر به، إضافةً إلى خدمته هو لبلاده المفروضة عليه، وسيحلّ محلّه زمن الحرب. وإذا رفض ذلك، فسيكون عرضة للمحاكمة من قِبَل أيّ شخص يرغب ذلك بحجّة رفضه الخدمة هذه. أمّا تعويض الضرر، سواء إذا كان ضعفين أو ثلاثة أو أربعة، فسيحدّده القضاة الذين أدانوه. وفي أسلوب مماثل، إذا جرح أخ أخاه، فإنّ آباه وأقرباء الجنسين الألزم، بما في ذلك أبناء الأعمام من جانب الذكور أو جانب الإناث على حدّ سواء، فإنّهم سيجتمعون، وعند حكمهم على السبب، سيعهدون بقيمة الأضرار المقدّرة إلى الآباء، وذلك شيء طبيعي. وإذا نشأ خلاف حول القيمة المقدّرة فإنّ الأقربين من جهة الذكور ستكون لهم سلطة القيام بتخمين القيمة حينئذ. وإذا لم يقدروا على القيام بذلك، فإنّهم سيتركون القضيّة لحماة الناموس في النهاية. وعندما يتقدّم الأبناء باتّهامات مشابهة ضدّ آبائهم، فإنّ واجب إقرار القرار سيتعلّق بأولئك الذين تتجاوز أعمارهم الستّين سنة، والذين يمتلكون الأبناء شرعاً، لا بالتبني. وإذا أُدين أيّ شخص، فهم الذين سيقرّرون إذا ما كان يجب أن يتعرّض المدان للموت أو عكس ذلك، أو أن يقاسي عقوبة أخرى أقسى من الموت أو ليس أقلّ منه بكثير. على أيّة حال، إنّ قريب المعتدي لن يُسمَح له بأن يحكم في الدعوى، حتى ولو كان في السنّ التي فرضها الناموس. إذا جرح عبد رجلاً حرّاً بتأثير نوبة غضب، فإنّ مالك العبد سيقدّمه للجريح، وهذا يمكنه أن يفعل به ما يسرّه. أمّا إذا لم يسلّمه مالكه، فإنّه، أي مالك العبد نفسه، سيقوم بإصلاح الأذى الذي أُلحق بالإنسان الحرّ. وإذا قال أيّ شخص إنّ العبد والجريح متآمران معاً، فللمالك أن يناقش المسألة. وإذا ربح دعواه، فسيكون الإنسان الحرّ الذي تآمر مع العبد عرضةً لعمل الخطف. وإذا جرح أيّ شخص شخصاً آخر عن غير

قصد، فإنّه سيدفع نتيجة ما أوقعه من أذى، إذ لا يمكن لمشرّع أن يقدر على التحكّم بالقدر. وفي حالة كهذه سيكون القضاة هم أنفسهم كالذين تمّ تعيينهم في حالة الأبناء الذين قاضوا آباءَهم، وهم سيقدِّرون قيمة الضرر الحاصل.

إنّ كلّ الأذيّات التي سبق ذكرها وكلّ نوع من أنواع التعديات تعتبر أعمال عنف. وعلى كلّ رجل، أو امرأة، أو إبن أن يعتبر أنّ كبار السنّ لهم حقّ الأفضلية على من هم دونهم سنّاً في الشرف والتكريم[٧٣]. وذلك حقّ بين الآلهة والرجال أيضاً، الرجال الذين سيحيون بسعادة. لذلك فإنه لشيء أحمق تمقته الآلهة أن يُرى إنسان مسنٌّ يهاجمه الشباب ويعتدون عليه في المدينة. وإنّه لشيء معقول أن يتحمّل الشابّ بلطف ويكظم غضبه عندما يضربه الأكبر منه سنّاً، مدَّخراً لنفسه التكريم عينه عندما يكبر ويصبح مسنّاً. وهذا هو الناموس الواجب تطبيقه في هذه الحالات: على كلّ شخص أن يبجّل الأكبر منه سنّاً في القول وفي العمل، وعليه أن يحترم أيّ شخص يكبره بعشرين سنة، سواء أكان ذكراً أو أنثى، معتبره أو معتبرها كأبٍ أو أمّ. وسيمتنع عن وضع يديه على أيّ شخص يقارب أن يكون له أباً أو أمّاً، وذلك احتراماً وخشية من الآلهة الذين يشرفون على الولادات. وبشكل مماثل فإنّه لن يرفع يديه بالضرب على غريب، سواء أكان يسكن المدينة قديماً أو وصلها لتوّه. إنّه لن يجازف بتصحيح شخص كهذا بالضرب، لا بالتعدّي الصارخ عليه ولا بالدفاع عن النفس. وإذا رأى أنّ غريباً ضربه بشكل لا مبرِّر له، أو بسبب إهانة أنزلها به، ولذلك يجب أن يُعاقب، فما عليه في هذه الحالة إلاّ أن يأخذه إلى حكّام المدينة المحليّين. لكن عليه ألاّ يضربه، وذلك لتفادي ألاّ يرفع الغريب يده لإهانة مواطن. وعلى حكّام المدينة المحليّين أن يأخذوا المعتدي ويفحصوه، متذكرين واجبهم نحو إله الغرباء. وإذا بدا أنّ

غريباً ضرب مواطناً ظلماً فعليهم أن يجلدوه بالسوط على عدد الضربات التي ألحقها الغريب بالمواطن، وعليهم أن يقمعوا وقاحته. لكن إذا كان الغريب بريئاً فإنّهم سيهدّدون ويوبّخون الرجل الذي اعتقله، والاثنان بعد ذلك يحق لهما أن يذهبا لشأنهما. إذا ضرب شخص شخصاً من مجايليه أو أكبر قليلاً، ولا أولاد له، وسواء إذا كان مسنٌّ يضرب مسنّاً مثله أو كان شابٌّ يضرب شابّاً مثله، إذا حصل ذلك، فللإنسان المضروب أن يدافع عن نفسه بالطريقة الطبيعيّة بيديه فقط وبدون استعمال السلاح. إنّ الإنسان الذي تعدّى الأربعين سنة، ويجرؤ على مقاتلة الآخر، سواء أكان هو المعتدي أو كان في حالة الدفاع عن النفس، هذا الإنسان سيُعتبر وقحاً وذا أخلاق سيئة وحقيراً. وسيُعتبر عقابه هذا عقاباً مشيناً، ولذلك فإنّه لعقابٌ مناسب له. إنّ الإنسان ذا الطبيعة المطيعة سيذعن سريعاً للعظة والتحذير هذين لكن العنيد والعاصي الذي لا يبالي بهذا الاستهلال، سيكون الناموس مستعدّاً له. إذا ضرب إنسان بقوّة إنساناً آخر يكبره بعشرين سنة أو أكثر ففي الدرجة الأولى على من يكون حاضراً، وهو ليس أفتى من المتقاتلين، ولا مساوياً لهما في السنّ، عليه أن يفصلهما وإلاّ سيُعاقب طبقاً للناموس. لكن إذا كان الشخص الحاضر مساوياً في العمر للشخص المضروب أو كان أفتى منه، فإنّه سيدافع عن الشخص المتعرّض للأذى وكأنّه يدافع عن أخٍ أو عن أبٍ أو حتّى عن قريب أكبر منه سنّاً. وأبعد من ذلك، إنّ مَن يجرؤ على أن يضرب بقوّة إنساناً مسنّاً يجب أن يُحاكم كمعتدٍ، كما قلت قبلاً. وإذا وُجد المعتدي مذنباً، فيجب أن يُحبس لمدّةٍ من الزمن لا تقل عن سنة. وإذا صادقَ القضاةُ على مدّة أطول، فإنّ قرارهم سيكون قراراً نهائيّاً لو أن غريباً أو غريباً مقيماً في البلاد ضرب شخصاً يكبزه بعشرين سنة أو أكثر، فإنّ القانون عينه سيطبّق بشأن مساعدة الواقفين قريباً من مكان العراك. والذي

يُوجَد مخطئاً في قضيّة كهذه، إذا كان غريباً وغير مقيم في المدينة، فإنّه سيُلقى في السجن لمدة سنتين. وأمّا الغريب المقيم في المدينة الذي يعصي النواميس، فسيُلقى في السجن لمدة ثلاث سنوات، إلاّ إذا حدَّدت له محكمة العدل مدّة أطول. وعلى مَنْ كان حاضراً في أيٍّ من هذه الحالات ولم يساعد طبقاً للقانون، عليه أن يُعاقَب على تلكّؤه، حتّى ولو كان من الطبقة الأعلى، وذلك بدفع غرامة مينا واحدة، وبدفع خمسين دراخما إذا كان من الطبقة الثانية، وبدفع ثلاثين دراخما إذا كان من الطبقة الثالثة، وبدفع عشرين دراخما إذا كان من الطبقة الرابعة. وسيُشكِّل قادة الجيش المحكمة في حالات كهذه.

لقد صيغ الناموس من أجل الرجال الأخيار جزئياً، وذلك كي يثقّفهم ليعيشوا كأصدقاء بعضهم مع بعض، وصيغ جزئياً من أجل أولئك الذين يرفضون أن يكونوا مثقّفين ومهذّبين، ومن أجل أولئك الذين لا يمكن تلطيف نفوسهم أو إخضاعهم أو منعهم من الغرق في السوء والشرّ. هؤلاء هم الأشخاص الذين يدفعونني لقول الكلمة التي أنا على وشك أن أتفوّه بها. إنّ الناموس يُشرِّع لهم ضرورة، وعلى أمل أن تنتفي الحالة لهذه النواميس. إنّ من يجرؤ أن يضع يداً عنيفة على أبيه أو أمّه، أو على أيّ قريب أكبر منه سنّاً، ولا يتملّكه خوفٌ لا من عقاب الآلهة عالياً ولا من العقاب الذي يتكلّمون عنه في العالم السفليّ، بل ينتهك العادات الغابرة والعالمية بازدراء، وكأنّه حكيم عظيم كي يصدِّقها، إنّ هذا الشخص يحتاج لمقياسٍ ما بالغ الصرامة من مقاييس منع هذا التعدي. وبعدُ فإنّ الموت ليس الشيء الأسوأ الذي يمكن أن يصيب الرجال، بل إنّ العقاب الذي يقال إنّه يلاحقهم في العالم السفلي هو الشيء الأسوأ بكثير. لكنّ القصص التي حُكيت هي القصص الأكثر حقيقة برغم ذلك، ومع ذلك فهي لا تفعل فعلها على أرواحِ

كهذه وتمنع التعدي. إذ لو كان لها أيّ تأثير لما وُجد قتلةٌ يزهقون أرواح أمّهاتهم، ولما وُجدت أيدٍ آثمة ترتفع ضدّ آبائها. ولهذا السبب فإنّ عقاب هذا العالم الذي يُنزل أثناء الحياة يجب أن لا يكون عقاباً قصيراً، إذا أمكن ذلك، وأن لا يكون أقلّ من أهوال العالم السفليّ. فناموسنا يجب أن يكون كالتالي إذن: إذا تجرّأ رجل على ضرب أبيه أو أمّه، أو جدّه لأبيه، أو جدّه لأمّه، وكان سليم العقل في الوقت عينه، فعلى أيّ شخص موجود أن يأتي للمساعدة كما قيل مسبقاً. وأمّا الغريب المقيم في المدينة أو الغريب الآتي إليها حديثاً فلسوف يُدعى إلى أخذ المكان الأوّل في الألعاب الرياضية. لكنّه إذا لم يهبّ للمساعدة فإنّه سيقاسي عقاب النّفي الدائم. وأمّا من جهة الذي لا يكون غريباً ويقيم في المدينة، إذا أتى لإنقاذ الأب أو الأم أو آبائهما، فسيُثنى عليه، وإذا لم يأتِ للإنقاذ فسيُذمّ. وإذا أتى عبدٌ للإنقاذ، فيجب أن يصبح حرّاً. وإذا لم يأتِ للإنقاذ، فيجب أن يتلقّى مئة ضربة على الوَرِك بأمرٍ من حكام الساحة العامّة المحليين. وذلك إذا حدث هذا في الساحة العامّة. لكن إذا حدث في مكان آخر من أمكنة المدينة ما وراء حدود الساحة العامّة، فإنّ أيّ حاكم من حكّام المدينة المحليين يسكن هناك سيتولّى أمر إنزال العقاب به. أمّا إذا حدث في مكان آخر من البلاد، فعلى قادة وحكام البلاد حينئذٍ أن يقوموا بذلك. وإذا حدث أن كان الساكنون في المكان عينه عند وقوع الاعتداء قرب المكان، وسواء إذا كانوا شباباً، رجالاً أو نساءً، إذا حدث ذلك فدعهم يأتون للإنقاذ وشجبِ الإعتداء وإدانتِه، على أنّه عمل عاقّ. وأمّا من لا يأتي إلى الإنقاذ فإنّه سيقع تحت لعنة زيوس إله الأقرباء والأسلاف، وذلك طبقاً للناموس. وإذا وجد أيّ شخص مذنباً بالهجوم على أبٍ، ففي المقام الأول يجب أن يختفي من المدينة ويذهب إلى البلاد، ويجب أن يمتنع عن الحضور إلى الهياكل. وإذا لم يمتنع عن ذلك،

فإنّ حكّام البلاد المحليين سيعاقبونه بالضرب، أو بأيّة طريقة تسرُّهم. وإذا عاد إلى المدينة فسيُحكم عليه بالموت. وإذا شاركه أيّ إنسان حرّ في الأكل والشرب، أو كانت له أيّة علاقة معه، أو إذا قابله ولمسه بشكل متعمّد، فإنّه لن يدخل إلى الهيكل، ولا إلى الساحة العامّة، ولا إلى المدينة، إلى أن يتطهَّر ممّا فعل. ينبغي عليه أن يعتبر أنّه أصبح ملطّخاً باللعنة. وإذا عصى الناموس، ولوَّث المدينة والهياكل بشكل مخالف للناموس، وإذا رآه أحد الحكّام القضاة ولم يقاضِه بالتهمة، فإنّ هذه المهمّة ستكون الاتّهام الأخطر عندما يُكشف حسابه.

إذا ضرب عبدٌ إنساناً حرّاً، سواء أكان غريباً أو مواطناً، فعلى أيّ شخصٍ حاضر أن يسارع لنجدته، وإلاّ دفع الغرامة التي ذكرناها سابقاً. وعلى المتفرجين أن يساعدوا الجريح في شدّ وثاق المعتدي وإرساله إلى الشخص المتضرّر، وبعد استلامه سيكبّله، ويُنزل به العديد من الضربات كما يحلو له. لكن بما أنّه عاقبه فيجب عليه أن يسلّمه إلى سيّده طبقاً للناموس، وأن لا يجرّده من ممتلكاته. إن الناموس يجب أن يكون كالتالي: إنّ العبد الذي يضرب إنساناً حرّاً، ليس بناء على أوامر القضاة، فإنّ مالكه سيتلقّى قيداً من المضروب، وعليه أن لا يفرج عنه حتى يقنع العبد الإنسانَ الذي ضُرِبَ بأنّه ينبغي عليه أن يُفرج عنه. ويجب آن توجد النواميس عينها لكلِّ حالات كهذه بشأن النساء في ما يتعلّق بهن، وبشأن الرجال والنساء في ما يتعلّق ببعضهم البعض.

محاورة النواميس

الكتاب العاشر

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: وبعد أن تكلّمنا عن أعمال الهجوم كلّها، دعنا نلخّص كلّ أعمال العنف في ظلّ ناموس واحد، وخاصّة أعمال الاعتداء على المقدّسات الدينية والهياكل. وإذا تفوّه أيّ شخص بكلمة غير شرعيّة، كأن يقول إنّ الآلهة غير موجودين، أو أنّهم إذا وجدوا، فهم لا يعتنون بالحياة الإنسانيّة، أو أنّه يمكن استرضاؤُهم وإبعادهم عن مقاصدهم بالأضاحي والهبات والصلوات، فسنردّ على هذا الشخص بلطف ونقول له: أوه يا ولدي، إنّك حديث السنّ، وسيجعلك تقدّم الزمن تنقض العديد من الآراء التي تؤمن بها الآن. إنتظر فترة قصيرة، ولا تحاول أن تحكم على الأشياء السامية في الوقت الحاضر. والأشياء السامية هي التي تتصوّر أنها لا شيء الآن، هي التي تحكم حقّاً بشأن الآلهة وبالتالي أن تحيا حياة صالحة أو تحيا عكس ذلك. وأستطيع أن أقول إنّه ما من أحدّ تبنّى في شبابه أنّ الآلهة غير موجودين ظلّ على هذا الرأي عينه إلى أن تقدّمت به السنّ، لنناقش هذه العقيدة القديمة زمناً والتي تقول إنّ الأشياء كلّها تأتي إلى الوجود، أو إنها أتت، أو ستفعل هكذا، بعضها بواسطة الطبيعة، وبعضها بواسطة الفن، والبعض الآخر بواسطة المصادفة.

يقول أصحاب هذه العقيدة إنّ الأشياء الأعظم والأجمل هي عمل الطبيعة والمصادفة، وإنّ الأشياء الأقلّ منها شأناً هي عمل الفنّ، يعني، أنّ كلّ

العناصر: النار، الماء، الهواء والتراب موجودة كلّها بواسطة الطبيعة والمصادفة، ولا يوجدها الفن. وكذلك وجدت الأرض، الشمس، القمر، والنجوم، وخلقت السماء كلّها بهذه الطريقة وكذلك الحيوان والنبات. لكنّها لم تأتِ إلى الوجود بواسطة عمل العقل، أو بواسطة أيّ إله، أو من الفن، بل أتت كلّها بواسطة الطبيعة والمصادفة فقط، وأنّ الأشياء الأقلّ منها شأناً هي من عمل الفنّ الذي هو عمل بدائيّ واصطناعيّ، ويقولون إنّ فنّ الطبّ والزراعة والرياضة البدنيّة، وحتى علم السياسة، تتعاون مع الطبيعة. وأمّا عمل التشريع فهو عمل الفنّ ويرتكز على الفرضيات التي ليست فرضيّات حقيقيّة. ويقولون، فوق كلّ ما قالوه، إنّ الآلهة لا يوجدون بالطبيعة، بل يوجدون بواسطة الفنّ ونواميس الدول التي تكون مختلفة في أماكن مختلفة. ويقولون إنّ مبادىء العدل لا توجد في الطبيعة على الإطلاق، بل إنّ الجنس البشريّ يقتتل بشأنها ويغيّرها على الدوام. أمّا الذين يقولون ذلك فهم الشعراء والكتّاب وما يسمّون بالرجال العقلاء. لكن لنسأل: ماذا ينبغي أن يفعل المشرّع في ظلّ كلّ هذه الأفكار المدمّرة؟ نحن نقول، يا كلينياس وميغيلوس، إنّ الذين يصنعون الروح طبقاً لأفكارهم الخاصّة العاقّة، يؤكّدون أنّ كلّ ما هو السبب الأوّل للنشوء والفساد ولكلّ الأشياء ليس السّبب الأوّل بل هو السبب الأخير، ولهذا السبب وقعوا في الخطأ بشأن طبيعة الآلهة الحقيقية. يبدو أنّهم جهلة بطبيعة الروح وقوّتها، وخاصّة في ما يختصّ بأصلها. إنّهم لا يعرفون أنّ الروح تُعتبر من بين الأشياء الأوائل، وقبل كلّ الأجسام؛ وهي السبب الرئيسيّ لتغيرها ونقلها. ويجب أن تكون الأشياء النسبية للروح سابقة على تلك التي تختصّ بالجسم ضرورة. والفكرة والانتباه والعقل والفنّ والناموس ينبغي أن تسبق كلّها تلك الأشياء الصلبة والطرية والثقيلة والخفيفة. والأعمال العظيمة والأساسية، ستكون كلّها أعمال الفنّ، وستأتي الطبيعة

وأعمال الطبيعة بعدها. ونحن، متمسكين بحبل الله، سنثبت بالبرهان وجود الآلهة وخلود الروح، ونقول، إنّ الأشياء بعضها متحرك وبعضها الآخر ساكن، وإنّ هناك حركاتٍ عشراً أساسيّة ورئيسيّة. ونحن ننسبها إلى الروح ونصفها بأنّها الحركة التي تحرّك نفسها على الدوام، كما أنّها تحرّك الأشياء الأخرى فاعلة في التركيب والتحلّل، وتحرّكها بواسطة الزيادة والنقصان والوّلادة والفناء. وهذه الحركة هي أسمى وأفضل وأعمّ من كلّ الحركات الأخرى بعشرة آلاف مرّة. ونحن نسمي هذه القوّة المتحركة بنفسها حياة. ونحن نمتلك معرفة ثلاثيّة عن الأشياء. وهذه الأشياء الثلاثة هي الجوهر، وتحديد الجوهر، وإسم الجوهر. ونحدّد الروح بأنّها الحركة التي تحرّك نفسها، وهّي الأصل الأوّل والقوّة المحرّكة لكلّ الذي كان، أو أصبح، أو سيكون، وكذلك لمضادّاتها. ونقول إنّ الروح سابقة للجسم، وإنّ الجسم هو الثاني ويأتي بعد ذلك، وإنّه مولود ليطيع الروح التي هي حاكمة. وإنّ الأشياء الروحيّة سابقة أيضاً على تلك التي للجسم. إذن، فإنّ الميّزات والتصرّفات والرغبات والتعقّلات والآراء الحقيقيّة والبصيرة والتذكّر، إنّ هذه كلّها سابقة للطول والعرض والعمق وقوّة الأجسام. ونقول إنّ الروح هي سبب الخير والشرّ ضرورة، سبب الشريف والسافل، سبب الظالم والعادل، وسبب كلّ المتناقضات الأخرى. ونقول إنّ الروح العاقلة الإلهيّة هي التي تنظّم السماوات أيضاً. وهناك روحان اثنتان، إحداهما هي مبدعة الخير وثانيتهما مبدعة الشرّ. والروح الخيّرة الأفضل تعتني بالعالم وتهديه إلى الطريق الصحيح بطوله، لكن إذ تحرّك العالم بطيش وعدم انتظام، فإنّ الروح الشريرة تقوده وتهديه. ونحن نقول، إنّ العقل والحركة الموجودين في مكان واحد يتحرّكان بالطريقة المماثلة لنظام متناسق، وطبقاً لتناسب ونظام واحد، مثل الحركة الأرضيّة. أمّا حركة النوع الآخر التي ليست حركة على غرار الطريقة عينها، ولا في

الشيء عينه، ولا حول الشيء عينه، ولا في ما يتّصل بالشيء عينه، وليست في مكان واحد، ولا في نظام واحد، ولا طبقاً لأيّة قاعدة أو تناسب؛ إنّ هذه الحركة يمكن القول إنّها تماثل الحمق والغباء. ونقول أيضاً إنّ الروح أو الأرواح الإلهيّة العاقلة الكاملة تحمل السماوات بشكل دائريّ، وتحمل الشمس والقمر والنجوم، وترتّب السنين والشهور والفصول. إنّ ما قلناه هنا كافٍ لنقض أفكار الذين ينكرون وجود الآلهة. ونقول لمن يعتقد بوجود الآلهة لكنّه لا يعتقد باهتمامهم بالشؤون الإنسانية، نقول له إنّك من حاجتك وإفتقارك لقوّة العقل والمنطق وصلت إلى اعتقادك هذا. وهذا الاعتقاد اعتقادٌ عاقّ آثم. ونؤكّد لك ولأمثالك أنّ الآلهة يهتمّون بالأشياء الصغيرة منها والكبيرة، وأنّهم أخيار بالكمال، ويعتنون بكلّ الأشياء بشكل كليّ. وسنقول لمن يعتقد أنّ الله دون العمال الإنسانيّين الذين ينهون ويكملون أعمالهم بالنسبة لبراعتهم، الصغيرة منها والكبيرة، إنّهم ينهونها بالفنّ الواحد والفن عينه. وسنقول له، إنّ الله حاكم العالم، رتّب كلّ الأشياء قصد الامتياز ووقاية الكلّ، وإنّ كلّ جزء، مهما كان بعيداً، امتلك فعلاً وانفعالاً مناسبين له. وسنقول له، إنّ الإبداع كان من أجل الكلّ، وذلك كي يمكن لحياة الكلّ أن تكون سعيدة ومباركة. وإنّ الأخيار هم السعداء أمّا الأشرار فإلى جهنم يذهبون ولبئس المصير. وسنقول له، إنّ الآلهة لا يمكن استرضاؤهم بالهدايا، وهم الذين يحمون مصالحنا الأنبل وهم الحماة الأفضل. ونحن سنحذّر الأشخاص العاقّين كلّهم أنّ عليهم أن يتركوا طرائقهم السيّئة ويتبعوا طريقة الثقات التقاة. أمّا المصرّون على عقوقهم، فلهم القصاص العسير عقاباً. كما أنّنا سنعاقب بشدّة من يستحضر أرواح الأحياء، ويقول إنّه قادر على أن يستحضر أرواح الأموات كذلك، وعقابهم سيكون الموت.

محاورة النواميس

الكتاب العاشر

الأثيني: وبعدُ بما أنّنا تكلّمنا عن أعمال الهجوم، دعنا نلخّص كلّ أعمال العنف في ظلّ ناموس واحد، هو التالي: لا أحد سيأخذ أو يحمل بعيداً أيّاً من أغراض جاره، ولن يستعمل أيّ شيء يخصّ جاره بدون موافقة المالك. إنّ هذه هي الإعتداءات التي كانت وما زالت وستبقى أبداً مصدر كلّ الشرور المذكورة آنفاً. لكنّ الإعتداءات الأعظم منها هي إسرافات وغطرسات الشباب. وعندما ترتكَبُ ضدّ الدين فإنّها تعتبر الإعتداءات الأعظم، وهي عظيمة بشكل خاصّ عندما تنتهك الشعائر الدينيّة المقدّسة والطقوس العامّة، أو الطقوس العامة جزئيّاً التي تشارك فيها القبائل والعشائر. وهي عظيمة في الدرجة الثانية حينما تُرتكب ضدّ الشعائر المقدّسة الخاصّة والضرائح، وتكون هكذا في الدرجة الثالثة « ولكي لا نردّد الأفعال المذكورة سالفاً »، عندما تُلقى الشتيمة على الآباء. أمّا النوع الرابع من أنواع العنف فهو يحصل، وبدون اعتبار لسلطة الحكّام، عندما يؤخذ أو يُحمل بعيداً أو يُوضع قيد الاستعمال أيّ شيء يخصُّ الحكّام دون موافقتهم. والنوع الخامس يحصل عندما تتطلّب مخالفة الحقوق المدنيّة بالفرد إصلاحاً. لا بدّ من ناموس عامّ يتضمّن هذه الحالات كلّها. وقد سبق وقلنا بعبارات عامّة، ما هو عقاب تدنيس المقدّسات والمعابد، سواء أكان التدنيس احتيالياً أو بالعنف. وبعد، فعلينا أن نقرّر ما هو عقاب الذين يتصرّفون بوقاحة ضدّ الآلهة، بالكلمة أو بالفعل. لكن علينا بدايةً أن نذكرهم وننصحهم ونحذّرهم بهذه العبارات التالية: لا أحد ممّن يطيعون النواميس ويؤمنون بوجود الآلهة ارتكب أيّ عمل

غير مقدّس عمداً قط، أو تفوّه بأيّة كلمة غير شرعيّة. لكن الذي قام بفعل ذلك قد افترض واحداً من أشياء ثلاثة: إمّا أنّ الآلهة غير موجودين، وهذا الاحتمال الأوّل، وإمّا، أنّهم لو وُجدوا فلا عناية لهم بالإنسان، وإمّا، أنّه تمّ استرضاؤهم وتهدئتهم وإبعادهم عن مقاصدهم بواسطة الأضاحي والصلوات.

كلينياس: ماذا سنقول لهؤلاء الأشخاص أو ماذا سنفعل بهم؟

الأثيني: يا صديقي الصالح، دعنا نسمع أوّلاً الدعابة والمزاح الذي أشتبه بأنّهم سيتفوّهون به ضدّنا بسبب تشامخهم.

كلينياس: أيّ مزاح؟

الأثيني: سيؤلّفون خطاباً ينقصه الوقار من هذا النوع قائلين: « أوه يا سكّان أثينا، ويا سكّان اسبارطة، ويا سكّان كنوسوس، إنّكم لمحقّون في ما تقولون. إنّ بعضنا ينفي الوجود الأكيد للآلهة، في حين أنّ الآخرين، كما تقول، يرون أنّ الآلهة لا يعتنون ولا يهتمّون بنا. وأمّا الباقون، فيقولون إنّ الآلهة ينحرفون عن مسلكهم بالهبات والهدايا. والآن قلنا إن من حقّنا أن نطالب، في المسائل القانونية كما تسمح أنت بذلك، وذلك قبل أن تكون قاسياً علينا وتهدّدنا، من حقّنا أن نطالبك بمحاورتنا وإقناعنا بوجهة نظرك ـ عليك، أوّلاً، أن تحاول تعليمنا وأن تقنعنا بوجود آلهة، بدلائل معقولة، وأنّهم أخيار جداً كي يُستعطفوا أيضاً وأن ينحرفوا عن مسلكهم بالهدايا وبشكل جائر. إنّنا عندما نسمع أشياء كهذه، قالها عنهم مَن يُعتبرون الشعراء الأفضل، والخطباء الأفضل، والأنبياء، والكهنة الأفضل، وقالها عددٌ لا يحصى من الرجال الآخرين، فإنّ أفكار الأكثرية منّا ليست مركّزة على الامتناع عن الأفعال الآثمة والجائرة، بل على فعلها والتكفير عنها[٧٤]. عندما يعلن المشرّعون أنّهم لطفاء وليسوا قساة، نتصوّر نحن أنّه يجب عليهم أن يقنعونا قبل كلّ شيء، وأن يبيّنوا لنا وجود الآلهة، إن لم يكن بأسلوب أفضل من أسلوب الآخرين،

فبأسلوب أحقّ على أيّة حال. ومَن يعرف أنّنا لن نفعل شيئاً سوى أن نولي آذاناً صاغية لِما تقول؟ إذا كان طلبنا عادلاً، إقبل تحدّينا من فضلك ».

كلينياس: لكن هل هناك صعوبة في إثبات وجود الآلهة؟

الأثيني: كيف ستبرهن ذلك؟

كلينياس: كيف؟ في المقام الأوّل، إنّ الأرض والشمس، والنجوم والعالم، ونظام الفصول الجميل، وتقسيمها إلى سنوات وشهور، تقدّم البرهان على وجودهم. هناك أيضاً حقيقة أنّ كلّ الهيلينيّين والبربر يعتقدون بهم.

الأثيني: أخشى، يا صديقي الحلو الطعم، رغم أنّني لن أقول إنّ هذا شيء كثير فإني أخشى قلّة الاحترام التي سيجابهنا بها المجدّفون على الأرجح. إنّك لا تفهم طبيعة تذمّرهم وتوهّمهم أنّهم يندفعون إلى العقوق طلباً للّذة الحسيّة فقط.

كلينياس: لماذا، أيّها الغريب، هل هناك سبب آخر؟

الأثيني: هناك سبب واحد، وأنتم الذين تعيشون في جو مختلف، لن تخمّنوه أبداً.

كلينياس: وما هو؟

الأثيني: إنّه نوع محزن جدّاً من أنواع الجهل يُتصوّر أنّه الحكمة الأعظم.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: هناك قصص محفوظة كتابةً في أثينا وترفض فضيلة الدولة أن تعترف بها، كما أُخبرت بذلك. إنّها تتحدّث عن الآلهة نثراً كما تتحدّث عنهم شعراً. وتخبر القصص الأقدم منها عن أصل السماوات وأصل العالم، وليس بعيداً عن بداية قصّتها تتقدّم القصص هذه لتحكي عن ولادة الآلهة، وكيف تصرّفوا بعضهم نحو بعض بعد أن ولدوا. وسواء أكان لهذه القصص تأثير سيّىء أو صالح بطرق أخرى، فلا يلزمني أن أكون قاسياً عليها لأنها قصص قديمة، لكنني وأنا أنظر إليها من جهة ما يتعلّق بواجبات الأبناء نحوِ آبائهم،

لا أستطيع الثناء عليها، أو أتصوّر أنها قصص نافعة، أو أنّها حقيقية على الإطلاق[٧٥]. ليس لديّ أي شيء أقوله عن كلمات الغابرين، وإنّي لأرغب أن أقول عنها ما يرضي الآلهة فقط. لكن في ما يتعلّق بنشئنا الفتيّ وحكمتهم، فإنّي لا أستطيع تركهم عندما ينزعون إلى الأذى والإزعاج. لكنّي لا أفعل سوى تدوين أثر كلماتهم. عندما نتحاور، أنت وأنا، عن وجود الآلهة، متمثلين بالشمس والقمر، والنجوم، والأرض، معتبرينها مخلوقات إلهيّة، فإنّ الذين اقتنعوا بالفلاسفة الآنفي الذكر سيقولون إنّها أرض وأحجار فقط[٧٦]، ولا يمكنها أن تهتمّ بشؤون الإنسان على الإطلاق، وأنّ الدِّين كلّه هو طهو كلام وكلمات واختلاق اعتقاد.

كلينياس: إنّ أستاذاً واحداً من هذا النوع، أيّها الغريب، سيكون أستاذاً سيّئاً بما فيه الكفاية، وأنت تلمّح إلى وجود العديد منهم، وهذا ما يزيد الطين بلّة.

الأثيني: حسناً إذن، فماذا سنقول أو نفعل؟ هل سنفترض أنّ شخصاً واحداً يتّهمنا بأنّنا من الرجال العاقين، وسيقول لنا كما يقول المدافعون في قضايا التشريع: إنّه لشيء مروّع أن تشرّعوا على افتراض وجود آلهة! فهل سنقوم بالدّفاع عن أنفسنا؟ أو هل سندعهم وشأنهم ونعود إلى نواميسنا خشية أن يصبح الاستهلال أطول من الناموس؟ إنّ المحادثة ستمتدّ لمسافة طويلة، إذا ما وجب علينا أن نعامل الرجل المطبوع على العقوق كما يرغبون، عارضين لهم، عند تطويلٍ ما بشكل جزئيّ، الأشياء التي يطلبون لها إيضاحاً، جاعلينهم خائفين أو غير قانعين جزئياً، ومتقدّمين إلى التشريعات الأساسيّة بعدئذ.

كلينياس: نعم، أيّها الغريب، لكنّنا لطالما ردّدنا أنّه ما من سببٍ مباشر في الوقت الحاضر يجعلنا نفضّل الاختصار على التطويل! ومن يكون « عند عَقِب أقدامنا »، كما يقول المثل ـ وإنّه لشيء جدير بالازدراء والسخرية أن نفضّل

الطريقة الأقصر على الطريقة الأفضل. إنّها لمسألة ليست صغيرة العواقب في طريقة ما أو في أخرى، أن نعطي محاورة مقنعة عن وجود آلهة، وأنّهم أخيار، وأنهم يعتبرون ويقدرون الخير أكثر ممّا يقدره الرجال. إنّ عرض هذا الاستهلال سيكون افضل نواميسنا وأنبلها كلها. ولهذا السبب، دعنا نتأمّل القضيّة بمجملها، بدون تحفّظ، بدون يأس، وبدون سرعة، ودعنا نستجمع كلّ ما لدينا من قوّة إقناع.

الأثيني: وأنا أرى جديتك في ما تقول، فإنّي سأُسَرُّ بتقديم صلاةٍ لأتمكّن من مواصلة البحث. لكن يجب عليَّ أن أواصل البحث حالاً. مَن يمكنه أن يهدأ عند استدعائه ليبرهن وجود الآلهة؟ مَن يمكنه أن يتفادى كره ومقت الرجال الذين هم سبب هذا الجدل أو كانوا سببه؟ إنّي أتكلّم عن أولئك الذين لن يصدّقوا القصص التي سمعوها كأطفال رضَّعٍ من أثداء أمهاتهم وممرّضاتهم، قصصاً يكررنها وقت المزاح ووقت الجدّ. إنّها قصص ساحرة سمعوها أيضاً في صلوات التضحيات مصاحبةً بالمشاهد، مشاهد وأصوات سارّة جدّاً للأطفال - وأمّا آباؤهم فقد أبدوا منتهى الجديّة بالنيابة عن أنفسهم وعن أطفالهم أثناء تقديم الأضاحي، وتكلّموا إلى الآلهة بشوق، وتضرّعوا إليهم، وكأنّهم اقتنعوا بوجودهم بشكل ثابت. وهم الذين سمعوا ورأوا، بطريقة مماثلة، السجود والابتهال الذي قدّمه الهيلينيون والبربر عند طلوع الشمس والقمر وعند غروبهما في تعاقبات الحياة كلّها. لقد فعلوا ذلك ليس لاعتقادهم بعدم وجود آلهة، بل لأنّه لا شكّ بوجودهم، ولا اشتباه أو ريبة بعدم وجودهم عندما يستخفّ الرجال بهم على أسس واقعيّة، وهم عارفون بكلّ هذه الأشياء، كما يعترف بها كلّ الذين لديهم ذرّة من العقل. وحينما يجبروننا على أن نقول ما نقوله الآن، فكيف يستطيع أيّ شخص أن يحتج بعبارات لطيفة شبيهة بما نقول، عندما نثبت

لهم بالبرهان وجود الآلهة بالذات؟ وبرغم ذلك يجب أن توجد المحاولة، لأنّه من غير اللائق أن يُجنَّ نصف الجنس البشريّ في شهوتهم لنيل اللذّة، وأن يذهب النصف الآخر في سخطهم على هؤلاء الأشخاص. إنّ خطابنا لهذه الطبائع الضالّة والمنحرفة يجب ألاّ يُتلى انفعاليّاً. لنفترض أننا نختار واحداً منهم، ونتكلّم معه بشكل منطقيّ وبلطف، كاظمين غضبنا. سنقول له: أوه يا ولدي، إنّك لفتيّ، وسيجعلك تقدّم الزمن تنقض العديد من الآراء التي تؤمن بها الآن. إنتظر فترة قصيرة، ولا تحاول أن تحكم على الأشياء الأسمى في الوقت الحاضر. إنّ الأشياء الأسمى هي تلك التي تعتقد أنّها لا شيء الآن، لتحكم حقّاً بشأن الآلهة وبالتالي أن تحيا جيّداً أو عكس ذلك. ودعني أوّلاً أعيّن لك نقطة رئيسيّة ذات أهميّة عظيمة لا يمكن أن أُخدع بشأنها. إنّك وأصدقاؤك لستم أوّل من تمسّك بهذا الرأي بشأن الآلهة. لقد وُجد أشخاص على الدوام أكثر أو أقلّ عدداً كانت لديهم الفوضى عينها. لقد عرفت العديد منهم وأستطيع أن أخبر أنّه ما من أحد كان يرى في شبابه أنّ الآلهة غير موجودين، ثابر على هذا الرأي عندما تقدّمت به السنّ. إنّ الرأيين الآخرين يستمرّان في بعض الحالات بكلّ تأكيد، لكن ليس في العديد منها. أعني، فكرة أن الآلهة موجودون، لكنّهم لا يهتمّون بالأشياء الإنسانيّة، بل إنّهم يتمّ استرضاؤهم بالأضاحي والصلوات. أمّا في ما يتعلّق بالرأي بشأن الآلهة الذي يمكن أن يصبح واضحاً لك، فإنّني أنصحك بأن تنتظر وتتأمّل مليّاً إذا كان هذا الرأي صحيحاً أو باطلاً. إسأل عن رأي الآخرين، واسأل رأي المشرّع قبل كلّ الأراء. وفي الوقت عينه كن حذراً أن لا تأثم ضدّ الآلهة. إنّ واجب المشرّع كان وسيبقى دائماً هو أن يعلّمك حقيقة هذه القضايا.

كلينياس: إنّ خطابنا، أيّها الغريب، هو خطاب ممتاز لهذا الحدّ.

الأثيني: حقيقيّ تماماً، يا ميغيلوس وكلينياس، لكنّني أخشى من أنّنا سلطنا الضوء على عقيدة غريبة بدون أن نشعر.

كلينياس: أيّة عقيدة تعني؟

الأثيني: أعني العقيدة الأعقل من العقائد كلّها، برأي الكثيرين.

كلينياس: أرغب إليك أن تتكلّم بشكل أوضح.

الأثيني: عقيدة أنّ كلّ الأشياء تأتي إلى الوجود، أو أنّها أتت، أو ستفعل ذلك. يأتي بعضها إلى الوجود بواسطة الطبيعة، وبعضها بواسطة الفنّ، والبعض بواسطة المصادفة.

كلينياس: أليس ذلك صحيحاً.

الأثيني: حسّناً، لربّما كان الفلاسفة محقين؛ على كل حال يمكننا أن نتبع مسلكهم أيضاً، وأن نفحص ماذا يعنون، وما معنى تابعيهم.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: يقولون إنّ الأشياء الأعظم والأجمل هي عمل الطبيعة والمصادفة، وإنّ الأقلّ منها شأناً هي عمل الفنّ، وهذه الأشياء تتلقّى من الطبيعة الإبداعات الأكبر والبدائيّة. والفنّ يقولب ويصوغ كلّ تلك الأعمال الأقلّ شأناً والتي تدعى أعمالاً اصطناعيّة بشكل عامّ.

كلينياس: كيف يكون ذلك؟

الأثيني: سأشرح معناي بشكل أكثر وضوحاً. يقولون إنّ النار والماء والتراب والهواء، كلّها موجودة بواسطة الطبيعة والمصادفة. ما من واحد منها موجود بواسطة الفنّ. وأمّا في ما يتعلّق بالأجسام التي تأتي تالياً في نظام: الأرض، الشمس، القمر، والنجوم، ـ فإنّها خُلقت بواسطة هذه الموجودات غير الحيّة بشكل مطلق. إنّ العناصر حُرِّكت كلٌّ بمفرده بالمصادفة وبقوّة ما متأصّلة بينها لألفاتٍ محدَّدة: من الحارّ مع البارد، أو من الجافّ مع الرطب، أو من

الطريّ مع الصلب، وطبقاً لكلّ الامتزاجات العرضيّة للمضادّات التي صيغت بواسطة الضرورة. بهذا الشكل وبهذه الطريقة خُلقت السماء كلّها، وخُلق كلّ ما في السماء، كما خُلقت الحيوانات وكلّ النباتات، ونشأت الفصول جميعها من هذه العناصر، لكنّها لم تأتِ عن طريق عمل العقل، كما يقولون، أو بواسطة أيّ إله، أو من الفنّ بل هذه كلّها أتت بواسطة الطبيعة والمصادفة فقط. أمّا الفنّ فإنّه نشأ بعد ذلك ومن هذه الأشياء، وكذلك الفاني والولادة الفانية، وأُحدثت في العمل صور محدَّدة وتقليدات جزئيّة جدّاً للحقيقة، ولها أُلفةٌ بعضها مع بعض، تماماً مثلما تُخلق الموسيقى والرسم باليد وكما تُخلق الفنون الوصيفة لهما وإذا وجدت أيّة فنون أخرى تنجز هدفاً جديّاً، فإنّ هذه الفنون تتعاون مع الطبيعة، كفنّ الطبّ مثلاً، وكفنّ الزراعة، وفنّ الرياضة البدنيّة. ويقولون إنّ علم السياسة يتعاون مع الطبيعة، لكن بشكل طفيف، ولديه من الفنّ أكثر ممّا لدى الفنون الأخرى. وهكذا فإنّ عمل التشريع هو عمل الفنّ بشكل كليّ، وهو مركَّز على الفرضيّات التي ليست فرضيّات حقيقيّة.

كلينياس: كيف تعني؟

الأثيني: هؤلاء الناس سيقولون أوّلاً، يا صديقي، سيقولون إنّ الآلهة لا يوجدون بالطبيعة، بل يوجدون بواسطة الفنّ وبواسطة نواميس الدول التي تكون مختلفة في أماكن مختلفة، وذلك طبقاً لاتفاق مشرّعيها. وسيقولون إنّ الشريف يكون شيئاً ما بالطبيعة وشيئاً آخر بالناموس، وإنّ مبادىء العدل لا توجد في الطبيعة على الإطلاق، بل إنّ الجنس البشريّ يقتتل من أجلها ويغيّرها على الدوام. وسيقولون إنّ التغييرات التي تُعمل بالفنّ وبالناموس ليس لها أساس في الطبيعة، لكن لديها سلطة لفترة قصيرة وفي الزمن الذي أُوجدت فيه. إنّ هذه الأقوال، يا صديقي، هي أقوال الرجال العقلاء، أقوال

الشعراء والكتّاب التي تجد لها طريقاً إلى أفكار الشباب. لقد قالوا لهم إنّ الحقّ الأعلى هو القوّة، وبهذه الطريقة يقع الشباب في العقوق، متوهّمين أنّ الآلهة ليسوا وفق ما يأمرهم الناموس أن يتصوّروهم. ومن هنا تنشأ الشّقاقات. إنّ هؤلاء الفلاسفة يدعونهم ليحيوا حياة حقيقيّة طبقاً للطبيعة، يعني، أن يحيوا وقد سادوا الآخرين، ولم يخضعوا لهم(٧٧).

كلينياس: أيّة صورة مخيفة ترسمها، أيّها الغريب، هذه التي أعطيتها لتوّك! وما أعظم الأذى الذي يُنزل على الرجال الشبان هكذا وذلك لخراب الدول والعائلات على حدّ سواء.

الأثيني: حقّاً، يا كلينياس، لكن ماذا ينبغي على المشرّع أن يفعل إذن عندما يكون هذا الشرّ ذا ثبات طويل الأمد؟ هل ينبغي عليه أن يثور في الدولة فقط ويهدّد الجنس البشريّ كلّه معلناً أنّهم إذا لم يقولوا أو يعتقدوا أنّ الآلهة هي هكذا وهكذا كما يقضي الناموس « ويمكن لهذا الشيء أن يمتدّ ليشمل الشريف والعادل وكلّ الأشياء الأسمى بشكل عامّ، وكل ذلك الذي يتّصل بالفضيلة والرذيلة، وهم في هذه كلّها عليهم أن يجعلوا أعمالهم تماثل الخطّة التي أعطاهم الناموس إيّاها »، حينئذ فإنّ مَن يرفض إطاعة الناموس سيموت، أو يقاسي الجَلْدَ والاعتقال، أو الحرمان من مواطنيّته، أو يُعاقب في بعض الحالات بفقد ممتلكاته وبالنفي؟ ألا يلزمه بالأحرى عندما تسنّ نواميس للرجال، ألا يلزمه أن يسكب في كلماته نفسيّة الإقناع في الوقت عينه، وأن يُلطّف حِدّتها قدر ما يستطيع؟

كلينياس: لماذا، أيّها الغريب! إذا كان إقناع كهذا ممكناً على الإطلاق، حينئذ فإنّ أي مشرّع يمتلك شيئاً في نفسه لا ينبغي أن يتعب أبداً بإقناع الرجال، بل يجب عليه أن لا يترك أيّ شيء غير محكيّ في دعم الرأي القديم وهو وجود آلهة، وكذلك في دعم كلّ تلك الحقائق الأخرى التي ذكرتها لتوّك.

عليه أن يدعم الناموس والفنّ أيضاً، وأن يعترف أنّ كليهما موجودان بالطبيعة بشكل متشابه، وهما ليسا بأقلّ وجوداً من وجود الطبيعة، إذا كانا إبداعا العقل في تطابقٍ مع الرأي الحقّ. وهذا ما يبدو لي أنّك تؤكّده. وإنّني لميّال للاتفاق معك في هذا التفكير.

الأثيني: نعم، يا كلينياس المتحمّس، لكن أليست هذه الأشياء صعبة الفهم عندما تكلّم بها الكثرة من الناس، عدا عن أنّهم يستغرقون وقتاً طويلاً كثيباً في فعل ذلك؟

كلينياس: لماذا، أيّها الغريب، هل سنتعب الآن من التحدّث بشأن الآلهة وبشأن الأشياء الإلهيّة، ونحن الذين لم نخفق أبداً عندما يدار الشراب أو عندما تكون الموسيقى موضوع محادثتنا؟ إنّ هذا التّحقيق ستكون له آثار عظيمة مساعدة للمشرّع العقلاني، إذ إنّ النواميس عندما تُكتب لمرّة فهي تأخذ طابع الاستقرار على الدوام، ويمكن اختبارها في أيّ زمن مستقبليّ. ولهذا السبب، إذا بدت صعبة لدى سماعها أول مرّة، فلا سبب لعدم فهمها. إنّ أيّ إنسان، مهما كان غبيّاً، يقدر على أن يختبرها ويدرسها ويتأمّلها مليّاً، مرّة واثنين وثلاثاً، حتى إذا كانت مملّة فإنها نافعة. هل هناك عقل أو دين، كما يبدو لي، في أيّ إنسان يرفض تأكيد مبادئها بأقصى ما لديه من قوّة.

ميغيلوس: إنّي أحبّ ما يقوله كلينياس، أيّها الغريب.

الأثيني: نعم، يا ميغيلوس، ونحن علينا أن نفعل كما يقترح. إنّ الأحاديث العاقّة إذا لم تُنشر وتُنشر في كلّ مكان من العالم، كما أقول، فلا حاجة لأيّ إثبات لوجود الآلهة. وإذا لاحظنا أنّ هذه الأحاديث عمّت وانتشرت طولاً وعرضاً، فإنّ هكذا نقاشات نحتاج إليها للردّ على ما يقولون. ومَن ينبغي أن يأتي لنجدة أعظم النواميس عندما يقوّضها الرجال الأشرار، مَن سيفعل ذلك سوى المشرّع نفسه؟

ميغيلوس: لا يوجد بطل مناسب منهم بعدُ.

الأثيني: حسناً إذن، أخبرني، يا كلينياس، إذ عليّ أن أسألك لتكون شريكي، هل مَنْ يتكلّم بهذه الطريقة يتصوّر أنّ النار والماء والتراب والهواء هي العناصر الأولى لكلّ الأشياء(٧٨)؟ إنّه يسمّي هذه الأشياء الطبيعية، ويفترض أنّ الروح صيغت من خارجها بعد ذلك، وهذا الحدس مجرّد حدس لنا بخصوص معناه، بل إنّه هو ما يعنيه حقاً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: إذن، وبحقّ السماء، لقد اكتشفنا مصدر هذا الرأي العقيم لكلّ أولئك الباحثين الطبيعيين. وأريدك أن تفحص جدالهم بعناية متناهية، لأنّ الفرق لن يكون صغيراً إذا استطعنا أن نبيّن أنّ أولئك الذين ينهمكون في جدالات عاقّة، والذين يقودون الآخرين على غير هدى ويضلّلونهم، أولئك يستخدمون جدالاً ضعيفاً منطقيّاً منذ البدء. وهذا ما أراه كذلك.

كلينياس: إنّك لمحقّ في ما تقول؛ لكنّني أحبّ أن أعرف كيف يحدث هذا.

الأثيني: أخشى أن يكون هذا جدالا شخصياً وشاذّاً.

كلينياس: لا تتردّد، أيّها الغريب؛ أرى أنّك خائف من مباحثات كهذه، مباحثات تحملك ما وراء حدود التشريع. لكن إذا لم يكن هناك أيّة طريقة أخرى لتبيين اتفاقنا في تعليل وجود الآلهة مسنداً بالنواميس الموجودة، فدعنا نسلك هذه الطريقة، يا سيّدي الصالح.

الأثيني: أفترض إذن أنّه ينبغي عليّ أن أواصل محاورتي غير الاعتياديّة. إنّ الذين يضعون الروح طبقاً لأفكارهم الخاصّة العاقّة، يؤكّدون أنّ السبب الأوّل لنشوء كل الأشياء وفسادها، ليس هو السبب الأوّل بل إنّه السبب الأخير، وأنّ ما هو السبب الأخير هو السبب الأوّل. ولهذا السبب أخطأوا بشأن طبيعة الآلهة الحقيقية.

كلينياس: يبقى أنّني لا أفهم ما تقول.

الأثيني: يبدو يا أصدقائي أنّهم كلّم جهلة بطبيعة وبقوّة الروح، خاصّة بأصلها. هُمُ لا يعرفون أنّها من بين الأشياء الأوائل، وقبل كلّ الأجسام، وهي السبب الرئيسيّ لتغييرها ونقلها. وإذا كان هذا حقيقياً، وإذا كانت الروح أقدم من الجسم، أفلا يجب أن تكون الأشياء ألنسيبة للروح سابقة لتلك التي تختصّ بالجسم ضرورة؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إذن فإنّ الفكرة والانتباه والعقل والفنّ والناموس سابقة كلّها على تلك الصلبة والطريّة والثقيلة والخفيفة. والأعمال العظيمة والأساسيّة وكذلك الأفعال، ستكون كلّها أعمال الفنّ. إنّها ستكون الأولى، وستأتي بعدها الطبيعة وأعمال الطبيعة، والذي هو الاصطلاح الذي يستخدمه الرجال استخداماً خطأً كي يطبّقوه عليها؛ إنّها ستتبع هذه الأشياء الأساسيّة وستكون تحت حكم الفنّ والعقل.

كلينياس: لكن لماذا تعتبر كلمة « طبيعة » كلمة خطأ؟

الأثيني: لأنّ الذين يستعملون الاصطلاح يعنون أنّ الطبيعة هي القوّة الخالقة الأولى. لكن إذا ظهر أنّ الروح هي العنصر الأساسي، وليس النار أو الهواء، حينئذ يمكن القول في المعنى الأكثر حقيقة وما يتعدّى كلّ الأشياء الأخرى، إنّ الروح توجد بالطبيعة. وسيكون هذا القول حقيقياً إذا برهنتُ أنّ الروح أقدم من الجسم، لكن ليس ذلك.

كلينياس: إنّك لمحقّ تماماً.

الأثيني: هل سنتبنّى هذه النقطة الأساسيّة إذن كنقطة ثابتة، والتي يجب أن نوجّه انتباهنا إليها؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: دعنا نكون يقظين خشية أن تضلّلنا، نحن المسنين، هذه المحاورة الأكثر خداعاً بوسامتها الفتيّة، وأن تفلت منّا وتتّخذها مادّة للسخرية، ومن يدري سوى أنّنا يمكن أن نوجّه هدفنا نحو الأكثر، ونخفق في الحصول على الأقلّ؟ لنفترض أنّنا سنجتاز نحن الثلاثة نهراً سريع الجريان، وبما أنّني أفتى الثلاثة وليّ خبرة في اجتياز الأنهار فإني آخذ على عاتقي واجب القيام بالمحاولة الأولى بنفسي. وبعد أن تركتكما على الضفة المقابلة بأمان، فما عليّ إلاّ أن أختبر إن كان أمثالكما من المسنّين يستطيعون اجتياز النهر بسهولة. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّني سأدعوكما حينئذ لتتبعاني، وستساعدكما خبرتي في اجتياز النهر إلى الضفّة الأخرى. لكن إذا كان يتعذّر عليكما اجتياز النهر فلا خطر على أيّ شخص حينئذ إلاّ علي - ألا يبدو هذا الاقتراح عادلاً جدّاً؟ أعني أنّ المحاورة المتوقّعة صعبة جدّاً عليكما على الأرجح، إنّها خارج قدرتكما وتتعدّى مقدرتكما الجسديّة. وعلي أن أتحاشى ألاّ يخلق فيكما تيار أسئلتي طيشاً وارتباكاً فكريّاً، وأنتما اللذان لم تعتادا على الأسئلة والإجابة عليها. ولهذا السبب يمكن أن ينشأ شعور غير مستحبّ وغير مناسب. لذلك أرى أنّ عليّ، وأنّه من الأفضل، أن أطرح الأسئلة وأجيب عليها وما عليكما إلا الإستماع بأمان. وأستطيع أن أصل بالمحاورة بهذه الطريقة، إلى إكمال إثبات أنّ الروح سابقة للجسم.

كلينياس: ممتاز، أيّها الغريب، وإنيّ لآمل أن تفعل كما تقترح.

الأثيني: تعالَ إذن، وإذا ما كان لنا أن نناشد الآلهة، فلنناشدْهم بكلّ جديّة كي يأتوا لعرض وجودهم الخاصّ. وهكذا متمسّكين بثبات بحبل الله سنجازف ونجتاز أعماق المحاورة ونكتشفها. وعندما أطرح أسئلة من هذا النوع، فإنّ جوابي الأضمن سيبدو كما يلي: يقول لي شخص ما، « أيّها الغريب، هل كلّ الأشياء ساكنة ولا شيء منها في حركة، أو هل العكس هو الصحيح،

أو هل بعض الأشياء في حركة والبعض الآخر ساكن »؟ سأجيب على هذا أنّ بعض الأشياء متحرّكة والأخرى ساكنة. وسيسألون: « أوليست الأشياء التي تتحرّك تتحرّك في مكان، أوليست الأشياء الساكنة ساكنة في مكان؟ ». سأجيبهم بالتأكيد. وسيسألون: « ويتحرّك بعضها أو يسكن في مكان واحد وبعضها فيَ أكثر من مكان؟ ». وسنردّ نحن عليهم، تعنون أنّ تلك الأشياء التي تسكن عند محورها تتحرّك في موقع واحد، تماماً مثلما يتحرّك محيط الدائرة حول الدوائر التي يقال إنّها ساكنة؟ وسيجيبون « نعم ». ونلاحظ أنّ الحركة، في الدوران حول المحور، التي تحمل دائرياً الدائرة الأكبر والدائرة الأقل حجماً في الوقت عينه، نلاحظ أنّ هذه الحركة توزّع تناسبيّاً على الدوائر الأكبر والأصغر، وتكون أكبر وأصغر بنسبة محدَّدة. وينشأ هنا عجبٌ يُظنّ أنه مستحيل، وهو أنّ الحركة عينها يجب أن تضفي السرعة والبطء بنسبة مناسبة على الدوائر الأكبر والأصغر. وسيجيبون: « حقيقيّ تماماً ». وعندما تتكلّمون عن الأجسام المتحركة في أماكن عدّة تبدون أنّكم تعنون تلك الأجسام التي تتحرّك من مكان إلى مكان آخر، ولديها مركز واحد بعض المرّات كأساس للحركة، ولديها بعض المرات أكثر من مركز واحد لأنّها تدور على محورها. وكلّما قابلت أيّ شيء، إذا كان ساكناً، فإنّها تُقسّم به. لكنّها إذا وصلت إلى الوسط بين الأجسام التي تقترب وتتحرّك نحو البقعة عينها من اتّجاهات مضادّة، فإنّها تتّحد معها. « إنّنا نعترف بحقيقة ما تقول » وأيضاً فإنّها عندما تتّحد فهي تنمو، وعندما تُقسّم فإنّها تتبدَّد - يعني، لنفترض أنّ تكوين كلّ منها يبقى، أو إذا أخفق ذلك البقاء، فحينئذ هناك سبب ثانٍ لانحلالها. وسيواصلون السؤال « ومتى خُلقت كلّ الأشياء وكيف؟ ». بوضوح، إنّها خُلقت عندما تلقّى المبدأ الأوّل زيادة ووصل إلى البعد الثاني، ومن عند هذا البعد وصل إلى البعد المجاور

لهذا. وحين وصوله إلى البعد الثالث يصبح ممكناً الإدارك للحسّ. إنّ كل شيء يتغيّر هكذا ويتحرّك يكون في عمليّة النشوء، ويمتلك وجوداً حقيقيّاً عندما يكون ساكناً، ويدمَّر بشكل مطلق عندما يمرّ من تلك الحالة إلى حالة أخرى. ألم نذكر لكَ الحركات التي توجد، وندركها تحت أنواعها، وقد عدَّدناها ما عدا اثنتين منها يا صديقيّ؟

كلينياس: ما هما؟

الأثيني: إنّهما الاثنتان اللتان يهتمّ بهما تحقيقنا الحاضر.

كلينياس: تكلّم بشكل أوضح.

الأثيني: أفترض أنّ تحقيقنا يشير إلى الروح؟

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: دعنا نفترض أن هناك حركةً قادرة على أن تحرّك الأشياء الأخرى، لكنّها لا تحرّك نفسها أبداً. وهذا النوع هو واحد من أنواع الحركة. ولنفترض أنّ هناك نوعاً آخر يستطيع أن يحرّك نفسه على الدوام كما أنّه يحرك الأشياء الأخرى، فاعلاً في التركيب وفي التحلّل، ويحرّكها بواسطة الزيادة والنقصان والولادة والفناء، وهذا النوع هو أيضاً نوع آخر من الأنواع المتعدّدة للحركة.

كلينياس: مُنحت لك.

الأثيني: وسنفترض أنّ النوع الذي لا يحرّك الآخر، ويتغيّر بواسطة الآخر، سنفترض أنّه النوع التاسع. وأنّ ذلك النوع الذي يغيّر نفسه والآخرين، ويتزامن مع كلّ عمل وكل انفعال، وهو المبدأ الحقيقيّ للتغير والحركة في كلّ الذي يكون، سنميل إلى تسميته النوع العاشر.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وأيّة حركة من هذه الحركات العشر يجب علينا أن نفضّل كونها الحركة الأقوى والحركة الأكثر كفؤاً؟

كلينياس: ينبغي أن أقول إنّ الحركة التي تقدر على تحريك نفسها أسمى وأفضل وأعمّ من كلّ الحركات الأخرى بعشرة آلاف مرّة(٧٩).

الأثيني: جيّد جدّاً، لكن هل يمكنني أن أقوم بتصحيحٍ واحدٍ أو بآثنين لما قد قلته الآن؟

كلينياس: وما هما؟

الأثيني: عندما تكلمت أنا عن النوع العاشر من أنواع الحركة لم يكن ذلك صحيحاً تماماً.

كلينياس: وماذا كان الخطأ؟

الأثيني: طبقاً للنظام الحقيقيّ، فإنّ النوع العاشر كان النوع الأوّل في النشوء وفي القوّة حقّاً. يلي ذلك النوع الثاني الذي دعوناه النوع التاسع بغرابة.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني هذا: عندما يغيّر شيء ما شيئاً آخر، ويغيّر هذا الشيء شيئاً آخر، فهل سيوجد أيّ عنصر متغيّر رئيسيّ مثل ذلك؟ كيف يستطيع الشيء الذي يتحرّك بواسطة الآخر أن يكون بداية التغيير؟ إنّ ذلك لمستحيل. لكن عندما يغيّر الذي يحرّك نفسه شيئاً آخر، ويحرّك هذا الشيء شيئاً آخر مرّة ثانية، وهكذا فإنّ عشرة آلاف جسم مع عشرة آلاف جسم توضع في حركة، أفلا يجب أن تكون بداية كلّ هذه الحركة تغيير المبدأ المتحرّك بنفسه(٨٠)؟

كلينياس: حقيقيّ تماماً، وإنّني أوافق على ما تقول.

الأثيني: أو، لنطرح السؤال بطريقة أخرى، ونجد الجواب بأنفسنا: إذا كانت كلّ الأشياء ساكنة في كتلة واحدة، كما يؤكّد أكثر هؤلاء الفلاسفة بجرأة، فأيّ مبدأ من المبادىء المذكورة آنفاً يجب أن يكون المبدأ الأوّل لينشأ بينها بالضرورة؟ إنّه لا شك المبدأ الذي يحرّك نفسه إذ لا يمكن أن يكون التغيير فيها ناشئاً عن أيّ سبب خارجيّ. ينبغي أن يأخذ التغيير مكانه في أنفسها

أوّلاً وعلينا حينئذٍ أن نقول إنّ الذي يحرّك نفسه، كونه أصل الحركات كلّها، وهو المبدأ الأوّل الذي ينشأ بين الأشياء الساكنة كما أنّه ينشأ بين الأشياء المتحرّكة، لذلك يجب علينا أن نقول إنّه المبدأ الأقدم والأقوى للتغيير، ونقول إنّ الذي يتغيّر بالآخر ويحرّك الآخر مع ذلك هو المبدأ الثاني.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: دعنا نطرح سؤالاً عند هذه المرحلة من مراحل المحاورة.

كلينياس: أيّ سؤال؟

الأثيني: إذا ما وجدنا هذه القوّة موجودة في أيّة مادّة أرضيّة، مائيّة، أو ناريّة، البسيطة منها والمركبة، فكيف ينبغي أن نصفها؟

كلينياس: تعني ما إذا كان يجب علينا أن نسمي هكذا قوة متحرّكة بنفسها حياة؟

الأثيني: إنّني أفعل.

كلينياس: يجب أن نفعل ذلك كلّنا بالتأكيد.

الأثيني: وعندما نرى الروح في أيّ شيء، أفلا ينبغي أن نفعل الشيء عينه ـ أفلا يلزم أن نعترف بأنّ هذه حياة؟

كلينياس: ينبغي أن نفعل ذلك.

الأثيني: وبعدُ، فإنّني ألتمس منك أن تتأمّل مليّاً، ـ أنّك ستعترف بأنّ لدينا معرفة ثلاثيّة عن الأشياء؟

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أنّنا نعرف الجوهر، وأنّنا نعرف تحديد الجوهر، ونعرف الإسم، وهذه هي الأسئلة الثلاثة. وهناك سؤالان يمكن طرحهما بخصوص أيّ شيء.

كلينياس: سؤالان اثنان؟ كيف؟

الأثيني: يمكن لشخص أن يعطي إسماً بعض المرات، وأن يسأل عن تحديده، أو يمكنه أن يعطي التحديد ويسأل عن الإسم. يمكنني أن أوضح وأشرح ما أعنيه بهذه الطريقة.

كلينياس: كيف؟

الأثيني: إنّ العدد، مثل بعض الأشياء الأخرى، قادر بطبيعته أن يُقسَّم إلى أجزاء متساوية. وعندما يُقسَّم هكذا، فإنّه يسمى « مزدوجاً ». وتحديد الإسم « مزدوج » معناه « عدد مقسَّم إلى جزأين اثنين متساويين »؟

كلينياس: حقاً

الأثيني: أعني، عندما نُسأل بشأن التحديد ونعطي الإسم، أو عندما نُسأل بشأن الإسم ونعطي التحديد، فإنّنا نتكلّم في كلا الحالتين، وسواء أعطينا إسماً وتحديداً، فإنّنا نتكلّم عن الشيء عينه، مسمّين العدد الذي يُقسَّم إلى جزأين متساويين عدداً « مزدوجاً ».

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وما هو تحديد ذلك الشيء الذي يُسمَّى « روحاً »؟ هل نستطيع أن نتصوّر أنّه شيء آخر غير ذلك الذي تم إعطاؤه ـ الحركة التي تستطيع أن تحرّك نفسها؟

كلينياس: تعني أنّ الجوهر الذي حُدِّد على أنّه المحرّك لنفسه هو الشيء عينه مع ذلك الذي يمتلك اسم « روح »؟

الأثيني: نعم، وإذا كان هذا حقيقيّاً، أما زلنا نؤكّد أنّ هناك شيئاً ناقصاً في البرهان وهو أنّ الروح هي الأصل الأوّل والقوّة المحرّكة لكلّ ذلك الذي كان، أو أصبح، أو سيكون وكذلك لمضادّاتها، عندما أبنّا بوضوح أنّها مصدر التغيير والحركة في الأشياء كلّها؟

كلينياس: لا بالتأكيد. إنّ الروح كونها مصدر الحركة، قد أُظهرت بالشكل الأكثر إقناعاً، أنّها أقدم الأشياء كلّها.

الأثيني: أوليست تلك الحركة هي التي سبّبها الغير، بسبب الغير، لكنّها لا تمتلك أيّة قوّة للحركة الذاتيّة على الإطلاق قطّ، كونها في الحقيقة التغيير للجسم

غير الحيّ، ألا تُعتبر نوعاً ثانياً، أو تعتبر بأيّ عدد أدنى ربّما كنت تفضّله؟

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: نحن محقّون إذن، ونتكلّم الحقيقة الأكثر كمالاً والمطلقة، وذلك عندما نقول إنّ الروح سابقة الجسم، وإنّ الجسم هو الثاني ويأتي بعد ذلك، وإنّه مولودٌ ليطيع الروح التي هي الحاكم؟

كلينياس: لا يمكن لشيء أن يكون أكثر حقيقة.

الأثيني: هل تتذكّر اعترافنا السابق، عندما قلنا إنّ الروح إذا كانت سابقة على الجسم، فإنّ أشياء الروح كانت سابقة على أشياء الجسم؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إذن فإنّ الميّزات والتصرّفات، والرغبات والتعقّلات، والآراء الحقيقيّة، والبصيرة، والتذكّر، هذه كلّها سابقة للطول والعرض والعمق وقوّة الأجسام، إذا كانت الروح سابقة للجسم؟

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: وفي المقام الثاني، أفلا يجب علينا أن نعترف ضرورةً أنّ الروح هي سبب الخير والشرّ، سبب السافل والشريف، سبب العادل والظالم، وسبب كلّ المتناقضات الأخرى، إذا افترضنا أنها سبب الأشياء كلّها؟

كلينياس: ينبغي أن نعترف بذلك.

الأثيني: وبما أنّ الروح تنظّم وتقطن الأشياء التي تتحرّك كلّها، كيفما تحرّكت، أفلا يلزم أن نقول إنّها تنظّم السماوات أيضاً؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: وهل هي روح واحدةٌ أو أكثر؟ إنّها أكثر من روح - سأجيب عنك، على كلّ حال. ينبغي علينا أن لا نفترض أن هناك أقلّ من روحين اثنين: واحدة هي مبدعة الخير، وأخرى هي مبدعة الشرّ.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: نعم، حقيقيّ تماماً؛ الروح إذاً توجّه كلّ الأشياء في السماء والأرض والبحر بواسطة حركاتها. وتوصف هي بالعبارات: إرادة، تفكير، انتباه، تروٍّ، رأي حقيقيّ ورأي مزيّف، فرح وحزن، ثقة بالنفس، خوف، كراهية، حبّ، وحركات أخرى رئيسيّة مماثلة لهذه، والتي تتلقّى حركات ثانويّة للأشياء الماديّة وتهدي كلّ الأشياء للنموّ والفساد، للتركيب والتحلل، وللنوعيّات التي تصاحبها، كالحرّ والبرد، الثقل والخفّة، الصلب والطراوة، السواد والبياض، المرّ والحلو الطعم، وكلّ تلك النوعيّات الأخرى التي تستخدمها الروح. وبما أنّ الروح نفسها إلهة، فإنّها عندما تتلقّى العقل الإلهيّ بحقّ فهي تفرض النظام على الأشياء كلّها بحقّ ولسعادتها. لكنّها عندما تكون صاحبة الغباء، فإنّها تفعل عكس ذلك تماماً. هل سنفترض لهذا الحدّ ما افترضناه، أو أما نزال نضمر الشكوك؟

كلينياس: لا مجال للشكّ على الإطلاق.

الأثيني: هل سنقول إذن إنّها هي الروح التي توجّه وتنظّم السماء والأرض والعالم أجمع؟ - إنّ هذا هو مبدأ الحكمة والفضيلة، أو إنّه المبدأ الذي لا يمتلك حكمة ولا فضيلة؟ إفترض أنّنا نوجد سؤالاً كالتالي...

كلينياس: كيف ستجيب؟

الأثيني: إذا قلنا، يا صديقي، إنّ كلّ طريق وحركة السماء، وكلّ ذلك الذي يكون في ذلك المكان، إذا قلنا إنّ كلّ ذلك هو بالطبيعة مماثل لحركة ودوران وحساب العقل، وإنّه يتواصل بالنواميس الشقيقة، يجب علينا أن نقول حينئذ، وكما أن ذلك هو قول بسيط، فإنّ الروح الأفضل تعتني بالعالم وتهديه إلى الطريق الصحيح بطوله؟

كلينياس: حقيقي.

الأثيني: لكن إذا تحرّك العالم بطيش وعدم انتظام، فإنّ الروح الشرّيرة تقوده حينئذ؟

كلينياس: حقيقيّ مرّة ثانية.

الأثيني: ومن أيّة طبيعة تكون حركة العقل؟ ليس من السهل أن نعطي جواباً ذكيّاً على هذا السؤال؛ ولهذا السبب يجب عليّ أن أساعدك في صياغة جواب عليه.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: علينا ألاّ نجيب، إذن كما لو كنا ننظر إلى الشمس بشكل مستقيم ومباشر، جاعلين أنفسنا مظلمة وسط النهار[٨١]، أعني كما لو كنّا تحت انطباع أنّنا نستطيع أن نرى بالعيون الشحميّة أو أنّنا نعرف طبيعة العقل على نحو ملائم. وسيكون أكثر ضماناً لنا أن ننظر إلى الصورة فقط.

كلينياس: وماذا تعني؟

الأثيني: دعنا نختار من الحركات العشر الحركة التي تشبه العقل بشكل رئيسيّ. إنّني سأذكّرك بهذا، وسأوجد الجواب بالنيابة عنّا جميعاً حينئذ.

كلينياس: إنّ ذلك شيء ممتاز.

الأثيني: ستتذكّر بكلّ تأكيد أنّنا قلنا إنّ كلّ الأشياء إمّا ساكنة أو في حركة؟

كلينياس: إنّني أتذكّر.

الأثيني: وإنّ تلك الأشياء المتحركة كان بعضها متحركاً في مكان واحد، وكانت الأشياء الأخرى متحرّكة في أكثر من مكان؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: وما يتعلّق بهذين النوعين من الحركة، فإنّ تلك التي تتحرّك في مكان واحد يجب أن تتحرّك حول مركز مثل تحرّك العجلات المصنوعة في مخرطة، وتكون مماثلة ومشابهة بشكل كلّيّ لحركة العقل الدائريّة.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: في قولنا إنّ العقل والحركة: اللذين يكونان في مكان واحد يتحرّكان بالأسلوب المماثل عينه، وفي الشيء عينه وحوله، وفي ما يتّصل بالشيء عينه، وطبقاً لتناسبٍ ونظام واحد، ويكونان مثل حركة الكرة الأرضيّة. ونحن خلقنا صورة عادلة وجميلة في قولنا هذا، والتي لا تُضعف الثقة ببراعتنا.

كلينياس: إنّ هذه الصورة تقدّم لنا سمعة حسنة ومفخرة عظيمة.

الأثيني؛ وأمّا الحركة من النوع الآخر التي ليست حركة على غرار الأسلوب عينه، ولا في الشيء عينه، ولا حوله، ولا في ما يتصل به، ولا تكون في مكان واحد، ولا في نظام واحد، ولا طبقاً لأيّة قاعدة أو تناسب، إنّ هذه الحركة يمكن القول إنّها تماثل الحمق والغباء.

كلينياس: إنّ هذا القول هو الأكثر حقيقة.

الأثيني: لا صعوبة إذن في أن نقرّر بشكل مميّز، بعد ما قلناه، وهو بما أنّ الروح تحمل الأشياء كلّها بشكل دائريّ، فإمّا أنّ الروح الأفضل أو عكسها يجب بالضرورة أن تحمل وتأمر وتنظّم السماء بشكل دائريّ.

كلينياس: ومعطين حكماً مّما قد قيل، أيّها الغريب، فلا عقوق في تأكيد أنّ ما من روح سوى الروح أو الأرواح الكاملة تحمل السماوات بشكل دائريّ.

الأثيني: إنّك فهمت معناي بشكل صحيح جدّاً، يا كلينياس. وبعدُ دعني أسألك سؤالاً آخر.

كلينياس: وماذا ستسأل؟

الأثيني: إذا حملت الروح الشمس والقمر دائريّاً، وحملت النجوم الأخرى، أفلا تحمل كلّ فردٍ منها دائريّاً؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: دعنا نتكلّم عن واحد منها إذن، وستنطبق المحاورة عينها عليها كلّها.

كليناس: أيّها ستنتقي؟

الأثيني: كلّ شخص يرى جسم الشمس، لكن لا أحد يرى روحها، ولا يرى روح أيّ جسد آخر، حيّاً كان أمْ ميتاً. ومع ذلك هناك سبب عظيم للاعتقاد بأن هذه الطبيعة التي لا تدرك بأيٍّ من حواسّنا، منتشرةٌ حولها كلّها، لكنها تُدرك بالعقل فقط. ولهذا السبب دعنا ندرك بالعقل وبالتأمّل المليّ فقط النقطة الأساسية التالية.

كليناس: وما هي تلك النقطة الأساسيّة؟

الأثيني: إذا حملت الروح الشمس دائرياً، فلن نكون مخطئين كثيراً في افتراض واحدٍ من خيارات ثلاثة.

كليناس: وما هو هذا الخيار؟

الأثيني: هذه الروح التي تسيّر الشمس في هذا الطريق أو ذاك، إمّا أنّها تقطن داخل الجسم الدائريّ والمرئيّ، مثل الروح التي تحملنا بكلّ طريق، أو أنّها تجهّز نفسها بجسد من نار أو هواء، كما يؤكّد البعض، ومن نقطة أساسيّة ما بدون أن تدفع جسداً بجسد بشكل عنيف. أو مرّة ثالثة، إنّها تكون بدون جسد كهذا، بل تقود الشمس بقوّة استثنائية رائعة ومدهشة حقّاً.

كليناس: نعم، بدون ريب؛ إنّ الروح فقط تستطيع أن تنظّم الأشياء كلّها بطريقة واحدة من هذه الطرائق الثلاث.

الأثيني: وروح الشمس هذه، التي هي أفضل من الشمس لهذا السبب، وسواء إذا سلكت مجراها في الشمس كما في عربة لتعطي النور للناس، أو سواء فعلت ذلك من الخارج، أو فعلته بأيّة طريقة مهما كانت، إنّ روح الشمس هذه يجب أن ينظر إليها كلّ إنسانٍ على أنّها إله.

كليناس: نعم، يجب أن يعتبرها كلّ انسان يمتلك أقلّ ذرّةٍ من الإدراك.

الأثيني: أوَلا يجب أن نقول بطريقة مماثلة عن النجوم أيضاً، وعن القمر، وعن

السنين والشهور والفصول؟ أوَلا يجب أن نقول، بما أنّ روحاً أو أرواحاً لديها كلّ نوعٍ من أنواع الامتياز هي الأسباب لها كلّها، وإنّ تلك الأرواح هي آلهة، سواء إذا كانت موجودات حيّة وتعيش في أجسام وتنظّم السماء كلّها بهذه الطريقة، أو مهما يكن مكان وجودها وصيغته: وهل سيتحمّل الشخص الذي يعترف بكلّ هذا، هل سيتحمّل نتيجة الإنكار، وهو أنّ الأشياء كلّها مملوءَة بالآلهة؟

كلينياس: لا أحد سيكون هكذا إنساناً مجنوناً، أيّها الغريب.

الأثيني: وبعدُ، يا ميغيلوس وكلينياس، دعونا نقدّم شروطاً لمن أنكر وجود الآلهة حتّى الآن، ونتركه.

كلينياس: أيّة شروط؟

الأثيني: إمّا أنّه سيثبت لنا أنّنا مخطئون في اعتبارنا الروح أصل الأشياء كلّها، ويجادل طبقاً لذلك؛ وإذا لم يكن بمقدوره أن يقول أفضل من ذلك، فيجب عليه حينئذ أن يذعن لنا وأن يعيش بقيّة حياته مؤمناً بوجود آلهة. دعنا نرى إذن، إن كان ما قلناه كافياً لأولئك الذين ينكرون وجود الآلهة أوْ ليس بكافٍ.

كلينياس: بالتأكيد، إنّ ما قيل فيه الكفاية تماماً، أيّها الغريب.

الأثيني: لن نقول لهم أكثر ممّا قلنا إذن، وبعدُ فسنوجّه خطابنا الآن لمن يعتقد بوجود الآلهة، لكنّه يعتقد أيضاً أنّهم لا يهتمّون بالشؤون الإنسانيّة. سنقول له: أوه أيّها الإنسان الأفضل، أنت في اعتقادك بأنّ هناك آلهة فما أنت إلاّ مُرشَدٌ بصلة ما لهم، وهذه الصلة تجذبك نحو أنسبائك وتجعلك تكرمهم وتعتقد بهم. لكن الشرّ والرجال الآثمين، في الحياة الخاصّة كما في الحياة العامّة، ليست مصائرهم ولا حياتهم سعيدة، رغم أنّ الناس يحسبونها كذلك، والتي يمجّدها الشعراء والناثرون على حدّ سواء[٨٢]. وهؤلاء كلّهم

يسحبونك من تقواك الطبيعيّة جانباً. لربّما رأيت رجالاً عاقّين وقد شاخوا، وتركوا أحفاد أحفادهم متسنّمين المناصب العليا، وهزَّ ازدهارهم إيمانك - إنّك عرفت وسمعت أو شهدت بأمّ عينك العديد من أعمال العقوق المرعبة، ورأيت رجالاً يرتكبون أعمالاً بوسائل إجراميّة كهذه الأعمال، من البدايات الصغيرة، وحتى أوج العظمة والسيادة بمتناولهم. وعندما تتأمّل كلّ هذه الأشياء ملياً فأنت لا تحبّ أن تتّهم الآلهة بها، لأنّهم أقرباؤك. وهكذا فلأنّك تحتاج لقوّة العقل والمنطق، ولأنّك كذلك لا تريد وجود خطأ عندهم، من أجل هذا وصلت إلى الاعتقاد بأنّ الآلهة موجودون حقّاً، لكنّهم لا يفكّرون ولا يعتنون بالأشياء الإنسانيّة. وبعدُ، فإنّ رأيك الحالي الآثم لا يمكن له أن يكون أكثر عقوقاً ممّا هو عليه الآن، ونحن نستطيع، إذا أمكن ذلك، أن نستخدم المحاورات التي يمكن أن تسحر الشرّ قبل أن يصل وتبعده، وستضيف محاورة أخرى لتلك المحاورة التي وجّهناها أصلاً لمن ينكر وجود الآلهة بشكل مطلق. وهل ستجيبان أنتما، يا ميغيلوس وكلينياس، لأجل الرجل الفتيّ كما فعلتما سابقاً؟ وإذا واجهتنا أيّة عوائق في طريقنا، فإنّني سأنتزع الكلمة من أفواهكما انتزاعاً وأحملكما فوق النهر كما فعلت بكما لتوّي الآن.

كلينياس: جيّد جداً؛ إفعل كما تقول، وسنساعدك.

الأثيني: لا صعوبة ربّما، في أن نثبت له أنّ الآلهة تهتمّ بالأشياء الصغيرة، ليس بأقل بل بأكثر ممّا تهتمّ بشأن الكبيرة منها. وهو كان حاضراً وسمع ما قلناه، إنّ الآلهة أخيار بالتمام، وإنّ العناية والاهتمام بكلّ الأشياء هما الشيء الطبيعي الأكثر بالنسبة لهم بشكل كليّ.

كلينياس: لا شكّ أنّه سمع ذلك.

الأثيني: دعنا نعتبر معاً في المقام التالي ماذا نعني بهذه الفضيلة التي ننسبها لهم.

يجب أن نقول بكلّ تأكيد إنّ اعتدالك وامتلاكك العقل شيء يخصّ الفضيلة، وأمّا عكسه فيخصّ الرذيلة؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: نعم؛ والشجاعة جزء من أجزاء الفضيلة، والجبن جزء من أجزاء الرذيلة؟

كلينياس: حقّاً.

الأثيني: والأول شريف والآخر مُخْزٍ؟

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: وأمّا الصلة بالنوع الأخسّ، إذا كانت تمتلك أيّ شيء، فهي إنّما تمتلكه مع الطبيعة الإنسانية. لكنّ الآلهة لا يمتلكون جزءاً في أيّ شيء من هذا النوع.

كلينياس: إنّ ذلك ما سيعترف به كلّ شخص ثانية.

الأثيني: لكن هل نتصوّر أنّ الإهمال والكسل والترف فضائل؟ ماذا ترى؟

كلينياس: إنّها ليست فضائل بلا جدال.

الأثيني: لكنّها تُرتَّب في النوع المناقض للفضائل؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: ولهذا السبب فإنّ مضادّاتها ستقع تحت النوع المضادّ؟

كلينياس: أجل.

الأثيني: لكن هل سنفترض أنّ الشخص الذي يمتلك كلّ هذه النوعيات الجيّدة سيكون مُترفاً ومُهملاً وكسولاً، مثل أولئك الذين يقارنهم الشعراء بذكور النحل التي لا تلدغ؟

كلينياس: وإنّ المقارنة لهي الأكثر عدلاً.

الأثيني: بالتأكيد لا يلزم افتراض أن لله طبيعة يكرهها هو نفسه؟ ـ إنّ مَن يجرؤ أن يقول هذا النوع من الأشياء يجب أن لا يُتسامح معه للحظة.

كلينياس: لا بالطبع. كيف يمكن التسامح معه؟

الأثيني: أوّلا ينبغي أن نكون مخطئين كليّة بناء على أيّ مبدأ في الثناء على أيّ شخص لديه عمل خاصّ معهود به إليه، وذلك إذا امتلك العقل الذي يهتمّ بالمسائل الكبيرة دون الصغيرة منها؟ تأمّل مليّاً؛ إنّ مَن يتصرّف بهذه الطريقة، سواء أكان إلهاً أو إنساناً، يجب أن يتصّرف من مبدأين اثنين.

كلينياس: وما هما؟

الأثيني: يجب عليه إمّا أن يتصوّر أنّ إهمال الشؤون الصغيرة ليس بذي عاقبة على الكلّ. وإذا عرف أنّ لها عاقبة وأهملها، فينبغي أن يُنسبَ إهماله إلى عدم اللامبالاة والكسل. هل هناك طريقة أخرى يمكن توضيح إهماله فيها؟ إذ من المؤكّد أنّه عندما يستحيل عليه أن يعتني بها كلّها، فلن نكون مهمِلاً إذا أخفق في العناية بهذه الأشياء صغيرها وكبيرها والتي يمكن أن تكون إلهاً أو مخلوقاً وضيعاً يفتقر للقوّة الجسديّة أو للقدرة العقليّة كي يديرها.

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: إذن دعنا الآن نختبر المعتدين الذين يعترفون بوجود آلهة بشكل مماثل، لكن مع اختلاف في الاعتراف، والذين يعترفون بغير ذلك، فبعضهم يقول بأنّه يمكن استرضاء الآلهة، وأمّا الآخرون فيقولون إنّهم لا يهتمّون بالقضايا الصغيرة. هناك ثلاثة منّا واثنان منهم، وسنقول لهم: أوّلاً، أنتما تعترفان أنّ الآلهة يسمعون ويعرفون ويرون الأشياء كلّها، وأن لا شيء يستطيع الإفلات منهم وهذه مسألة إدراك ومعرفة. هل تعترفان بذلك؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: وهل تعترفان أيضاً بأنّ الآلهة لديهم القوّة كلّها التي يستطيع الفانون والخالدون حيازتها؟

كلينياس: إنّهما سيعترفان بهذا أيضاً، طبعاً.

الأثيني: وبكلّ تأكيد فنحن الثلاثة وهم الاثنين ـ الجميع خمسة ـ اعترفنا أنّ الآلهة كاملون وأخيار؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: لكن إذا كانوا كما نتصوّر وجودهم، فهل يمكننا أن نفترض بالاحتمال أنّهم لا يفعلون لأنّ لهم نفسيّة مهملة وكسولة؟ لأنّ عدم النشاط فينا هو وليد الجبن، وعدم النشاط المهمل والكسل أيضاً.

كلينياس: الأكثر حقيقة.

الأثيني: ما من إلهٍ مهملٍ أبداً نتيجة عدم النشاط والإهمال إذن؟ فلا جبن فيهم؟

كلينياس: إنّ هذا لحقيقيّ تماماً.

الأثيني: إنّ الخيار الذي يبقى إذن، هو أنّ الآلهة إذا أهملوا الاهتمامات الأخفّ والأقلّ من اهتمامات العالم، فإنّهم يهملونها لأنهم يعرفون أنّه ينبغي عليهم أن لا يهتمّوا بقضايا كهذه ـ أيّ خيار آخر يوجد سوى خيار الضدّ لما يعرفون؟

كلينياس: ما من خيار آخر.

الأثيني: أوه أيّها الرجلان الأكثر امتيازاً ويا أفضل الرجال، هل أفهم أنّكما تعنيان أنّ الآلهة مهملون لأنّهم جهلة ولا يعرفون بأنّه يجب عليهم أن يعتنوا، أو أنّهم يعرفون، ومع ذلك يفعلون كما يفعل النوع الأدنى من الرجال والذين يقال عنهم إنّهم يعرفون الأفضل فإنّهم يختارون الأسوأ لأنّهم مقهورون بالملذّات والآلام؟

كلينياس: إنّ ذلك لمستحيل.

الأثيني: ألا تشترك كلّ الأشياء الإنسانية بطبيعة الروح؟ أوليس الإنسان هو الأكثر ديانة وتديّناً من الحيوانات كلّها(٨٣)؟

كلينياس: إنّ هذا لا يُنكَر أبداً.

الأثيني: ونحن نعترف أنّ كلّ المخلوقات الفانية هي ملك للآلهة، ولهم السماء كلّها أيضاً(٨٤)؟

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: ولهذا السبب إذا ما قال شخص إنّ هذه الأشياء ملك للآلهة صغيرها وكبيرها، وتكون في أيّة حالة من هذه الحالات، فليس من الطبيعي للآلهة المالكين لنا، والمقتنين الأكثر عناية والأفضل غاية، ليس من الطبيعي أن يهملونا ـ هناك اعتبار أهمّ من هذا الاعتبار أيضاً

كلينياس: وما هو؟

الأثيني: إنّ الحسّ والقوّة هما في نسبة معكوسة بعضهما لبعض في ما يتعلّق بسهولتهما وصعوبتهما.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أن هناك صعوبة أكبر في رؤية وسمع الصغير أكثر من رؤية وسمع الكبير. لكنّ هناك سهولة أكثر في تحريك وضبط الصغير والعناية به وبالأشياء العديمة الأهمية، من فعل ذلك بمضادّاتها؟

كلينياس: صحيح.

الأثيني: إفترض أنّ طبيباً عُهد إليه العناية بشيء ما حيّ ككل؛ فإذا كان قادراً ومستعدّاً للانكباب على النقاط الرئيسيّة، وإهمال الأجزاء والتفاصيل، فهل ستتحسّن حالة الكلّ على يديه؟

كلينياس: لا، لن تتحسّن بلا جدال.

الأثيني: ولن تكون النتيجة أفضل مع المرشدين والقادة العسكريين، أو مع ربّات البيوت ورجال الدول، أو مع أيّة طبقة أخرى من هذه الطبقات، إذا هم أهملوا الصغير واهتمّوا بالكبير فقط. فكما يقول البنّاؤون: إنّ الحجارة الكبيرة لا تستقيم بدون دعم الحجارة الأقلّ حجماً.

كلينياس: بالطبع.

الأثيني: إذن، ليس لنا أن نعتبر الله دون العمّال البشريين الذين ينهون ويكملون

أعمالهم حسب براعتهم، الصغيرة منها والكبيرة. إنّهم ينهونها بالفنّ الواحد والفنّ عينه، وليس لنا أن نعتبر أنّ الله، وهو أعقل الكائنات، والمستعدّ والقادر على العناية، ليس لنا أن نعتبره مثل الكسول الذي لا يصلح لشيء، أو نعتبره جباناً يدير ظهرهُ للعمل ولا يبالي بالقضايا الأصغر والأسهل، بل يفعل القضايا الأكبر فقط ويعنى بها.

كلينياس: أبداً، أيّها الغريب، لا تدعنا نعترف، بشأن الآلهة، بفرضيّة عاقّة ومزيَّفة.

الأثيني: أعتقد أنّنا تحاورنا الآن بما فيه الكفاية مع مَن يغتبط باتّهام الآلهة بالإهمال.

كلينياس: أجل.

الأثيني: لقد أُجبر على الاعتراف بخطئه، لكن يبدو لي أنّه لا يزال يحتاج لبعض كلمات المواساة.

كلينياس: أيّة مواساة ستقدّم له؟

الأثيني: دعنا نقول للفتى الشاب: إنّ حاكم العالم رتَّب كلّ الأشياء بقصد الامتياز ووقاية الكلّ. وإنّ كلّ جزء، مهما كان بعده، إمتلك فعلاً وانفعالاً مناسبين له. وقد عيَّن فوق هذه الأشياء، نزولاً إلى الكسر الأقلّ منها، عيَّن وكلاء يشرفون عليها، وكلاءَ فعلوا ونمَّقوا كمالها بدقّة متناهية. وإن جزءاً من أجزاء هذا العالم هو ملك للإنسان غير السعيد، ومهما كان هذا الجزء صغيراً فإنّه يسهم في الكلّ. ويبدو أنّك جاهل أن هذا الإبداع وكلّ إبداع آخر إنّما وُجد من أجل الكلّ، وذلك لتكون حياة الكلّ مباركة وسعيدة. ولا تدري أنت أنّك خُلقت من أجل الكلّ، وأنّ الكلّ لم يُخلق من أجلك. إنّ كلّ طبيب وكلّ فنان بارع يقوم بكلّ شيء في سبيل الكلّ، موجّهاً جهده نحو الخير العامّ، مؤدّياً عمل الجزء من أجل الكلّ، وليس عمل الكلّ من أجل الجزء. وأنت منزعجٌ لأنّك تجهل ما هو الأفضل لك في المشروع العالمي إفرادياً، بواسطة ناموس الإبداع العامّ. وبعدُ، كما أنّ الروح توحّد مع جسمٍ

واحدٍ بادىء ذي بدء، وتخضع لكلّ نوع من أنواع التغيير مع جسم آخر بعدئذ، إمّا بنفسها أو بواسطة تأثير روح أخرى، فإنّ كلّ ما يبقى للاعب اللعبة هو أنّ عليه أن يبدّل القطع وذلك بإرسال الطبيعة الأفضل إلى المكان الأفضل وإرسال الطبيعة الأسوأ إلى المكان الأسوأ. وبهذا فإنّه يخصّص لها حصّتها المناسبة.

كلينياس: بأيّة طريقة تعني؟

الأثيني: في الطريقة التي يفترض بها أن تجعل العناية بكلّ الأشياء سهلة للآلهة. إذا كان أي شخص ليصوغ أو يشكل كل الأشياء بدون اعتبار للكلّ، كمثال، إذا شكّل عنصراً حيّاً من الماءِ خارج النار، بدلاً من صياغة عدّة أشياء خارج عنصر واحد، أو صياغة عنصر واحد خارج عدّة عناصر في ترتيب منتظم واصلاً إلى الولادة الأولى أو الثانية أو الثالثة(٨٥)، إذا شكل ذلك، فإنّ التحوّل قد يصبح تحوّلاً نهائيّاً. أمّا الآن فحاكم العالم يستسهل العمل الشاقّ بشكل رائع.

كلينياس: كيف ذلك؟

الأثيني: سأشرح لك. عندما رأى الملك أنّ أعمالنا تمتلك حياة، وأنّ فيها الكثير من الفضيلة والكثير من الرذيلة، وأنّ الروح والجسم، رغم أنّهما ليسا كالآلهة خالدَين حسب المعتقد الشعبي ومع ذلك فإنّهما عندما أتيا إلى الوجود كانا غير مدمَّرين « إذ لو كان أحدهما قد دُمِّر فلا ولادة للمخلوقات الحيّة »، وعندما لاحظ الملك أنّ خير الروح خُصِّص لمنفعة الإنسان أبداً بالطبيعة، وخُصِّص الشرّ ليؤذيه، وهو، مشاهداً كلّ هذا، كافح ليضع كلّ جزء من الأجزاء وذلك ليتمكّن من موقعها، بأسهل أسلوب وأفضله، من نصرة الخير وهزيمة الشرّ في الكلّ. واستنبط الملك مخطّطاً عامّاً أوجد بواسطته مقعداً ومكاناً محدَّدين. غير أنّ صياغة النوعيّات تركها لإرادة الأفراد. إنّ كلّ

واحد منا صُنع قريباً جدّاً لما يكون عليه بنزعة رغباته وبطبيعة روحه.

كلينياس: نعم، إنّ ذلك لربما يكون صحيحاً.

الأثيني: إذن فإنّ كلّ الأشياء التي تمتلك روحاً تتغيّر، وتمتلك مبدأ التغيير في نفسها، وتتحرّك في تغيّرها طبقاً لناموسٍ ولنظام القضاء والقدر. إنّ الطبيعة التي اجتازت تغييراً أقلّ تتحرّك أقلّ وعلى سطح الأرض. لكنّ أولئك الذين قاسوا تغييراً أقلّ وأصبحوا مجرمين يغرقون في جهنّم. يعني يذهبون إلى الجحيم وإلى الأماكن الأخرى في العالم السفليّ، والذي تهلع لذكره قلوب الناس ويصورونه لأنفسهم كما في حلم وهم أحياء، وعندما يُعتقون من الجسد، ومتى تلقّت الروح خيراً أو شرّاً أكثر من طاقتها الخاصّة، ومن التأثير القويّ للآخرين فإنها عندما تشارك في الفضيلة الإلهيّة وتصبح إلهيّة، تُحمل إلى مكان آخر وأفضل، كامل القداسة. لكنّها عندما تشارك في الشرّ فإنّها تغيّر مكان حياتها أيضاً.

« إنّ هذا هو عدل الآلهة الذين يسكنون جبل أوليمبوس[٨٦] ». « أيّها الشباب والرجال الفتيان الذين تتوهّمون أن الآلهة أهملتكم »، إنّكم إذا أصبحتم أسوأ فستذهبون إلى الأرواح الأسوأ، وإذا أصبحتم أفضل فإلى الحياة الأفضل. وفي كلّ تعاقبٍ للحياة والموت ستفعلون وتقاسون ما يمكن أن يقاسيه الشبيه على يد شبيهه بشكل مناسب. إنّ هذا هو عدل السماء الذي لا سبيل لتهربوا منه لا أنتم ولا أيّ بشر آخرين، هذا العدل الذي قضى به الآلهة الحاكمون بشكل خاصّ. لهذا السبب اهتمّ بالمسألة لأنّها ستهتمّ بك بكلّ تأكيد. وإذا قلت: إنّني مخلوق صغير وأستطيع أن أنسلّ إلى أعماق الأرض، أو إنّني عالٍ وسأطير صعوداً إلى السماء، فأنت لست صغيراً ولا عالياً، بل ستدفع الجزاء المناسب، ستدفعه إمّا هنا أو في العالم السفليّ أو في مكانٍ ما قاسٍ ستُنقل إليه.

إنّ هذا هو تفسير قدر أولئك الذين رأيتهم، والذين قاموا بأعمال غير مقدّسة وقاموا بأعمال الشرّ، وكانت بداياتها صغيرة فنمت وأصبحت كبيرة جدّاً، وتوهّمتم أنتم أنّهم لشقائهم أصبحوا سعداء، ورحتم ترون في أعمالهم، كما ترون في مرآة، إهمال الآلهة للبشر، غير عارفين كيف يجعلون كلّ الأشياء تعمل معاً وتقدّم للكلّ. وتصوّر أنت، أيّها الإنسان الشجاع، أنّك لست بحاجة لتعرف هذا؟ - إنّ مَن لا يعرف هذا لا يستطيع أبداً أن يصيغ أيّة فكرة حقيقيّة عن السعادة أو الشقاء في الحياة، أو أن يعقد مباحثة عقليّة في ما يخصّ أيّاً منهما. وإذا نجح كلينياس وعصبتنا الموقرة في أن يثبتوا لكم جهلكم بما تقولونه بحقّ الآلهة، فإنّ الله سيساعدكم حينئذ. لكن هل ترغبون بسماع المزيد، استمعوا إذن إلى ما نقوله للخصم الثالث، مهما كانت درجة فهمكم. وأعتقد أنّنا أثبتنا وجود الآلهة بما فيه الكفاية، وأنهم يعتنون بالبشر. أمّا الفكرة الأخرى، وهي أنّهم يُسترضون بالخبثاء ويتلقّون الهدايا، إنّ هذه الفكرة هي ما يجب علينا أن لا نسلّم بها لأيّ شخص، وهي التي ينبغي على كلّ إنسان أن يدحضها بأقصى ما يستطيع من قوّة.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: حسناً إذن، إنّني أناشدكم بالآلهة أنفسهم أن تقولوا لي إذا كان الآلهة يُسترضون بالهدايا، فكيف يُسترضون؟ ومَن هم، وما هي طبيعتهم؟ ألا ينبغي أن يكونوا على الأقلّ حكّاماً من واجبهم أن ينظّموا وأن يحكموا السماء كلّها بلا انقطاع؟

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وبأيّ حكّام أرضيّين يمكن أن نقارنهم، أو مَنْ سيُقارن بهم؟ كيف نستطيع أن نجد صورة الأكبر في الأصغر؟ هل هم سائقو عربة ذات حصانين

متنافسين، أو هل هم ربابنة مراكب؟ لربما يمكن مقارنتهم بقادةٍ عسكريّين، أو يمكن تشبيههم بأطباء يقدّمون خدماتهم ضدّ الأمراض التي تؤجّج الحرب ضدّ الجسم، أو بمزارعين يراقبون تأثيرات الفصول على نموّ النبات بقلق، أو لربّما يمكن مقارنتهم برعاةِ القطعان. إن العالم، كما اعترفنا، مملوءٌ بالخيرات المتعدّدة وكذلك بالشرور، وإنّه ممتلىء بالشرور أكثر من امتلائه بالخيرات. وهناك، كما نؤكّد، شقاق أبديّ مستمرّ بيننا وهو يحتاج ليقظة مدهشة. إنّ الآلهة وأنصاف الآلهة هم حلفاؤنا في ذلك النزاع، ونحن من ممتلكاتهم. إنّ الظلم والغطرسة والغباء هي دمارنا، والعدل والاعتدال والحكمة هي خلاصنا. وهذه الصفات الأخيرة تكمن في قوّة الآلهة الحيّة، برغم أنّ أثراً ما منها يمكن تمييزه بين الجنس البشري أحياناً. لكنّنا نعرف أنّ أرواحنا تمتلك نفوساً ظالمة تسكن على هذه الأرض، ويمكن مقارنتها بالحيوانات الوحشيّة التي تتزلّف للقيّمين عليها، سواء أكانوا كلاباً أو رعاة، أو حتى أسياداً أكثر كمالاً. وحاول أن تقنعهم أن بإمكانهم سلب مال الآخرين بالحيلة ودون التعرّض لأيّ أذى، وذلك باستعمال أسلوب المداهنة وحتى باستخدام الصلوات والرقيّات، هكذا تجري القصّة الشريرة. لكنّنا نقول إنّ هذا العمل خطيئة، والخطيئة تُدعى نَهَماً وتكون شرّاً من النوع عينه، مثل الذي يُسمّى مرضاً في الأجسام الحيّة، أو مثل الوباء في السنوات أو في فصول السنة. أمّا في المدن والحكومات فلها إسم آخر هو الظلم.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: على كلّ حال إنّ هذه المحاورة موجّهة لشخص يرى أنّ الآلهة يتساهلون مع مرتكبي الظلم، إذا تقاسموا الغنيمة معهم. كما لو كانت الذّئاب ترمي بجزء من فريستها للكلاب، والكلاب التي استكانت لهذه العطيّة يسّرت للذّئاب تمزيق القطيع(٨٧). أفلا ينبغي أن تكون هذه طريقة جدالنا لمن يؤكّد أنّ الآلهة يمكن استرضاؤهم بالهبات؟

كلينياس: هكذا بالضبط.

الأثيني: وبأيٍّ النوعين المذكورين سالفاً من أنواع الحماة سيُقارن إنسانٌ ما الآلهةَ بدون سخرية؟ هل سيقول إنّهم مثل الربابنة الذين تحوّلوا عن واجبهم بواسطة « شراب النبيذ وتذوّق اللحم »، وقلبوا أخيراً الباخرة والبحارة رأساً على عقب؟

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: وليسوا بالتأكيد مثل سائقي العربات الذين يرتشون للتخلي عن النصر لسائقي العربات الأخرى؟

كلينياس: إنّ هذه صورة مخيفة عن الآلهة.

الأثيني: لا وليسوا مثل قادة الجيوش، أو الأطبّاء، أو المزارعين، أو الرعاة؛ ولن يقارنهم أحدٌ بالكلاب الذين استرضتهم الذئاب؟

كلينياس: إنّه لشيء يجب عدم التحدّث عنه.

الأثيني: وهل سنقول إنّ أولئك الذين يحمون مصالحنا الأنبل وهم الحماة الأفضل، هل سنقول إنّهم أدنى فضيلة من الكلاب، وذلك رغبةً بالهبات التي يقدّمها لهم الرجال الظالمون عقوقاً؟

كلينياس: لا بالتأكيد؛ ولا يجب أن نثبّت فكرةً كهذه، وإنّ من يتمسّك بهذا الرأي يمكن أن يُفرد ويُصنَّف كما يُصنَّف كلُّ الرجال العاقّين. إنّه الرأي الأخبث والأكثر عقوقاً.

الأثيني: هل التأكيدات الثلاثة إذن: أنّ الآلهة موجودون، وأنّهم يهتمّون ويعتنون بالبشر، وأنّه لا يمكن إقناعهم بارتكاب الظلم أبداً، هل عُرِضت هذه التأكيدات الآن بشكلٍ كافٍ؟ ألا يمكننا أن نقول إنّها لكذلك؟

الأثيني: إنّنا نمنحك اعترافنا الكامل بحقيقة كلماتك.

الأثيني: لقد تكلّمت بشدّة لأنّني متحمّس ضدّ الرجال الأشرار؛ وسأخبرك،

يا عزيزي كلينياس، لماذا تكلّمت هكذا. أنا لا أطيق أن يُظن أنّ للخبثاء الميزة واليد الطولى في المحاورة. هم يمكنهم أن يفعلوا ما يسرُّهم ويعملوا طبقاً لتصوّراتهم المتنوّعة بشأن الآلهة؛ وهذه الحماسة جعلتني أتكلّم بمنتهى الشدّة. لكن إذا نجحنا، على الإطلاق، في إقناع الرجال بأن يكرهوا أنفسهم وأن يحبوا ما يناقضهم، فإنّ استهلال نواميسنا بشأن العقوق لم يكن كلامنا عنه عقيماً.

كلينياس: دعنا نأمل ذلك، حتى وإن أخفقنا في ذلك، فإنّ نمط محاورتنا لن يُضعف الثقة بالمشرّع.

الأثيني: وستلي المحادثة بعد الاستهلال، وستكون مؤوّلة بالناموس. إنّها ستعلن لكلّ الأشخاص العاقين أنّ عليهم أن ينبذوا طرائقهم ويتّبعوا طرائق الثقات التّقاة. وأمّا أولئك الذين يعصون، فالناموس المتعلّق بالعقوق يجب أن يكون كما يلي: إذا كان رجل مذنباً بأيّ عقوق قولاً أو فعلاً فإنّ على أيّ شخص حاضر أن يعطي معلومات عنه للمسؤولين، مساعدةً للناموس. وعلى المسؤولين الذين يتلقّون المعلومات أوّلاً أن يحضروه أمام المحكمة المقرّرة طبقاً للناموس. وإذا رفض مسؤول أن يقوم بواجبه بعد أن تلقّى المعلومات، فإنّه سيُحاكم بتهمة العقوق بشهادة أيّ شخص مستعدّ لحماية النواميس. وإذا أُدين أيّ شخص، فإنّ المحكمة ستقرّر وتقدّر عقوبة كلّ فعل عاقّ. وأشخاص مجرمون كهؤلاء يجب أن يُلقوا في السجن جميعاً. ستكون هناك سجون ثلاثة في الدولة: أحدها هو السجن العامّ في جوار الساحة العامّة لحماية الأغلبيّة من المعتدين؛ وثانيها بجوار مجلس الشورى الليليّ، وسيدعى « بيت الإصلاح »؛ وأما السجن الثالث فسيُشاد في منطقة موحشة ومقفرة في وسط البلاد، وسيدعى باسم يعبّر عن الثواب والعقاب. وبعدُ، فَإنّ الرجال يقعون في العقوق للأسباب الثلاثة، التي ذُكرت آنفاً، وينشأ من هذه

الأسباب الثلاثة نوعان من أنواع العقوق، فيصبح عددها ستة، وهي جديرة بالذِّكر والتمييز، ولا ينبغي أن يكون لها العقاب عينه. إنّ مَن لا يعتقد بالآلهة، ومع ذلك يمتلك طبيعة صالحة، ويتفادى الرجال الطالحين، ويحبّ الحقّ ويكره الخبث ولا يحبّ الظلم ويرفض أن يفعله، وكذلك الذين يعتقدون إضافةً إلى ذلك بأنّ العالم خالٍ من الآلهة، وهم مبتلون باللذّة المفرطة والألم، ويمتلكون ذاكرة جيّدة وذكاءً حادّاً في الوقت عينه، إن كلا الاثنين أسوأ من الآخر. وبرغم أنّ كليهما كافران، فإنّ أحدهما يفعل الأذى أقلّ ممّا يفعله الآخر. يمكن لأحدهما أن يتكلّم بشكل فاجر عن الآلهة وعن التضحيات وعن الأيمان، ونتيجة تهكّمه على الرجال الآخرين لربّما يمكنه أن يجعلهم مثل نفسه، إذا لم يُعاقب على ذلك. لكنّ الآخر الذي يتمسك بالآراء عينها ويدعى رجلاً موهوباً، فإنّه مفعم بالحيل والخداع - إنّ رجالاً من هذا النوع. وهذه الطبقة يتّجرون بالنبوّة والشعوذة من كلّ نوع، ويأتي من طبيعتهم بعض المرات الطغاةُ والدهماويون وقادةُ الجيوش، ومفسّرو الأسرار المقدّسة الخاصّة والسوفسطائيون، كما يُسمون. إن هؤلاء كلهم يأتون بحيلهم ووسائهلم البارعة. هناك أنواع عديدة من الكافرين، لكنّ اثنين منها يحتاجهما المشرِّع فقط. أحدهما هو النوع المنافق الذي تستحقّ جرائمة الموت لعدّة مرّات ومرّات، في حين أنّ النوع الآخر يحتاج إلى المواثيق والنصح والتحذير. وبطريقة مماثلة أيضاً ففكرة أنّ الآلهة لا يهتمّون بالرجال تنتج نوعين جديدين من أنواع الجرائم. وأمّا فكرة أنّه يمكن استرضاؤهم فتنتج نوعين اثنين إضافة. وإذا افترضنا وجود هذه التقسيمات، فالذين كانوا على ما هم عليه لافتقارهم للفهم فقط، وليس بسبب الحقد أو نتيجة طبيعة شريرة، فيجب أن يضعهم القاضي في بيت الإصلاح، وأن يأمر بأن يقاسوا مرارة السجن لمدّة لا تقل عن خمس سنين، وفي الوقت عينه يجب ألاّ

يتّصلوا بأيّ مواطن من المواطنين، ما عدا أعضاء مجلس الشورى الليليّ، وهؤلاء عليهم أن يحادثوهم قصد تحسين صحّة أرواحهم. وحين انتهاء مدّة سجنهم، إذا كان أيٌّ منهم ذا عقل سليم، فيجب أن يُعاد إلى الرفقة عينها التي كان بصحبتها، وإلاّ، وإذا أُدين مرّة ثانية، فالموت عقابه. أمّا في ما يتعلّق بالطبائع الشديدة البشاعة التي لا تعتقد ليس بوجود الآلهة، ولا بإهمالهم، ولا بإمكانية استرضائهم بالهبات فقط، بل إنهم إحتقاراً لكلّ الجنس البشريّ، يستحضرون أرواح الأحياء[٨٨]، ويقولون إنّهم يقدرون على استحضار أرواح الأموات، ويَعِدون بسحر الآلهة بالأضاحي والصلوات، وهم سيقلبون الأفراد والبيوت كلّها والدول رأساً على عقب بشكل مطلق من أجل الحصول على المال، إن مَن يكون مذنباً بأيّ من هذه الأشياء يجب أن تدينه محكمة العدل وأن يُعتقل طبقاً للناموس، ويرمى في السجن النائي الموجود في وسط البلاد، ولا تدع أيّ إنسان حرّ يقترب منه أبداً. أمّا حصّته المعينة من الطعام فيقدمها له حماة الناموس والعبيد العامّون. وعند موته يجب أن يُرمى ما وراء الحدود بدون دفن. وإذا ساعد في دفنه إنسان حرّ فيجب أن يكون عرضة للمقاضاة بتهمة العقوق، وسيقاضيه أيّ شخص يكون على استعداد لإقامة دعوى ضدّه. لكن إذا ترك خلفه أطفالاً مناسبين كي يكونوا مواطنين، فعلى حماة اليتامى أن يعتنوا بهم، تماماً مثلما يعتنون بأيّ يتامى آخرين، ابتداءً من اليوم الذي اتُّهم به أبوهم.

يجب أن يكون هناك ناموس واحد لكلّ هذه الحالات، وهذا الناموس سيجعل الرجال أقلّ جرأةً على الاعتداء بالكلام أو بالفعل بشكل عامّ، وسيجعلهم أقلّ غباء، لأنهم لن يمارسوا الشعائر الدينيّة المناقضة للناموس. ودع هذه الصيغة تكون صيغة بسيطة من صيغ الناموس: لا أحد ينبغي أن يكون لديه شعائر دينيّة مقدّسة في بيتٍ خاصّ. وعندما سيضحّي، عليه أن

يذهب إلى الهياكل وأن يقدم هباته للكهنة والكاهنات الذين ينظرون إلى أشياءٍ مقدّسة وطاهرة كهذه. وعليه أن يصلّي بنفسه، سائلاً أي شخص إن كان يريد الانضمام إليه في صلاته. إن سبب هذا هو أنّ الآلهة والهياكل ليس سهلاً تعيينُها، ولكي تُعيَّن الآلهة وتُقام الهياكل بشكل صحيح فهذا العمل عملٌ ألمعيٌّ عظيم. والنساء بشكل خاصّ، والرجال أيضاً، عندما يكونون مرضى أو في خطر، أو في أيّ نوع من أنواع الصعوبة، أو، مرّة ثانية، حين يصادفهم حظّ سعيد، عندما يكونون في حالة كهذه، فإنّ لديهم طريقة التقديس المناسبة، بنذرهم الأضاحي، ووعدهم ببناء المزرات للآلهة، لأنصاف الآلهة، ولأبناء الآلهة. وعندما توقظهم الأشباح والأحلام المرعبة أو يتذكّرون الأطياف، فإنّهم يجدون في المذابح والهياكل شفاءً منها. وسيملؤون كلّ بيت وكلّ قرية بها، وسيختارون لها الأماكن الطلقة، أو حيثما يمكن أنّهم تلقّوا أطيافاً كهذه. إنّ هذه الأمثلة يجب أن تهدينا لاتّباع الناموس الذي نقترحه الآن. والناموس لديه اعتبار للعاقّين أيضاً، ولن يدعهم يتوهّمون أنّهم بأدائهم لهذه الأعمال السريَّة، بإقامة الهياكل وبناء المذابح في البيوت الخاصّة يمكنهم أن يسترضوا الله سرّاً وذلك بالأضاحي والصلوات، في حين أنّهم يضاعفون جرائمهم بدون حدود. إنّهم يجلبون الذنب على أنفسهم من السماء، وعلى أولئك الذين يسمحون لهم بفعل ذلك أيضاً، والذين يكونون رجالاً أفضل منهم. والعاقبة هي أنّ الدولة كلّها تجني ثمرة عقوقهم، والذي يستحقّونه، في معنى محدَّد. من المؤكّد أن الله لن يلوم المشرّع الذي سيشرِّع الناموس التالي: لا أحد ستكون لديه مزارات للآلهة في البيوت الخاصّة، ومن كان لديه أيٌّ منها ويؤدِّي أيّة شعائر مقدّسة غير مصرَّح بها علناً، مفترضين أنّ المعتدي هو رجل أو امرأة ما ليسا مذنبين بأيّة جريمة أخرى من جرائم العقوق، إنّ شخصاً كهذا سيُخبر عنه مَن يطّلع على

الحقيقة، وسيخبر حماةَ الناموس بها. وعليه أن يصدر الأوامر لهما، هو أو هي، بأن ينقلا شعائرهما الخاصّة إلى العلن. وإذا لم يتمّ إقناعهما، فعلى حماة الناموس أن ينزلوا بهما العقوبة حتّى يستجيبا. وإذا ثبت أن شخصاً أذنب بالعقوق، ليس بسبب طيش صبيانيّ لكن يمكن أن يكون رجال كبارٌ مذنبين به، فيجب أن تكون عقوبته الإعدام. وذلك سواء أقدَّم أضاحي لأيّة آلهة علناً، أو قدّمها في الشعائر السريّة الخاصّة التي أقامها. إنّ أضاحيه ملوَّثة، وسواء إذا قد فُعلت الأفعال بجديّة، أو لمجرد عبث صبيانيّ، فعلى حماة الناموس أن يقرّروا ذلك، قبل أن ينقلوا القضيّة إلى محاكم العدل ويحاكموا المعتدي بالعقوق.

محاورة النواميس

الكتاب الحادي عشر

افكار الكتاب الرئيسيّة

يقول الأثيني: إنّنا سننظّم التعامل بين الإنسان وأخيه الإنسان بشكل مناسب، وسيكون التنظيمُ المحافظةَ على ممتلكات الفرد كلّها. وستمسك بالمبدأ القائل: «لا ترفع ما لم تضعه في الأرض بنفسك». وسنسنّ نواميس للبيع والشراء في دولتنا. ولا أحد سيدعو الآلهة للشهادة، وذلك عندما يمارس شخصٌ ما شيئاً زائفاً او خادعاً او غادراً بالكلمة او بالفعل. إن الأكثر كرهاً عند الآلهة هو الذي يؤدّي يميناً زائفة ولا يقيم اعتباراً للآلهة، وفي الدرجة التالية من يتقوّل الباطل في حضور الأسمى منه والأعلى مقاماً. وبعدُ فإنّ الرجال الأفضل هم الأسمى والأعلى مقاماً من الرجال الأسوأ. وبشكل عامّ فإنّ كبار السنّ هم الأسمى والأعلى مقاماً من الصغار سنّاً. ومن اجل ذلك فإنّ الآباء هم الأسمى والأعلى مقاماً من ذريّتهم. والرجال هم الأسمى والأعلى مقاماً من النساء والأطفال. وينطبق هذا على الحكّام بالنسبة للمحكومين. وسنسنّ ناموسا يمنع الغش وشهادة الزور والخداع والاحتيال وقسم اليمين كذباً. وسنحدّد بيع التجزئة الذي يؤذي الشعب عامّة، وسنمنع الربح الذي لا قيود له ولا حدود. ونحن نعدُّ تجارة التجزئة، والتجارة، وإدارة الفنادق، والحانات أموراً مخزية ونشجبها. وسنسنّ قانوناً للقضاء على الغنى والفاقة، فأحدهما يفسد روح الإنسان بالترف، في حين أن الآخر يقوده بواسطة الألم لقلّة الحياء المطلق. وسنشرف، يا ميغيلوس وكلينياس، على عقد الاتفاقات التي يتمّ التعامل بها بين الأفراد كي يكون العدل فيها شاملاً. وبعد ان سننّا ناموساً

للحرفيّين، ينبغي علينا ألاّ ننسى تلك الحرفة الخاصّة بالحرب، وسنكرم الجنود والقادة الذين استبسلوا فيها وأبلوا بلاء حسناً، وقاتلوا بنبل دفاعاً عن بلادهم. ولن ننسى اليتامى إيواءً وتنشئةً وعلماً وضمانةً اجتماعيةً وحماية. أمّا الموصي فيجب أن يترك تنظيم شأن الوصيّة للمشرّع، وهو يقسّم الإرث بين أبنائه بالتساوي، وهو سيفعل الأفضل والأعدل في هذا المجال. وكذلك سيفعل في شؤون الزواج والطلاق وتنظيم العلاقات بين الآباء وأبنائهم والرجل وزوجته. إنّ احترام الآباء وتكريمهم واجب مقدّس على الأبناء ألاّ يهملوه، وإلاّ فالخزي والعقاب، سيلحقهم عاجلاً وآجلاً. سنسنّ ناموساً لعقاب مَن يسمّم الآخرين، ولعقاب السحرة، والمشعوذين من كلّ نوع. أمّا المجانين والمتسوّلون فلن يُطلق سراحهم في المدينة بل سيبقون في بيوت أهلهم. ولن نسمح للكتّاب الهزليّين بالدخول إلى دولتنا، لأنّ المزاح والهزل يسيئان الى شخصيّتنا الإنسانية.

هناك أشياء نبيلة عديدة في الحياة الإنسانية، لكنّ الشرور ملازمة لأكثرها وهذه مقرّرة بقضاء وقدر لتتلفها وتفسدها. أوَليس العدل نبيلاً، وهو الذي كان محضّر الإنسانية حقّاً؟ كيف يمكن للمدافع عن العدل أن لا يكون إنساناً نبيلاً؟

محاورة النواميس

الكتاب الحادي عشر

الأثيني: في المقام التالي، إنَّ التعامل بين الإنسان والإنسان يحتاج إلى أن يُنظَّم بشكل مناسب. ومبدأ التعامل هذا بسيط جدّاً: إنّ الإنسان لن يلمس، إذا استطاع، ما هو ملكٌ لي، أو أن ينقل أقلّ شيء يخصّني بدون موافقتي. ويمكن أن أكون ذا عقل سليم، وأفعل للآخرين ما أحبّ أن يفعلوه لي. دعنا نتكلّم أوّلاً عن اكتشاف كنز. يمكنني أن أصلّي للآلهة لأجد الكنز الدفين الذين خبّأه في مكانٍ ما شخصٌ آخر ادّخره لنفسه ولعائلته. وبما أنّه ليس واحداً من أسلافي، فلن أنقل الكنز من مكان إلى آخر، إذا وجدته. ولا مجال للتعامل أبداً مع أولئك الذين يُسمّون إلهيين، والذين ينصحونني بانتشال الوديعة الموكولة للأرض بطريقة ما أو بأخرى. وليس عليَّ أن أكسب كثيراً لزيادة مقتنياتي إذا أخذت الجائزة هذه، مثلما يجب عليَّ أن أكبر وأنمو في العدل وفضيلة الروح إذا امتنعت عن فعل ذلك، وستكون هذه المقتنيات أفضل من مقتنياتي الأخرى وفي جزءٍ أفضل من نفسي. فامتلاك واقتناء العدل في الروح أفضل من امتلاك الغنى. ومن بين أقوال كثيرة قيلت، هناك قول حقّ هو: « لا تحرّك اللاّمتحرك ». ويمكن اعتبار هذا القول واحداً منها. ومن الأفضل لنا أن نصدّق بالعرف العامّ الذي يقول، إنّ مآثر كهذه تمنع الإنسان من أن تكون لديه عائلة. وبعدُ فإنّه كمن لا يبالي بامتلاك الأطفال ولا باعتبارٍ للمشرِّع، منتشلاً ما لم يودِعْه، ولا أودعه أحد من أسلافه، وذلك بدون موافقة الوادع مخالفاً بذلك أبسط قواعد النواميس النبيلة التي لم يسنّها إنسان وضيع القدر. فلهذا الإنسان سنقول: « لا ترفع ما لم تضعه

في الأرض بنفسك ». وأقول عنه، إنّ الذي يزدري بهذين المشرّعين الاثنين، ويرفع شيئاً ليس صغيراً مّما لم يضعه هو، بل لربّما أنه وضع كمية كبيرة من الكنز، فماذا يجب أن يقاسي هذا الرجل على أيدي الآلهة؟ الله وحده يعرف. لكنّني أريد من أوّل شخص يراه أن يذهب ويخبر حكّام المدينة المحليّين، إذا حصل الحادث في المدينة، وإذا حصل الحادث في الساحة العامّة فإنّه سيخبر حكّام البلاد المحليّين ورؤساءَهم. وعند تلقّي المعلومات سترسل إلى معبد دلفي. وما أجاب الله به بشأن المال ومَن نقله، فذلك ما ستفعله المدينة طاعةً منها لوسيط الوحي. وإذا كان المخبر إنساناً حرّاً، فسيمتلك شرف العمل بحقّ. وإذا كان الذي أعطى المعلومات عبداً، فيجب أن يتحرّر، كما ينبغي على الدولة أن تعطي سيّده ثمنه وتعتقه. لكنّه إذا لم يُخبر عنه فسيُعاقب بالموت. يلي ذلك ناموسٌ مشابهٌ كما يلي، ناموس سينطبق على المسائل الكبيرة والصغيرة بشكل متساوٍ: إذا حدث أن ترك إنسان خلفه جزءاً ما من ممتلكاته، وسواء فعل ذلك عن قصد أو عن غير قصد، فالذي يمكن أن يجد هذه الممتلكات مصادفة عليه أن يتركها مكانها، آخذاً في الاعتبار أن أشياء كهذه هي في حماية آلهة الطرقات، وأنّها خُصِّصت لها بواسطة الناموس. لكن إذا تحدّى أيّ شخص الناموس وأخذ الممتلكات إلى البيت معه، وإذا كان الرجل الذي أخذه عبداً، فلمن يقابله ويكون له من العمر ثلاثون سنة له أن يجلده عدّة جلدات. وإذا كان إنساناً حرّاً، بالإضافة إلى كونه يتصوّر أنّه شخص دنيء ومستخفّ بالنواميس، فيجب أن يدفع عشرة أضعاف قيمة الثروة التي أخذها، ويجب أن يدفعها للتارك. وإذا اتَّهم شخصٌ ما شخصاً آخر لامتلاكه أيّ شيءٍ يخصّه، سواء أكان قليلاً أو كثيراً، وإذا اعترف الشخص المتّهم بأنه يمتلك هذا الشيء لكنّه أنكر أنّ الملكيةَ المتنازع عليها تخصّ المتّهم، وإذا كانت الملكيّة مسجلة عند

القضاة الحاكمين طبقاً للناموس، فإنَّ المطالِب بها سيستدعي مقتنيها للمثول أمام القضاء، وهو سيحضرها أمام القضاة الحاكمين. وعند جلبها إلى محكمة العدل، وإذا وُجدت مسجّلة في السجلات العامة، وعُرف صاحبها فلصاحبها هذا أن يأخذها ويذهب في طريقه. وإذا كانت الممتلكات مسْجّلة لشخص ما ليس حاضراً، فإنّ أيّ تأكيد كافٍ يقدّمه المطالبان بالنيابة عن الشخص الغائب مدّعيين أنّه سوف يهبها إلى أحدهما، سيأخذها مَن يملك التأكيد الكافي على أنّه وكيل عنه. لكن إذا كانت الملكيّة المودَعَة ليست مسجّلة مع القضاة الحاكمين، فلتبقَ إلى أن يحين وقت المحاكمة مع ثلاثة من أكبر القضاة الحاكمين سنّاً. وإذا كانت الوديعة حيواناً فإنّ مَنْ يخسر الدعوى يدفع للقضاة الحاكمين كلفة الاحتفاظ به. وهم سيقرّرون خلال ثلاثة أيّام.

إنّ أيّ شخص ذي عقل سليم يمكنه أن يعتقل عبده، وأن يفعل به ما يريده من تلك الأشياء التي يسمح بها الدين. ويمكنه أن يعتقل عبداً هارباً يخصّ صديقاً من أصدقائه أو أقربائه بقصد حمايته وضمانه. وإذا أبعد أيّ شخص عبداً موقوفاً، قاصداً بذلك تحريره، فإنّ الذي ينقذه سيدعه يذهب. لكنّ الذي يأخذه بعيداً، سيعطي ثلاثة تأكيدات كافية. فله إذا أعطى هذه التأكيدات، وليس بدون إعطائها، له أن يأخذه بعيداً. لكن إذا أخذه بطريقةٍ أخرى فسيُعتبر مذنباً بارتكاب عمل من أعمال العنف، وحال إدانته سيدفع غرامة مضاعفة القيمة للأضرار التي طالب بها الذي جُرّد من ذلك العبد. أيّ شخص يمكنه أن ينقل إنساناً حرّاً بالقوّة، إذا لم يؤدِّ احتراماً أو تقديراً كافياً لمن جعله حرّاً. وبعد فإنّ الاحترام سيكون بذهاب الإنسان الحرّ ثلاث مرّات في الشهر إلى مأوى الشخص الذي حرّره، ويقدم له ما يجب عليه أن يقدّمه وبقدر ما يستطيع. وسيوافق على أن يعقد قراناً كهذا كما يوافق

عليه أسياده السالفون. ولن يسمح له أن يحوز ملكيّة أكثر ممّا لدى الشخص الذي حرّره، وما زاد على ذلك سيناله سيّده. إنّ الإنسان المحرَّر لن يبقى في الدولة أكثر من عشرين سنة، لكنّه سيذهب بعيداً مثلما يذهب الغرباء الآخرون، آخذاً كلّ ممتلكاته معه، إلاّ إذا نال موافقة القضاة الحاكمين وسيّده السابق على البقاء. إذا كان لدى الإنسان المجرّد أو كان لدى إنسان آخر، غير غريب، إذا كانا يمتلكان أكثر ممّا هو مسجل في الإحصاء الرسميّ لدى الطبقة الوسطى، فحين انتهاء ثلاثين يوماً من اليوم الذي إبتدأت فيه هذه المدّة، فإنّه سيأخذ ما له من ملكيّة ويذهب في حال سبيله. وفي هذه الحالة لن يسمح له القضاة الحاكمون بالبقاء لفترة أطول من ذلك. وإذا عصى أيّ شخص هذا النظام، وأُحضر إلى المحكمة وأُدين، فسيطبّق فيه حكم الإعدام وستصادر ممتلكاته. إنّ الدعاوى المتعلّقة بهذه القضايا ستأخذ مكانها أمام القبائل، إلاّ إذا تخلّى المدَّعي والمدَّعى عليه بشكل رسميّ عن الاتهام إمّا أمام جيرانهما أو أمام القضاة الذين اختاروهم. إذا ادَّعى إنسان ملكيّة حيوان أو أيّ شيء آخر، فعلى المالك أن يُرجع إلى البائع أو إلى أيّ شخص أمين وجدير بالثقة، هذا الحيوان أو الشيء. والذي أعطاه الملكية أو حوّلها إليه بطريقةٍ شرعيّةٍ ما، سواء أكان مواطناً أو أجنبياً مقيماً إقامة مؤقّتة في المدينة لأقلّ من ثلاثين يوماً، أو إذا حوَّل الملكية له غريب فلأقلّ من خمسة أشهر، الذي سيتضمَّن منتصف الشهر انقلاب الشمس الصيفي. وعندما يتمّ تبادل البضائع بالبيع والشراء، فسوف ينقلها الإنسان ويسلّمها إلى أصحابها ويأخذ ثمنها وذلك بسعر محدّدٍ في الساحة العامّة، وبهذا يكون قد انتهى من المسألة. لكنّه لن يشتري أو يبيع في أيّ مكان آخر فيه تبادل لشيء واحد من البضائع بالبضائع الأخرى، ولن يفعل ذلك على أساس شروط التسليف. وإذا وُجد تبادل لشيء واحد بالآخر بأي طريقة أو أيّ مكان، وسلَّف البائع

للرجل الذي يشتري منه، فينبغي عليه أن يفعل هذا دون أن ينسى بأنّ الناموس لا يؤمّن الحماية في حالات الأشياء التي تمّ بيعها طبقاً لهذه النُظم. أمّا في ما يختصّ بالتبرّعات ثانية، فإنّه يمكن لمَن يرغب أن يطوف ويجمع التبرّعات كصديق من الأصدقاء، وإذا نشأ أيّ خلاف بشأن جمعها، فيجب عليه أن يفعل دون أن ينسى أنّ الناموس لا يؤمّن حماية في حالاتٍ كهذه. إنّ الذي يبيع أيّ شيء تفوق قيمته الخمسين دراخما سيضطر للبقاء في المدينة لعشرة أيّام، وسوف يتمّ إخبار الشاري عن بيت البائع، وذلك قصد نوع الرسوم التي يمكن أن تنشأ في حالات كهذه، وقصد التعويضات التي يسمح الناموس بها. والتعويض القانوني يجب أن يكون على هذا النحو: إذا باع رجلٌ عبداً أضناه المرض من جراء حصاة في الكلية، أو تقطّر البول، أو الصرع، أو أيّة فوضى دائمة أخرى وغير قابلة للشفاء في الجسد أو العقل، ولا يقدر الإنسان العادي على تمييزها، أقول، إذا كان الشاري طبيباً أو مدرّباً، فلا حقٌّ له في التعويض، ولا حقٌّ له في التعويض إذا أخبره البائع الحقيقة مقدّماً. لكن إذا باع إنسان حاذق في هذه الأشياء لإنسان غير بارع، فللشاري أن يلجأ إلى رفع الدعوى للحصول على تعويض خلال ستّة شهور، إلاّ في حالة الصَرَع، وحينئذ يمكن اللجوء إلى رفع الدعوى خلال سنة. إنّ الدعوى سوف يفصل فيها ويتّخذ القرار بشأنها أطباءُ يمكن للأطراف المتنازعة أن تتّفق بشأنهم وتختار مَن تريد منهم. وإذا خسر المدافع القضية فسوف يدفع ضعف الثمن الذي تمّ البيع فيه. إذا باع شخص خاصّ لشخص خاصّ آخر مثله فسوف يكون له الحقّ في التعويض، وسيُعطى القرار كما تمّ إعطاؤه سابقاً، لكن إذا أُطلقَ سراح المدافع فيُعادُ ثمنُ العبد مالاً فقط. إذا أخبر البائع الشاري، وعرف كلّ منهما حقيقة ما جرى، فلا تعويض في حالة كهذه. لكن إذا لم يعرف المشتري الحقيقة، فلا تعويض

محقّاً عند اكتشاف ما جرى. وسوف يستقرّ القرار مع خمسة من حماة الناموس الشباب، إذا كان القرار قرار البائع وكان صاحبه عالماً بالحقيقة، فإنّه سوف يُطهِّر بيت الشاري، طبقاً لناموس المؤوّلين، وسيرجع إلى البائع ثلاثة أضعاف المبلغ الذي دُفع.

إذا بادل إنسانٌ إنساناً آخر بالمال، أو بأيّ شيء مهما كان، حيّ أو لا حياة فيه، فعليه أن يعطي ذلك ويسلّمه صِرْفاً غير زائف طبقاً للناموس. ودعنا نضع استهلالاً بشأن كلّ نوع من أنواع الاحتيال، مثل استهلالاتنا عن النواميس الأخرى. يجب أن يعتبر كلّ إنسان أن الزنا هو صنف واحد من أصناف الزيف والخداع، وذلك في ما يتعلّق بالذي يتوق إلى قوله العديدون، في الأوقات والأماكن المناسبة التي يمكن للمزاولة فيها أن تكون مزاولة صحيحة غالباً. لكنّهم يضيّعون الفرصة، وعندما يكون الزمان والمكان غير محدَّدين وغير مفصول فيهما، ويفتقران للتحديد في لغتهما فإنّهما يسبّبان أذىً عظيم الشأن لأنفسهم وللآخرين. وبعدُ فإنّ المشرّع ينبغي ألاّ يترك المسألة بدون حسم، بل يجب عليه أن يفرض حدّاً ما، قليلاً أو كثيراً. هذا الناموس المفروض فليكنْ كما يلي: لا أحد سوف يدعو الآلهة للشهادة، وذلك عندما يرتكب شخصٌ ما شيئاً زائفاً أو خادعاً أو غادراً، إلاّ إذا كان مَن يدعوهم هو أكثر الناس كرهاً لدى الآلهة. إن أشدّ الناس كرهاً عند الآلهة هو مَن يؤدّي يميناً زائفة، ومَن لا يقيم اعتباراً للآلهة، وفي الدرجة التالية، من يتقوّل الباطل في حضور الأسمى منه والأعلى مقاماً. وبعدُ فإنّ الرجال الأفضل هم الرجال الأسمى والأعلى مقاماً من الرجال الأسوأ، وبشكل عامّ فإنّ كبار السنّ هم الأسمى والأعلى مقاماً من الصغار سناً؛ ومن أجل ذلك فإنّ الآباء هُمُ الأسمى والأعلى مقاماً من ذريّتهم، والرجال هم الأسمى والأعلى مقاماً من النساء والأطفال. وينطبق هذا أيضاً على

الحكّام بالنسبة للمحكومين. وعلى الناس جميعاً أن يبجّلوا أيّ شخصٍ يتبوّأ أيّ مركز من مراكز السلطة، وخاصّة أولئك الذين هم في مناصب الدولة. وهذا هو السبب الذي تكلّمت من أجله بشأن هذه القضايا. إنّ مَن يغشّ في السّاحة العامّة فإنّما يقول زوراً، ويخدع، وعندما يستشهد أو يتوسّل للآلهة، طبقاً لعادات وتحذيرات حكّام الساحة العامّة المحليّين، فإنّه يحلف بدون أيّ توقير لله أو احترام للإنسان. بالتأكيد، إنّها لقاعدة ممتازة أن لا نشوّه باستخفافٍ أسماء الآلهة، هذا إذا كان شخص مهملاً، كما هي عادة الرجال بشكل عام، إذا كان مهملاً للتقوى والطهارة في عمله الديني. لكن إذا لم يعمل الإنسان وفقاً لهذه القاعدة، فالناموس يجب أن يكون كما يلي: إنّ مَن يبيع أي شيء في الساحة العامة فلن يطلب سعرين اثنين لذلك الذي يبيعه، بل سيطلب ثمناً واحداً فقط. وإذا لم يحصل عليه، فسيبعد أغراضه المعروضة للبيع، ولن يضع لها ثمناً في ذلك اليوم لا أقلّ ولا أكثر. ويجب ألاّ يمتدح الأغراض المعروضة للبيع، ولا يقسَم الأيمان من أجلها. وإذا عصى شخص هذا الأمر، فإنّ أيّ مواطن موجود هناك لا يقل عمره عن الثلاثين سنة، يمكنه أن يعاقب الحالف بالضرب ويؤدّبه، لأنّه بدلاً من إطاعته للنواميس يعصيها، وسيكون حينئذ معرّضاً للاتهام بخيانتها. إذا باع إنسان أغراضاً مغشوشة وخالف هذه النظم، فإنّ مَن يعرف الحقيقة ويستطيع إثباتها، وأثبتها في حضور القضاة الحاكمين، وإذا كان عبداً أو أجنبيّاً مقيماً، فسوف يمتلك البضاعة المغشوشة. لكنّه إذا كان مواطناً، ولم يلاحق الاتّهام، فسيسمّى محتالاً، ويُعتبر أنّه سرق آلهة الساحة العامّة. وإذا برهن هو الاتّهام، فإنّه سوف يخصّص البضائع إلى آلهة الساحة العامّة. ومَن يبرهن أنّه باع أيّة بضائع مغشوشة، بالإضافة إلى خسارته البضائع عينها، فسيجلد بقسوة بالسياط، سوطاً لكل دراخما، طبقاً لثمن البضائع المعروضة. وسوف يعلن

المعلِن في الساحة العامّة الجرم الذي تعرّض صاحبه بسببه للضرب. إنّ حكام الساحة العامّة المحليّين وحماة الناموس سيحصلون على معلومات من الأشخاص ذوي الخبرة بالاحتيالات وأعمال الغشّ التي يقوم بها البائعون وسيكتبون خطيّاً ما يجب على البائع أن يعمله وما يجب عليه تجنّبه في كلّ حالة. ودعهم ينقشون نواميسهم على عمود في مقدّمة محكمة حكّام الساحة العامّة المحليّين، وذلك ليتسنى لهم أن يكونوا بكلّ جلاء معلّمين لأولئك الذين لديهم عمل في الساحة العامّة. لقد قلنا ما فيه الكفاية ممّا يتعلّق بحكّام المدينة المحليّين، وإذا بدا أنّ هناك نقصاً في هذا المجال، فعلى حكّام المدينة المحليين أن يتّصلوا بحماة الناموس وأن يسدُّوا الحاجة في ذلك، وعليهم كذلك أن يقيموا عموداً في محكمة حكّام المدينة المحليّين وينقشوا عليه النظم السياسيّة والثانويّة التي وُضعت لهم بشأن منصبهم.

وتأتي بعد ممارسات الغش لتجارة التجزئة. وبدايةً سنعطي كلمة نصح وتحذير وتعقّل في ما يتعلّق بهذه الممارسات، وسيلي الناموس بعد ذلك. إنّ تجارة التجزئة في المدينة لا يُقصد منها بالطبيعة أذيّة أحد، بل إنّها على العكس من ذلك تماماً. إذ هل يكون محسناً مَن يخفض اللاّتكافؤ في توزيع ولاتناسب البضائع إلى تساوٍ وإلى قياس وتناسب عامّ؟ وهذا ما تنجزه قوّة المال، ويمكن القول إنّ التجار معيّنون لهذا الغرض. إنّ المأجورين وأصحاب الحانات، وأصحاب العديد من المهن الأخرى، بعضهم كثير الحشمة والبعض الآخر قليلها ـ وكلّهم لديهم هذا الهدف بشكل متشابه؛ إنّهم ينشدون تأمين حاجاتنا ومساواة مقتنياتنا[٨٩]، دعنا نسعى لنرى إذن من وصل بتجارة التجزئة إلى هذه السمعة السيئة، ودعنا نرى أين يكمن الخزي وعدم اللياقة فيها، وذلك ليتسنى لنا الآن أن نكبح الشرّ جزئياً بواسطة التشريع وإن لم يكن هذا الشفاء كاملاً. وإنجاز هذا ليس شيئاً سهلاً ولا هو مسألة هيّنة، بل يحتاج إلى مقدار عظيم من الفضيلة.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: يا عزيزي كلينياس، إنّ امتياز الرجال هو امتياز صغير ـ قد تكون الطبيعة هي التي وهبتهم نادراً، أو أنّ التعليم درّبهم تدريباً صحيحاً ـ مَنْ يستطيع الصمّود ويتحمّل الاعتدال ويأخذه بعين الاعتبار، عندما يغير عليه العَوَز ويذعن للرغبات، أو كيف يتسنى للرجال أن يكونوا متّزنين ويضبطوا أنفسهم وأهواءَهم إذا ما أُتيح لهم ربح مقدار كبير من المال، أو كيف يفضلون الربح المعتدل على الربح الوفير؟ إن الجمهور الأعظم من الجنس البشريّ هم عكس هذا تماماً. إنّ رغباتهم غير مقيّدة، وعندما يمكنهم أن يربحوا بالاعتدال يفضّلون أن يربحوا بدون حدود؛ في حين أنّ كلّ ما يتعلّق بتجارة التجزئة، والتجارة، وإدارة الفنادق والحانات، كلّ هذه الأشياء مشجوبة ومعدودة بين الأشياء المخزية. إنّ كلّ ذلك الذي لا أثق به لا يمكن أن يكون أبداً ولن يكون، وإذا كنا لنجبر الرجال « إنّني سأجازف بقول شيء مضحك » إذا كنّا لنجبرهم على الاحتفاظ بالحانات لوقت وهم الذين يبزّون الكلّ في الفضيلة، أو كنّا لنجبرهم على أن يستمرّوا في ممارسة تجارة التجزئة، أو أن يفعلوا أيّ شيء من ذلك النوع، أو إذا أُجبرت أفضل النساء كنتيجة لقدرٍ أو ضرورة ما على اتباع دعوة مشابهة، فما يجب علينا إلاّ أن نعرف حينئذ كم تكون كلّ هذه الأشياء مقبولة وسارّة. وإذا أُديرت كلّ هذه المهن على مبادىء مستقيمة وخالية من الخطأ، فإنّنا سنمجّدها كما نمجّد الأمّ أو الممرّضة. أما الآن فالإنسان يذهب إلى الأماكن المهجورة ويبني البيوت التي لا يمكن الوصول إليها إلاّ برحلات طويلة شاقة من أجل تجارة التجزئة، والغرباء الذين يحتاجون لمكان ما للراحة مرحّباً بهم يجدونه، فيمنحهم السلام والهدوء عندما تقذفهم العاصفة، أو يظلّلهم بلطف من لهب الشمس الحارق. وعندئذ فبدلاً من أن يتصرّف معهم كأصدقاء، وأن يظهر لهم

واجبات المضيف نحو ضيوفه، فإنّه يعاملهم كأعداء وأسرى صاروا تحت رحمته، ولا يفرج عنهم إلى أن يدفعوا الفدية الأكثر ظلماً ومقتاً وابتزازاً. إنّ هذه الممارسات تجلب الخزي والعار بالنسبة لإسعاف المحتاجين في الضرّاء. وأيّة ممارسات غادرة تخفي شرّها هي هذه الممارسات؟! وعلى المشرّع دائماً أن يستنبط علاجاً لمساوىء من هذا النوع. هناك قول حقيقي قاله الأقدمون، وهو: « إنّه لمن الصعب أن تحارب عدوّين اثنين »، لكن يمكن رؤية هذا في الأمراض وفي الحالات المتعدّدة الأخرى. وأمّا في هذه الحالة فالحرب أيضاً ضدّ عدويّن اثنين - إنّهما الغنى والفاقة، أحدهما يفسد روح الإنسان بالترف، في حين أن ثانيهما يقوده بواسطة الألم إلى قلّة الحياء المطلق. وأيّ علاج تستطيع مدينة مدرِكةٌ أن تجده لمكافحة هذا المرض؟ أوّلاً يجب عليهم أن يمتلكوا أقلّ عدد ممكن من التجار؛ ثانياً ينبغي عليهم أن يخصّصوا المهنة لصنف الرجال الذين سيكون فسادهم هو الأقلّ أذىً للدولة؛ وفي المقام الثالث يلزمهم أن يستنبطوا طريقة ما يتفادون بواسطتها أن يقع أتباع هذه المهن أنفسهم بشكل سريع في عادة قلّة الحياء المطلق العِنان وفي عادة السفالة.

بعد هذا التصدير يجب أن يجرى ناموسنا كما يلي، ويمكن للحظّ السعيد أن يَمُنَّ علينا بهباته: لا مالك أرض بين المغنطيسيين الذين أحيا الله مدينتهم ووطّدها، لا أحد منهم، يعني، من بين الـ ٥٠٤٠ [5040] عائلة، سيصبح تاجر تجزئة، لا بالاختيار ولا بالإكراه؛ ولن يكون تاجراً، ولن يؤدّي أيّة خدمة للأشخاص الخاصّين إلاّ إذا خدموهم هم بشكلٍ متساوٍ، ما عدا خدمة أبيه وأمّه، وجدّته وجدّه. وعليه، بشكل عامّ، أن يخدم الأكبر منه سنّاً من الرجال الأحرار، والذين يخدمهم على أنّهم كذلك. وبعدُ فإنّه لمن الصعب أن نقرر بشكل دقيق الأشياء الجديرة أو غير الجديرة بالإنسان الحرّ.

لكن دع هؤلاء الذين نالوا جائزة الفضيلة أن يعطوا حكماً بشأنها طبقاً لشعورهم، أيّها الخطأ وأيّها الصواب. إنّ مَن يشارك بأيّة طريقة في تجارة التجزئة الضيّقة الأفق تفكيراً، يمكن أن يعرّض سلالته للتحقير على يد أي شخص يحبّ القيام بذلك، وأمام أولئك الذي تمّ الحكم عليهم أنّهم الأوائل في الفضيلة. وإذا ظهر أنّه يلطّخ بيت أبيه بامتهانه مهنة غير جديرة بالتقدير، فيجب أن يُرمى به في السجن لمدّة سنة وأن يمتنع عن ممارسة هذه التجارة نهائياً. إذا كرّر الاعتداد فسيُرمى به في السجن لمدة سنتين، وفي كلّ مرّة يدان بهذا الفعل يجب أن تضاعف مدّةُ سجنه. سيكون هذا ناموساً ثانياً: إنّ مَن يتعاطى عمل تجارة التجزئة يجب أن يكون إمّا أجنبيّاً مقيماً وإمّا غريباً. وسيكون الناموس التالي هكذا: على مَن يتعاطى عمل تجارة التجزئة وهو من سكّان مدينتنا، عليه أن يكون صالحاً كما يجب أو أقلّ سوءاً قدر الإمكان. إنّ حماة الناموس ينبغي عليهم أن يتذكّروا أنّهم ليسوا حماةً لأولئك الذين يمكن مراقبتهم بسهولة، والذين تمنعهم ولادتهم الصالحة وتنشئتهم الجيّدة من الخروج عن الناموس وارتكاب الشرور. لكن يبقى عليهم أن يراقبوا ويحرسوا أولئك الذين يكونون من نوع آخر، وأن يتابعوا مراقبة الحالات التي تميل بقوّة لجعل الرجال أشراراً. ولهذا السبب، وفي ما يتعلّق بالمهن المتعدّدة الأنواع لتجارة التجزئة، يعني، في ما يتعلّق منها بذلك، فسيسمح لها بالبقاء لأنّها ضروريّة تماماً للدولة ـ إنّ حماة الناموس يجب أن يجتمعوا بشأنها ويعقدوا مجلساً استشارياً مع الذين لديهم خبرة بالأنواع المتعدّدة لتجارة التجزئة. وذلك مثلما أمرنا سابقاً بخصوص الغشّ « وهو مسألة متّصلة بتجارة التجزئة »، وعندما يجتمعون فإنّهم سيأخذون بعين الاعتبار بعد حسم المصاريف، ما هو مقدار الربح المعتدل لتجّار التجزئة. إنّهم سوف يثبّتون كتابةً ويحافظون بشكل صارم على ما يرونه نسبة ملائمة

للربح الصحيح والمحقّ. إنّ هذا الربح سينظر به حكّام الساحة العامّة المحليّون، وكذلك حكّام المدينة المحليّون، وحكّام البلاد المحليون. وهكذا فإنّ تجارة التجزئة ستعود بالفائدة على كلّ شخص، وستسبب أقلّ أذىً ممكن لأولئك الموجودين في الدولة وللذين يمارسونها.

عندما يعقد إنسان اتفاقيّة لا ينفذها، إلاّ إذا كانت اتفاقّية ذات طبيعة لا يسمح بها الناموس، أو التي نقضها تصويت في الجمعية العامّة، أو التي عقدها الإنسان مرغماً دون اعتبار للعدل، أو التي مُنع من تنفيذها ضدّ إرادته بقدر غير متوقّع، إذا حصل هذا، فإنّ الفريق الآخر يمكنه أن يذهب إلى محاكم القبائل القانونيّة ومعه الناموس، بحجّة أنّ الفريق الأوّل لم ينفّذ ما اتُّفق عليه. هذا إذا لم يكن بمقدور الفريقين أن يصلوا إلى تفاهم أمام الوسطاء أو أمام جيرانهم. إنّ طبقة الحرفيّين الذين أمدُّوا الحياة الإنسانية بالفنون المكرّسة والمخصصة لهيفياستوس وأثينا؛ وهناك طبقة من الحرفيّين الذين يصونون أعمال الحرفيّين كلّها بواسطة فنون الدفاع، وهم العابدون الورعون لأريس وأثينا، واللذين خصّصت الألوهية لهما بشكل صحيح أيضاً، إنّ هؤلاء كلّهم يقضون حياتهم في خدمة بلادهم وشعبهم بشكل صحيح. بعضهم يخدمون كقادة في المعركة، وبعضهم يضع الوسائل للإيجار والعمل، ولا ينبغي عليهم أن يُخدعوا في أشياء كهذه، وذلك احتراماً منهم للآلهة الذين هم أسلافهم. إذا لم ينجز حِرَفِيٌّ ما عمله في وقت محدّد بسبب الكسل، دون تبجيل الله الذي وهبه وسائل الحياة، بل يعتبر أن إلهه الخاصّ هو رفيق غنيٌّ وأنه سيتركه بسهولة، ففي المقام الأوّل، سيقاسي على يد الآلهة العقوبات، وفي المقام الثاني سيلي الناموس في نفسيّة مماثلة: عليه أن يُدين لمن تعاقد معه ثمن الأعمال التي أخفق في إتمامها، وسيعود ثانية لتنفيذها مجاناً في الوقت المتّفق عليه. عندما يتعهّد إنسان بتنفيذ عمل، فإنّ

الناموس يعطيه الأداة عينها التي أُعطيت للبائع، وهي أنّه لا يلزمه أن يحاول رفع السعر، بل عليه أن يسأل عن قيمة البضائع بكلّ بساطة. وهذا الشيء يفرضه الناموس على المتعاقد أيضاً لأنّ الحرفيّ يعرف قيمة عمله بكلّ تأكيد. ومن أجل ذلك لا ينبغي على إنسان الفن في الدول الحرة أن يحاول فرض أيّ شيء على الأفراد الشخصيّين بمساعدة فنّه، وفرضه هذا يعتبر شيئاً خطأً بالطبيعة. ومن يتعرّض للأذى في مسألة من هذا النوع، سيكون له حقّ مقاضاة الفريق الذي ألحق الأذى به. وإذا ترك أيّ شخص العمل الذي عهد به لحرفيّ، ولم يدفع له في حينه وكما ينبغي طبقاً للاتفاق القانوني، دون اعتبار لزيوس حامي حمى المدينة ولأثينا، اللذين هما الشريكان في الدولة، وإذا قلّب أسس المجتمع رأساً على عقب من أجل بعض الربح، إذا فعل شخص كلّ هذا فلا بدّ من ناموس في حالته هذه، يبقي بإرادة الله الروابط المشتركة التي تربط الدولة ويحافظ عليها والذي لا يدفع الثمن في الوقت المتّفق عليه، وبما أنه استلم العمل في المبادلة سابقاً، يجب أن يدفع الثمن مُضاعفاً. وإذا انقضت سنة من الزمن، وبرغم أنّ الفائدة لا ينبغي أن تؤخذ على القروض، ومع ذلك فإنّ كلّ دراخما يدين بها للملتزم يجب أن يدفع عنها فائدة شهريّة مقدارها أوبول واحدة إنّ الدعاوى بشأن هذه القضايا تقرّرها وتبت بها محاكمُ القبائل.

وبالمناسبة بما أنّنا تعرّضنا لذكر الحرفيين، فلا ينبغي علينا أن ننسى تلك الحرفة التي تخصّ الحرب، والتي يكون فيها القادة العسكريّون والتقنيّون هم الحرفيين الذين يتعهّدون، مختارين أو مضطرين، بالعمل لضمان أمننا، تماماً مثلما يتعهّد الحرفيون الآخرون بالأعمال العامّة الأخرى. وإذا نفذوا كلّهم أعمالهم ونفّذوها جيّداً فإنّ الناموس لن يتعب أبداً من الثناء على الذي يهبهم هذه الكرامات التي هي جوائز عادلة تُعطى للجنديّ. لكن إذا تلقّى

أيّ شخص فائدةَ خدمةٍ نبيلة في الحرب بشكل مسبق، ولا يقوم بإعادة التكريم المتوجّب عليه، فإنّ الناموس سيلومه. يجب أن يكون الناموس هذا الجزء المقوِّم من الثناء، ولن يجبر أحداً بل سينصح الغالبيّة العظمى من المواطنين على تكريم وتمجيد الرجال الشجعان الذين هم المنقذون للدولة كلّها، سواء آنقدوها بشجاعتهم أو ببراعتهم العسكريّة الأصيلة. وأقول في المقام الثاني، إنّه ينبغي عليهم تمجيدهم لأنّ أسمى وأعلى وأوّل آيات التقدير والثناء يجب أن تُعطى لأولئك الذين فاقوا كلّ الرجال في مقدرتهم على تمجيد واحترام كلمات المشرّعين الأخيار.

إنّ الجزء الأكبر من التعامل بين الإنسان والإنسان قد تمّ تنظيمه، ما عدا تلك النظم التي تتعلّق باليتامى والإشراف عليهم بواسطة حماتهم. وهذه النظم تلي تالياً في نظام، ويجب ترتيبها بطريقة ما. لكن للوصول إليها يجب أن نبدأ بالرغبات المتعلّقة بوصيّة المتوفّين، وبحالة أولئك الذين توفّوا دون أن يكتبوا وصيّتهم. عندما قلت، يا كلينياس، إنّه ينبغي علينا أن ننظّمها، كنت أفكّر بالصعوبة والارتباك اللذين تتضمّنهما التنظيمات في كلّ هذه المسائل. إنّك لا تستطيع أن تترك هذه المسائل بدون تنظيم، لأنّ الأفراد سوف يشكّلون هذه التنظيمات ويوجدونها في تفاوت واختلاف بعضها مع بعض، وستكون معارضةً للنواميس وبغيضة بالنسبة للعادات التي يمارسها الأحياء، وكذلك لعاداتهم الشخصيّة الخاصّة السابقة أيضاً. هذا إذا سُمح لشخص بتحقيق الإرادة التي يشاء بكلّ بساطة، وكانت هذه الإرادة لتفرض تأثيرها في أيّما حالة يمكن أن يصل إليها عند نهاية حياته. لأنّ أكثرنا يفقد حواسّه إلى حدّ ما، ونشعر نحن أنّنا سُحقنا عندما نفكر بأنّنا وصلنا إلى نهاية حياتنا وأنّنا على وشك أن نموت.

كلينياس: ماذا تعني، أيّها الغريب؟

الأثيني: أوه يا كلينياس، إنّ الإنسان عندما يكون على وشك أن يموت، فإنّه يصبح مخلوقاً قابلاً للطَّرق والتمدّد، ويكون عرضة لاستعمال اللغة التي تسبّب مقداراً كبيراً من القلق، وتزعج المشرِّع.

كلينياس: بأيّة طريقة؟

الأثيني: إنّه يريد أن يحوز السيطرة التامّة على كلّ ممتلكاته، وسيستخدم الكلمات الغضبى.

كلينياس: مثل ماذا؟

الأثيني: سيقول، أوه أيّها الآلهة، كم إنّه شيء شاذٌّ ورهيب ألاّ تسمحوا لي أن أعطي أو لا أعطي الأشياء التي تخصّني لمن أريد، أو أن أعطي الأقلّ منها لمَن أساء إليّ والأكثر منها لمن عاملني معاملة حسنة، والذين خبرت سوءَهم وصلاحهم أنا بنفسي زمن المرض أو عند تقدّمي في السنّ، وعرفتهم في كلّ نوع من أنواع تقرير المصير!

كلينياس: حسناً، أيّها الغريب، أوليس قوله هذا عادلاً جداً؟

الأثيني: لقد كانت طبيعة المشرّعين الغابرين سليمة في رأيي، يا كلينياس، وقد سنُّوا النواميس بدون مراقبة كافية وبمعزلٍ عن الأشياء الإنسانيّة.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني، يا صديقي، أنّهم خافوا تأنيب الموصِّين، وهكذا فقد أقرُّوا ناموساً يقضي بالسماح للإنسان أن يوزِّع ملكيّته بالطريقة التي يحبّ. لكن أنت وأنا، إذا لم أكن مخطئاً، لدينا قول أفضل نوجهه إلى مواطنينا الراحلين. سنقول لهم: يا أصدقائي، إنّه لصعب عليكم، يا مخلوقات اليوم، أن تعرفوا ما لكم. وإنّه لصعب، كما يقول كاهن معبد دلفي، أن تعرفوا أنفسكم في هذه الساعة. وبعد فإنّني أعتبركم وأقدّر ما تملكون، كما يقول المشرِّع، ليس كأشياء خاصّة بكم أنتم، بل كأنها تخصّ عائلتكم جميعها، في الحاضر وفي

المستقبل على حد سواء. ومع ذلك فإنّني أولي احترامي بشكل أكثر للعائلة والمقتنيات على حدّ سواء لأنّهما يخصّان الدولة. ومن أجل ذلك، إذا باغتكم شخص ما بالتملّق عندما تُطرحون على فراش المرض أو حين تتقدّم بكم السن، وأقنعَكم أن توزّعوا ملكيتكم بطريقة ليست الطريقة الأفضل، فإنّني لن أسمح لكم بهذا، إذا استطعت. لكنّني سأشرّع للجميع ومن أجل خير الجميع، آخذاً بعين الاعتبار ما هو الأفضل للدولة وللعائلة على حدّ سواء، مبجّلاً، كما ينبغي عليّ، شعور الفرد بنسبة أدنى. وإنّي لآمل في أن تغادروا بسلام وحنان نحونا، كما أنّكم تسلكون الطريق التي سلكها الجنس البشريّ كلّه. ونحن سنعتني بكل ما يعنيكم بنزاهة وتجرّد، ولن نهمل واحدةً منها، إذا كان ذلك ميسوراً. هذا الاستهلال يجب أن يكون استهلالنا ومواساتنا للأحياء والمتوفّين، يا كلينياس، ودع الناموس يكون كالتالي: إنّ الذي يقوم بتوزيع ملكيّة أو تحويلها في وصيّة، وإذا كان هو أباً لعائلة، فلسوف يدرج اسم وريثه قبل كلّ شيء، أيّ واحدٍ من أبنائه يمكن أن يُعتقد أنّه مناسب لذلك. إذا أعطى أيّاً من أبنائه لشخص آخر يتبنّاه، فالتبنيّ يجب أن يُكتب خطيّاً. وإذا بقي لديه ولد لم يتمّ تبنّيه بأيّة قرعة، ويمكن توقّع إرساله خارجاً إلى أيّة مستعمرة طبقاً للناموس، فيمكن لأبيه أن يعطيه قدر ما يسرّه من بقيّة ملكيته، ما عدا الحصّة من جهة الأب وما يكون ثابتاً عليها. وإذا كان لديه أبناء آخرون، فللأب أن يوزّع بينهم الشيء الذي يوجد أكثر من قطعة الأرض أو الحصّة في هذه الأجزاء، دعه يوزّعها كما يرغب. وإذا كان لدى أحد الأبناء بيت خاص به، فلن يعطيه الأب ممّا لديه من مال، ولن يعطي مالاً لإبنةٍ مخطوبة، لكنّها إذا لم تكن مخطوبة فيمكنه أن يعطيها مالها. وإذا كان أيّ من أبنائه أو بناته لديه أو لديها قطعة أرض أخرى في البلاد، فسيتركون قطعة الأرض التي ورثوها لوريث الرجل الذي قد أوصى

ما عنده. وإذا لم يكن لدى الموصي أبناء، بل كان لديه بنات فقط، فله أن يختار الزوج الذي يريده لأيّ من بناته، وأن يورثه ويدرج اسمه كإبن له ووريث. وإذا فقد إنسان ولده، في طفولته، وقبل أن يُستطاع حسبانه بين الرجال الكبار، وسواء إذا كان هذا الطفل طفلاً له أو كان طفلاً بالتبنّي، فللموصي أن يذكر الحالة وأن يدرج اسم الإبن الذي سيكون ابنه الثاني على أمل الحظّ الأفضل. وإذا لم يكن لدى الموصيْ أطفال على الإطلاق، فيمكنه أن يختار أو يعطي لمن يُريد عشرَ ما يملك وذلك ممّا ناله. ولا لوم عليه إذا أعطى الباقي كلّه لابنه المتبنّى، وأن يجعله صديقاً له طبقاً للناموس. وإذا احتاج أبناء الرجل لحرّاس، وعندما يتوفّى الأب ويترك وصيّة معيّناً حراساً، فإنّ أولئك الحرّاس أيّاً كانوا ومهما كان عددهم، وإذا كانوا قادرين ومستعدّين أن يتعهّدوا برعاية الأطفال، فسيُعتبرون كذلك طبقاً لشروط الوصيّة. لكن إذا توفّي الرجل ولم يترك وصيته، أو ترك وصيّة بدون أن يعيِّن فيها حماةً لأطفاله، حينئذ فإنّ الأقارب الأقرب، اثنان منهم من جانب الأب واثنان من جانب الأم وواحد من أصدقاء الفقيد، ستكون لديهم سلطة الحماة الذين سيعيِّنهم الناموس حماةً عندما يحتاج اليتامى لذلك. وسيتولّى العناية والرعاية باليتامى كلّهم حماة الناموس الخمسة عشر وأكبر الحماة كلّهم سنّاً، وسيقسَّمون لثلاثة أقسام طبقاً لاقدميّتهم في الخدمة ـ وتتولّى هذا الأمر مجموعة ثلاثيّة منهم لمدّة سنة، وبعدئذ تتولّى مجموعة أخرى من ثلاثة لسنة تلي، إلى أن تكتمل دورة مدّة المجموعات الخمس. وسيستمّر هذا التنظيم على الدوام، قدر ما أمكن ذلك. إذا توفي إنسان ولم يكتب وصيته على الإطلاق، وترك أبناء يحتاجون لعناية الحماة، فإنّ هؤلاء الحماة سيسهمون في الحماية التي يمنحها الناموس. وإذا توفّي إنسان بقَدَرٍ ما غير متوقّع وترك خلفه بناتٍ، فليصفحْ عن المشرّع إذ أخذ بعين الاعتبار، عندما

أعطاهنّ في الزواج أخذ شرطين اثنين فقط من شروط ثلاثة، وهما قرب النسيب، وحفظ حصّة الأرض، وإسقاط الشرط الثالث الذي سيعتبره الأب بشكل طبيعيّ. إذ عندما يختار الأب ابناً واحداً لنفسه من بين كلّ المواطنين، وعندما يختار زوجاً لابنته، فإنّه سيأخذ في الحسبان أخلاق الزوج وصفته ومزاجه. أقول، إنّ الأب سيسامح المشرّع إذا لم يعتبر هذا الذي أوردناه، والذي سيكون له اعتبار مستحيل. دع الناموس المتعلّق بهذه المسائل وحيث يمكن له أن يتدخل، دعه يكون كما يلي: - إذا توفّي إنسان بدون أن يدوّن وصيّة، وترك وراءه بناتٍ، فلأخيه لجهة الأب أو لجهة الأم، والذي ليس لديه أرض، دعه يتزوّج البنت ويمتلك أرض المتوفّى. وإذا لم يكن لديه أخ، بل لديه ابن أخٍ فقط، فدعهما يتزوجان بطريقة مماثلة، إذا كانا في عمر مناسب. أمّا إذا لم يكن هناك حتّى ابن أخ، بل ابن أُخت، فدعهما يفعلان الشيء عينه. وهكذا في الدرجة الرابعة إذا وُجد أخ لأبي المتوفّى، أو في الدرجة الخامسة إذا وجد ابن أخي أبيه، أو في الدرجة السادسة، إذا كان ابن أُخت أبيه، فالأقرباء يجب أن يتمّ اعتبارهم بهذه الطريقة: إذا ترك شخص وراءه بناتٍ فإنّ القرابة ستتواصل صُعُداً من خلال الأخوة والأخوات، وأخوة وأخوات الأطفال. وستأتي قرابة الذكور أوّلاً، وبعدها تأتي قرابة الإناث من العائلة عينها. إنّ القاضي سيأخذ بعين الاعتبار ويقرّر تناسب أو عدم تناسب العمر في الزواج من هؤلاء الأشخاص. إنّه سيجري فحصاً على الذكور وهم عراة، وعلى النساء وهنّ عاريات إلى السُرّة. وإذا وُجد نقصٌ في عدد أقرباء العائلة ممتدّاً إلى حفدة الأخ، أو إلى أحفاد أبناء الجد، فيمكن للعذراء أن تختار بموافقة حماتها أيّ مواطن يكون مستعدّاً للزواج منها والذي تشاؤه. وسيكون هو وريث المتوفّى، وزوج ابنته. إنّ الحالات تختلف، ويمكن أن يحصل نقص بعض المرات في عدد الرجال، وذلك داخل حدود الدولة. وإذا

لم يكن لدى العذراء أقرباء يعيشون في المدينة، وهناك شخص ما قد أُرسِل خارجها إلى مستعمرة، وهي تميل لجعله وريث ما يقتني أبوها، وإذا كان هو واحداً من أقربائها حقّاً، فله أن يتقدّم ليأخذ قطعة الأرض طبقاً للناموس. لكن إذا لم يكن من أقاربها، وبما أنّها لا أقرباء لها داخل المدينة، وقد اختارته هي، وفوّضه الحماة بالزواج منها، فله بعد كلّ هذا أن يعود إلى البيت ويأخذ قطعة الأرض التي تخصّ المتوفّى الذي لم يكتب وصيّة. وإذا لم يكن لدى الرجل أبناء، لا ذكوراً ولا إناثاً، وتوفيّ دون أن يكتب وصيّة، فالناموس السابق يجب أن يأخذ مجراه ويثبت بشكل عامّ. ودع الرجل والمرأة يرحلان عن العائلة ويشاركان في البيت المهجور، ودع الأرض تكون خاصّة بهما بشكل مطلق. ودع الوريثة تكون أختاً في الدرجة الأولى، وأن تكون بنت الأخ في الدرجة الثانية، وأن تكون بنت الأخت في الدرجة الثالثة، وأن تكون أخت الأب في الدرجة الرابعة، وأن تكون بنت أخي الأب في الدرجة الخامسة، وأن تكون أخت الأب في الدرجة السادسة. وسوف يسكن هؤلاء مع أقاربهم الذكور، طبقاً لدرجة صلة القرابة والحقّ، كما حدث سابقاً. وبعدُ فلا ينبغي أن نخفي عن أنفسنا أنّ نواميس من هذا النوع هي عُرضة لتكون نواميس جائرة، وأنّ هناك صعوبة بعض المرات في أن يأمر المشرّع قريب المتوفّى كي يتزوّج قريبته. قد يتبادر إلى الذهن أن المشرّع لم يأخذ بعين الاعتبار العقبات المتعدّدة التي يمكن أن تنشأ بين الرجال في تنفيذ نواميس محليّة كهذه، لأن هناك حالات يرفض الفرقاء إطاعتها، ويكونون على استعداد لفعل أيّ شيء بدل الزواج، وذلك في حالة وجود علّة جسديّة أو عقلية ما، أو وجود خلل بين أولئك المختبئين من فكرة الزواج أو يكونون مناسبين له. يمكن أن يتوهّم الأشخاص أنّ المشرّع لم يفكّر بهذه الحالات أبداً، لكن هؤلاء الأشخاص مخطئون، لهذا السبب دعنا نضع

تصديراً عامّاً بالنيابة عن المشرّع وبالنيابة عن رعاياه، متوسّلين الرعايا للصفح عن المشرّع، في أنّه لا يستطيع أن يعتبر في الوقت عينه حالات الأفراد المتعدّدة، إذ يلزمه أن يعتني بالسعادة والخير العامّ. وعلى الجانب الآخر أن نستعطفه للصفح عنهم إذا كانوا غير قادرين بالطبيعة على إنجاز العمل الذي فرضه عليهم نتيجة جهله بعض المرات.

كلينياس: وكيف نستطيع أن نقوم بالفعل الأكثر عدلاً بموجب هذه الحالات، أيّها الغريب.

الأثيني: لا بدّ من وجود وسطاء مختارين لمعالجة نواميس كهذه، والتعامل مع رعاياهم.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أنّه يمكن حدوث حالة يكون فيها ابن الأخ غنيّ الأب، ويكون غير مستعدّ للزواج من ابنة عمه. سيكون لديه شعور بالكبرياء، وسيرغب بالتطلّع إلى ما هو أسمى من ذلك. وهناك حالات تجبر المشرع على أن يفرض عليه الكارثة الأعظم، وتجبره على مخالفة الناموس بالمقابل، إذا احتاج لذلك. كمثال، كي يقترن بزوجة مجنونة، أو مصابة بعلّة مرعبة في الروح أو الجسد، تجعل الحياة معها لا تطاق لمن يعانيها. دع الذي تقوله إذن في ما يخصّ هذه الحالات دعه ينتظم في ناموسٍ كالتالي: إذا وَجَدَ أيُّ شخص خطأً في النواميس المشرّعة وفي ما يخصّ الوصايا، والمتعلّقة بالقضايا الأخرى وخاصّة بتلك النواميس التي تتّصل بالزواج، ويؤكد هذا الشخص أنّ المشرّع لن يجبره على طاعتها، إذا كان حيّاً وموجوداً، يعني أنّ الذين تطالبهم نواميسنا بأن يتزوّجوا أو يُعطوا في الزواج، لن يجبرهم المشرّع على أن يفعلوا أيّاً منها. لكنّ قريباً ما أو حامياً يجادل في هذا، والجواب على ذلك أنّ المشرّع ترك خمسة عشر حامياً من حماة الناموس كي يكونوا الوسطاء وآباء

اليتامى، الذكور منهم والإناث، ويجب أن يلجأ المجادلون ويلتمسوا منهم العون، وأن يقرروا بمساعدتهم أيّة قضايا من هذا النوع، ولنسلّم بأنّ قرارهم يعتبر القرار النهائيّ. لكن إذا رأى أيّ شخص أنّ هذه السلطة المعطاة لهم هي قوّة كثيرة جدّاً، أي سلطة حماة الناموس، فدعه يُحضر أخصامه إلى المحكمة ذات القضاة المختارين، وهناك ستُحسم النقاط الرئيسيّة التي هي موضوع الخلاف والجدل. ومن يخسر الدعوى سيُلام ويتعرّض لنقد المشرّع. وهذان اللوم والنقد سيحسّ الإنسان المدرك أنّهما غرامة أثقل بكثير من خسارة كميّة من كبيرة من المال.

وهكذا سيكون لدى الأطفال اليتامى ولادة جديدة. بعد أن تكلّمنا عن ولادتهم الأولى وتكلّمنا عن تغذيتهم وتعليمهم. وبعد ولادتهم الثانية، بعدما فقدوا آباءَهم، ينبغي علينا أن نتّخذ إجراءات تخفّف قدر الإمكان من بليّة اليُتم في المقام الأوّل، نقول نحن إنّ حماة الناموس هم مشرّعون وهم آباءٌ لهم، وليسوا بأيّة حال أدنى من آبائهم الطبيعيّين. بالإضافة إلى ذلك، سيعتنون بهم سنة بسنة، وكأنّهم أقاربهم الخاصّين بهم. وقد نصحناهم ونصحنا أطفال الحماة وحذّرنا الجميع بشكل مناسب في ما يخصّ تنشئة اليتامى. ويبدو أنّنا تكلّمنا بشكل مناسب في بحثنا السابق، وذلك عندما قلنا إنّ أرواح المتوفّين لديها، حتّى بعد الوفاة، قوّة تتولّى الاهتمام بالشؤون الإنسانيّة، وهناك العديد من القصص والتقاليد بشأنها، وهي موجودة منذ زمن طويل حقاً، لكنّها قصص وتقاليد حقيقيّة. وبما أنّنا شاهدنا أنّها قديمة ومتعدّدة فيجب أن نصدّقها، ويجب أن نصدّق أيضاً واضعي النواميس التي تعلن أنّ هذه الأشياء هي أشياء حقيقية، إلاّ إذا اعتقدنا حقّاً أنّها أشياء عبثيّة. لكن إذا كانت هذه الأشياء حقّاً هكذا فإنّ الرجال في المقام الأوّل يجب أن ينتابهم الخوف من الآلهة في العلى، الذين يأخذون بعين الاعتبار وحدة

اليتامى أوّلاً، وتالياً؛ وأرواح المغادرين الذين يميلون بالطبيعة للعناية بأطفالهم الذين يخصّونهم بشكل استثنائيّ، وهم محبّون لمن يكرمهم، ولا يحبّون مَن يتصرّف بعكس ذلك، ينبغي على الرجال أن يخافوا أرواح الأحياء الذين تقدّمت بهم السنّ والذين سَمَوا شرفاً وتكريماً. وكلّما كانت المدينة منظّمة تنظيماً جيّداً ومزدهرة، فإنّ المتحدّرين فيها ومنها يتعلّقون بهم، ويعيشون سعداء. إنّ الأشخاص المسنّين يرون ويسمعون بسرعة كل ما يتعلّق بهم، وهم صفوحون متسامحون مع العادلين في إنجاز وإتمام واجباتهم، وهم الأكثر سخطاً مع الذين يؤذون اليتيم ويؤذون المتوحّدين البائسين، ناظرين إليهم على أنّهم الودائع الأنفس والأقدس. لهذه القضايا كلّها على الحامي والقاضي الحاكم أن يخصّص فكره، إذا كان لديه فكر، وعليه أن يولي اهتماماً لتنشئة وتعليم اليتامى، وأن ينشد فعل الخير لهم بكلّ طريقة ممكنة لأنّه بذلك يُوجد مأثرةً لخيره الخاصّ ولخير أطفاله. إنّ مَن يطيع القصّة التي تقدّمت الناموس، ومن لم يسبّب أيّ أذىً لليتيم لن يختبر غضب المشرّع الشديد أبداً. لكنّ الذي يعصي، ويؤذي أيّ شخصٍ حُرم الأب أو الأمّ، فإنّه سيدفع غرامة مضاعفة لتلك التي كان سيدفعها لو آذى شخصاً أبواه أحياء. أمّا في ما يخصّ اقتراب التشريع بشأن علاقة الحماة باليتامى، أو في ما يختصّ بالحكّام القضاة وإشرافهم على الحماة، فإذا لم يكونوا مثالاً للسلوك الذي ينبغي على الأطفال الرجال الأحرار أن يُربّوا عليه في تنشئة أطفالهم الخاصّين بهم، وعن العناية بملكيّة اليتامى كالعناية بملكيّتهم الخاصة، وإذا لم يكن لديهم نواميس عادلة مصوغة بشأن هذه القضايا بالتحديد بشكل عادل، أقول، إذا لم يحدث هذا فمن الضروري سنّ نواميس لهم، بحجّة أنّهم كانوا طبقة مميّزة. ويمكننا أن نميّز ونُوجد قواعد منفصلة لحياة اليتامى، ولغير اليتامى. لكن كما يتوقّف الوضع، فإنّ حالة اليتامى معنا لا تختلف عن حالة أولئك الذين

لديهم أب وبرغم ذلك وفي ما يتعلّق بالتكريم والعار والاهتمام المعطى لهما، فإنّ الاثنين لا يوضعان في المستوى عينه عادةً. ومن أجل ذلك، حينما نقترب من التشريع عن اليتامى، فإنّ الناموس يتكلّم بلهجة خطيرة، لهجة فيها إقناع وتهديد. وهذا التهديد وكذلك التهديد التالي، ليس خارج مكانه بأيّة حال. إنّ مَن يكون حامياً ليتيم من كلا الجنسين، والذي خُصِّص له من بين حماة الناموس، الإشراف على هذه الحماية، إن هذا الحامي سيحبّ اليتيم القليل الحظّ وكأنّه طفله الخاصّ به، وسيعتني به، ويكدح من أجله، ويبذل الجهد في إدارة مقتنياته وكأنّها ملكٌ خاصّ به، بل يجب أن يكون أكثر اعتناءً وجهداً بها. دع كلّ شخص لديه اهتمام وعناية باليتيم، دعه يراقب هذا الناموس. لكن أيّ شخص يفعل عكس الناموس هذا بالنسبة لهذه القضايا، ولو كان حامياً للطفل، فيمكن أن يغرّمه القاضي الحاكم. وإذا كان هو نفسه قاضياً حاكماً، يمكن أن يحضره الحامي أمام المحكمة المؤلّفة من قضاةٍ منتخبين، وأن يعاقبه إذا أُدين وذلك بتعيين غرامة مقدارها ضعف ما أنزلته به المحكمة. وإذا ظهر الحامي لأقارب اليتيم، أو لأيّ مواطن آخر، إذا ظهر أنّه يتصرّف بإهمال أو بخيانة، فعليهم أن يحضروه أمام المحكمة عينها. ومهما كانت قيمة الضّرر الذي أنزل به، فيجب أن يدفع أربعة أضعاف ما هو، نصفه لليتيم والنصف الآخر لمن يسبب الإدانة. إذا بلغ اليتيم مرحلة التمييز والرشد، وتصوّر أنّ حماته قد استخدموه بشكل سيِّىء فمن حقه، خلال خمس سنوات من نهاية الحماية أن يُسمح له بإحضارهم للمحاكمة. وإذا أدين أحدهم، فإنّ المحكمة ستقرّر ما سيدفعه أو يقاسيه. وإذا ما بدا أنّ قاضياً حاكماً أخطأ بحقّ اليتيم بالإهمال، وأدين من أجل ذلك، فالمحكمة يجب أن تقرّر ما سيقاسيه أو يدفعه لليتيم. وإذا أضيف التضليل إلى الإهمال، فيجب أن يُعزل من وظيفته كحامٍ للناموس، وأن يدفع غرامة فوق

ذلك. وعلى الدولة أن تعيّن حامياً آخر للناموس ليحكم المدينة والبلاد من مكتبه.

هناك فروق كبيرة تنشأ بين الآباء والأبناء أكثر ممّا يلزم بعض المرات. فمن ناحية يرى الآباء أنّ المشرّع يجب أن يسنّ ناموساً يمكنّهم، إذا رغبوا، أن يتبرّؤوا من ابنهم بشكل قانونيّ بواسطة إعلان المذيع أو الناطق الرسميّ في وجه العالم؛ ومن ناحية ثانية يرى الأبناء أنّه يجب السماح لهم أن يقاضوا آباءَهم بتهمة الحماقة التامّة عندما يكونون مقعدين عن العمل بسبب المرض أو بسبب التقدّم في السن. إنّ هذه الأشياء تحدث في الواقع، حيث تكون طبائع الرجال سيّئة بشكل مطلق؛ لأنّها حيث تكون نصف سيّئة فقط، كمثال، إذا لم يكن الأب سيّئاً، بل كان الولد كذلك، أو عكس ذلك، فما من كارثة عظيمة تسبّب مقداراً من الكراهية كهذه. وفي حالة أخرى، فإنّ إبناً تبرّأ منه أبوه وأنكره لن ينقطع عن أن يكون مواطناً بالضّرورة، لكن في مدينتنا، التي يجب أن تكون هذه النواميس لها، ينبغي على المحروم من الإرث أو الميّزات الخاصّة أن يهاجر إلى بلاد أخرى بالضرورة، إذ لا يمكن إضافة حتّى عائلةٍ واحدة على الأسر ال ٥٠٤٠ [5040] ولهذا السبب فإنّ من يستحقّ أن يعاني هذه الأشياءِ لا يجب أن ينكره أبوه، وهو شخص واحد، بل يجب أن تنكره العائلة كلّها. وما حدث في هذه الحالات يجب تنظيمه بناموس كالتالي: إنّ مَن يكون في فوضى روحيّة محزنة ولديه نيّة في أن يطرد إبناً أنجبه وربّاه، أكان ذلك عدلاً أو ظلماً، إنّ هذا الشخص لن ينفّذ قصده بلامبالاة وحالاً، بل عليه قبل كلّ شيء أن يجمع أقرباءَه الذين يخصّونه، بما في ذلك أبناء أعمامه وأخواله، وبطريقة مماثلة، أقرباء ولده من جانب أمّه، وسيتّهم ولده في حُضروهم، معلناً أنّه يستحقّ أن يُنبذ من العائلة وعلى أيديهم جميعاً. وينبغي عليهم السماح للولد أن يخاطبهم بطريقة مماثلة،

وأن يبيّن لهم أنّه لا يستحقّ أن يعاني أيّاً من هذه الأشياء. وإذا أقنعهم الأب، وحصل على موافقة أكثر من نصف أقاربه، باستثناء الأب والأمّ والمعتدي نفسه، أقول، إذا حصل على موافقة أكثر من نصف أعضاء العائلة الآخرين الكبار في السنّ كلّهم، ومن كلا الجنسين، فإنّ الأب سيُسمح له إبعاد ابنه، لكن ليس إذا حصل غير ذلك. وإذا أبدى أيٌّ مواطن استعداده لتبنّي الإبن الذي تقرَّر إبعاده، فلا قانون سيمنعه من تحقيق ذلك، لأنّ أخلاق الشباب عرضة لتغيرات متعدّدة في مسار حياتهم. وإذا تمّ إبعاد الولد ولم يُبد أحدٌ استعداده لتبنّيه في مدّة عشر سنين، فدع أولئك الذين لديهم الاهتمام بزيادة السكان الذين أُرسلوا للمستعمرات في الخارج، دعهم يرونه، وذلك كي يمكنه أن يكون مُعدّاً للذهاب إلى المستعمرة بشكل مناسب. وإذا جعل المرض أو السنّ أو قساوة السلوك، إذا جَعلت كلّ هذه لأشياء مجتمعة إنساناً بدون عقل وفكر، أكثر ممّا هم عليه بقيّة الناس، لكن ذلك لم يُراقبه ولم يشاهده إلاّ الذين يعيشون معه، وكونه هو سيّد ملكيّته، وهذه السيادة تجرّ خراب البيت، ويشكّ ابنه ويتردّد بشأن إظهار أن أباهُ مخبول، فالناموس يجب أن يقضي في هذه الحالة. إنّ عليه الذهاب إلى حماة الناموس قبل كلّ شيء، ويلزمه أن يخبرهم عن سوءِ حظ أبيه. وهم سينظرون في المسألة كما ينبغي، ويعقدون مجلساً استشارياً إذا ما كان عليهم أن يقاضوه بتهمةٍ أو لا. وإذا نصحوه أن يتقدّم بذلك، فهم سيكونون شهودَه ومحاميه. وإذا أُبعد الأب، فسيكون من الآن وصاعداً غير قادر على تنظيم المهمّة الأقلّ من مهمّات حياته. فعليه حينئذ أن يكون كالطفل قاطناً في البيت لبقية أيّامه.

وإذا كانت طباع الرجل وزوجته متضاربة وغير متناسبة فإنّ عشرة من حماة الناموس المتّصفين بالنزاهة وعدم التحيّز، وعشر من النساء اللواتي ينظّمن الزواج، هؤلاء سينظرون في المسألة. وإذا قدروا على أن يصلحوا

بينهما، فإنّهما سيصطلحان بشكل رسمّي. لكن إذا كان الانفعال والهوى يحكمان روحيهما، فسيسعى هؤلاء الحماة ليجدوا شريكاً مناسباً لكلٍّ منهما. وبعدُ فإنّهما من الصعب أن يمتلكا طبعاً لطيفاً جدّاً على الأرجح. ولهذا السبب، يجب علينا أن نسعى كي نوحّد معهما طبيعتين أعمق تفاهماً وألطف طبعاً. أمّا أولئك الذين لا يمتلكون أولاداً، أو إذا امتلكوا فقلّة فقط، وفي وقت انفصالهم، فيلزمهم أن يختاروا شركاءَهم الجدد قصد إنجاب الأطفال. لكن الذين لديهم عدد كافٍ من الأطفال، سينفصلون ويتزوّجون ثانية ليتمكّنوا من أن يكون لديهم شريك يشاطرونه كبر السنّ. ولكي يتمكّن الزوجان من أن يعتنيا أحدهما بالآخر في زمن الشيخوخة، إذا توفّيت المرأة وتركت خلفها أطفالاً، ذكوراً كانوا أو إناثاً، فإنّ الناموس سينصح الزوج ولا يجبره على أن يربّي أطفاله بدون أن يُدخل إلى البيت رابّة « خالة ». لكن إذا لم يكن لديه أطفال، فسيُجبر على الزواج عندئذ لكي ينجب عدداً كافياً من الأبناء لعائلته وللدولة. وإذا توفّي رجل تاركاً خلفه عدداً كافياً من الأطفال، فإنّ أمّ هؤلاء الأطفال ستبقى معهم وتربّيهم. لكن إذا بدا أنّها أكثر شباباً لأن تحيا حياة فاضلة بدون زوج، فعلى أقربائها أن يتّصلوا بالنساء اللواتي يشرفن على الزواج، وليعملوا جميعهم معاً ما يرونه الأفضل في هذه القضايا. وإذا وُجد نقص في عدد الأطفال، فدع الاختيار يكون قصد حيازتهم؛ أي حيازة طفلين، واحد من كل جنس وسيُعتبران كافيين في نظر الناموس. عندما يُقبل طفل على أنّه ذريّة من أبوين محدّدين ويعترفان هما به، لكن هناك حاجة لقرارٍ يحدّد لأيٍّ من الأبوين يجب أن يتبع الطفل. إذا عاشرت أنثى عبدة ذكراً عبداً، أو إذا جامعت رجلاً حرّاً أو محرّراً، فإنّ النسل سوف يخصّ سيّد العبدة الأنثى على الدوام. مرّة ثانية، إذا عاشرت امرأة حرّة ذكراً عبداً، فإنّ النسل سوف يخصّ سيّد العبد. لكن

إذا وُلد الطفل من عبدة بواسطة سيّدها، أو من سيّدة بواسطة عبدها، وإذا تمّ إثبات ذلك، فإنّ ذريّة المرأة وأبيها ستُبعدها النّساء اللواتي يشرفن على الزواج إلى بلاد أخرى، وسيبعد حماة الناموس الذريّة التي تخصّ الرّجل ويبعدون أمّه.

ما من إله، ولا إنسان عاقل ينصح شخصاً ما بإهمال آبائه. والمحادثة التي تخصّ تكريم الوالدين وإهانتهما، فإنّ تصديراً كالتالي سيلي بشأن الخدمة للآلهة، وسيكون هذا التصدير مقدّمة مناسبة. هناك تقاليد غابرة بشأن الآلهة هي تقاليد عالميّة، وهي ذات نوعين: إنّ بعض الآلهة نراهم بأعيننا ونكرّمهم، وبعضهم الآخر نكرّم صورهم، ونقيم التماثيل لهم، ونجلّها، رغم أنّها تماثيل لا حياة لها. ومع ذلك فنحن نتصوّر أنّ الآلهة أحياء ولديهم نيّة صادقة وعرفان بالجميل لنا بسبب ذلك. وبعدُ، فإنّ الإنسان إذا كان لديه أبٌ أو أمّ، أو أجداد، وجدات، وتم تعزيزهم في بيته لأنّهم طعنوا في السنّ، فلا تمثال يمكنه أن يكون فعّالاً في منحه ما يطلب أكثر ممّا هم عليه، أولئك القابعون في مأواه، شرط أن يعرف فقط كيف يبيّن لهم الخدمة الحقيقيّة.

كلينياس: وماذا تسمّي الصيغة الحقيقيّة للخدمة؟

الأثيني: سأخبرك عنها يا صديقي، لأنّ هذه الأشياء جديرة بالسماع.

كلينياس: واصل.

الأثيني: إنّ أويديبوس عندما أهانه أبناؤه، كما يقول العرف، سبّب لهم اللعنات التي يدّعي كلّ شخص أنّها سُمعت وصادق عليها الآلهة، وأن أمينتور سبّب اللعنات لأبنه فوينكس لغضبه الشديد عليه. وكذلك فعل ثيسيوس على هيبوليتوس، وإنّ رجالاً آخرين لا يُحصون قد استنزلوا الغضب الشديد على أطفالهم. لذلك فإنّه لواضح أنّ الآلهة استمعوا إلى لعنات الآباء وسخطهم، لأنّ لعنات الآباء، كما يجب أن تكون، جبّارة وعظيمة ضدّ أولادهم أكثر

من أيّ شيء آخر. وهل سنفترض أنّ الصلوات لأبٍ أو لأمٍّ أهانهما ابنهما، هل سنفترض أنّ الآلهة تستجيب لهذه الصلوات طبقاً للطبيعة؛ وإنّه إذا كرّم الابن الآباء، وفي بهجة قلبه تضرّع إلى الآلهة في صلواته كي يفعل لهما الخير، فهل سنفترض ثانية أنّه لن يُسمع له بشكل متساوٍ، وأنّهم لا يسعفون طلبه؟ وإلاّ، فإنّهم سيكونون أسياداً غير عادلين للخير أبداً. ونحن نؤكّد أنّ ذلك عكس طبيعتهم.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أفلا يمكننا أن نتصوّر، كما قلت لتوّي الآن، أنّنا لا نستطيع اقتناء صورة تمجّدها الآلهة، أكثر إجلالاً من صورة أبٍ أو جدٍّ أو أمٍّ، طاعنين في السنّ؟ والذين إذا كرّمهم الإنسان، فإنّ قلب الله يبتهج، ويكون مستعدّاً ليستجيب صلواتهم؟ وحقّاً، إنّ صورة سلفٍ صالح هي شيء رائع، إنّها أسمى بكثير من صورةٍ لا حياة لها. لأنّ الأحياء عندما نكرّمهم، ينضمّون إلينا في صلواتنا، وعندما نهينهم، فإنّهم يستمطروننا باللّعنات؛ لكنّ الأشياء التي لا حياة لها لا تفعل أيّاً من ذلك. ولذلك، فلو عامل إنسان أباه وجده وأقاربه الآخرين المسنّين، لو عاملهم معاملة صحيحة لامتلك صوراً تفوق كلّ الصور الأخرى والتي ستوفّقه لبلوغ منّة الآلهة ورعايتهم.

كلينياس: ممتاز.

الأثيني: إنّ كلّ إنسانٍ ذي فهم يخاف ويحترم صلوات الوالدين، ويعرف جيّداً أن هذه الصلوات أنجزت وتحقّقت في أزمنة عديدة ولأشخاص كثيرين. وبعدُ فإنّ هذه الأشياء كونها منظّمة هكذا بالطبيعة، يرى الرجال الأخيار أنّها لنعمة من السماء، أن يعيش آباؤهم لعمر متقدّم ويصلوا إلى الحد الأقصى للحياة الإنسانيّة. وإذا رحلوا قبل أوانهم فإنّهم يندمون ويأسفون بعمق لفقدهم. لكنّ الرجال الأشرار يكون الآباء سبب رعبهم دائماً. لذلك على

كلّ إنسان أن يكرّم ويُمجّد بكلّ نوع من أنواع الإجلال القانونيّ أبويه اللذين يخصّانه، وعليه أن يفعل ذلك بشكل يتطابق وما تملناه لتوّنا. لكن إذا لم يكن لهذا التصدير معنىً سليم وصدىً في مسمع كلّ شخص، فلا بدّ للناموس أن يتدخل، الناموس الذي يمكن فرضه بالعبارات التالية حقّاً: إذا لم يكن شخص ما في هذه المدينة شديدَ الحرص على أبويه بشكل كافٍ، ولا يقدِّر ولايرضي في كلّ جهة رغباتهم أكثر من رغبات أبنائه ونسله الآخرين، أو حتّى رغباته الخاصة، إذا لم يفعل ذلك، فكل من لمس هذا النوع من أنواع المعاملة عليه أن يأتي بنفسه، أو يرسل شخصاً آخر ليخبر حماة الناموس الثلاثة الأكبر سنّاً، ولكي يخبر ثلاثاً من النساء اللواتي لديهنَّ العناية بالزيجات؛ عليهم كلّهم أن ينظروا في المسألة ويعاقبوا الفتيان الذين ارتكبوا الشرّ بالسياط والقيود، حتّى بلوغهم سنّ الثلاثين، إذا كانوا رجالاً، وإذا كنّ نساءً فيجب أن يتعرضنَ للعقاب عينه حتّى بلوغهنَّ سنّ الأربعين. لكنّهم إذا واصلوا إهمال والديهم، وهم ما يزالون يتقدّمون في ذلك السنّ، وواصل أحدهما ارتكاب الأذى بحقّ أيٍّ من الأبوين، فليُجلبا أمام المحكمة المؤلّفة من مئة عضو وعضو، مؤلّفين من كلّ أكبر المواطنين سنّاً، وإذا أدين المعتدي، فالمحكمة يجب أن تقرّر ما يجب عليه أن يدفعه أو يقاسيه. ويمكن أن تفرض عليه أيّة غرامة يستطيع إنسان أن يدفعها ويقاسيها.

إذا كان الشخص الذي تعرّض للأذى غير قادر على أن يخبر الحكّام القضاة، فعلى أيّ إنسان حرّ يعرف حالته أن يخبرهم. وإن لم يفعل، فسيُعتبر دنيئاً، وسيتعرّض لإقامة دعوى ضدّه بسبب وقوع أضرار. وسيقيم الدعوى أيّ شخص يحب فعل ذلك. وإذا أخبر عبد عنه فلسوف يُعتق. وإذا كان هو عبداً للفريق الذي أنزل الأذى أو للّذي وقع عليه الأذى، فسيعلنه الحكّام والقضاة حرّاً. وإذا كان يخصّ أيّاً من المواطنين الآخرين، فإنّ الشعب

عامّة سيدفع الثمن للمانك بالنيابة عنه. وعلى الحكّام القضاة أن يحرصوا على ألاّ يؤذيه أحدٌ انتقاماً منه، لأنه أعطى معلومات عنه.

إنّ الحالات التي يؤذي فيها رجل رجلاً آخر بواسطة السموم التي ثبت أنّها مميتة؛ قد بحثناها سابقاً. لكن في الحالات الأخرى التي يؤذي فيها شخص شخصاً آخر عمداً وحقداً بإطعامه اللحم، أو بسقيه الشراب، أو بواسطة المراهم، فلا شيء قد أُقرّ لحدّ الآن. هناك نوعان من السموم قيد الاستعمال بين الناس، ولا يُستطاع تمييزهما بشكل جليّ. هناك النوع الذي تمّ ذكره بشكل واضح لتوّه الآن، والذي يؤذي الأجسام باستخدام الأجسام الأخرى طبقاً للناموس الطبيعيّ. هناك أيضاً النوع الآخر الذي يقنع الطبقة الأكثر جرأة بأنها تستطيع أن تسبّب الأذى بواسطة الشعوذات، والتعزيم، والعقد السحرية، كما تدعى، والتي تجعل الآخرين يعتقدون أنّها وُجدت لتؤذي بواسطة سُلُطات السحر ما وراء أيّ شكّ. وبعدُ فإنّه ليس من السهل معرفة طبيعة كل هذه الأشياء. وإذا عرف الإنسان فهو لا يستطيع أن يقنع الآخرين ليصدقوه مسبقاً. وعندما يشوّش الرجال في عقولهم عند رؤية الصور الشمعيّة الصقيلة مثبّتة إمّا على أبوابهم أو على مفارق الطرقات الثلاثة، أو على قبور آبائهم، فلا فائدة من محاولة إقناعهم بأنّه يجب عليهم أن يحتقروا و يستخفّوا بكلّ هذه الأشياء لأنّهم لا يمتلكون معرفة محدَّدة عنها. لكن في ما يتعلّق بالسمّ، فينبغي علينا أن نسنّ قانوناً من جزأين اثنين، قابلاً للتطبيق على أيّة طريقة من طريقتي المحاولة الاثنتين ونحن يجب علينا أن نتوسّل إلى الناس وننصحهم ونحذرهم من اللجوء إلى ممارساتٍ كهذه، والتي يخوّفون الكثرة بواسطتها ويجرّدونهم من عقولهم. وإذا كانوا أطفالاً، فإنّهم يجبرون المشرّع والقاضي على شفاء الخوف الذي بعثه المشعوذ في قلوبهم، وأن يخبروهم في المقام الأوّل، أنّ مَن يحاول أن يسمّم أو يسحر

الآخرين لا يعرف ماذا يفعل، لا في ما يختصّ بالجسم « إلاّ إذا كانت له معرفة بالطبّ »، أو في ما يختصّ بسحره « إلاّ إذا حدث أنّه نبي أو إله ». إنّ الناموس المتعلّق بالتسميم أو بالسحر يجب أن ينصّ على ما يلي: إنّ من يستخدم السمّ ليسبّب أي أذى، ليس مميتاً، بل كي يفعله للإنسان نفسه، أو إلى خدمه، أو ليتسبّب بأيّ أذى، سواء إذا كان أذىً مميتاً أو غير مميت سيتسبّب به لقطعانه أو لأسراب نحله، وإذا كان طبيباً، وأُدين باستعمال السمّ، سيُعاقب الموت، وإذا كان شخصاً خاصّاً، فإنّ المحكمة ستقرّر ما الذي سيدفعه أو يتعرّض له. لكن الذي يبدو أنه من النوع الذي يؤذي الآخرين بالعِقد السحريّة، أو بالتعاويذ، أو بالتعزيم، أو بأيٍّ من الممارسات الأخرى، المماثلة، فإذا كان نبيّاً أو إلهاً فيجب أن يموت. وإذا لم يكن نبيّاً وأُدين بالسّحر، فالمحكمة يجب أن تثبت ما يجب أن يدفعه أو يتعرّض له كما فعلت في الحالات السابقة.

عندما يسبّب إنسان أيّ أذى للآخر بواسطة السرقة أو أعمال العنف، فعليه أن يدفع للمتضرّر تعويضاتٍ أكبر إذا كان الأذى كبيراً، وأن يدفع تعويضات أقلّ للأذى الأقلّ. لكن في الحالات كلّها، ومهما كان نوع الأذى، فسيكون تعويض الخسارة بقدره وقيمته. إضافة إلى تعويض الخسارة، على الإنسان أن يدفع غرامة إضافيّة تأديباً له على عدوانه. إنّ الذي تسبّب بالأذى مُحرَّضاً بغباء الآخرين، وبسبب الشباب الخالي من الهموم أو بسبب مشابه، حينئذ سيدفع غرامة أخفّ. لكنّ الذي آذى الآخر بسبب غبائه هو نفسه، وعندما يُقهر باللذّة أو الألم، وفي خوفٍ جبان، أو بسبب الشهوة، أو بسبب الحسد، أو الغضب الذي لا سبيل إلى تهدئته، إذا حدث كلّ هذا فإنّ المعتدي سيتعرّض لعقابٍ أثقل. وليس لأنه سبّب الأذى، لأنّ ما فعله لا يمكن إرجاعه أبداً، بل سيكون عقابه لكي يتسنّى له في مستقبل الأيام،

ولكي يتسنّى لأولئك الذين يرونه قد صُحِّحَ، يتسنّى لهم جميعاً أن يكرهوا الظلم بشكل مطلق، أو على أيّة حال أن يلغوا أفعالهم الظالمة ويضعوا حداً لأكثرها. والناموس بما أنّه يراقب كلّ هذه الأشياء، مَثَله مَثل رامي السهام الجيّد، عليه أن يتوق إلى القياس الجديد للعقاب، وأن يتوق في كلّ الحالات إلى العقاب الذي يستحقّه المعتدي. وفي نيل هذا سيكون القاضي عاملاً رفيقاً مع المشرّع، كلما سمح له الناموس بتقرير ما ينبغي على المعتدي أن يتعرّض له أو يدفعه. وسيرسم المشرّع، مَثَلُه في ذلك مَثَل الرسام، سيرسم رسماً تخطيطيّاً تحضيريّاً للحالات التي يلزم أن يُطبَّق الناموس عليها. هذا هو ما ينبغي علينا عمله، يا ميغيلوس وكلينياس، بالطريقة الأفضل والأعدل التي نقدر عليها، متكلّمين عن العقاب وماذا يجب أن يكون لكلّ عمل من أعمال السرقة والعنف، وسانّين نواميس من النوع الذي سيهبه لنا الآلهة.

إذا كان الإنسان مجنوناً فلن يُطلق سراحه في المدينة، بل سيحتفظ به أقرباؤه في البيت بأيّة طريقة يستطيعون إبقاؤه فيها. وإذا لم يقدروا فعليهم أن يدفعوا غرامة لذلك. إنّ الذي يكون من الطبقة الأعلى سيدفع غرامة من مئة دراخما، سواء أعبداً كان أو إنساناً حرّاً. والذي يكون من الطبقة الثانية سيدفع أربعة أخماس مينا؛ والذي يكون من الطبقة الثالثة سيدفع ثلاثة أخماس مينا؛ والذي يكون من الطبقة الرابعة سيدفع خمسي مينا. وبعد فهناك أنواع عديدة من الجنون، ينشأ بعضها من المرض، وقد ذكرناها سابقاً. وهناك أنواع أخرى تبتدىء في المزاج السيّىء الانفعالي والسريع الغضب. وتزداد هذه الأنواع بالتعليم الصالح. وهذه الطبقة من طبقات الرجال ستثير غالباً عاصفة من التعسّف خارج نزاع طفيف، ستثيرها بعضها ضدّ بعض. وفي الواقع لا يجب السماح بحدوث أيّ شيء من هذا النوع في الدولة المنظّمة تنظيماً جيّداً. هذا هو إذن الناموس المتعلّق بالتعسف، والذي سيتّصل

بالحالات كلّها. لا أحد سيتحدّث بالسوء عن الآخر. وعندما يتجادل ويتخاصم إنسان مع آخر فإنّه سيعلّم ويثقف المجادل والرفاق، لكنّه سيمتنع عن التحدّث بالسوء. لأنّ من اللّعنات التي يطلقها الرجال بضعهم ضدّ بعض، ومن استعمال الألفاظ البذيئة، ومن الكلمات الخفيفة كخفّة الهواء، ومن عادة النسوة بإلقاء القذف والتشهير بعضهنّ على بعض، ومن كلّ عمل سيّىء، من هذه كلّها ينبثق الحسد وتنشأ الكراهية الأعظم. إنّ المتكلّم يشبع غضبه، والغضب عنصر من عناصر طبيعته، ويغذي حنقه بتسلية أفكاره السيّئة ويفاقم ذلك الجزء من روحه التي هُذّبت وحُضّرت بالتعليم سابقاً. إنّه يدفع غرامة قاسية لغضبه لأنّه يعيش في حالة من حالات الهمجيّة والكآبة. وفي حالات كهذه فإنّ الرجال كلّهم تقريباً يلجؤون إلى التفوّه بشيء ما مضحك ضدّ أخصامهم. وما من إنسان يكون معتاداً على السخرية من الآخر، ولا يفقد الفضيلة الجديّة كليّة، أو لا يخسر النصف الفاضل من العظمة. لذلك لا تدع أيّ شخص يتلفّظ بأيّة كلمة ساخرة في الهيكل، أو عند تقديم الأضاحي العامّة، أو في الألعاب الرياضيّة، أو في الساحة العامّة، أو في محكمة العدل، أو في أيّة جمعيّة عموميّة. وأيّ حاكمٍ قاضٍ يترأس مناسباتٍ كهذه، عليه أن يؤدّب ويعاقب المعتدي، وسيكون بريئاً طاهر الذيل. لكنّه إذا أخفق في ذلك، فلا حقّ بالمطالبة بجائزة الفضيلة، لأنّه لا يبالي ولا يهتمّ بالنواميس، ولا يفعل ما يأمر به المشرّع. وإذا إنغمس أيّ شخص في تعسّفٍ كهذا في أيّ مكان آخر، سواء إذا بدأ النزاع هو أو انتقم فقط، فأيّ شخص مسنّ يكون موجوداً، عليه أن يدعم الناموس، وأن يسيطر بالضربات على أولئك الذين ينغمسون في الانفعال أو في الغضب السريع، والذي هو شرّ عظيم آخر. وإذا لم يفعل ذلك، فعليه أن يكون عرضة لدفع الغرامة المحدّدة. ونقول نحن الآن، إنّ مَن يستعمل التوبيخ أو

العار ضدّ الآخرين فإنّه لا يقدر على أن يوبّخهم بدون محاولة السخرية منهم. وعندما يُفعل هذا في لحظة غضب فإنّه يكون ما نجعل منه مسألة لتوبيخه. إذن، هل نمنح للكتاب الهزليين حقّ الدخول إلى دولتنا(٩٠)، هؤلاء الكتّاب المولعين بجعل الجنس البشريّ مضحكاً، وذلك إذا حاولوا بطبيعة طيّبة أن يحوّلوا الضحك ضدّ مواطنينا؟ أو هل سنرسم علامة فارقة للجدّ والهزل، وأن نسمح للإنسان بابتداع طريقة للمزاح في الهزل بدون إثارة الغضب بشأن أيّ شيء أو أيّ شخص؟ ومع ذلك وكما قلنا، ليس إذا كان هو غاضباً ولديه غرض محدّد من المزاح. نحن سنمنع الجدَّ - يعني المثبّت وغير القابل للتغيير؛ لكن لا يزال واجباً علينا أن نقول مَن الذي سيُجاز أو لا يُجاز له ناموساً استخدام الهزل البريء. إنّ الشاعر الهزلي، أو ناظم القصيدة العمبقيّة، أو ناظم القصيدة الشعريّة الغنائيّة، الهجائيّة، لن يُسمح لهم جميعاً بالسخرية من أيّ مواطن، لا بالكلمة ولا بما شابهها، ولا في حالة الغضب ولا بدونها. وإذا عصى أيّ شخص هذا، فإنّ القضاة سيطردونه من البلاد حالاً، أو سيدفع ثلاث مينات غرامة. وهذه ستكرّس لله الذي يشرف على تلك المباراة ويترأسها. إنّ الذين قد تلقّوا إذناً سيُسمح لهم أن يكتبوا الأشعار بعضهم لبعض، لكنّها ستكون قطعاً شعرية بدون غضب وفي مزاح، ولن يُسمح لهم أن يكتبوها بغضب وبجدّيّة خطيرة. إن القرار في هذه المسألة سيُترك للمشرف العام على تعليم الشباب، وما يُؤذن به، سيُسمح للكاتب أن ينتجه، وما يُرفض من قطع الشعر هذه فليس لأيّ شاعر أن يعرضه، أو أن يعلّمه لأيّ شخص آخر، أكان عبداً أو حرّاً، وذلك تحت طائلة عقوبة كونه محقّراً، وأن يُعتبر الفاعل عاصياً للناموس.

وبعد فلا ينبغي أن يُشفق على مَن يكون جائعاً، أو من يعاني من ألم جسديّ، بل يلزم فعل ذلك على مَن يكون معتدلاً، أو على مَن يمتلك

فضيلة ما أخرى، أو جزءاً من الفضيلة، وعلى من يعاني بليّة في الوقت عينه. إنّه لشيء غير عاديّ، أن ينبذ ويهجر شخص كهذا بشكل مطلق، سواء إذا كان عبداً أو حرّاً. وإذا وقع في فقر مدقع في أيّة مدينة أو حكومة منظّمة تنظيماً جيّداً بشكل ممكن احتماله. ولذلك فإنّ المشرّع يمكنه أن يسنّ ناموساً بشكل مضمون وقابلٍ للتطبيق في حالات كهذه بناءً على الشروط التالية: يمنع وجود متسولين في دولتنا؛ وإذا تسوّل أيّ شخص، قاصداً أن يكسب أسباب عيشه بواسطة صلوات لا طائل تحتها، فعلى حكّام الساحة العامّة المحليّين أن يطردوه من الساحة العامّة، وأن يطرده حكّام المدينة المحليّون من المدينة، وأن يطرده حكّام البلاد المحليّون خارج أي جزء من أجزاء البلاد إلى ما وراء الحدود، وذلك لتخلو الأرض من هذا النوع من أنواع الحيوان.

إذا آذى عبدٌ من كلا الجنسين أيّ شيء، ليس ملكاً له أو لها، وكان الشخص الذي عانى الضرر غير ملامٍ في أيّ جزء منه، وذلك بسبب عدم الخبرة، أو بسبب ممارسة غير مناسبة، إذا وقع ذلك فإنّ سيّد العبد الذي سَبّب بالأذى سيلتزم بدفع التعويض كاملاً، أو يسلّم العبد الذي قام بتسبيب الأذى. لكن إذا جادل السيّد بأنّ الاتّهام نشأ بالتواطؤ بين الفريق المتضرّر والفريق الذي أوقع الأذى، بهدف الحصول على العبد. فدعه يقيم الدعوى على الشخص الذي قال إنّه قد تعرّض للأذى والضرر، بسبب سوء التصرّف. وإذا ربح التجريم، فدعه يتلقى ضعف القيمة التي عيّنتها المحكمة كثمنٍ للعبد. وإذا خسر السيّد دعواه، فدعه يقدّم ترضية عن الأذى، وأن يسلّم العبد. ولو أن حيواناً يحمل الأثقال، أو حصاناً، أو كلباً، أو أيّ حيوان آخر، آذى ملكيّة جار مالكه، فإنّ مالك الحيوان سيتحمّل نتيجة الأذى اللاحق بجاره في أسلوب مماثل.

إذا رفض إنسان أن يكون شاهداً، فإنّ مَن يريده سوف يستدعيه، ومَن

يُستدعى سيأتي إلى المحكمة للمحاكمة؛ وإذا عرف أيّ شيء وكان مستعدّاً للإدلاء بشهادته، فله أن يدلي بها، لكنّه إذا ادعّى أنّه لا يعرف شيئاً فليحلف بالإلهيّين الثلاثة زيوس، وأبوللو، وثيميس بأنّه لا يفعل، وأنّه ليس لديه أيّ شيء ليفعله بالدعوى بعد الآن. والذي استُدعي كي يدلي بشهادة ولم يستجب لمن استدعاه، فإنّه سيكون عرضة للأذى الذي ينشأ بوصفه نتيجة لعمله طبقاً للناموس. وإذا استدعى شخص أيّ شخص كشاهد وهو يقوم بعمل القاضي، فعليه أن يدلي بشهادته. لكنّه لن يدلي بصوته في الدعوى بعد ذلك. يمكن أن تدلي امرأة حرّة بشهادتها وأن ترافع أمام القضاء إذا تخطت الأربعين من عمرها، ويمكنها أن تحضر تأثيراً أو فعاليّة إذا لم يكن لها زوج. لكن إذا كان زوجها حيّاً فيُسمح لها أن تدلي بشهادتها فقط. سيُسمح لعبد من كلا الجنسين أن يعطي دليلاً وأن يرافع أمام القضاء، لكن في حالات جرائم القتل فقط؛ ويجب عليهما، العبد والعبدة، أن يُحضرا كفلاء بأنّهما سيبقيان حتّى المحاكمة بالتأكيد، فربّما اتُّهما بشهادة الزور. ويمكن لكلٍّ من الفريقين في الدعوى أن يُحضر تهمة الحنث باليمين ضدّهما، محاذين الدليل في كلّه أو في جزئه، إذا جزم هو أنّ دليلاً زائفاً قد تمّ إعطاؤه. لكنّ التهمة ينبغي أن تسبق القرار النهائيّ للدعوى. إنّ الحكام القضاة سيحتفظون بالاتّهامات للشاهد الزائف، وسيُحتفظ بها بوصاية كلا الفريقين، ويبرزها عندئذ في اليوم الذي تأخذ الدعوى ضدّ شاهد الزور مكانها. إذا أُدين إنسان بشهادة الزور مرّتين، فلن يُحتاج إليه. وإذا أُدين ثلاث مرات، فلن يُسمح له أن يدلي بشهادة؛ وإذا تجرّأ على أن يشهد بعد أن أُدين مرات ثلاثاً، فأي شخص يرغب يستطيع أن يخبر عنه الحكّام القضاة، وعلى الحكّام القضاة أن يسلّموه إلى المحكمة. وإذا أُدين فسيُعاقب بالموت. وفي الحالة التي يظهر الدليل فيها زائفاً حقّاً، ومع ذلك فلقد أعطى

هذا الدليلُ الحقّ لمن ربح دعواه، وأدين أكثر من نصف الشهود، إذا حدث كلّ هذا، فإنّ القرار الذي ربحه هؤلاء السافلون سيُبطل ويُنقض، وستُعقد مباحثة ويُتّخذ قرار سواء إذا كانت الدعوى قد قُرّرت بالدليل الزائف أو لم تُقرّر. وأمّا في أيّ الطريقتين يمكن للقرار أن يُعطى، فإنّ الدعوى السابقة سيتمّ أخذ القرار فيها طبقاً لذلك.

هناك أشياء نبيلة عديدة في الحياة الإنسانيّة، لكن الشرور ملازمة لأكثرها وهي مقرّرة بقضاء وقدر كي تفسدها وتتلفها. أوليس العدل نبيلاً، وهو الذي يُعتبر محضِّر الإنسانية؟ كيف يمكن للمدافع عن العدل إذن أن لا يكون إنساناً نبيلاً؟ ولا يزال على هذه المهنة التي تُقدَّم لنا تحت الإسم الجميل للفنّ، لا يزال أنّها قد تشكّلت سمعة سيّئة. في المقام الأوّل، أُخبرنا نحن أنّ الناموس، بالحجج المبدعة وبمساعدة المؤيّدين، مكّن الإنسان من الانتصار في دعوى خاصّة واستثنائيّة، سواء أكانت عادلة أو غير عادلة؛ وأُخبرنا أنّ الفنّ وقوة الكلام كليهما اللذين أُفصح عنهما بتلك الوسيلة، أخبرنا أنّهما في خدمة مَن يكون مستعداً أن يدفع لهما. وبعدُ في دولتنا فإنّ هذا الذي يسمّى فنّاً، وسواء إذا كان فنّاً حقّاً أو كان خبرة ومراساً فقط خاليين ومجرّدين من أيّ فنّ، فلا يجب إذا أمكن أن يأتي إلى الوجود. أو إذا وُجد بيننا ينبغي عليه أن يستمع لطلب المشرّع ويبتعد إلى بلاد أخرى، وأن لا يتكلّم بما يناقض العدل. وإذا أطاع المعتدون فلن نقول أكثر ممّا قلناه؛ لكنّ صوت الناموس هو كما يلي للّذين يعصون: إذا ظن أيّ شخص أنّه سيفسد ويسيء استعمال قوّة العدل في عقول القضاة، وأنّه يقاضي أو يدافع بشكل غير مألوف، فدع أي شخص يحب أن يقاضيه بتهمة سوء التصّرف بالناموس وبالدفاع الكاذب المضلّل، ودعه يُقاضى في المحكمة من قِبَل قضاة مختارين؛ وإذا أُدين فعلى المحكمة أن تقرّر ما إذا كان قد أقدم على ما فعله

حبّاً بالمال أو مشاكسةً وحبّاً للخصام. وإذا تبيّن أنّه فعل ما فعله مشاكسةً وحبّاً للخصام، فإنّ المحكمة ستعيّن وقتاً لن يُسمح له أثناءه أن يستهلّ الدعوى أو يدافع فيها. وإذا تبيّن أنّه فعل ما فعله حبّاً بالمال، وفي حالة إذا كان غريباً، فإنّه سيغادر البلاد، ولن يعود إليها أبداً تحت طائلة عقوبة الموت. لكنّه إذا كان مواطناً، فسوف يموت، لأنّه محبّ للمال، والذي تم كسبه بوسيلة دنيئة. وبشكل متساوٍ، إذا تمت مقاضاته وظهر أنه فعل ما فعله أكثر من مرّة مشاكسة وحباً للخصام، فإنّه سيموت.

محاورة النواميس

الكتاب الثاني عشر

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: دعنا ننظّم الآن واجب سفرائنا وعلاقاتهم بالبلاد الخارجية. ونؤكّد أنّ السرقة خِسّة، وأنّ اللصوصية صفاقة، ولا أحد من أبناء زيوس يبتهج بأعمال العنف والاحتيال، أو يمارسها. وسنسنّ قانوناً لمنع التعدّي والسرقة، وقانوناً بشأن الحملات الحربيّة. إنّ وجود الحكومة ضروريّ للإنسان، والحكومة هي التي تُهيّيء الشباب للخدمة العسكرية ولحياة الجنديّة، وسيؤدّي كلّ إنسان واجبه تجاه وطنه، ولا مكان للجبن في المواطنية الحقّة. وسنعاقب كلّ جبان وخائن، وسنثني على المواطن الشجاع. والآن سنسنُّ نواميس بخصوص المستنطقين العامّين وواجباتهم. ومنصب المستنطق العامّ هو العنصر الأكثر أهميّة في صيانة ووقاية الدول وفي انحلالها. إنّ المستنطقين العامّين هم أفضل من القضاة الحاكمين، ويتمّم واجبهم بشكل عادل وبدون لوم. حينئذ فإنّ الدولة كلّها تزدهر وتكون سعيدة.

سنسن ناموساً بشأن الغرباء واستقبالهم على أرضنا، وكم ستكون مدة إقامتهم، وكيف سنزورهم ومتى. ونحن سنقدّر الرأي العالمي العامّ بنا، ونقدّر سمعتنا بين الأمم حقّ قدرها، وهي السمعة الأحسن والأنبل للفضيلة. أمّا الرشوة فسنمنعها منعاً باتاً، ويجب أن ننظّم تحصيل الضرائب بطريقة عادلة. أمّا المحاكم القضائية فسيتمّ تنظيمها واختيار القضاة لها بشكل مناسب أيضاً. وينبغي أن نؤكّد أنّ معرفة النواميس الصالحة لديها القوّة الأعظم لتحسين روح المتعلّم من بين المعارف كلّها، وإلاّ فلا معنى لاقتناء الناموس الإلهيّ الرائع إسماً مماثلاً للعقل.

أمّا المتوفّون فسيلقون التكريم الذي يليق بكلّ واحد منهم. وينبغي أن نصدّق المشرّع عندما يقول إنّ الروح أسمى من الجسد في كلّ ناحية من النواحي، وما التوازن والتعادل في الحياة اللذين يجعلان كلّ واحد منا على ما هو عليه، ما هو إلاّ الروح فقط، وإنّ الجسد يتبعنا بشأن التشابه في كلّ منا. ولهذا السبب فإنّنا عندما نتوفّى تكون أجساد المتوفّين الظلاّل أو الرموز، كما قيل ذلك حقّاً، لأنّ الموجود الحقيقيّ والخالد لكلّ منّا والذي يُسمّى الروح يذهب بطريقه إلى الآلهة الأخرى كي يقدّم حسابه، هذا الحساب الذي يعتبر أملاً ملهماً للأخيار، لكنّه مرعب جدّاً للأشرار. ونؤكّد نحن أنّ الروح تحتوي العقل إلى جانب أشياء أخرى. ويحتوي الرأس البصر والسمع إضافة إلى الأشياء الأخرى. والعقل إذا امتزج مع الحواسّ الأنبل، وأصبح واحداً معها، يمكن أن يقال عنه إنّه نجاة الكلّ ومنقذهم بحقّ. ونقول، إذا ما كانت إقامتنا في البلاد لتكون إقامة كاملة، فيجب علينا أن نمتلك دستوراً ما، دستوراً يحدّد ما هو هدف الدولة هذا بالضبط، وسيخبرنا كيف نقدر أن نناله، وأيّ ناموس وأيّ إنسان سينصحنا للوصول إلى تلك الغاية. إنّ أيّة دولة لا تمتلك دستوراً هي دولة مجرّدة من العقل والإدراك على الأرجح، وستتقدّم في كلّ أعمالها بمحض الصدفة والاتفاق. وينبغي أن نجبر حماة دولتنا الإلهيّة على أن يدركوا، في المقام الأوّل، ما هو المبدأ الذي يُعتبر الشيء عينه في الفضائل الأربع، في الشجاعة وفي الاعتدال، في العدل وفي الحكمة. وهذا الشيء عينه كونه خيراً، ندعوه نحن بالاسم المفرد للفضيلة. إنّنا نقول الشيء عينه عن كلّ الأشياء الحيّة. إن حماة النواميس الحقيقيّين يجب أن يعرفوا الحقيقة بشأنها، وأن يكونوا قادرين على أن يشرحوها بالكلمات، وأن يضعوها موضع التنفيذ عملاً، حاكمين على ما هو جيّد وما ليس كذلك طبقاً لطبيعته. إنّ معرفة الآلهة هي

واحدة من المعارف الأنبل، ومَنْ يكنْ كسولاً وعاجزاً في هذه القضايا يجبْ رفضه وإبعاده عن الأشياء الشريفة.

وهكذا، وبعد هذا التشريع الرائع غايةً، والإلهيّ سموّاً، والكامل دقّةً، سنشرع في تأسيس دولتنا الفاضلة الحرّة السعيدة.

محاورة النواميس

الكتاب الثاني عشر

الأثيني: إذا حمل رسول أو سفير رسالة زائفة من مدينتنا إلى مدينة أخرى، أو عاد برسالة زائفة من المدينة التي أُرسل إليها، وثبت أنّه أعاد كلاماً، سواء أكان من الأصدقاء أو الأعداء، بوصفه رسولاً أو سفيراً، والكلام الذي قاله لم يقله أيٌّ منهم، إذا فعل ذلك، فيجب أن يُقاضى بتهمة مخالفة الأوامر والواجبات التي يفرضها عليه هرمس وزيوس، وذلك لقيامه بأعمال مخالفة للناموس. ويجب أن يتمّ تحديد الغرامة التي سيقاسيها أو يدفعها إذا أُدين.

إنّ السرقة خِسّة، واللصوصيّة صفاقة، ولا أحد من أبناء زيوس يبتهج بأعمال الاحتيال والعنف، أو يمارسها. لهذا السبب لا تدع أحداً ينساق في الضلالة مع الشعراء وعلماء الأساطير، إذ يقودونه إلى الاعتقاد الخاطىء بأشياء كهذه. ولا تدعه يفترض أنّه عندما يسرق إنسان أو يذنب بارتكاب أعمال عنف، لا تدعه يفترض أنّه لا يفعل أيّ شيء سافل، بل يفعل ما يأمر به الآلهة فقط. إنّ قصصاً كتلك هي قصص غير صادقة وغير محتملة. إنّ مَن يسرق أو يسلب بشكل مخالف للناموس لا يكون إلهاً ولا ابن إله على الإطلاق. ومن أجل ذلك فإنّ المشرّع ينبغي أن يُخبر عنها بشكل أفضل من الشعراء كلّهم. إنّه لسعيد ويمكنه أن يكون سعيداً للأبد مَنْ يقتنع بكلماتنا ويستمع لها، لكنّ الذي يعصيها فلسوف يقف في وجه الناموس التالي: إذا سرق رجل أيّ شيء يخصّ الشعب، سواء أكان الذي سرقه قليلاً أو كثيراً، فإنّه سيُعاقب بالعقاب عينه. إنّ مَن يسرق القليل هو كمن يسرق الكثير بالرغبة عينها، لكن بقوّة أقلّ. وإنّ مَن يأخذ كميّة أكبر ولم يودعها في أيّ

مكان، فإنّ عمله ظالمٌ بشكل كلّي. ومن أجل هذا فإنّ الناموسِ غير مطبوع على إنزال عقوبة بالشخص الأوّل أقلّ من إنزالها على الشخص الآخر بحجّة أنّ سرقته أقلّ، بل على أساس أنّ اللصّ يمكن أن يكون قابلاً للشفاء بشكل محتمل، ويمكن أن يكون عكس ذلك في حالة أخرى. إذا أدان أيّ شخص في محكمة الناموس غريباً أو عبداً بسرقة ملكيّة عامّة، فيجب على المحكمة أن تقرر العقوبة التي سيقاسيها، أو الغرامة التي سيدفعها، واضعاً نصب عينه أنه ليس قابلاً للشفاء بالاحتمال. لكنّ المواطن الذي ربِّي كما ربِّي مواطنونا، إذا وُجد مذنباً بسرقة بلاده بواسطة الاحتيال أو أعمال العنف، سواء إذا قُبض عليه عند قيامه بالعمل أوْ لا، سيُعاقب بالموت لأنّه غيرّ قابل للشفاء.

وبعدُ فإنّنا نحتاج لكثير من التفكير وللعديد من النواميس بشأن الحملات الحربيّة، وإن القاعدة العظيمة لكلّ هذا هي أنّ ما من شخص من كلا الجنسين ينبغي أن يكون بدون قائد؛ ولا يلزم لعقل أيّ شخص أن يعتاد على القيام بفعل أيّ شيء، سواء إذا كان في المزاح أو الجدّ وذلك من حافزه الخاصّ. لكن في زمن السّلم أو في زمن الحرب عليه أن يعتمد على قائده ويتبعه، حتّى في الأشياء الأقلّ كونه تحت إرشاده. كمثال، عندما يجب أن يقف أو يتحرّك، أو يتمرّن، أو يغتسل، أو يتناول وجبات طعامه، أو يستيقظ في الليل ليحرس وينقل الرسائل، عندما يُؤمر بذلك. ويلزمه في ساعة الخطر أن لا يتعقّب العدو وأن لا يتراجع إلاّ بأمرٍ من رئيسه. وبكلمة، عليه أن لا يعلّم الروح أو يعوّدها على أن تعرف أو تفهم كيف تفعل أيّ شيء بمعزلٍ عن الأشياء الأخرى. إنّ حياة كلّ الجنود يجب أن تكون دائماً، وفي كلّ الأشياء، حياة مشتركة وحياة يحيونها معاً قدر الإمكان. ما من مبدأ علميّ أعلى أو أفضل أو أكثر علميّة من هذا المبدأ وهو إحراز النصر والنجاة في الحرب. ونحن يلزمنا في وقت السلم ومنذ شبابنا فصاعداً أن نمارس هذه

العادة لقيادة الآخرين، وأن نكون مهيَّئين أن ننقاد للآخرين. إنّ عدم وجود حكومة لا مكان له في حياة الإنسان أو في حياة البهائم التي تتبع الإنسان. يمكنني أن أضيف أنّ كلّ الرقص ينبغي أن يؤدَّى قصد الامتياز العسكريّ، ويجب أن تُهذِّب الرشاقة والخفّة من أجل الموضوع عينه، وكذلك الصبر على الحاجة للّحم والشرب، وعلى برد الشتاء وحرّ الصيف، وعلى الاضطجاع على الأرائك الخشنة. وفوق كلّ شيء، يجب أن توجَّه العناية إلى عدم تعطيل ميزات الرأس والقدمين بإحاطتهما بالأغطية الغريبة العَرَضيّة، وهكذا إعاقة نموّ الشعر الطبيعي على الرأس ونمو باطن القدم لأنّهما، أي الرأس والقدمين، هما الضرورتان الملحّتان من بين أجزاء الجسم كلّه. وسواء إذا تمت حمايتهما أو لا فإنّ لهما شأناً كبيراً. إنّ أحدهما هو خادم للجسد كلّه، وأمّا الآخر فهو السيّد الذي وُضعت فيه كلّ الحواس الحاكمة بالطبيعة. فعلى الإنسان الشابّ أن يتخيَّل أنّه يسمع ممّا تقدم الثناءَات على الحياة العسكريّة، وسيكون الناموس بشأنها كما يلي: سيخدم في الحرب مَن يكون اسمه مسجّلا على القائمة أو مَن يُعيَّن لخدمةٍ خاصّة ما. وإذا تغيَّب أحدهم بسبب جبنه، وبدون إذن القائد العسكريّ، فإنّه سيُحاكم أمام القادة العسكريّين بتهمة تخلّفه عمّا هو واجب عليه بعد أن يعود الجيش إلى مراكزه، وسيكون الجنود قضاته. أمّا الجنود المسلّحون بالأسلحة الثقيلة، والفرسان، والأسلحة الأخرى من أسلحة الخدمة فسيشكّلون محاكم منفصلة. وسيُحضرون الجنود المسلحين بالأسلحة الثقيلة أمام الجنود المسلحين بالأسلحة الثقيلة، وسيُحضرون الفرسان أمام الفرسان، والجنود الآخرين أمام الجنود الآخرين نظرائهم. ومَن وُجد مذنباً فلا يُسمح له أبداً أن يشترك في مباراة أية جائزة من جوائز البسالة، أو أن يقاضي الغير بتهمة عدم الخدمة في حملة عسكريّة، أو أن يكون المتّهم في أيّة قضايا عسكريّة على الإطلاق.

فضلاً عن ذلك، فإنّ المحكمة ستقرّر أيضاً أيّة عقوبة سيعاني، أو أيّة غرامة سيدفع. وعندما تنتهي دعاوى التخلّف عن القيام بواجب الخدمة، فإنّ قادة الأنواع المتعدّدة لفرق الجنود سيعقدون اجتماعاً مرّة ثانية، وهم سيحكمون بما ستكون عليه جوائز البسالة. والذي يحبّ سيخضع للقضاء في فرع خاصّ من فروع خدمته، غير مدلٍ بأيّ شيء عن حملته العسكرية السابقة ولا مقدّمٍ أيّ برهان أو شواهد لتعزيز إفادته، بل سيتكلّم عن المناسبة الحاضرة فقط. إنّ تاج النصر سيكون إكليلاً من الزيتون الذي سيقدّمه المنتصر في هيكل أيّ إله حرب يحبّه، مضيفاً كلاماً منقوشاً لشهادة كي تبقى أثناء الحياة، وهي كتلك الجائزة التي تلقّاها شخصٌ أوّل وثانٍ وثالث. إذا ذهب أيّ شخص في حملة عسكرية، وعاد إلى البيت قبل الوقت المحدَّد، وقبل أن يأمر قادةُ الجيش بالإنسحاب من أرض المعركة، فسيُقاضى بتهمة الفرار من الجنديّة أمام الأشخاص أنفسهم الذين أخذوا علماً بالنظر في دعوى الفرار من الخدمة العسكريّة. وإذا وُجد مذنباً فستُنزل به العقوبة عينها. وبعْدُ فإنّ كلّ إنسان متورّط في دعوى يجب عليه أن يكون حذراً جدّاً من إحضار شاهد زور ضدّ أيّ شخص، عمداً أو عن غير عمد، إذا استطاع ذلك. ولقد قيل حقّاً إنّ العدل هو عذراء شريفة وجديرة بالتكريم، وإنّ الباطل يكون معارضاً بالطبيعة لتكريم العدل. إن الشاهد يجب أن يكون حذراً جدّاً من ارتكاب الإثم ضدّ العدل. كمثال، في ما يتصّل برمي السلاح - ينبغي عليه أن يميّز بين رميه حين الضرورة، وعليه أن لا يخلق منه عاراً، أو يجلب عملاً ضدّ شخص بريء ما من أجل ذلك. والتميز في هذا الوضع صعب جداً، لكنّ الناموس مع ذلك ينبغي أن يحاول تحديد الأنواع المختلفة بطريقة ما. دعني أسعى لأشرح معناي بقصّة قديمة: إذا أُحضِر باتروكلوس إلى خيمة بدون ساعديه، ثم أحيا ساعديه الأصليّين من جديد « وحدث هذا

لأشخاص لا يُعدّون » وقد قال الشعراء إنّ الساعدين أحضرتهما الآلهة إلى بيليوس كهديّة يوم زفافه عندما تزوّج من ثيتيس، وأنهما بقيا في يدي هيكتور، حينئذ فإنّ النفوس الحقيرة لذلك اليوم ربما أنّبت ابن مينيوتيوس لأنّه رمى ذراعيه. مرّة ثانية، هناك حالة الذين رُموا على شفا الكارثة وفقدوا أذرعهم، وهناك حالة الذين كانوا على اليمّ، وفي الأماكن العاصفة، وقد أغرقتهم فجأة فيضانات المياه؛ وهناك أشياء لا تعدّ ولا تحصى من هذا النوع يمكن لشخص أن يوردها بطريقة التبرير الجزئيّ وبقصد تسويغ المحنة التي تشوّه الحقائق. لهذا السبب يجب علينا أن نسعى لنقسّم، بما أوتينا من قوّة، الشرّ الأعظم والأكثر خطورة من الشرّ الأقلّ. ويمكن أن يُستنتجَ تمييز في استعمال اصطلاحات التأنيب. إنّ إنساناً لا يستحقّ أن يدعى رامي درعه على الدوام يمكن أن يدعى فاقد أسلحته فقط. لأن هناك فوارق كبيرة أو بالأحرى فوارق كليّة بين مَن يُجرَّد من سلاحه بقوّة كافية، وبين من يدع درعه تُباع. دع الناموس المتعلّق بذلك يكون كما يلي: إذا كان لدى شخص سلاحاً وباغته العدوّ ولم يستدر ويدافع عن نفسه، بل رماه طوعاً أو ألقاه بعيداً مفضّلاً حياةً دنيئةً وهرباً سريعاً على الموت الشجاع والنبيل والمبارك - ففي تلك الحالة من حالات رمي السلاح، على العدل أن يأخذ مجراه. لكنّ القاضي لا ينبغي عليه أن يهمل تدوين ملاحظة عن الحالة التي ذكرت لتوّها. إنّ الرجل الشرّير يجب أن يُعاقب على الدوام على أمل أن يتحسّن، لكن ليس الإنسان القليل الحظّ، إذ لا فائدة في ذلك. وما هو العقاب المناسب لمن رمى أسلحته التي ينبغي أن تكون دفاعه الرئيسيّ؟ العُرف يقول إن كاينيوس، التسالي، غيّره الله من امرأة إلى رجل، لكنّ الأعجوبة العكسيّة لا يمكن إحداثها الآن، أو فما من عقابٍ مناسبٍ لمن يرمي درعه أكثر من أن يُحوّل إلى امرأة(٩١).

إن تغيير الرجل إلى امرأة عمل مستحيل، ولهذا السبب دعنا نسنّ ناموساً شبيهاً بهذا الناموس تماماً وقدر ما نستطيع ـ إنّ مَن يحبّ حياته كثيراً جدّاً لا خطر عليه طيلة أيّام حياته، بل سيعيش إلى ما شاء الله موسوماً بميسم عار الجبن. ودع الناموس يكون بالعبارات التالية: عندما يوجد إنسان مذنب برمي سلاحه في الحرب بشكلٍ مخزٍ، فلا قائد عسكريّاً ولا ضابط في الجيش سيسمح له بالخدمة كجنديّ، أو تبوُّؤ أيّ مكان في صفوف الجند؛ وأمّا الضابط الذي يعطي الجبان أيّ مكان، فسيقاسي عقوبة يحدّدها المستنطق العامّ. وإذا كان من الطبقة الأعلى فسيدفع ألف دراخما، وإذا كان من الطبقة الثانية فسيدفع خمس مينات، وإذا كان من الطبقة الثالثة فسيدفع ثلاث مينات؛ وإذا كان من الطبقة الرابعة فسيدفع مينا واحدة. ومَنْ يوجد مذنباً بالجبن فلن يُطرد من الأخطار الخليقة بصفات الرجل الحقّ. وهذا عار مناسب لطبيعته. لكنّه سيدفع ألف دراخما إذا كان من الطبقة الأعلى، وسيدفع خمس مينات إذا كان من الطبقة الثانية، وسيدفع ثلاث مينات؛ إذا كان من الطبقة الثالثة، وسيدفع مينا واحدة، كما تقدّم، إذا كان من الطبقة الرابعة.

والآن ما هي التنظيمات التي ستناسب المستنطقين العامّين، مشاهدين أنّ بعض قضاتنا الحكّام ينتخبون بالأكثريّة ولمدّة سنة، وبعضهم يُنتخب لمدّة أطول والذين ينتخبونهم أشخاص مختارون؟ وعن حكّامٍ قضاةٍ كهؤلاء، فمَن سيكون المراقب أو المستنطق العامّ، إذا أُرهِق أيٌّ منهم بضغط مركزه، أو لعدم قدرته على دعم كرامة هذا المركز، وثبت ذنبه بأيّة ممارسة ملتوية؟ فليس من السهل أن تجد حاكماً قاضياً يتفوّق على القضاة الحكّام الآخرين في الفضيلة، لكن يبقى أنّه يجب علينا أن نسعى لاكتشاف مراقب ما أو مستنطق عامّ يكون أكثر من رجل. هناك عدّة عناصر في الحقيقة لإنحلال

الدولة، مثلما هي هذه العناصر في باخرة أيضاً أو في حيوان، وهي كلّها لديها أوتارها وعوارضها وأعصابها: طبيعة واحدة منتشرة في أماكن عدّة، وتدعى بأسماء كثيرة، وأمّا منصب المستنطق العامّ فهو العنصر الأهم في صياغه ووقاية الدول وانحلالها لأنّ المستنطقين العامّين أفضل من القضاة الحاكمين، ويتمّم واجبُهم بشكل عادل وبدون لوم، حينئذ فإنّ الدولة والبلاد كلّها تزدهر وتكون سعيدة. لكن اذا كان استجواب القضاة الحكّام محمولاً في الاتجاه الخاطىء، عندئذ، وبواسطة تراخي العدل الذي هو المبدأ الموحِّد لكلّ المجتمعات، فإنّ كلّ سلطةٍ في الدولة تتمزّق إرباً بكلّ سلطة أخرى. إنّ هذه السلطات لا تميل في الاتجاه عينه بعد اليوم، بل تملأُ المدينة شقاقاً وتخلق مدناً عدّة من مدينة واحدة، وتسير بكلّ المدن إلى الدمار العاجل. ومن أجل ذلك فإنّ المستجوبين العامّين يجب أن يكونوا رائعين واستثنائيّين في كلّ نوع من أنواع الفضيلة. دعنا نخترع صيغة لخلقهم، والتي تكون كما يلي: كلّ سنة، وبعد انقلاب الشمس الصيفيّ، ستجتمع المدينة كلّها في المناطق العامّة لهيليوس وأبوللو، وسيقدّمون إلى الله ثلاثة رجال من بينهم بالطريقة التالية: لن يختار كلّ مواطن نفسه، بل سيختار مواطناً آخر يعتبره الأفضل من كلّ ناحية، ولا يقلّ عمره عن خمسين سنة، ومن خارج الأشخاص المختارين الذين حصلوا على العدد الأكثر من الأصوات سيقومون باختيار أبعد حتّى يتمّ تخفيض العدد إلى النصف، إذا كان العدد مزدوجاً؛ لكن إذا لم يكن عددهم مزدوجاً، فإنّهم سيُسقِطون الشخص الذي حصل على العدد الأقلّ من الأصوات ويجعلون من الأشخاص المختارين عدداً مزدوجاً. ويتركون حينئذ النصف الذي امتلك العدد الأكبر من الأصوات. وإذا نال شخصان عدداً متساوياً من الأصوات، وبذلك يزداد العدد إلى أكثر من النصف، فإنّهم سينحّون أفتى الشخصين ويلغون الزيادة. وحينئذٍ

سيصوّتون على كلّ المرشحين، إلى أن يبقى ثلاثة منهم لديهم عددٌ غير متساوٍ من الأصوات. لكن إذا كان لدى الثلاثة، أو كان لدى اثنين منهم عدد مستاوٍ من الأصوات، فدعهم يسلّمون الانتخاب إلى القدر الجيّد والحظّ، وأن يفصلوا بواسطة الكثرة الأوّل، والثاني، والثالث. وهؤلاء سيتوّجونهم بإكليل من غصون الزيتون ويعطونهم جائزة الامتياز، ويعلنون للعالم كلّه في الوقت عينه أنّ مدينة ماغنيطيس، وبعناية الآلهة، مصونة مرّة ثانية، وأنّها تقدّم إلى الشمس وأبوللو رجالها الثلاثة الأفضل كفاكهة أولى ليكونوا تقدمة مشتركة لهم، طبقاً للناموس الغابر، طالما تنطبق حيواتهم على الحكم المصاغ عنهم. وهؤلاء سيعيّنون اثني عشر مستنطقاً عامّاً في أول اثنتي عشرة سنة من سنوات حكمهم، وأن يستمرّوا في مناصبهم إلى أن يكمل كلّ منهم الخامسة والسبعين من العمر، وسيُضاف إليهم الثلاثة المنتخبون سابقاً بعد ذلك سنويّاً. ودع هؤلاء يقسّمون كلّ الحاكميّات القضائيّة إلى اثني عشر جزءاً، وأن يختبروا المتبوّئين مراكزها بكلّ نوع من أنواع التجربة التي يمكن أن يُخضع لها الإنسان الحرّ. ودعهم يعيشون بينما يتبوّأون المنصب في منطقة مدينة هيليوس وابوللو التي تمّ اختيارهم فيها. ودع كلّ شخص يصدر حكماً عن أشياء ما كلٌّ بمفرده، وأن يصدر حكماً عن الآخرين برفقة زملائه. ودعه يضع كتابةً في الساحة العامّة بشأن كلّ حاكميّة قضائيّة، وماذا ينبغي على الحاكم القضائيّ أن يقاسيه أو يدفعه، طبقاً لقرار المستنطقين العامّين. وإذا لم يقبل أيّ حاكم قضائيّ أنّ الحكم عليه عادل، فدعه يحضر المستنطقين العامّين أمام القضاة المختارين. وإذا بُرِّىء من التهمة بواسطة قرارهم، فله إذا شاء، أن يتّهم المستجوبين العامّين أنفسهم. لكنّه إذا أُدين وحكم عليه المستنطقون العامّون بالموت، فيجب أن يموت « وطبعاً يستطيع أن يموت لمرّة واحدة فقط ». لكن الغرامات الأخرى التي تقبل المضاعفة فيجب أن يقاسيها مضاعفة.

والآن دعنا نختبر المستنطقين العامّين أنفسهم؛ فما هو امتحانهم، وكيف سيُدار؟ خلال حياة هؤلاء الرجال الذين تعدّهم الدولة كلّها جديرين بجوائز الفضيلة، سيكون لهم المقعد الأوّل في الجمعيّات العموميّة كلّها، وكذلك في جميع التضحيات الهيلينيّة والبعثات المقدّسة، وفي الاحتفالات العامّة المقدّسة الأخرى التي يشتركون فيها. وسيختارون رؤساءَ كلّ بعثة مقدّسة. وهم من بين كلّ المواطنين سيكلّلون بتاجٍ من الغار، وسيكونون كهنة أبوللو وهيليوس كلّهم، وسيكون واحدهم الذي قُضي به بادىء ذي بدء، سيكون الكاهن من بينهم المخلوق في تلك السنة كاهناً عالياً. وسيكتبون اسمه في كلّ سنة ليكون مقياساً للزّمن طالما بقيت المدينة. وأمّا بعد وفاتهم فلسوف يُكفَّنون ويُحملون إلى القبر ويُدفنون بطريقة مختلفة عن الطريقة التي يُدفن بها المواطنون الآخرون. سيكفّنون بثوبٍ أنيق أبيض كلّه، ولا نحيب فوق نعوشهم، بل ستُشكَّل جوقة موسيقيّة مؤلّفة من خمس عشرة عذراء، وكورس موسيقيّ آخر من الفتية، وسيقفان حول النعش على كلّ من الجانبين، مرتّلين الثناءات على الكهنة الراحلين في إجابات متعاقبة، معلنين تمجيدهم اليوم بطوله. وعند الفجر فإنّ مئة من الشباب والفتيان ممّن مارسوا التمارين الرياضيّة والذين سيختارهم أقرباء الراحلين، هؤلاء الشباب سيحملون النعش إلى الضريح، ويسير الرجال الشباب أوّلاً، متمنطقين زيّ المحاربين: الفرسان مع أحصنتهم، المحاربون الحاملون الأسلحة الثقيلة مع أسلحتهم، وستسير بقيّة الفرق بطريقة مماثلة. والفتية قرب النعش وفي مقدّمته سيغنون نشيدهم الوطنيّ، وستتبعهنّ العذارى، ومعهنّ النساء اللواتي اجتزن سنّ الحمل والولادة. أما الكهنة والكاهنات فيجب أن يتبعوا بعد ذلك مباشرة، رغم أنّهم لم يُمنعوا من مراسم الدفن الأخرى، إلاّ إذا منعهم كاهن الوحي البيثي من ذلك، لأنّ الدّفن هذا هو دفن حرٌّ من التدنس. وسيكون مكان

الدفن حجرةً مستطيلة حلزونيّة الشكل تحت الأرض، مبنيّة من الحجارة ذات المسامّ، والتي ستبقى أبد الدهر، وحجارتها مبسّطة وموضوعة جنباً إلى جنب. هنا سيضعون الشخص المبارك، ويُغطّون القبر بكومَة صغيرة من التراب، ويغرسون أيكة من الأشجار حولها من كل جانب ما عدا جانباً واحداً. وعلى هذا الجانب سيُسمح للقبر أن يمتدّ أبداً، ولن ترتفع هضبة صغيرة جديدة عند كلّ دفن. وكل سنة سيكون لديهم مباريات في الموسيقى وفي الألعاب الرياضيّة وفي الفروسيّة، تكريماً للمتوفّين. هذه هي التكريمات التي ستُعطى لأولئك الذين يوجدون طاهري الذيل حين الإستجواب. لكن إذا أظهر أيّ منهم شرّ الطبيعة الإنسانية، واثقاً من كون نهاية التحقيق، وبعد أن تمّ إصدار الحكم؛ إذا حدث ذلك، فدع الناموس يصدر أمراً بأنّ الذي يرغب سيقاضيه بتهمة ما. والدعوى يجب أن يُنظر فيها بالطريقة التالية: في المقام الأوّل، ستُشكّل محكمة من حماة الناموس، يضاف إليهم المستنطقون العامّون المعاينون، وسيُضاف لهم أيضاً المحكمة المختارة من القضاة. وعلى متابع الدعوى أن يطرح الاتّهام بهذا الشكل: سيقول إنّ فلاناً الفلانيّ غير جدير لا بنيل جائزة الفضيلة ولا بمنصبه. وإذا أدين المدّعى عليه فيجب أن يجرّد من وظيفته، ومن مراسم الدفن، ومن كل التكريمات الأخرى الممنوحة له. لكن إذا لم يحصل المدّعي على خمس الأصوات، فيجب أن يدفع اثني عشر مينا إذا كان من الطبقة الأولى، وثماني مينات إذا كان من الطبقة الثانية، وستّ مينات إذا كان من الطبقة الثالث، ومينتين اثنتين إذا كان من الطبقة الرابعة.

إنّ قرار رادامانثوس هو قرار جيّد جدير بكلّ إعجاب، طبقاً للقصّة، لقد أدرك أن معاصريه آمنوا ولم يشكّوا قطّ بوجود آلهة. وهذا الإيمان كان اعتقاداً منطقيّاً ومعقولاً في تلك الأيّام لأنّ أكثرية الرجال كانوا أبناء الآلهة.

وطبقاً للعرف كان هو نفسه واحداً منهم. يبدو أنّه أفتكر بأن أيّ حكم لا يجب أن يصدره ويُسلَّم به لأيّ إنسان، بل للآلهة فقط. وبهذه الطريقة فإنّ الدعاوى يُبتُّ بها بسرعة وسهولة، لأنه جعل الفريقين يؤدون قَسَماً في ما يتعلّق بالنقاط الرئيسيّة التي هي قيد الجدال، وهكذا حسم المسألة بسرعة وأمان. أمّا الآن فإنّ جزءاً محدّداً من الجنس البشريّ لا يعتقد بوجود الآلهة على الإطلاق، ويتصوّر الآخرون أنّهم لا يعتنون بنا. ويرى الرّجال والأكثرية منهم، وكذلك الرجال الأسوأ، يرون أنّ تضحية صغيرة وكلمات متملّقة قليلة ستجعل الآلهة شركاءهم في اختلاس كميّة كبيرة، ويخلّصونهم من القصاص الرهيب. إنّ طريقة رادامانثوس لا تتلاءم مع احتياجات العدل بعد اليوم. وبما أنّ آراء الرجال بشأن الآلهة متغيّرة، فإنّ النواميس يجب أن تتغيّر أيضاً. ففي استهلال الدعاوى ينبغي على المشرّع العقلاني أن يلغي أيمان الفريقين من كلا الجانبين ـ إنّ الذي يحصل على إذنٍ كي يَحضر فعلاً يلزمه أن يدوّن الاتهامات، لكن لا ينبغي عليه أن يضيف يميناً جديدة. وينبغي على المدّعى عليه بطريقة مماثلة أن يدلي بإنكاره أمام الحكّام كتابيّاً وأن لا يحلف إذ إنه لشيء مخيف أن تعرف، عندما تكون عدّة دعاوى قضائيّة متواصلة في الدولة، إنّه لشيء مخيف أنْ تعرف أنَّ نصف الشعب تقريباً يقابل بعضه بعضاً بلا مبالاة تماماً حين الولائم العامّة وفي وجود عشراء آخرين وأقارب من الحياة الخاصّة. وإنّه لشيء مخيف أن تعرف أيضاً أنّ هذا الشعب يقسبم يميناً كاذبة. إنّ الناموس يجب أن يكون إذن كما يلي: إنّ القاضي الذي يكون على وشك أن يصدر حكماً سوف يؤدّي قَسَماً، وهو الذي يختار الحاكمين في القضاء للدولة، إمّا أن يصوّت للقَسَم أو يصوّت على لوحة للتصويت يحضرها من هيكل، وهكذا أيضاً فإنّ قاضي الرقصات وكلّ الموسيقى والمشرفين على الألعاب الرياضية وحكّامها وفوارس المبارزات،

وبقدر ما يستطيع الرجال أن يكونوا قضاة، فلا شيء يُجنى من القَسَم الزائف. لكنّ الحالات كلّها التي يُثبّت فيها الإنكار بقَسَم ينتج عنه منفعة كبيرة بوضوح المؤدّي القسم هذا. وهذه الحالات ستقرَّر بدون القَسَم الذي يؤدّيه الفريقان في الدعوى، وأمّا القضاة المشرفون على الدعوى فلن يسمحوا لأيٍّ منهما أن يقسم يميناً من أجل الإقناع، ولا أن يستنزل اللعنات عليه وعلى نفسه وسلالته، ولا أن يستخدم التضرّعات على نحو غير ملائم، أو ينتحب كالنساء. لكنّهم سيعلّمون ويتعلّمون أبداً ما هو عدل بكلمات ميمونة مبشّرة بالنجاح. والذي يفعل غير ذلك سيُفترض أنّه يتكلّم بما لا صلة له بالموضوع، وسيعيده القضاة ثانيةً إلى الموضوع قيد البحث. على الجانب الآخر، فإنّ الغرباء في تعاملهم مع الغرباء سيمتلكون القوّة كما يمتلكونها حاضراً كي يعطوا ويتلقّوا الأيمان - لأنّهم في الغالب، لا يشيخون في المدينة ولا يتركون صغارهم مثل أنفسهم ليكونوا الأبناء والأخلاف للأرض - وبهذه الطريقة أيضاً سنقرّر استهلال دعاويهم الخاصّة بعضهم مع بعض في كلّ الحالات.

عندما يعصي إنسان حرٌّ الدولة في مسائل ثانويّة، ليست عقوبتها الضرب بالسياط أو الحبس أو الموت، مثل الإخفاق بالحضور حين إقامة الجوقات الموسيقيّة أو المواكب أو الاستعراضات الأخرى، أو حين إجراء الخدمات العامّة، وسواء إذا كانت الاحتفالات أضاحي في زمن السلم، أو دفع المساعدات في زمن الحرب، ففي كلّ هذه الحالات، تأتي بادىء ذي بدء، ضرورة تهيئة علاج للخسارة. وأمّا أولئك الذين لن يطيعوا، فستُعطى كفالة للضباط الذين فوّضتهم المدينة وخوّلهم الناموس أن يحددوا المبلغ المتوجّب دفعه. وإذا فقدوا كفالتهم، فيجب أن تباع الأغراض التي تعهّدوا بها، ولتُعطَ الأموال للمدينة. لكن إذا وجب عليهم أن يدفعوا مبلغاً أكبر من المال،

فلسوف يفرض الحكّام في القضاء المتعدّدون، سيفرضون على العاصي غرامة مناسبة، ويحضرونه أمام المحكمة، إلى أن يكونوا مستعدّين لفعل ما أُمروا به.

وبعدُ فإنّ الدولة التي تكسب المال من حرث الأرض وزرعها فقط، وليس لديها أيّة تجارة خارجيّة، يجب عليها أن تتأمّل ماذا ستفعل بشأن الإقامة المؤقّتة لشعبها الخاصّ في البلدان الأخرى، وبشأن استقبال الغرباء في مكان آخر. يجب على المشرّع أن يتأمل هذه المسائل كلها. وسيبدأ ذلك بمحاولة إقناع الرجال على قدر استطاعته. إنّ علاقات المدن بعضها مع بعض معرّضة لتخلق تشوّشاً في الأساليب؛ فالغرباء يقترحون البِدَع للغرباء على الدوام. عندما تُحكم الدول بنواميس جيّدة فإنّ الخليط يسبب الضرر الأعظم الممكن وقوعه. لكن بما أنّنا شاهدنا أنّ المدن الأكثر عدداً هي عكس المنظّمة تنظيماً جيّداً، فإنّ الارتباك الذي ينشأ من استقبال الغرباء، ومن المواطنين أنفسهم الذين يهرعون للذهاب إلى المدن الأخرى، وذلك عندما يرغب أيّ شخص، شابّاً كان أو مسنّاً، بالسفر إلى أيّ مكان في الخارج وفي أيّ وقت، ولا يكون هذا العمل عملاً بذي عاقبة. على الجانب الآخر، إنّ الرفض المطلق لتلقّي الأغراب، أو السماح لمواطنينا بالذهاب إلى الاماكن الأخرى، إن هذا العمل ليس ممكناً. إنه يظهر لبقيّة العالم أنّنا قساة وغير مهذّبين. إنّ هذه الممارسة يقوم بها ويستخدمها أناس يستعملون كلمات قاسية مثل كلمة عنصرية وطرد الغرباء. ولكي ينظر إليك على أنّك إنسان جيّد أو عكس ذلك من قِبَل بقيّة العالم، فإنّ هذه المسألة ليست مسألة طفيفة أبداً. لأنّ الكثرة لا تخطىء في حكمها على مَنْ يكون سيّئاً ومن يكون صالحاً. حتّى الرجال الطالحون لديهم موهبة إلهية تُخمّن حقاً، وكذلك العديد جدّاً من الرجال الذين ينحرفون عن الأفكار الصحيحة والأحكام للفروق بين الصالح والطالح بشكل مطلق. والكثرة الكبيرة من المدن محقّة تماماً في نصحنا

وتحذيرنا كي نقدّر السمعة الحسنة في العالم حقّ قدرها، إذ لا حقيقة أكثر أهميّة من هذه الحقيقة. إنّ الذي سيكون كاملاً .ينشد السمعة الحسنة عندما يمتلك حقيقة الخير، وليس بدونها. ويجب على مستعمراتنا الكريتيّة أن تكسب السمعة الحسنة أيضاً من الرجال الآخرين وهي السمعة الأجل والأنبل للفضيلة. وهناك كلّ سبب لتتوقّع ذلك، إذا ما تجاوبت الحقيقة مع الفكرة. إنّ مدينتنا ستكون واحدة من المدن القلائل المنظمة تنظيماً جيّداً التي تطلع عليها الشمس ويشاهدها الآلهة الآخرون. ومن أجل ذلك، ففي مسألة الرحلات إلى بلاد أخرى واستقبال الغرباء. فسنسنّ قانوناً كما يلي: في المقام الأوّل، لا يُسمحُ لأحدٍ بالذهاب إلى أيّ مكان على الإطلاق، أيْ إلى بلد غريب، إذا كان دون الأربعين من عمره. ولا أحد سيذهب إلى هناك بصفة خاصّة، بل سيذهب بصفة عامّة فقط. سيذهب كرسول أو في بعثة ديبلوماسيّة، أو في بعثة مقدّسة. إنّ الذهاب إلى الخارج في بعثة أو أثناء الحرب لا يحتاج لتعيينه بين الرحلات التي سمحت بها الدولة. فإلى أبوللو في معبد دلفي، إلى زيوس في أوليمبيا، وإلى نيمي وإلى إيستومس، إليهم جميعاً يجب أن يُرسل المواطنون كيّ يأخذوا دوراً في الأضاحي والألعاب المخصّصة للآلهة هناك. ويجب علينا أن نرسل العدد الذي نقدر عليه منهم. وأفضل الذين نستطيع إيجادهم وأجملهم، وهم سيجعلون المدينة معروفة في اللقاءات المقدّسة زمن السلم، محققين مفخرة .تعتبر نسخة مطابقة لتلك التي تمّ تحقيقها زمن الحرب. وعندما يأتون إلى البيت فلسوف يعلّمون الشباب أنّ بُنى الدول الأخرى هي أدنى ممّا هي عليه بنية مدينتهم. ونحن سنرسل متفرّجين من نوع آخر، إذا حصلوا على موافقة حماة المدينة، الذين وجدهم الحماة كما يعهدون، سنرسلهم للتفرّج على أعمال الرجال الآخرين أكثر قليلاً حين راحتهم. ولا قانون يمنع هؤلاء الرجال من الذهاب. إنّ مدينة لا

خبرة لها عن خير الرجال وشرّهم أو ليس لها علاقة معهم، إنّ مدينة كهذه لا يمكنها أن تكون متمدّنة بشكل تامّ أبداً، ولا تستطيع أن تحمي نواميسها وتصونها بالاعتماد على العادة فقط وبدون فهم ذكيّ لها. وهناك في العالم على الدوام رجال قلائل ملهمون تكون معرفتهم الشخصية والقرب منهم ممّا لا يقدَّر بثمن، وينشؤون في مدن منظّمة تنظيماً جيّداً تماماً، كما أنّهم ينشؤون في مدن سيّئة التنظيم. هؤلاء هم الذين يجب على المواطن في دولة حسنة التنظيم أن ينشدهم ويتطلّع إليهم أبداً، قاطعاً البرّ والبحر بحثاً عمّن هو غير قابل للفساد ـ وذلك ليتسنّى له أن يؤسّس نواميس ودساتير صالحة، بشكل أكثر رسوخاً في دولته التي تخصّه والتي تكون نوامسيها ودساتيرها من النموذج عينه. ولكي يمكنه أن يصلح ما يكون ناقصاً فيها. إذ بدون هذا الفحص والتحقيق فلا مدينة تستمرّ وتكون كاملة، إلاّ إذا أجري هذا الفحص بشكل جيّد.

كلينياس: كيف نستطيع أن نجري فحصاً ويكون فحصاً جيّداً؟

الأثيني: نقدر أن نديره بهذه الطريقة: في المقام الأوّل، إنّ المشاهد لن يكون دون الخمسين من عمره. يجب أن يكون إنساناً ذا سمعة حسنة، خاصّةً في الحرب، إذا ما كان ليعطي مثالاً عن حماة الناموس. لكنّه عندما يتجاوز الستين، فلن يبقى في منصبه كمتفرّجٍ بعد اليوم، ما دام قد استمرّ في فحصه عشر سنين هي سنوات تبوُّئه لمنصبه وكما يسرُّه. وعند عودته إلى البيت يجب أن يذهب إلى الجمعيّة العموميّة لأولئك الذين ينقّحون القوانين. إنّ هؤلاء سيكونون هيئة مختلطة من الشباب والرجال المسنّين يفترض بهم أن يتقابلوا يوميّاً بين طلوع الفجر وبزوغ الشمس. إنّهم سيتألّفون في المقام الأوّل، من الكهنة الذين حصلوا على جوائز الفضيلة؛ وسيتألّفون، في المقام الثاني، من حماة الناموس العشرة الأكبر سناً، كونهم

مختارين. إنّ المشرف العامّ على التعليم سيكون عضواً أيضاً، كما سيكون المعيّنون كأولئك الذين قد أُعفوا من مراكزهم. وكلّ منهم سيختار رفيقاً شابّاً بين الثلاثين والأربعين من عمره، حسب اختياره. أمّا موضوع مقابلتهم وحديثهم فسيكون نواميس مدينتهم التي تخصّهم على الدوام، أو النواميس المعمول بها في أمكنة أخرى، وكذلك سيكون موضوع حديثهم أنواع المعارف ذات الأهميّة والتي ستلقي ضوءاً على الفحص، أو التي ستجعل الحاجة الموضوعة للنواميس، ستجعلها مظلمة وغير أكيدة لهم. إنّ أيّة معرفة من هذا النوع يصادق عليها المسنّون، سيتعلّمها الرجال الشباب بكلّ اجتهاد. وإذا ظهر أنّ أيّاً من أولئك الذين قد دُعوا غير جديرين، فإنّ الجمعية العموميّة كلّها ستلوم مَنْ دعاه. أمّا بقيّة المدينة فستراقب بعناية المميّزين بين الرجال الشبّان، وستكرّمهم إذا نجحوا بشكل خاصّ، لكنّها ستهينهم فوق كلّ شيء إذا ظهر أنّهم الأدنى. هذه هي الجمعيّة العموميّة التي سيذهب إليها الإنسان رأساً، الإنسان الذي زار مجتمعات الرجال الأخرى وتطلّع في دساتيرها وذلك بعد عودته إلى الوطن. وإذا اكتشف أيّ شخص لديه أيّ شيء ليقوله بشأن تشريع النواميس أو التعليم أو التنشئة، وإذا كانت لديه أيّة ملاحظات، فعليه أن يوصل اقتراحاته للجمعيّة العموميّة كلّها. وإذا بدا أنّه عاد إلى الوطن لا أفضل ولا أسوأ، فيجب أن يُثنى عليه لحماسه على كلّ حال. وإذا عاد أفضل بكثير ممّا كان، فيجب أن ينهال الثناء عليه بشكل أكثر بكثير، ليس خلال حياته فقط بل بعد وفاته أيضاً، وعلى الجمعيّة العموميّة أن تكرّمه بالأمجاد المناسبة. لكن إذا بدا أنّه قد أُفسِد عند عودته إلى الوطن، متظاهراً بالتعقّل وهو ليس كذلك، فيجب ألاّ يتّصل بأيّ شخص، سواء كان شابّاً أو مسنّاً. وإذا أصغى لنصيحة الحكّام فسيسمح له عندئذ أن يعيش كفردٍ له حياته الشخصيّة؛ وإلاّ، فيجب أن يموت، إذا أدانته

محكمة الناموس بتهمة التدخّل بالتعليم والنواميس. وإذا استحقّ العقوبة، ولم يعاقبه أحدٌ من الحكّام القضاة، فدع ذلك يُحسب كعارٍ عليهم عندما يتمّ تقرير نيل جوائز الفضيلة.

يجب أن تكون أخلاق الشخص هكذا عندما يذهب خارج البلاد، وأن يذهب وفق هذه الشروط. في المقام الثاني، إنّ الغريب الذي يأتي من خارج البلاد سيُستقبل بنفسيّة صدوقة. وبعدُ هناك أربعة أنواع من الغرباء الذين ينبغي علينا ذكرهم ـ هناك النوع الأوّل الذي يقضي الصيف كلّه. هذا النوع مثل الطيور التي تمرّ، مستعملةً الجناح في تعقّب التجارة، وطائرة فوق البحر إلى البلدان الأخرى، حتى نهاية الفصل. هذا النوع سيُستقبل في الأماكن التجاريّة والموانيء والمباني العامّة قرب المدينة لكن خارجها، سيستقبله أولئك الحكّام القضاة الذين عُيّنوا للإشراف على هذه القضايا. وهم سيعتنون بالغريب ويحذّرون منه، مهما كان، وسيتأكّدون من معاملة الغرباء بالعدل، لكن لن يُسمح لهم بالقيام بأيّة فكرة أو طريقة جديدة؛ سيعقدون مع الغرباء المحادثة الضروريّة، وستكون هذه المحادثة قصيرة قدر المستطاع. والنوع الثاني هو النوع المتفرج فقط الذي يأتي ليرى ويسمع أعياد آلهات الفنّ والشعر والغناء؛ وهذا يجب أن يمتلك السّلوى مقدَّمة له في الهياكل بواسطة أشخاص مضيافين. ويجب على كهنة ووكلاء الهياكل أن يروها ويحضروها؛ لكن ينبغي عليهم أن لا يبقوا أكثر من الوقت المعقول. دعهم يرون ويسمعون ذلك وأن يذهبوا بعيداً بعدئذ، دون أن يقاسوا الأذى أو يفعلوه. إنّ الكهنة سيكونون قضاتهم، إذا تلقّى أيّ منهم الأذى أو فعله سيدفع مبلغاً قد يصل إلى ما قيمته خمسون دراخما. لكن إذا كان الاتهام أعظم، ففي تلك الحالات ستعرض الدعوى أمام حكّام الساحة العامّة المحليين. أمّا النوع الثالث من الغرباء فهو الذي يأتي من بلاد أخرى بحثاً عن

العمل العامّ ويجب أن يُستقبَل بالتكريمات العامّة. ينبغي أن يستقبله قادة الجيش وآمرو الخيالة وجنود المشاة فقط، وسيكون لدى المضيف الذي يستضيفه، في اتحادٍ مع الـ Prytanes، سيكون لهم العناية الفريدة بما يختصّ به. هناك نوع رابع من الأشخاص ينطبق على متفرّجينا، وهؤلاء الأشخاص يأتون من بلاد أخرى لمشاهدة بلادنا. في المقام الأوّل، هذه الزيارات نادرة، وينبغي على الزائر أن يكون له من العمر خمسون سنة على الأقل؛ ويجب أن يتوق توقاً شديداً لرؤية شيء ما ثمين ونادر الوجود في الدول الأخرى، أو أن يكون لديه شيء ما يعرضه لمدينة ثانية في أسلوب مماثل. إن شخصاً كهذا يجب أن يذهب إلى أبواب العقلاء والأغنياء من تلقاء نفسه، كونه واحداً منهم. كمثال، دعه يذهب إلى بيت المشرف على التعليم، واثقاً أنّه ضيف مناسب لهكذا مُضيف، أو دعه يذهب إلى بيت شخص من الذين كسبوا جائزة الفضيلة وأن يحادثهم، وأن يتعلّم منهم ويعلّمهم. وبعد أن يرى الجميع ويسمعهم فيجب أن يرحل. وكالصديق الذي يفارق أصدقاءه، يجب أن يكرّموه بواسطة الهبات وتقدمة مناسبة من تقديمات الإجلال والاحترام. هذه هي العادات التي طبقاً لها، ستستقبل مدينتنا الغرباء جميعاً من كلا الجنسين الذين يأتون من البلاد الأخرى. ويجب عليها أن تبعث بمواطنيها ليقدموا الاحترام لزيوس إله الضيافة، وأن لا يمنعوا الغرباء من وجبات الغذاء ومن الأضاحي، تماماً كما هو سائد بين أطفال النيل، ولا يجب أن يبعدوهم بالتصريحات القاسية.

عندما يصبح إنسان كفيلاً، دعه يعطي الكفالة في شكل مميّز، معترفاً بالتعامل كلّه في وثيقة مكتوبة وفي حضور ما لا يقلّ عن ثلاثة شهود إذا كان المبلغ دون ألف دراخما، وما لا يقلّ عن خمسة شهود إذا كان المبلغ يفوق ألف دراخما. إنّ وكيل البائع غير الأمين أو غير الجدير بالثقة سيكون

هو نفسه مسؤولاً، وسيكون الوكيل والرئيس مسؤولين بشكل متساوٍ. إذا رغب شخص بالبحث عن شيء في بيتِ آخرَ، فسيدخل عارياً، أو برداء قصير وبدون حزام، بعد أن يُقسم بالآلهة المألوفين بأنّه يتوقّع وجوده هناك. وسيبدأ بحثه عنه بعد ذلك، وسيفتح له الشخص الآخر أبواب بيته ويسمح له بتفتيش الأشياء المختومة وغير المختومة على حدّ سواء. وإذا لم يسمح شخص للباحث أن يقوم بالتفتيش، فللّذي مُنِع من ذلك أن يصحب البائع إلى حماة الناموس، ويخمّن قيمة البضائع التي يفتّش عنها، وإذا أُدين هذا الشخص فإنه سيدفع ضعفي ثمن الشيء. وإذا كان السيّد غائباً عن البيت، فإنّ ساكنيه سيدَعونه يفتّش الممتلكات غير المختومة، وسيضع المفتّش على الملكيات المختومة ختماً فوق الختم الأصليّ، وسيعيّن من يريد ليحرسها خلال خمسة أيّام. وإذا غاب سيّد البيت لمدّة أطول عن بيته، سيأخذ المفتّش معه حكام المدينة المحليّين، وهكذا يقوم بتفتيشه، ويفتح الملكيّة المختومة منها وغير المختومة، وسيختمها مرّة ثانية بعدئذ كما كانت قبلاً بحضور أعضاء العائلة وحكّام المدينة المحليّين. هناك وقت محدّد في حالة الأشياء موضوع النزاع، والذي اقتناها خلال زمن محدّد لن يكون بعده عرضة للإزعاج. وفي ما يتعلّق بالبيوت والأراضي فلا مجال للجدال أو النزاع في هذه الدولة التي تخصّنا؛ لكن إذا امتلك انسان أيّة مقتنيات أخرى استعملها ورئيت في المدينة بشكل واضح، وشوهدت في الساحة العامّة وفي الهياكل، ولم يطالب بها أحدٌ كتابة، ويدّعي شخص أنّه كان يبحث عنها طيلة هذا الوقت، وثبت أنّ مقتنيها لم يكتم خبرها، وإذا ما استمرّ الوقت لمدّة سنة، والأغراض في حوزة الأوّل والآخر يبحث عنها، فإنّ ادّعاء الباحث عنها لن يُسمح به بعد انتهاء مدّة السنة. وإذا لم يستعمل أو يبيّن الأغراض المفقودة في السوق التجارية أو في المدينة، بل فعل ذلك في البلاد فقط، ولم يدَّعِ أحد ملكيتها

خلال خمس سنوات فإنّ المطالبة بها سوف تُلغى بعد ذلك إلى الأبد. أو إذا استعملها في المدينة لكن داخل بيته، حينئذ فالوقت المعين للمطالبة بالبضائع حينئذ سيكون ثلاث سنوات، أو ستكون مدّته عشر سنوات إذا امتلكها في البلاد سراً. وإذا امتلكها في بلاد أخرى فلا تحديد لمدّة الوقت ولا أحقيّة مكتسبة بمرور الزمن لكن صاحبها الحقيقي يمكنه أن يطالب بها متى وجدها.

إذا منع شخصٌ شخصاً آخر بالقوة من حضور المحاكمة، سواء كان الممنوع الفريق الرئيسيّ أو شهوده، وإذا كان الممنوع عبداً، سواء أكان يخصّه أو يخصّ الغير، فستكون حينها الدعوى ناقصة ولا سند قانونياً لها. لكن إذا كان الذي مُنع إنساناً حرّاً، إضافة إلى أنّ الدعوى ناقصة، فإنّ الشخص الآخر الذي منعه سيُحبس لمدّة سنة، وسيُحاكم بتهمة الخطف عن طريق أيّ شخص يريد القيام بذلك. وإذا منع أيّ شخص بالقوة خصماً منافساً في الألعاب الرياضيّة أو الموسيقى، أو أيّ نوع من المبارزات، إذا منعه من حضور في المبارزات فدع من له عقل يخبر القضاة المشرفين على ذلك، وهم سيحرّرون الراغب في المبارزة. وإذا لم يقدروا على فعل هذا، ونال الجائزة من منعه من المنافسة، حينئذ سيعطون جائزة النصر لمن مُنع من الاشتراك في المنافسة، وسينقشون اسمه كأنّه الفاتح، سينقشونه في أيّة هياكل يريدها. والذي يمنع الآخر لن يُسمح له أن يقوم بأيّة تقديمات في الهياكل أو بنقش أيّة أسماء تشير إلى تلك المباراة، سواء انهزم أو غَلَب. إذا اقتنى أيّ شخص شيئاً مسروقاً مع علمه بذلك، فإنّه سيتعرّض للعقوبة عينها التي يتعرّض لها السارق. وإذا استقبل إنسان رجلاً منفياً سيُعاقب بالموت. وعلى كلّ إنسان أن يعتبر صديق الدولة صديقه وعدوّ الدولة عدوّه. وإذا عقد أيّ شخص سلاماً أو أعلن حرباً على الآخرين لحسابه الخاصّ، وبدون إذنٍ من

الدولة، فإنّه هو، والذي تعرّض للنفي، سيتعرّضان لعقوبة الموت. وإذا أعلن جزء صغير من المدينة الحرب أو عقد السلام مع أيّة مدينة، فإنّ القادة العسكريّين سيتّهمون المسؤولين عن هذا العمل، وإذا أُدينوا ستكون عقوبتهم الموت. أمّا الذين يخدمون بلادهم فيجب عليهم أن يفعلوا ذلك بدون تلقّي الهبات، ولا عذر ولا مصادقة على القول القائل: « يجب أن يتلقّى الرجال الهبات على أنّها مكافأة الصالحين، ولكن ليس للأعمال السيّئة » إذ ليس من السهل أن تعرف ماذا نفعل ونقف ثابتين بجانب معرفتنا. إنّ الطريقة الأضمن هي أن تطيع الناموس الذي يقول: « لا تخدم من أجل الرشوة ». ومن يعصِ، إذا أدين يجب أن يموت بكلّ بساطة. أمّا في ما يختصّ بالضريبة، ولأسباب مختلفة، يجب على كلّ إنسان أن يقيّم ملكيته. وينبغي على رجال القبائل أن يُحضِروا جدولاً للمنتوج السنويّ بشكل مماثل. ينبغي أن يُحضِروه إلى حكّام البلاد المحليين، ليتسنى وضع تقييمين اثنين بهذه الطريقة. ويمكن أن يستعمل الضباط العامّون سنوياً أيّ رأي يرونه الأفضل. يمكن أن يفضّلوا أخذ جزء محدّد من القيمة كلّها، أو أخذه من قيمة الدخل السنويّ بعد حسم ما دُفع للوجبات العامّة.

على غرار التقديمات إلى الآلهة، فإنّ الإنسان المعتدل يجب أن يراقب الاعتدال في ما يقدم. وبعدُ فإنّ الأرض وبيوت كلّ الناس مقدّسة للآلهة، ولهذا السبب لا تدع إنساناً يخصّصها للآلهة مرّة ثانية. إنّ الذهب والفضّة سواء اقتناها أشخاصٌ شخصيّون أو آقتُنيت في الهياكل، وكما في المدن الأخرى فهي مثيرة للحسد. وأمّا العاج فهو منتوج الجسم الميّت ولا يناسب التقديمات. وأمّا النحاس والحديد فهما أدوات الحرب مرّة ثانية. لكن يستطيع الإنسان أن يجلب من الخشب ما يحبّ من تقديمات، شرط أن تكون التقدمة قطعةً واحدةً. ويستطيع أن يقدّم الأحجار إلى الهياكل العامّة بطريقة

مماثلة كذلك. لا تدع إنساناً يقدّم من الأعمال المنسوجة أكثر ممّا تستطيع امرأة أن تنجزه في شهر. إنّ اللون الأبيض يناسب الآلهة، خاصّة في المنسوجات، لكنّ الصباغ يجب أن يُستخدم في حلى الحرب فقط. إنّ الهدايا الأكثر إلهية هي صور الطيور والطيور، وينبغي أن تكون ممّا يقدر على تنفيذه رسّام يدويٌّ واحد في يوم واحد. وكلّ التقديمات الأخرى يجب أن تتبع قاعدة مماثلة.

وبعد فإنّ المدينة كلّها قد قُسّمت إلى أجزاء ولقد وصفنا طبيعتها وعددها سابقاً، وسُنّت النواميس بشأن العقود الأكثر أهميّة كما كان ذلك ممكناً، وستكون الخطوة التالية إحقاق العدل فيها. إنّ أُولى المحاكم ستُشكّل من قضاةٍ مختارين، يختارهم المدّعي والمدّعى عليه بشكل مشترك: إنّ هؤلاء سيُدعون وسطاء بدلاً من قضاة. وسيكون في المحكمة الثانية قضاة للقرى والقبائل في تطابق مع الاثنتي عشرة جماعة ومع قسمة الأرض بينهم. وأمام هؤلاء سيذهب المتقاضون للإدلاء بآرائهم عن الأضرار الأكبر، إذا لم تُحسم الدعوى أمام القضاة الأُوَل. إنّ المدّعى عليه، إذا أُدين للمرّة الثانية، سيدفع الأضرار المذكورة في الاتهام وخُمسَها زيادة. وإذا وجد خطأً مع قضاته وأنهم سيحاكمونه مرّة ثالثة، فله أن يتقدّم بدعواه إلى القضاة المختارين. وإذا أُدين لمرّة ثانية، فعليه أن يدفع الأضرار ونصفها مرّة ثانية. وإذا أُدين المدّعي أمام القضاة الأوائل وأصرَّ على أن يذهب إلى القضاة الثواني، فإذا انتصر سيتلقّى بالإضافة إلى قيمة الأضرار أكثر من خُمس جزئها، وإذا أُدين سيدفع مبلغاً مماثلاً. لكن إذا لم يقتنع بالقرار السابق، وأصرّ على حمل الدعوى للمحكمة الثالثة، فإنّه اذا انتصر حينئذ سينال من المدّعى عليه قيمة الأضرار، كما قلت قبلاً، بالإضافة إلى نصف قيمة هذه الأضرار أيضاً. وإذا أُدين المدّعي يدفع نصف قيمة الأضرار المُطالب بها. وبعد فإنّ المهمة التي أوكلها

أكثريّة القضاة إلى المحاكم وإتمام عددها، وتعيين الخدم للحكام القضاة الآخرين، والأوقات التي يجب أن تُسمع بها الدعاوى المتعدّدة، والتصويت وفض الدعاوى، والتفاصيل الضروريّة للإجراءات القانونيّة، والوقت الذي يجب أن توضع الأجوبة فيه والذي يجب أن يظهر فيه الفريقان أيضاً ـ لقد تكلّمنا سابقاً بشأن هذه المسائل كلّها وبخصوص الأشياء الأخرى المماثلة لها. لكن لا ضرر في تكرار ما هو حق مرّتين أو ثلاث مرّات. إنّ كلّ القضايا الأقلّ والأسهل التي أغفلها المشرّع الأكبر سنّاً، يمكن للمشرّع الأفتى أن يزوّدها ويجهّزها. وستُنظّم المحاكم الشخصيّة بهذه الطريقة بشكل كافٍ، وكذلك المحاكم العامّة ومحاكم الدولة، وأيضاً تلك المحاكم التي يجب أن يستخدمها الحكّام القضاة في إدارة مكاتبهم العديدة، وهذه المحاكم موجودة في الدول الأخرى العديدة. إنّ الدساتير العديدة من هذا النوع المحترم جدّاً قد صاغها رجال أخيار. وربّما استلهمها حماة الناموس ليأخذوا ما هو ضروري لنظام دولتنا الجديدة، بعد أخذها بعين الاعتبار وتصحيحها وإخضاعها لتجربة الخبرة، حتى يبدو أنّ كلّ تفصيل فيها أُنهِي وصُفّي بشكل مقنع، وبعدئذ مهروها بأختامهم، وجعلوها ثابتة لا تلغى لأنّهم سيستعملونها بعد ذلك إلى الأبد. أمّا في ما يختصّ بصمت القضاة والاقتصاد في الكلمات التي تنذر بالشؤم وعكس ذلك، والأفكار المختلفة بشأن العدل والخيّر والشريف الموجودة في دولتنا بالمقارنة مع الدول الأخرى، إنّ هذه الأشياء قد تمّ ذكرها بشكل جزئيّ سابقاً، وسيُذكر الجزء الآخر منها في ما بعدُ كلّما اقتربنا من نهاية بحثنا هذا. إنّ مَن سيكون قاضياً متساوياً سينظر إلى كلّ هذه القضايا بالعدل، وهو سيقتنيها مكتوبة وذلك كي يتعلّمها. لأنّ معرفة النواميس الصالحة تؤمّن القوّة الأعظم لتحسين المتعلّم من بين المعارف كلّها، وإلا فلا معنى في الناموس الإلهيّ والرائع أن يقتني إسماً

مماثلاً للعقل. وإنّ مِن بين كلّ الكلمات الأخرى، مثل الثناءات واللوم على الأفراد التي تحدث في الشعر وفي النثر أيضاً، سواء إذا كُتبت أو نُطقت في المحادثات اليوميّة، وسواء إذا تنازع الرجال بشأنها في نفسيّة جداليّة أو وافقوا عليها بضعف، كما هي الحالة عادة، مِن بين كلّ هذه الكلمات يعتبر الاختبار الأكيد هو كتابات المشرّع التي يجب على القاضي الحقّ أن يحوزها في عقله كترياق لكلّ الكلمات الأخرى. وهكذا فإنّه يجعل نفسه ويجعل المدينة تقف مستقيمة الخُلُق والبُنى، مدبّراً للخير ولاستمراريّة وزيادة العدل وجاعلاً الشرّ والأشرار على الجانب الآخر، يتحوّلون عن الجهل والإفراط، وعن كلّ ما هو آثم، بقدر ما يمكن لعقولهم الفاسدة الشفاء. لكنّ هؤلاء الذين انتهى نسيج حياتهم في الحقيقة، ميهبهم الموت، وهو العلاج الوحيد للأرواح في حالتهم الشقيّة تلك، كما يمكنني أن أقول ذلك مرّات ومرّات، وسيكون قضاة ورؤساء قضاة كهؤلاء جديرين بتلقّي الثناء من المدينة كلّها.

عندما تنتهي دعاوى السنة ينبغي أن تنظّم تنفيذها النواميس التالية: في المقام الأوّل، سيخصّص القاضي للفريق الذي يربح الدعوى ممتلكات الفريق الخاسر كلّها، فيما عدا الضروريّات المجرّدة. وسيتمّ التخصيص على لسان الناطق باسمه حالاً وبعد كلّ قرار في استماع حجج القضاة وفي مستهلّ الشهر التالي، بعد الشهر الذي تعقد فيه المحاكم « إلاّ إذا اقتنع رابح الدعوى بدون أن يُجبر الجانبين كليهما » في مستهلّ الشهر، فإنّ المحكمة ستتابع الدعوى وتسلّم للرابح أغراض الخاسر. لكنّهم إذا وجدوا أن الخاسر ليس لديه ما يدفعه، وأنّ المبلغ الناقص ليس أقلّ من دراخما، فإنّ الشخص المفلس لا حقّ له بالذهاب إلى الناموس مع أيّ رجل آخر إلى أن يسدّد الدين للفريق المنتصر؛ لكنّ الأشخاص الآخرين لديهم الحقّ في إقامة دعاوى ضدّه. وإذا رفض أيّ شخص أن يعترف بسلطة الذين أدانوه بعد إدانته،

فعلى الحكّام القضاة الذين جُرِّدوا من سلطتهم، عليهم أن يحضروه أمام محكمة حُماة الناموس، وإذا أُدين فيجب أن يعاقبوه بالموت بوصفه مدمّراً للدولة وللنواميس كلّها.

هكذا يولد الإنسان وتتمّ تنشئته، وبهذه الطريقة ينجب أطفاله ويربّيهم، ويمتلك حصّته من التعامل مع الرجال الآخرين، ويقاسي العقاب إذا أخطأ بحقّ أيّ شخص، ويرتاح ويرضى إذا آذاه شخص آخر. وهكذا فإنّه يكبر في ظلّ حماية النواميس في وقتٍ واجب الأداء، وتأتي نهاية حياته في نظام الطبيعة. أمّا في ما يخصّ المتوفّين من كلا الجنسين، فإنّ الإحتفالات الدينية التي يمكن إقامتها بشكل مناسب، سواء إذا اختصّت بآلهة العالم السفليّ أو بآلهة هذا العالم، إنّ هذه الاحتفالات سيقرّرها المؤوّلون بسلطة مطلقة. أمّا قبورهم فلن تكون في الأماكن المناسبة للزرع والحرث، ولن يكون هناك نُصبٌ أو مبانٍ تذكاريّة في بُقعٍ كهذه، لا صغيرة منها ولا كبيرة، بل ستحتلّ هذه القبور المناطق المهيّأة لاستقبال ومواراة أجساد المتوفّين بشكل طبيعيّ وذلك بمقدار طفيف من الألم للأحياء قدر الإمكان. لا إنسان، حيّاً كان أو مُتَوفّىً، سيجرّد الإنسان الحيّ من الرزق الذي تقدّمه له الأرض بشكل طبيعيّ. هذه الأرض هي أمّهم المرضعة. ولا تدع الكومة الصغيرة تتجاوز ما يستطيع إنجازه خمسة رجال في خمسة أيّام، والحجر الذي يُوضع فوق البقعة لا ينبغي أن يكون أكبر ممّا يكفي لكتابة الثناءَات عليه بشأن الميّت مختصرةً في أربعة سطور بطوليّة. والمتوفى يجب ألاّ يُبقى في البيت لوقت أطول ممّا يكون كافياً للتمييز بين الإنسان المغشي عليه فقط وبين الميّت حقّاً. ولنتكلّم بشكل عامّ، فإنّ اليوم الثالث بعد حصول الوفاة سيكون الوقت المناسب لحمل الجسد إلى مثواه الأخير. وبعدُ يجب علينا أن نصدّق المشرّع عندما يخبرنا أنّ الروح أسمى من الجسد في كلّ ناحية من النواحي،

وأنّ التوازن والتعادل في الحياة اللذين يجعلان كلّ واحد منا على ما هو عليه، إنّما أصلها الروح فقط، وأنّ الجسد يتبعنا بشأن التشابه في كلّ منا. ولهذا السبب، فإنّنا عندما نتوفّى، تكون أجساد المتوفّين هي الظلال أو الرموز، كما قيل ذلك حقاً؛ لأنّ الموجود الحقيقيّ والخالد لكلّ منا والذي يُسمّى الروح، يمضي في طريقه إلى الآلهة الأخرى، وتمثل أمامهم لتقدّم حسابها - هذا الحساب الذي يعتبر أملاً ملهماً للأخيار، لكنّه مرعب جدّاً للأشرار، كما تخبرنا بذلك نواميس آبائنا. وهي تقول أيضاً إنّه لا يمكن عمل الكثير لمساعدة الإنسان بعد وفاته. لكنّ الإنسان الحيّ ستتمّ مساعدته كي يتسنّى له أن يكون أقدس الرجال وأعدلهم ما دام حيّاً وليتسنّى له بعد الوفاة أن لا يرتكب أخطاءً عظيمة كي يُعاقب عليها في العالَم السفليّ. وإذا كان هذا صحيحاً، فإنّ الإنسان لا ينبغي أن يُضيّع جوهره تحت الفكرة القائلة إنّ كلّ هذا الحجم من اللحم الذي لا حياة له، والذي هو في طور الدفن، متّصلٌ بهذا الجوهر، أعني الروح. عليه أن يعتبر أن الإبن، أو الأخ، أو الإنسان الذي يحبّه، عليه أن يعتبر أنّ أيّ امرىء، كائناً من كان، والذي يرى أنّه يتمدّد في التراب، بل إنّ هؤلاء كلّهم قد ذهبوا بعيداً ليتمّموا وينجزوا نصيبهم الخاص بهم، وأنّ واجبه أن ينظّم الحاضرين بحقّ، وأن ينفق بشكل معتدل على المذابح المقامة للآلهة والتي لا حياة لها في العالم السفليّ. لكنّ المشرّع لا ينوي أن يؤخذ الاعتدال بمعنى الخِسّة. دع الناموس يكون إذن كما يلي: إنّ النّفقة على جنازة مَن يُتوفّى من الطبقة الأعلى لن تزيد كلّها على الخمس مينات، ولن تزيد على الثلاث مينات لمَن يكون من الطبقة الثانية، ومينتين اثنتين لمَن يكون من الطبقة الثالثة، ومينا واحدة لمَن يكون من الطبقة الرابعة. وهذه النّفقة ستكون نفقة عادلة. إنّ حماة الناموس المسؤولين عن أشياء كثيرة غير هذه، يجب عليهم أن يأخذوا عناية خاصّة

بكل دور متعاقب من أدوار الحياة. وعند الدور الأخير منها، لا بدّ من وجود حارس واحد للناموس يشرف عليه، سيختاره أصدقاء الفقيد للإشراف عليه أيضاً. ويجب أن يُعطى التمجيد لمن يدير بالعدل والاعتدال ما يتعلّق بالمتوفّين ويتّصل بهم، وأن يُعطى له كذلك الخزي والتحقير إذا لم يُدر ذلك بجودة. ودع تصميم الاحتفالات الأخرى يمّون في تطابق مع العادة والعرف. لكنّنا يجب أن نعطي لرجال الدولة طريقة في خواصّ محدّدة يتمّ تبنّيها عادة كناموس له. كمثال، إنّه لشيء مرعب أن يأمر رجل الدولة إنساناً بالبكاء أو الامتناع عنه على رأس المتوفّى، لكن يمكنه أن يمنع الصراخ والنحيب، وأن لا يسمح بتعدّي صوت المنتحب خارج البيت. يمكنه أن يمنع أيضاً إحضار جسد الميت إلى الشوارع المفتوحة، أو يحضر مسيرات المنتحبين إلى الشوارع، ويمكن أن يَحتاج ذلك قبل طلوع الفجر ووجوب أن يكون الناس خارج المدينة. هذه النواميس يجب أن تكون نواميسنا في ما يتعلّق بقضايا كهذه. ودع الذي يطيعها يكون حرّاً من دفع الغرامة، لكن الذي يعصيها، حتى لو كان حامياً واحداً للناموس، سيُعاقب بها كلّها بكلّ غرامة مناسبة. أمّا أساليب الدفن الأخرى، أو إنكار الدفن مرّة ثانية، الذي يجب رفضه في حالة اللصوص سارقي الهياكل، أو في حالة قتلة آبائهم أو أمّهاتهم أو أحد أقاربهم، أو ما شابه ذلك، إنّ هذه الحالات كلّها قد استُنبطت وضمّنت في النواميس المتقدّمة. وهكذا فإنّ عملنا التشريعيّ قد شارف على نهايته بشكل عادل وجميل. لكن في الحالات جميعها فإنّ النهاية لا تتوقّف على فعل شيء ما، أو نيل شيء ما، أو تأسيس شيء ما ـ إنّ النهاية سيتمّ نيلها وإكمالها بشكل نهائيّ عندما نقدّم ونجهّز لدساتيرنا الكمال والاستمراريّة الأزليّة؛ وإلى ذلك الحين فإنّ إبداعنا يظلّ ناقصاً.

كلينياس: إنّ ذلك لجيّد جدّاً، أيّها الغريب، لكنّني أرغب أن تقول لي ما هو قصد ملاحظتك بشكل أكثر وضوحاً.

الأثيني: أوه يا كلينياس، إنّ أشياء كثيرة قد قيلت جيّداً في الزمن القديم وتمّ غناؤها، ليست الألعاب المعطاة للأقدار هي الأقلّ جودة بين هذه الأشياء.

كلينياس: وما هي؟

الأثيني: قيل إنّ لاخيسيس أو واهبة الكثرة هي الأولى بينهم، وإن كلوثو أو الغزّالة هي ثانيتهم، وإنّ اتروبوس أو اللامتغيرة هي ثالثتهم، وإنّها هي الواقية والصائنة لكلّ الأشياء التي تكلّمنا عنها، وقد قورنت في شكل بالأشياء المحاكة بالنار. إنّ كليهما [كمثال، اتروبوس والنار] هما منتجا النوعيّة اللامتغيّرة. إنّني أتكلّم عن الأشياء التي لا تُعطي، لا في الدولة ولا الحكومة، الصحّة والنجاة للجسم فقط، بل تعطي الناموس، أو على الأصحّ الحفاظ على الناموس في الروح. وإذا لم أكن مخطئاً يبدو أن هذا تفتقر إليه نواميسنا. ينبغي علينا أن نرى كيف نستطيع أن نغرس فيها الطبيعة المتعذّر إلغاؤها.

كلينياس: إنّ هذا النقص لن يكون صغيراً إذا لم نستطع أن نكتشف وسائل غرس نوعيّة كهذه في كلّ ناموس من نواميسنا.

الأثيني: لكن يمكن اكتشافها بكلّ تأكيد. إنّني أرى إلى هذا الحدّ بوضوح.

كلينياس: دعنا لا نفكّر إذن بالكفّ عن القيام بذلك إلى أن ننقل هذه النوعيّة إلى نواميسنا، إذ إنّه لشيء مضحك أن نضع في النهاية أيّ شيء على قاعدة غير مستقرّة، بعد أن صرفنا جهداً وعملاً طويلاً مضنياً.

كلينياس: إنّني أصادق على اقتراحك، وأفكّر بما تفكّر به تماماً.

كلينياس: جيّد جدّاً، وبعدُ فكيف ستكون نجاة حكومتنا ونواميسنا وكيف سيتمّ إنجاز ذلك، طبقاً لك.

الأثيني: ألم نقل إنّه يجب أن يكون في مدينتنا مجلس استشاري ويجب أن يكون من هذا النوع: إنّ الحماة العشرة الأكبر سنّاً الذين يحمون الناموس، وكلّ

أولئك الذين حصلوا على جوائز الفضيلة، إنّهم جميعاً كانوا ليتقابلوا في الجمعيّة العموميّة عينها، وكان المجلس الاستشاري ليشمل أيضاً أولئك الذين زاروا البلاد الغِريبة على أمل سماع شيء ما يمكن أن يكون ذا نفع في صيانة النواميس والحفاظ عليها. أمّا الذين وصلوا إلى البلاد بأمان، وبما أنّه قد تمّ اختيارهم لهذه القضايا عينها، فلقد برهنوا أنّهم جديرون بالاشتراك في الجمعيّة العموميّة. إنّ كلّ عضو من هؤلاء الأعضاء عليه أن يختار شاباً لا يقلّ عمرُه عن ثلاثين سنة، وسيحكم من الاستنتاج الأوّل إذا كان الشاب جديراً بالطبيعة والتعليم، وموحىً به إلى الآخرين بعدئذ. وإذا بدا لهم أيضاً أنّه جدير بما يُعدُّ له، ينبغي عليهم اختياره والتعاون معه؛ لكن إذا حدث العكس، فإنّ القرار الذي توصّلوا إليه يجب أن يبقى سرّاً عن عامّة المواطنين، وبشكل خاصّ وأكثر عن المرشح المرفوض. إنّ اجتماع مجلس الشورى يجب انعقاده في الصباح الباكر، في الوقت الأكثر راحة لكلّ إنسان وليس لديه أيّ عمل يقوم به، سواء إذا كان العمل عامّاً أو خاصّاً ـ ألم نقل شيئاً من هذا النوع قبلاً؟

كلينياس: قلناه حقّاً.

الأثيني: في عودة إلى مجلس الشورى إذن، إنّني سأقول أيضاً، إذا تركناه ليكون مرتكز الدولة وجهّزناه بكلّ شيء مناسب لطبيعته فإنّه سيقي كلّ ذلك الذي نرغب وقايته.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: هذا هو الوقت الذي أتكلّم فيه الحقيقة بكلّ جديّة.

كلينياس: قيل جيّداً، وإنّي لآمل أن تفي بما تعد به.

الأثيني: هل تعرف، يا كلينياس، أنّ كلّ شيء لديه منقذ طبيعي في كلّ ما يفعله، كما هي روح الحيوان ورأسُه المنقذان الرئيسيّان؟

كلينياس: مرّة ثانية، ماذا تعني؟

الأثيني: إن وجود هذين معناه وقاية وحفظ كلّ شيء حيّ بوضوح.

كلينياس: كيف يكون ذلك؟

الأثيني: إنّ الروح تحتوي العقل إلى جانب أشياء أخرى، ويحتوي الرأسُ البصرَ والسمعَ إضافةً إلى الأشياء الأخرى؛ والعقل الممتزج مع الحواسّ الأنبل، وقد أصبح واحداً معها، يمكن أن يقال عنه إنّه نجاة الكلّ ومنقذهم بحقّ.

كلينياس: نعم هكذا تماماً.

الأثيني: نعم، حقّاً، لكن بماذا يُتّهمُ الفكر الممتزج مع الحواسّ، وهو نجاة البواخر في العواصف، كما أنّه نجاتها في الطقس الجيّد؟ ففي الباخرة، عندما يتّحد القبطان والبحّارة بمداركهم الفكريّة مع العقل الدّليل، أفلا ينقذون أنفسهم وينقذون صناعتهم؟

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: لا نريد تقديم شروحات عديدة بشأن قضايا كهذه. أيّ هدفٍ يقترحه قائد الجيش لنفسه، أو يقترحه أيّ مستشار صحّيّ عندما نرى أنّ مقاييسه وُجّهت جيّداً؟ أفلا يهدف قائد الجيش إلى إحراز النصر والتفوّق في الحرب؟ أوَلا يهدف الطبيب ومساعدوه إلى تأمين الصحّة في الجسم؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: والطبيب الذي يكون جاهلاً بشأن الجسم، أي، الطبيب الذي لا يعرف ما سمّيناه الآن الصحّة، أو قائد الجيش الذي لا يعرف النصر، أو أيّ أشخاص آخرين جاهلين بخواصّ فنون الحرب التي ذكرناها، إذا كانوا كلّهم هكذا، فهل يُستطاع القول إنّ لديهم فهماً بخصوص أيٍّ من هذه القضايا؟

كلينياس: لا يمكن قول ذلك.

الأثيني: وماذا ستقول عن الدولة؟ إذا برهن شخص أنّه يجهل الهدف الذي ينبغي

على رجل الدولة التطلّع إليه، فهل يجب في المقام الأوّل، أن يُدعى حاكماً وأبعد من ذلك، هل سيكون قادراً على أن يقي ويصون ما لا يعرف ما الهدف منه؟

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: ولهذا السبب، إذا ما كان على إقامتنا في البلاد أن تكون كاملة، فيجب علينا أن نمتلك دستوراً ما، دستوراً يعرف ما هو هدف الدولة هذا بالضبط، ويخبرنا عن طريقة الحصول عليه، وأيّ ناموس أو أيّ إنسان سينصحنا للوصول إلى تلك الغاية. إنّ أيّة دولة لا تمتلك دستوراً تعتبر مجرّدة من العقل والإدراك على الأرجح، وستتقدّم في كلّ أعمالها بمحض الصدفة والاتفاق.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: في أيّ جزء من الأجزاء إذن، أو في أيّة دساتير للدولة يجب أن توجد أيّة قوة حاكمة كهذه، هل نستطيع قول ذلك؟

كلينياس: إنّني لست متأكّداً تماماً، أيّها الغريب؛ لكن لديّ اشتباه بأنّك تشير إلى الجمعية العامّة التي قلت لتوّك إنّها يجب أن تجتمع في الليل.

الأثيني: إنّك تفهمني تماماً، يا كلينياس. يجب علينا أن نفترض، كما تقتضي المحاورة ضمناً، أنّ هذا المجلس الاستشاريّ يقتفي كلّ فضيلة. وبداية الفضيلة أن لا ترتكب أخطاء بتخمين عدّة أشياء، بل أن تنظر إلى شيء واحد ثابت، وأن نركّز كلّ أهدافنا على هذا.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: سنرى الآن إذن لماذا لا يوجد شيء مدهش في انحراف الدول عن الصراط المستقيم ـ وسبب ذلك أنّ مشرّعيها لديهم أهداف متباينة؛ ولا يوجد أيّ شيء مدهش في وضع البعض كقاعدة عدلهم، وهو أنّ أشخاصاً

محدّدين يجب أن يحملوا مسؤولية الحكم في الدولة، سواء أكانوا أخياراً أو أشراراً، ويلحُّ الآخرون على وجوب أن يكون المواطنون أغنياء، غير مهتمّين أكانوا عبيداً للآخرين أو كانوا عكس ذلك. في حين يميل الآخرون إلى الحريّة ثانية، ويشرِّع البعض قصد نيل الاثنين معاً. يريدون أن يكونوا أحراراً وفي الوقت عينه أسياداً للدول الأخرى. لكنّ النوع الأعقل من الرجال، كما ينظرون إلى أنفسهم، يتطلّعون إلى كلّ هذه الأهداف وإلى أهداف أخرى مماثلة، ولا أحد منهم على وجه الحصر، يحظى بتكريمهم، وإليه تتطلع الأشياء كلّها.

كلينياس: إنّ تأكيدنا السابق سيثبت إذن، أيّها الغريب. فنحن قلنا إنّ النواميس بشكل عامّ يجب أن تتطلّع إلى شيء واحد فقط، وقيل عن هذا الشيء إنّه الفضيلة حقاً، كما اعترفنا.

الأثيني: نعم.

كلينياس: وقلنا إنّ الفضيلة أنواع أربعة؟

الأثيني: حقيقيّ تماماً.

كلينياس: وإنّ العقل هو قائد الأربعة، ويجب أن توليه الفضائل الثلاث، وكلّ الأشياء الأخرى أيضاً يجب أن توليه كلّ تقدير وتبجيل.

الأثيني: إنّك تتبعني بامتياز، يا كلينياس، وإنّي أسألك أن تتبعني إلى النهاية. لقد قلنا سابقاً إنّ عقل القبطان وعقل الطبيب والتطلّع العامّ إلى ذلك الشيء الواحد هو الذي يجب علينا أن نتطلّع إليه. والآن يمكننا أن نلتفت إلى العقل السياسيّ، ونحن كمخلوقات إنسانية سنسأل، بادىء ذي بدء، فنقول: أيّها المخلوق البديع، إلامَ تتطلّع؟ إذا كان الطبيب قادراً على أن يشرح هدفه الفرد في الحياة بوضوح، أفلا تستطيع أنت، أيّها المخلوق السامي المتسامي على كلّ المخلوقات العاقلة، كما تزعم، أفلا تستطيع أن تصف ما لَكَ؟ هل

تستطيع، يا ميغيلوس، وأنت يا كلينياس، أن تقولا بجلاء ما هو هدف العقل السياسيّ، ردّاً على التحديدات والتعريفات المتعدّدة التي أعطيتها بالنيابة عن الفنون الأخرى؟

كلينياس: إنّنا لا نستطيع، أيّها الغريب.

الأثيني: حسناً، لكن ألا يجب أن نرغب برؤيته، وأن نبحث حيث يحتمل إيجاده؟

كلينياس: كمثال، أين؟

الأثيني: كمثال، قلنا إنّ هناك أربعة أنواع من الفضيلة، وكما أنّ هناك أربعة أنواع منها، فإنّ كلّ نوع يجب أن يكون واحداً.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وسنسمّي الأربعة كلّها ونسمي كلاًّ منها واحدة أيضاً؛ لأنّنا نقول إنّ الشجاعة فضيلة، وإنّ الحكمة فضيلة، ونقول الشيء عينه عن الاثنتين الأُخريين، كما لو أنها واحدة في الحقيقة لا أربع، أعني، فضيلة.

كلينياس: هكذا تماماً.

الأثيني: لا صعوبة في الرؤية بأيّة طريقة تختلف الاثنتان إحداهما عن الأخرى، وأنّهما تلقّيا اسمين اثنين. وهكذا عن البقيّة الباقية. لكن هناك صعوبة أكثر في شرح ماذا نسمي هاتين الفضيلتين والفضائل الباقية منها باسم واحد مفرد، فضيلة.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: ليس لديّ صعوبة في إيضاح ما أعنيه، دعنا نوزّع الموضوع إلى أسئلة وأجوبة.

كلينياس: مرّة ثانية، ماذا تعني؟

الأثيني: إسألني ما هو ذلك الشيء المفرد الذي أسمّيه فضيلة، وتكلّم عنه بعدئذ ثانية كأنّه اثنان، جزؤه كونه شجاعة والجزء الآخر حكمة. سأخبرك كيف

يحدث ذلك: إنّ أحدهما يختصّ بالخوف؛ وفي هذا تشترك البهائم أيضاً، ويشترك الأطفال الصغار فيه تماماً، أعني الشجاعة. إنّ المزاج الشجاع هو هبة الطبيعة وليس هبة العقل؛ لكن لولا العقل لما وجدت، ولا توجد، ولن توجد روح عاقلة وفاهمة، إنّها ذات طبيعة مختلفة.

كلينياس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

الأثيني: لقد أخبرتك الآن بأيّة طريقة توجد فضيلتان وأنّهما مختلفتان، فهل ستخبرني بالمقابل في أيّة طريقة تكونان واحدة والشيء عينه. تصوّر أنّك ستخبرني في أيّة طريقة تكون الفضائل الأربع فضيلة واحدة، وعندما تعطي دليلك، سيكون لك الحقّ في أن تسألني بدورك بأيّة طريقة تكون أربع فضائل. إذن دعنا نتقدّم لنحقّق ما إذا كانت المعرفة الحقيقية تكمن في معرفة الإسم فقط ولا تكمن في معرفة التحديد أو التعريف، وذلك في حالات الأشياء التي تمتلك إسماً وتمتلك تحديداً لها. هل يمكن للّذي ينبغي أن يكون صالحاً لأيّ شيء أن يكون جاهلاً بها جميعاً وبدون شكّ بماذا تختصّ الحقائق العظيمة والممجّدة.

كلينياس: إنّني لا أفترض ذلك.

الأثيني: وهل يوجد أيّ شيء أعظم للمشرّع ولحامي الناموس، ولِمَن يرى أنّه يتفوّق على كلّ الرجال الآخرين في الفضيلة، والذي فاز بغصن غار إكليل الامتياز، هل هناك أيّ شيء أعظم من هذه النوعيّات بالتحديد والتي تكلّمنا عنها: الشجاعة، الاعتدال، الحكمة، والشجاعة؟

كلينياس: كيف يمكن أن يوجد أيّ شيء أعظم؟

الأثيني: أوّلا يجب على المؤوّلين، الأساتذة، المشرّعين، وعلى حماة المواطنين الآخرين، ألا يجب عليهم أن يبزّوا بقيّة الجنس البشريّ، وأن يبيّنوا له بالكمال مَن يرغب أن يتعلّم ويعرف ومَن يجب أن يُعاقب ويُوبَّخ ويحتاج

لهما لسوء أعماله؟ أفلا يجب عليهم أن يبيّنوا أيضاً ما هي طبيعة الفضيلة وطبيعة الرذيلة؟ أو هل سيظهر شاعرٌ ما نفسه عندما يهتدي لطريق المدينة ويدخلها، أو شخص تصادفيّ ما يتظاهر أنّه معلّم الشباب، هل سيّظهران أنّهما أفضل من الذي حاز على جائزة كلّ فضيلة؟ وهل نستطيع أن نتعجّب عندما لا يكون الحماة وافين بالمراد في الكلام أو العمل، وعندما لا يمتلكون معرفة كفؤاً بالفضيلة، هل نستطيع أن نتعجّب من أنّ المدينة كلّها، كونها غير محميّة، ستلاقي المصير المشترك الذي تلاقيه المدن في أيّامنا هذه؟

كلينياس: ما هو مغزى مقارنتك هذه، أيّها الغريب؟

الأثيني: ألا نرى أنّ المدينة هي الجسم، أليس الحماةُ الشباب الذين تمّ اختيارهم لهباتهم الطبيعيّة، أليسوا مركّزين في رأس الدولة، ولديهم أرواح تطفح بالعيون وبها يتفحّصون المدينة كلّها؟ إنّهم يقون على يقظتهم وينقلون مداركهم إلى الذاكرة، ويخبرون الكبار في السنّ عن كلّ ما يحدث في المدينة. وأمّا الذين قارنّاهم بالعقل، قارنّاهم لأنّهم يمتلكون أفكاراً عاقلة، بمعنى أنّهم الرجال المسنّون، لأنّهم يتشاورون، ويستفيدون من الرجال الشباب كوزراء لهم، ويتبادلون النصائح - وفي هذه الطريقة فإنهما كليهما يقيان ويصونان الدولة كلّها بصدق. فهل هذا هو النظام الذي سنطبقه في دولتنا أم نظام آخر؟ وهل سيكون مواطنونا كلّهم متساوين في الاكتساب والبراعة، أو هل سيوجد أشخاص خاصّون بينهم تلقّوا تدريباً وتعليماً أكثر اعتناءً ممّا تلقّوه هم؟

كلينياس: لكي يكونوا متساوين، يا سيّدي الصالح، فإنّ ذلك لمستحيل.

الأثيني: يجب أن نتقدّم إذن بتدريبٍ أكثر دقّة من أيٍّ من التدريبات التي سبقت.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أوّلا يجب أن يكون ذلك الذي نحن بحاجة إليه هو الواحد الذي أشرنا إليه لتوّنا الآن؟

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ألم نقل إنّ الحامي أو الصانع، إذا كان كاملاً في كلّ وجه، ألم نقل إنّه لا يجب عليه أن يكون قادراً على رؤية الأهداف المتعدّدة فقط، بل يلزمه أن يحثّ الخطى إلى الأمام إلى الواحد. هذا ينبغي عليه أن يعرف، وعند معرفته له، أن ينظّم الأشياء كلّها على أمل أن تتشبّه به؟

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: وهل يستطيع أيّ شخص أن يمتلك طريقة أكثر دقّة للتأمّل المليّ لأيّ شيء، من كون الإنسان قادراً على أن يتطلّع إلى فكرة واحدة مجمّعة من أشياء عديدة ومختلفة؟

كلينياس: لربّما لا.

الأثيني: لا تقل « لربّما لا » بل قل « لا بكلّ تأكيد »، يا سيّدي الصالح، وهذا هو الجواب الصحيح. ما من طريقةٍ أصدق من هذه الطريقة اكتشفها أيُّ إنسان.

كلينياس: إنّني أنحني لسلطتك، أيّها الغريب، دعنا نتقدّم في الطريق الذي تقترح.

الأثيني: كما هو واضحٌ إذن، ينبغي علينا أن نجبر حماة دولتنا الإلهيّة أن يدركوا، في المقام الأوّل، ما هو المبدأ الذي يكون الشيء عينه في الفضائل الأربع ـ الشيء عينه، كما نؤكّد، في الشجاعة وفي الاعتدال، في العدل وفي الحكمة، وهذا الشيء عينه الذي كونه واحداً، ندعوه نحن كما يجب أن ندعوه، بالاسم المفرد للفضيلة. بهذا سوف نحتفظ بثبات، إذا أحببتم، يا صديقيّ، وأن لا ندعه يذهب إلى أن نتمّم إيضاح ما هو ذلك بشكل تامّ والذي نتطلّع نحن إليه، سواء إذا اعتبرناه كواحد، أو ككلّ، أو اعتبرناه كليهما، أو مهما اعتبرناه، في أيّة طريقة أخرى. هل نحن في حالة فاصلة بالاحتمال قط، إذا لم نستطع أن نخبر ما إذا كانت الفضيلة كثرة، أو أربعاً،

أو واحداً؟ إنّنا نقدر على فعل ذلك بالتأكيد إذا استشرنا أنفسنا. سنكافح بطريقة ما كي يكون لهذا المبدأ مكان بيننا. لكن إذا رأيت أن ندع المسألة وشأنها، فسنفعل.

كلينياس: يجب أن لا نفعل ذلك، أيّها الغريب، أُقسم بإله الغرباء أنّنا يجب أن لا نفعل ذلك، لأنّك تتكلّم الكلام الأكثر صدقاً في رأينا. لكن ينبغي علينا أن نعرف كيف ستنجز هدفك.

الأثيني: إنتظر قليلاً قبل أن تسأل، ودعنا، قبل كلّ شيء نتفق تماماً مع بعضنا البعض على أنّ الهدف ينبغي تحقيقه.

كلينياس: يجب أن يتحقّق ذلك بالتأكيد، إذا كنّا نستطيعه.

الأثيني: حسناً، وهل سنتمسّك بالفكرة عينها عن الخيِّر والشريف؟ هل ينبغي على حُماتنا فقط أن يعرفوا أن كلاً منهم كثرة، أو كيف وفي أيّة طريقة يكونون واحداً أيضاً.

كلينياس: يجب أن يعتبروا في أيّ معنى يكونون واحداً أيضاً؟

الأثيني: وهل يجب عليهم أن يعتبروا فقط، وأن يكونوا غير قادرين على أن يوضحوا ما يفتكرون به؟

كلينياس: لا بالتأكيد، إنّ تلك الحالة هي حالة العبد.

الأثيني: أوَلا يمكن أن يقال الشيء عينه عن كلّ الأشياء الخيِّرة؟ وأنّ حماة النواميس الحقيقيّين يجب أن يعرفوا حقيقية ما يتعلّق بها، وأن يكونوا قادرين على أن يشرحوها بالكلمات، وأن يضعوها موضع التنفيذ عملاً، حاكمين على ما هو جيد وما ليس كذلك، طبقاً للطبيعة؟

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: أليست معرفة الآلهة التي أوضحناها بحماس كبير واحدةً من أنواع المعارف الأنبل، لكي تعرف أنّهم يكونون، ولتعرف كم تكون قوّتهم عظيمة، بقدر

ما تكمن المعرفة في إنسان؟ إنّنا نعذر جماهير المواطنين بكلّ تأكيد، الذين يتبعون صوت النواميس، لكنّنا نرفض أن نقبل كحماة أيّاً من الذين لا يكافحون للحصول على كلّ بيّنة ممكنة في ما يتعلّق بالآلهة. إنّ مدينتنا ممنوع عليها وغير مسموح لها أن تختار كحامٍ للناموس، أو أن تضع في النظام لاختيار الفضيلة مَنْ لا يكون إنساناً ملهَماً، ومن لم يكافح في هذه الأشياء.

كلينياس: إنّه لعدلٌ بكلّ تأكيد. إنّ الكسول فيما يتعلّق بقضايا كهذه والعاجز يجب رفضه، ويجب إبعاد الأشياء الشريفة عنه.

الأثيني: هل نحن متأكدان أن هناك شيئين اثنين يهديان الرجال إلى الاعتقاد بالآلهة، كما أوضحنا ذلك سابقاً؟

كلينياس: وما هما؟

الأثيني: أحدهما هو المحاورة بشأن الروح، والتي ذكرت قبلاً، وهي أنّ الروح هي الأقدم والأكثر ألوهيّة من كلّ الأشياء التي تُكسبها الحركةُ النّشوءَ وتعطيها وجودَها السَرمديّ. أمّا المحاورة الأخرى فكانت عن نظام النجوم وحركتها وعن كلّ الأشياء التي نظّمت العالم تحت سلطان العقل. إذا نظر إنسان إلى العالم ليس بخفّة أو بجهل، لما وُجِد أيّ شخص كافر أبداً لم يكتشف تأثيراً مضادّاً لذلك التأثير الذي يتصوّره العديدون. يعتقدون أنّ أولئك الذين يعالجون هذه القضايا بمساعدة علم النجوم وبمساعدة العلوم المتلازمة لذلك، يمكن أن يصبحوا كفرة، لأنّهم يرون، بقدر ما يستطيعون أن يروا، أنّ الأشياء تحدث بالضرورة وليس بواسطة إرادة عقليّةٍ منجزةٍ للخير.

كلينياس: لكن ما هي الحقيقة؟

الأثيني: إنّها العكس تماماً، كما قلت، عكس الرأي الذي ساد وشاع مرّة بين الرجال، وهو أنّ الشمس والنجوم بدون روح. حتّى في أيّامنا هذه يتعجّب

الرجال بشأنها، وأنّ ذلك الذي يؤكّد الآن كان حدساً يحدسه البعض الذين لديهم معرفة أكثر دقّة بشأنها ـ وهي أنّها إذا كانت أشياء بدون روح، ولا تمتلك عقلاً، فليس بإمكانها أن تتحرّك أبداً بدقّة عدديّة منقطعة النظير. وحتّى في ذلك الزمن فإنّ البعض تجرأ على المجازفة حادسين أنّ العقل كان منظّم الكون. لكن هؤلاء الأشخاص أنفسهم يُسيئون فهم طبيعة الرّوح مرّة ثانية، وقد تصوّروا أنّها أحدث وليست أقدم من الجسد. ومرة أخرى، قلبوا العالم، أو عليّ أن أقول إنّهم قلبوا أنفسهم على الأصحّ. إنّ الذي رأته عيونهم، والأجسام المتحرّكة في السماء، ظهر لهم أنّها كلّها ممتلئة حجارةً، وتراباً، والعديد من المواد الأخرى التي لا حياة لها ممارسين السببيّة خلال العالم كلّه. إنّ دراسات كهذه في ذلك الزمان أعطت انبعاثاً لكثير من الإلحاد والسخط الشعبيّ، وتلقّى الشعراء الفرصة ليكونوا اعتسافيين، مقارنين الفلاسفة بأنثى الكلب، وأنّهم يردّدون نباحاً عقيماً، ويتكلّمون سفاسف أخرى من النوع عينه. أمّا الآن، كما قلت، فإنّ الحالة انعكست.

كلينياس: كيف ذلك؟

الأثيني: لا إنسان يستطيع أن يكون عابداً حقيقيّاً للآلهة وهو لا يعرف هذين المبدأين الاثنين: الأوّل أنّ الروح هي أقدم كلّ الأشياء المولودة، وهي خالدة وتسود الأجسام كلّها؛ وأكثر من ذلك، وكما قلت مرّات عديدة الآن، إنّ الذي لم يفكر مليّاً بطبيعة العقل الذي قيل إنّه موجود في النجوم، وإنّ الذي لم يمرّ خلال التمرين السابق، ولم يرَ ارتباط الموسيقى بهذه الأشياء، ولم ينسّقها كلّها مع النواميس والدساتير، إنّ الذي لم يحز على كلّ هذا، لا يقدر على أن يعطي تعليلاً عن أشياء كهذه، كأنّها تمتلك عقلاً. والذي لا يقدر على أن يكتسب هذا بالإضافة إلى الفضائل العاديّة للمواطن، فإنّه يقدر بصعوبة أن يكون حاكماً صالحاً للدولة كلّها، بل يجب أن يكون تابعاً

للحكّام الآخرين. ولهذا السبب، يا كلينياس وميغيلوس، دعنا نعتبر إذا كان يمكننا أن نضيف إلى كلّ النواميس الأخرى التي بحثناها، هذا الناموس أيضاً ـ وهو أنّ الجمعية العامّة الليليّة للقضاة الحكّام، والتي شاركت أيضاً في برنامج التعليم كلّه الذي اقترحناه، إنّ هذه الجمعيّة ستكون حامياً موضوعاً طبقاً للناموس لإنقاذ الدولة. هل سنقترح هذا الاقتراح؟

كلينياس: بالتأكيد، يا صديقي الخيِّر، إنّنا سنفعل إذا كان هذا الشيء ممكناً في أيّة درجة.

الأثيني: دعنا نبذل جهداً مشتركاً لنربح هدفاً كهذا، وأنا أيضاً سأشارك في المحاولة بكلّ حبور. لقد كان لديّ الكثير من الخبرة بشأن هذه القضايا، وأخذتها بعين الاعتبار غالباً. وأجرؤ على القول إنّني سأقدر على أن أجد الآخرين الذين سيساعدونني أيضاً.

كلينياس: إنّني أوافقك، أيّها الغريب، في أنّنا يجب أن نتقدّم على طول الطريق الذي يهدينا الله للسير فيه؛ وكيف يمكننا أن نتقدّم بصدق، فهذا قد تمّ التحقيق فيه الآن واكتمل شرحه.

الأثيني: أوه يا ميغيلوس وكلينياس، إنّنا لا نستطيع أن نشرّع بشأن هذه القضايا أكثر ممّا فعلنا إلى أنّ يُشكّل مجلس الشورى. وعند إكمال ذلك، سنقرّر حينئذ أيّة سلطة ستكون لديهم وخاصّة بهم. لكن حتّى تنصيب وتنظيم مجلس الشورى فإنّه شيء يحتاج إلى تعليم، وقد صرفنا وقتاً مشتركاً من أجل ذلك، إذا كان هذا ليتمّ القيام به بشكل صحيح.

كلينياس: ماذا تعني، وما هو الشيء الجديد هذا؟

الأثيني: في المقام الأوّل، يجب كتابة قائمة بأسماء المناسبين للقيام بواجب الحامي وتسلّم مهامّه، وذلك بسبب سنّهم ودراستهم وميلهم وعاداتهم. في المقام الثاني، ليس من السهل عليهم أن يكتشفوا أنفسهم وما يجب أن يتعلّموا، أو

أن يصبحوا المريدين للذي قام بالاكتشاف. علاوة على ذلك، عليهم أن يكتبوا ويدوّنوا الأوقات التي يجب عليهم أن يتلقّوا الأنواع المتعدّدة للتعليم أثناءَها، ومتى سيتلقّونها، إنّ هذا الشيء سيكون عبثاً لأنّ المتعلّمين أنفسهم لا يعرفون ما الذي تمّ تعليمه ولا يعرفون الفائدة منه، إلى أن تجد المعرفة التي هي نتيجة التعليم مكاناً في روح كلّ شخص. وهكذا فإنّ هذه التفاصيل، برغم أنّه لا يمكن القول إنّها تكون سرّيّة بشكل حقيقيّ، لكن القول إنّها غير قادرة على أن تكون معلنة سلفاً، لأنّها عندما تُعلن فلن يكون لها أيّ معنى.

كلينياس: ماذا يجب علينا أن نفعل إذن، في هذه الحال؟

الأثيني: كما يقول المثل، إنّ الجواب ليس سرّياً، بل هو جواب لنا كلّنا وعامّ. يجب أن نجازف بالكلّ عند فرصة الإلقاء أو الطرح، كما يقولون، ثلاث مرات ستّة أو ثلاث آصات. وإنّي لعلى استعداد أن أشاركك الخطر بالتقرير وإعلان وشرح وجهات نظري لك بشأن التعليم والتنشئة، اللذين هما السؤال الملحّ مرّة أخرى. إنّ الخطر ليس خطراً طفيفاً أو خطراً عاديّاً. وإنّني سأنصحك بشكل خاصّ، يا كلينياس، أن تنظر في القضيّة، لأنّك إذا نظّمت مدينة ماغنيطيس جيّداً، أو مهما كان الإسم الذي يمكن أن يهبها إياه الله، إذا نظّمتها جيّداً فإنّك ستحصل على المفخرة الأعظم. أو على كلّ حال سيتصوّرون أنّك الأكثر شجاعة من الرجال كلّهم في تقدير الأجيال القادمة كلّها. يا رفاقي الأعزاء، إذا استطاعت جمعيّتنا العامّة الإلهيّة هذه أن تؤسّس فقط، فسنسلّمها المدينة، لا أحد من جماعة المشرّعين الحاضرين، كما يمكنني أن أسمّيهم، سيتردّد بشأن هذا. وأمّا ما وصفناه منذ وقت قصير مضى بأنّه حلم، عندما مزجنا السبب والعقل في صورة واحدة. إنّ ذلك سيتمّ إنجازه في الحقيقة، إذا تمّ اختيار حكّامنا بكلّ عناية، وإذا تمّ تعليمهم

بشكل صحيح. وكونهم متعلّمين هكذا، وقاطنين في معقل الأرض، يمكن أن يصبحوا حماةً كاملين، لم نرَ مثلهم في حياتنا السابقة قطّ بسبب إنقاذ الفضيلة التي فيهم.

ميغيلوس: يا عزيزي كلينياس، بعد كلّ ما قيل، إمّا أن نحتجز الغريب، أو أن نجعله يشارك في وضع قواعد وأسس المدينة بالتضرّعات والابتهالات، وبكلّ أسلوب ممكنٍ من الأساليب المعقولة، أو يجب أن نتخلّى عن هذا المشروع.

كلينياس: حقيقيّ تماماً، يا ميغيلوس، ويجب عليك أن تنضمّ إليّ لاحتجازه هنا.

ميغيلوس: إنّي سأفعل ذلك.

الهوامش

١) كمثال، انها تأتي بعد العدل، الاعتدال، والحكمة. « المعرّب ».

٢) البورياس، اله الشمال أو ريح الشمال في الميثيلوجيا الاغريقية، « المعرّب ».

٣) هيسيود الاعمال والايام « المعرّب »

٤) الاشارة إلى كتاب السياسة لارسطو

٥) السيكلوب عملاق من جبل العمالقة ذو عين واحدة في وسط الجبين في الأساطير اليونانية، « المعرّب »

٦) كتاب الاوديسة لهوميروس.

٧) الاشارة إلى الالياذة.

٨) الاشارة إلى كتاب السياسة لارسطو.

٩) محاورة الجمهورية، الكتاب الثالث.

١٠) الاشارة إلى كتاب السياسة، ارسطو

١١) محاورة الجمهورية.

١٢) مقياس بعدي: قضيب مدرّج يُستخدم مع اداة مساحية لقياس الابعاد، « المعرّب ».

١٣) الاشارة إلى كتاب السياسة لارسطو

١٤) نيستور، ملك بيلوس الذي خدم في سنيه الاخيرة كمستشار لليونانيين في طروادة. « المعرّب »

١٥) كتاب السياسة لارسطو.

١٦) محاورة رجل الدولة لافلاطون.

١٧) محاورة الجمهورية الكتاب الاول والكتاب الثاني.

١٨) محاورة كراتيلوس، وإلى محاورة ثياتيتوس، وإلى محاورة بروتاغوراس من اعمال افلاطون « المعرّب ».

١٩) كتاب الشاعر هيسيود، الأعمال والايام « المعرّب ».

٢٠) الاشارة إلى الكتاب الثاني من هذه المحاورة وما يلي...

(٢٤) كتاب السياسة لارسطو.

(٢٥) محاورة الجمهورية.

(٢٦) لم استطع العثور على هذه الكلمة في القواميس المعتمدة. « المعرّب ».

(٢٧) كتاب السياسة.

(٢٨) كتاب السياسة لأرسطو.

(٢٩) محاورة طيماوس.

(٣٠) الإشارة إلى محاورة رجل الدولة.

(٣١) الاشارة إلى كتاب السياسة لأرسطو.

(٣٢) الاشارة إلى كتاب السياسة لارسطو.

(٣٣) الهة يونانية قديمة لخصوبة الأرض وحماية الزواج والنظام الاجتماعي، سمّاها الرومان سيريس. « المعرّب ».

(٣٤) المفضل عند ديميتر ومخترع المحراث وحامي الزراعة، موصول بالاسرار الاليوسينيّة. « المعرّب ».

(٣٥) إلهة الولادة في اليونان القديم، عرّفها الرومان باسم لوسينا. « المعرّب ».

(٣٦) محاورة الجمهورية.

(٣٧) كتاب السياسة.

(٣٨) كتاب الجمهورية.

(٣٩) خفقان القلب بسرعة وقوة « المعرّب ».

(٤٠) الاشارة إلى كتاب السياسة لأرسطو.

(٤١) مباراة رياضية اغريقية تشتمل على الملاكمة والمصارعة. « المعرّب ».

(٤٢) الإشارة إلى محاورة الجمهورية.

(٤٣) الاشارة إلى محاورة الجمهورية.

(٤٤) الاشارة إلى محاورة الجمهورية «المعرّب». ان الكلمة «تناقض» تقع على معنيين، الأول، العبارة الموهمة للتناقض، أيّ أنّها عبارة متناقضة ظاهرياً أو مناقضة للعقل ومع ذلك فإنّها قد تكون عبارة صحيحة؛

(٤٦) الاشارة إلى محاورة الجمهورية.

(٤٧) الإشارة إلى كتاب السياسة لأرسطو.

(٤٨) رافدة القصص، عارضة رئيسية أو قطعة فولاذية تمتد على طول قعر المركب. « المعرّب ».

(٤٩) الإشارة إلى هوميروس في الأوديسية وما يليها. « المعرّب ».

(٥٠) الاشارة إلى جزء سابق من هذه المحاورة. « المعرّب ».

(٥١) الاشارة إلى محاورة الجمهورية.

(٥٢) الامرأة الأمازونية امرأة من عرق خرافي من المحاربات. قالت الأساطير الإغريقية إنّهن كنّ يُقِمن قرب البحر الأسود. « المعرّب ».

(٥٣) محاورة الجمهورية

(٥٤) محاورة الجمهورية

(٥٥) محاورة الجمهورية.

(٥٦) محاورة الجمهورية.

(٥٧) محاورة الجمهورية.

(٥٨) محاورة الجمهورية.

(٥٩) محاورة الجمهورية الكتاب الثالث.

(٦٠) ملك طيبة، زوج جوكاستا واب اويدويبوس، قتله ابنه عن غير قصد. « المعرّب ».

(٦١) محاورة فيدروس.

(٦٢) كتاب السياسة لأرسطو.

(٦٣) السّماك الرامح، نجم من نجوم الفلك. « المعرّب ».

(٦٤) محاورة الجمهورية، الكتاب الثالث.

(٦٥) كتاب السياسة لأرسطو.

(٦٦) محاورة بروتارغوس، ومحاورة جورجياس.

(٧١) الاشارة إلى محاورة رجل الدولة.

(٧٢) محاورة الجمهورية.

(٧٣) الاشارة إلى كتاب الجمهورية الثاني.

(٧٤) الاشارة إلى محاورة الجمهورية، الكتاب الثاني.

(٧٥) محاورة دفاع سقراط.

(٧٦) محاورة جورجياس.

(٧٧) محاورة طيماوس.

(٧٨) محاورة طيماوس.

(٧٩) محاورة فيدروس.

(٨٠) محاورة الجمهورية.

(٨١) محاورة الجمهورية، الكتاب الثاني.

(٨٢) محاورة طيماوس.

(٨٣) محاورة فيدون.

(٨٤) محاورة طيماوس.

(٨٥) هوميروس الالياذة.

(٨٦) الاشارة إلى محاورة الجمهورية الكتاب الثاني.

(٨٧) الاشارة إلى محاورة الجمهورية الكتاب الثاني.

(٨٨) كتاب السياسة لارسطو.

(٨٩) محاورة جورجياس.

(٩٠) محاورة الجمهورية الكتاب الثالث.

(٩١) محاورة طيماوس.

